الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الشهيد حمه لخضر الوادي

كلية الآداب واللغات
قسم اللغة والأدب العربي

مخبر بحوث في الأدب الجزائري ونقده
(رمز المخبر: E0781200)

السياق في التراث البلاغي العربي
دراسة في ضوء نظرية فيرث السياقية–مقاربة تداولية–

رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه الطور الثالث (ل–م–د) في اللغة والأدب العربي

تخصّص: لسانيات عامة

إعداد الطالبة:
سمية عامر

إشراف الدكتور:
سليم حمدان

أعضاء لجنة المناقشة:

الاسم واللقب	الرتبة	المؤسسة الأصلية	الصفة
فتحي بحة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الوادي	رئيسًا
سليم حمدان	أستاذ محاضر– أ–	جامعة الوادي	مشرفًا ومقرّرًا
عبد المجيد عيساني	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	عضوًا مناقشًا
بوبكر حسيني	أستاذ التعليم العالي	جامعة ورقلة	عضوًا مناقشًا
نعيمة سعدية	أستاذ التعليم العالي	جامعة بسكرة	عضوًا مناقشًا
فريد خلفاوي	أستاذ محاضر– أ–	جامعة الوادي	عضوًا مناقشًا

السنة الجامعية
1442–1443 هـ /2021–2022م

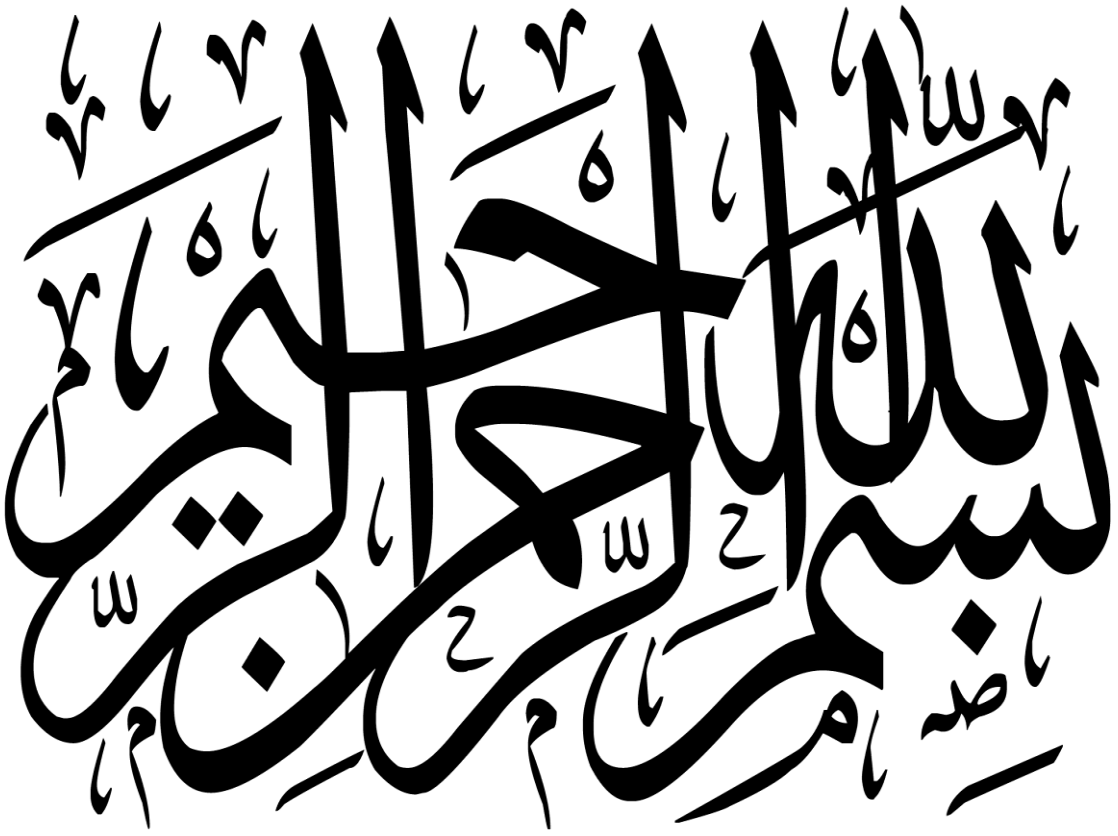
بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ

وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ

وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ ﴾

[الآية: 19 سورة النمل]

شكر وعرفان

أشكر الله تعالى الذي من عليّ بنعمٍ كثيرة، لا تحصى أعظمها نعمة الإسلام، وأشكره تعالى أيضًا على أن من عليّ بإنجاز هذا البحث، وأسأله عز وجل، أن يوزعني شُكر نعمهِ، إنه سميعٌ مجيبٌ.

وبعد شكر الله تعالى أتوجه بشكري العميق لأستاذي فضيلة الدكتور سليم حمدان لصبره علي، وحسن تعامله معي، وعلى ما أفادني من توجيهات في البحث طيلة فترة الإشراف، فجزاه الله عنّي كل خير، فقد كان - ولا أزكي على الله أحدًا - حريصا كل الحرص على إبراز المادة العلمية بأجود صورة مع توجيهي إلى دقة العبارة، وسلامة التركيب.

كما أشكر أعضاء اللجنة المناقشة على قبولهم مناقشة هذه المذكرة، ومنحوني وقتهم من أجل تصويب هذا العمل، وإخراجه في أحسن، وأجمل حلة حفظهم الله ورعاهم.

كما أشكر كذلك الجهود الكريمة التي تبذلها جامعة الشهيد حمه لخضر عامة، وكلية الآداب واللغات خاصة لتيسير طريق العلم أمام طلابه فجزاهم الله خيرًا، والشكر موصول إلى جميع أساتذتي في جامعة الوادي الذين بذلوا قصارى جهدهم من أجلي، وكانوا لي نبراسًا، وضياءً، فما زالت محاضراتهم الثمينة، وكلماتهم الجميلة، وتوجيهاتهم القيمة نورًا لي في الطريق.

كما أتقدم بجزيل الشكر والامتنان إلى جميع زميلاتي في كلية الآداب على جهودهم الطيبة.

وأخيرًا، أشكر كل من ساعدني ووقف بجانبي، أو أعارني كتابا أو دعا لي بالتوفيق، أو شجعني على مواصلة طريق العلم. وصلِّ اللهم وسلم على سيدنا وحبيبنا محمد صلّى الله عليه وسلم وعلى آله وصحبه أجمعين.

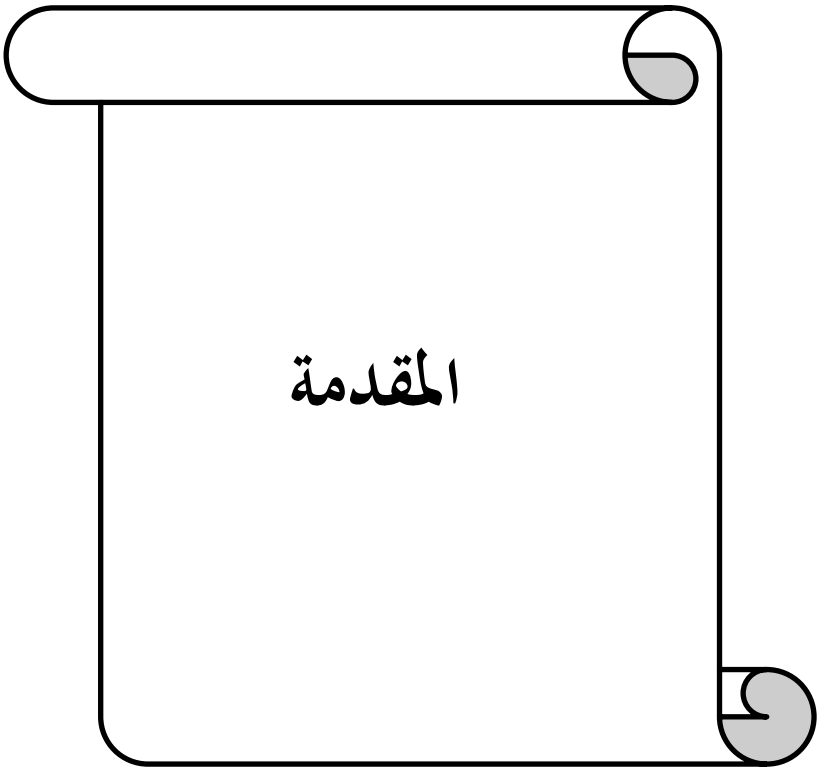
المقدمة

مقدمة

تعدُّ اللسانيات من أهم العلوم اللغوية الحديثة التي شهدت تطوَّرا كبيرا في المبادئ والمصطلحات خلال الربع الأخير من القرن العشرين، انطلاقا من أفكار رائدها الأوَّل "فرديناند دي سوسير"(1857هـ-1913م)(Ferdinand de Saussure) ، وقد كانت أفكاره سببا أساسيا في تغيير مسار هذا العلم بعد ما كان محصورا في دائرة الدَّراسات التقليدية، واكتسى بفضلها صبغة علمية، ونظرة وصفية.

كما اتسمت الدراسات اللغويّة بالتنوع من صوتية ، وتركيبية ، وصرفية ، ودلالية، وبهذا التنوع تعددت اتجاهات الدراسة اللغوية، هذا بالإضافة إلى اتصال دارسي اللغة ببعض العلوم الإنسانيةكعلم الاجتماع ، وعلم النفس، والفلسفة، فأدى هذا إلى ظهور فروع جديدة للسانيات مثل :اللسانيات النفسية، واللسانيات الاجتماعية، واللسانيات التداولية، حيث ظهرت هذه الأخيرة كردّ فعل على اللسانيات الوصفية التي أقصت في دراستها الجانبَ الحي في اللغة، وهو الاستعمال الفعلي للغة المتمثل في الكلام وما يحيط به من ملابسات داخلية أو خارجية، وهذا ما دعا الباحثين والدارسين لتطوير الدراسات اللغوية بدارسة استعمالها في التواصل ضمن إطارها الاجتماعيّ مما استدعى دراسة السياق الذي يجري فيه التلفظ بالخطاب، وهنا برزت مدرسة فيرث"Firth" اللسانية، التي تعددت مصطلحات وَسْمِهَا بتعدد روادها وأتباعها من "المدرسة السياقية" إلى "المدرسة الإنجليزية والاجتماعية "، إلى "مدرسة لندن"، والتي كان المحور الأول لها هو السياق، ومن ثم عُرفت بالنظرية السياقية، وهذا يعني أن هذه الدراسات اللغوية تنحو منحى الاتجاه التواصلي الذي يهتم بدراسة اللغة في إطارها السياقي، عكس الاتجاه النسقي(المحصور في اللسانيات الرياضية الصارمة)، إلا أنَّ جملة من الاطّلاعات الدراسية للتراث العربي، كانت تحيل وبصورة تلقائية إلى حيثيات الدَّرس الحديث.

أمَّا إذا انتقلنا إلى القدامى فإنّنا نلحظ "**الجاحظ**"(255هـ) يسجل كثيرا من الإشارات السياقية التي تخصّ المقام ضمن كتابيه "البيان والتبيين"و "الحيوان"؛ حيث سعى إلى تقنينها، منطلقا في ذلك من وعيه بدوره البارز والمهم في إحداث الإفهام ، شأنه في ذلك شأن **"جون فيرث"** (John Firth)، **و"ابن وهب"(335هـ)** في كتابه "البرهان في وجوه البيان"

كما لا يقتصر بروز الجانب السياقي على **"الجاحظ"، و"ابن وهب"** فقط؛ بل نلمحها بشكل واضح وجلي لدى **"أبي هلال العسكري"**(395هـ) من خلال كتابه "الصناعتين"،و نراه يتجلى أيضا في مدونة البلاغيين ممثلة في **"الجرجاني"**(471هـ) الذي يعدّ من مؤسّسي البلاغة العربية؛ إذ نجد من خلال قراءة كتابيه "دلائل

الإعجاز"و"أسرار البلاغة" بعض ملامح السياق، إذ اقترن السياق عند **الجرجاني** بفكرة النظم، وما يحمله من دلالات ووظائف سياقية يؤديها، يُضاف إلى ذلك ما قدمه **السكاكي(626هـ)** في كتابه"مفتاح العلوم" بحديثه عن الطبيعة الاستدلالية للخبر والإنشاء "الاستلزام"، ومقتضى الحال، الذي يتضمن أبعادا سياقية، ، **وحازم القرطاجني(684هـ)** من خلال كتابه "منهاج البلغاء وسراج الأدباء".

من هنا نقول إنَّ السياق كان حاضرا و بقوة ضمن الدرس اللساني الغربي خاصة عند **فيرث**، وفي الدرس البلاغي العربي ، لذلك كان عنوان الأطروحة"**السياق في التراث البلاغي العربي دراسة في ضوء نظرية فيرث السياقية –مقاربة تداولية–**، نكشف من خلالها عن دور المعطيات اللغوية وغير اللغوية، وأهميتهما في تأطير الكلام.

وقد دعت أسباب مختلفة لاختيار هذا الموضوع، نجملها فيمايلي:

أ–ذاتية:

–ميلُنا إلى الدراسات البلاغية والتداولية.

–كون موضوع السياق من الموضوعات الحديثة في الساحة اللغوية و اللسانية.

–الرغبة في فهم النظرية السياقية واستثمارها في تحليل النصوص وتوجيه دلالاتها.

ب–موضوعية:

– أنَّ هذا الموضوع يندرج ضمن تلك الدعوة التي دعا أصحابها إلى ضرورة قراءة التراث اللغوي بوسائل منهجية حديثة من أجل استنباط الأسس المعرفية التي انبنى عليها الفكر الموروث.

– بيان الأسس المنهجية والمعرفية واللغوية التي ارتكزت عليها نظرية السياق من جهة، ومقارنتها مع ما قدَّمه علماؤنا من جهة أخرى، وكل ذلك من أجل حلِّ الإشكاليات التي طرحتها هذه النظرية، والمقارنة بين المقاربتين.

– رغبتنا في إبراز دور البلاغيين العرب في وضع اللبنات الأولى لهذه النظرية المنسوبة إلى فيرث.

ومن الأهداف المتوخاة في هذا البحث نذكر:

1–التعريف بالنظرية السياقية وتبسيط مفاهيمها وجمع متفرّقها.

2–كشف جانب مهم من جوانب البلاغة، ألا وهو السياق.

3–تسليط الضوء على جهود العرب في وضع جملة من القوانين الهامة المتعلقة بالنظرية السياقية.

4–إلقاء الضوء على الجهود العظيمة التي قدمها علماء البلاغة من خلال تقديم نظرية تتسم بالترتيب والدقة والتمثيل.

5-بيان خطوط الاتصال بين المقاربتي الغربية والعربية في قضية السياق من منظور تداولي.

وفي الحقيقة هناك **دراسات سابقة** تناولت موضوع"السياق" بوجه عام، حاولت أن تشرحه وتبين علاقته بالكلام؛ مثل صنيع"**عبد النعيم خليل**"(**Abdul Naeem Khalil**) الذي وسمه بـ"نظرية السياق بين القدماء والمحدثين- دراسة لغوية نحوية دلالية-"،دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م، حيث عمد إلى تبيان أصل السياق ومفهومه، وكذا عناصره، ثم تناول فيه نظرية السياق عند القدماء، وبعد ذلك طرحه عند المحدثين والمعاصرين العرب والغربيين، ورسالة دكتوراه للباحث عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، وعنوانها "دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث"دار الكتب، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، دط، 1409هـ/1989م، وقد تعرَّض فيها للبداية الحقيقية للسياق عند "مالنوفسكي" ثم قدَّم أهم الأسس السياقية في التراث العربي من خلال علاقتها بعلم الأصوات والنحو، وأيضا رسالة دكتوراه للباحث-ردة الله بن ردة الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة من إشراف: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، المملكة العربية السعودية، جامعة أم القرى، مج1، 1418هـ.

واتضح لنا أنَّ كل هذه البحوث حول السياق كانت في جوهرها عامة، حتى وإن كانت متقاربة فيما بينها، وهذا ما حفَّزنا أكثر للغوص في عمق هذا الموضوع، وبالأخص عند علماء البلاغة الذي اشتهر عندهم هذا الموضوع، ونحسب أنَّ الدراسات فيها ما تزال تحتاج إلى توضيح أكثر، وقد لاحظنا أن هذه النظرية قد عرضت الموضوع بطرح علمي خاص يمثل فيهما "السياق اللغوي و غير اللغوي"، المركز الذي يتحقق من خلاله المعنى المقصود، وهذا هو ما تميز به بحثنا.

ويقوم هذا الموضوع على إشكالية مركزية، وهي: كيف تأسست نظرية فيرث السياقية عند البلاغيين؟ ثم كيف يمكننا الإفادة من المقاربات التي قدَّمها علماؤنا في ذلك؟

وقد قادنا هذا إلى طرح جملة من التساؤلات الفرعية، وهي:

-كيف برز السياق في الدرس البلاغي العربي؟، وكيف نظر البلاغيون للسياق؟

- هل فعلا التفت علماء البلاغة إلى أهمية السياق وبالأخص السياق غير اللغوي في منهج تحليل اللغة لتحديد المعنى؟، وما جدوى ذلك؟

-كيف نظّر الغربيون للسياق؟، وما ارهاصاتهم في ذلك؟

اقتضت طبيعة الموضوع أن نقسم البحث إلى مقدّمة، وفصل تمهيدي، وثلاثة فصول، وخاتمة، حيث جعلنا **الفصل التمهيدي بعنوان: المفاهيم العامة**، إذ اشتمل هذا الفصل على ثلاثة مباحث: فالأول كان موضوعه: **السياق**، وقد خصصناه لدراسة مفهوم السياق بين اللغة والاصطلاح، وإبراز أهم عناصر النظرية السياقية، وأهميته، حيث استعرضنا المعنى القاموسي لهذه الكلمة في بعض المعاجم قديما وحديثا كلسان العرب، والمعجم الوسيط، أما المبحث الثاني فخصصناه لدراسة مفهوم البلاغة لغة واصطلاحا، وإبراز علوم البلاغة المتمثلة في علم المعاني والبيان والبديع، أمَّا المبحث الثالث: وكان موضوعه: التداولية، ولقد خصصناه لدراسة مفهوم التداولية لغة واصطلاحا، إذ استعرضنا المعنى القاموسي لهذه الكلمة في بعض المعاجم قديما وحديثا كلسان العرب والمعجم الوسيط..، وإبراز أهم مبادئ التداولية.

أمَّا **الفصل الأوَّل فوسمناه بـ"السياق اللغوي في التراث البلاغي العربي"**، وعرضنا فيه إلى بيان المقصود بالسياق اللغوي من خلال دلالته الاصطلاحية، وكان خلاصة ذلك أن قسمنا السياق اللغوي إلى ثلاثة أقسام:

أ- السياق الصوتي: وهو عبارة عن النظم الصوتي للصوت في إطار الأصوات الأخرى، وهو ينظم الفونيم والنبر والتنغيم.

ب- السياق النحوي: ويقوم أساسا على دراسة القواعد المنظمة لترتيب أركان الجملة كالتقديم والتأخير والحذف، والتعريف والتنكير.

ج- السياق الدلالي: أمَّا السياق الدلالي فهو الذي يقوم على أساس الاستعمال ووظيفة المعنى في السياق مثلا نظرية الرصف، والدلالة المركزية والدلالة الهامشية.

أمَّا **الفصل الثاني وموضوعه "السياق غير اللغوي في التراث البلاغي"**، فتطرَّقنا فيه إلى مفهوم" السياق غير اللغوي، أين أدركنا ذلك التنوَّع المفاهيمي الذي كان سائدا عند الباحثين، فلاحظنا أنَّ مفهوم "السياق غير اللغوي"، قد تنوَّع وتعدّد، فالبلاغيون طرحوه ضمن مصطلحات مختلفة منها "المقام"، و"مقتضى الحال"، كما حثّوا على ضرورة مراعاة "سياق الحال" بكل معطياته أثناء الأداء الكلامي، حيث اتَّضح لنا أن "الحال" هو الضابط لنوعية الأساليب الكلامية التي قد تُعتمد في التبليغ.

ثم انتقلنا إلى إبراز أهم عناصره، فضبطنا مفهومه ومكوَّناته الأساسية من: متكلّم ومتلقٍّ، وكذا ملابسات الكلام، والزمان والمكان. وبعد ضبط مفهومه وطبيعته أبرزنا كيفية معالجة العلماء له، انطلاقا من التراث العربي وبالتحديد عند البلاغيين، معززين ذلك بالتمثيل والشواهد من أمَّات الكتب.

أمَّا **الفصل الثالث الموسوم بـ"السياق بين التراث البلاغي العربي ونظرية فيرث "**، فتطرقنا فيه إلى مقارنة التراث البلاغي بنظرية فيرث السياقية ، من خلال إبراز أهم النقاط، المتمثلة في "المكون الاجتماعي"، و"العلاقات الموقفية والبلاغة العربية"، و"القواعد النظرية ونظرية النظم"، و"معاني النحو والصيغة النحوية"، والذي يعتبر دمج للفصلين السابقيين .

وختمنا بحثنا بخاتمة ضمت مجمل النتائج التي خلصنا إليها من كل فصول البحث.

أمَّا **المنهج** المعتمد فكان في معظم هذه الرسالة وصفيا، قائما على وصف القضايا المختلفة ذات العلاقة المباشرة بالموضوع، ثم تحليليها ومناقشتها انطلاقا مما قدَّمه المختصون في ذلك، وقد عمدنا كذلك إلى مقارنة بعض الأفكار الحديثة بما ورد لدى علمائنا، والغاية هنا هي محاولة الاستفادة من آراء علمائنا القدماء في إثراء المسائل الكبرى التي تطرحها النظرية السياقية، في تأسيس نوعي السياق "اللغوي وغير اللغوي"، وضبط أهميته وقيمته في تحقيق المعنى المقصود.

وعززنا في هذه الرسالة الأحكام اللغوية بالتمثيل انطلاقا من القرآن الكريم من جهة، ثم كلام العرب شعره ونثره .

وحين نميط اللثام عن جوهر هذه الرسالة، يتضح اعتمدنا على مرجعية علمية ثرية ومتخصصة أفدنا منها بقوة من أجل الإحاطة بكل ما تقتضيه قضايا الموضوع، وقد تنوَّعت بين المصادر الحديثة والمصنَّفات القديمة، فمن الأولى نذكر كتاب "آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر" لمحمود أحمد نحلة، و" اللغة العربية معناها ومبناها" لتمام حسان، ومن الثانية نشير إلى كتب البلاغيين ممّا يخدم القضايا المطروحة منها: كتابيْ "البيان والتبيين"، و"الحيوان" للجاحظ، و"دلائل الإعجاز"، وأسرار البلاغة "لعبد القاهر الجرجاني، و"مفتاح العلوم" لأبي يعقوب السكاكي.

وقد **واجهتنا** أثناء إعداد هذا البحث مجموعة من الصعوبات؛ أهمها وأشكلها إشكالية المصطلح، إذ لاحظنا أن الدارسين قد نوَّعوا في ترجمة المصطلحات التي تولدت عن النظرية السياقية، فلم نكد نجد مصطلحا موحدا إطلاقا، أي مشكل تأسيس المصطلح، ومشكل الترجمة أيضا، وكذلك صعوبة التنسيق بين المعلومات لكثرة تواجدها مكررة في المراجع،

وفي الأخير إنه ليسعني أن أتقدم بالشكر الجزيل إلى أستاذي ومعلمي و مشرفي الدكتور سليم حمدان الذي رعى في هذا العمل فصرف معه وقته وجهده الثمينين من أجل إخراجه في أحسن وأبهى حلَّة، فأسأل الله له حسن الجزاء والثواب.

وإنه لمن دواعي الفخر والاعتزاز أن أسترشدَ وأستضيءَ أكثر من ملاحظات السادة الأساتذة أعضاء لجنة المناقشة، أشكرهم على اقتطاعهم من وقتهم وجهدهم لتصويب هذه الرسالة، ولا يفوتني أن أشكر كذلك جامعتي التي يسَّرت لي وهيَّأت لي الفرصة في التسجيل والمناقشة.

والله من وراء القصد

سمية عامر في 2022/11/24

الفصل التمهيدي:

السياق والبلاغة والتداولية–مفاهيم عامة–

أولاً– السياق

ثانيا– البلاغة

ثالثا– التداولية

خلاصة الفصل

توطئة

إنَّ النصوص الإبداعية فيها لذة تداولية، من خلال الجانب المخفي في البناء الفني إلى حد ما يختبر الفضول التأويلي لدى القارئ التداولي انطلاقا من توفير المعلومات وما توفره الذاكرة من مخزون ثقافي وذهني تعالجه الذاكرة بتفاعلها مع معطيات ومعارف المخاطب، وهذا لا يتم إلا من خلال معرفة السياق، إذ يتفاعل السياق الداخلي للنص مع السياق الخارجي مؤديا إلى الإسهام في تأويل الملفوظ.

أمَّا البلاغيون فقد جاء اهتمامهم بالسياق من خلال حديثهم عن المقام وعن معنى المقام والمقال، وهذا ما يؤكده الدراسات التداولية في دراستها عن ماهية النص والسياق وتفاعلهما وصولا إلى المقصدية، إذ لا تتم التداولية من دون السياق.

أولاً– السياق: Contexte

يعد السياق أحد أهم المرتكزات التي تستند عليها اللسانيات التداولية، فهو أداة إجرائية بدأ الاهتمام بها والتنظير لها منذ القدم، ثم عمق البحث فيه علماء اللسانيات التداولية وغيرهم فأخذ مسارا أعمق في التحليل، وبعدا أكبر تجاوز فيه الجانب اللغوي المحض واتسع ليشمل سياقات أخرى.

1–مفهوم السياق:

تعتبر إشكالية تحديد المعنى من أهم الإشكاليات التي خاض فيها اللغويون، فحاولوا الكشف عن الآليات التي تتحكم في إنتاج الدلالة، فالسياق عرف منعرجا هاما مع تطور علم الدلالة، فأعيد الاعتبار للسياق باعتباره أحد الأدوات الإجرائية التي تسهم في فهم الملفوظ اللغوي.

أ–السياق في الوضع اللغوي:

من الأهمية بمكان بيان المفهوم اللغوي للألفاظ؛ لأنه يقودنا إلى معناها الاصطلاحي ويوضحه، فمن المعاني اللغوية للسياق قول **ابن فارس**(ت: 395هـ): ((السين والواو والقاف أصل واحد، وهو حَدْوُ الشَّيء، يقال: ساقه يسوقه سوقا، والسَّيقة: ما استيق من الدَّوابِّ، ويقال: سقتُ إلى امرأتي صَدَاقها(...) والساق للإنسان وغيره، والجمع سُوق؛ إنما سُمّيت بذلك لأنَّ الماشي ينْساق عليها))[1]

[1] أحمد بن فارس، **مقاييس اللغة**، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1392هـ/1972م، ج3، مادة(س و ق)، ص117.

وممن تنبه لسياق الكلام **الزمخشري**(ت: 538هـ) عندما تحدث عن المعاني المجازية للسياق حيث قال: ((**ساق الله إليه خيراً، وساق إليها المهر. وساقت الريح السحاب. وأردت هذه الدار بثمن، فساقها الله إليك بلا ثمن. والمحتضر يسوق سياقاً. وفلان في ساقة العسكر: في آخره وهو جمع سائق كقادة في قائد. وهو يساوقه ويقاوده، وتساوقت الإبل: تتابعت. وهو يسوق الحديث أحسن سياق، و" إليك يساق الحديث**))[1].

ولعل **ابن منظور**(ت: 711هـ) جمع الكثير ممن قبله عن المعنى اللغوي للسياق، حيث جاء في لسان العرب: **سَاقَ الإِبِلُ، وغيْرَها يسُوقُها سَوْقًا وسياقًا، وهو سائِقٌ وسَوَّاقٌ**(...)، **وسَوَّاق يسوق بهن، أي : جاد يحدو الإبل فهو يسوقهن بحدائه،وسوَّاق الإبل يقدمها، ويقالُ فُلانٌ في السَّياقِ، أي في النَّزْعِ، والسَّياقُ: نزْعُ الرَّوح، وفي الحديث: دخلَ سعيدٌ على عثمانَ، وهو في السَّوقِ، أي النَّزع، كأنَّ رُوحهُ تُساقُ لِتَخرجَ منْ بدنهِ، ويقال السَّياقَ: المَهْرُ**[2].

يمكن القول إنَّ"السياق" عند"ابن منظور" يدل على التتابع والاتصال، فسوق الإبل والدواب من تتبعها واتصالها ببعضها، وكذلك مهر المرأة فقد كان الأصل فيه أن يكون من الإبل والدواب فتساوق إليها، فسياق الكلام تواليه وتسلسله.

وقد أشارت المعاجم الحديثة إلى معنى التتابع ومنها المعجم الوسيط الذي جاء فيه: ((**وانْسَاقَ: مطاوع ساقَه، و– تَبِعَ غيره،و–انقادَ، وتَسَاوَقَتِ الماشيةُ ونحوُها: تتابعَتْ وتَزاحَمَتْ في السيرِ، والسياقُ: من السَّحاب: ما ساقَتْهُ الريحُ وطردتْهُ، كان فيه ماء أو لم يَكُنْ**))[3]. ويعرفه **مازن مبارك** بأنه: ((البيئة اللغوية المحيطة بالوحدة الصوتية أو الوحدة البنيوية الصغرى، أو بالكلمة أو الجملة، ويعني الوحدات التي تسبق، وتلي وحدة لغوية محددة، كما يعني هذا التعبير"السياق" مجموعة العوامل الاجتماعية التي يمكن أن تؤخذ بعين الاعتبار لدراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والسلوك اللغوي))[4]، وتشير هذه المعاجم إلى تضافر سياقات عديدة في

---

[1] أبو القاسم محمود بن عمرو بن أحمد، الزمخشري جار الله،**أساس البلاغة**، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط1، 1419 هـ - 1998 م، ج1، ص484.

[2] ينظر: جمال الدين بن منظور، **لسان العرب**، دار المعارف، القاهرة، 1119م، مادة"س و ق"، ص 2153-2154.

[3] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 1425هـ/2004م، مادة " س ، و، ق"، ص464-465..

[4] مازن مبارك، **معجم المصطلحات الألسنية–فرنسي–إنكليزي–عربي**-، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م، ص61.

النصّ تُسهم في صياغة الرسالة اللغوية، وهي السياقات النحوية والبلاغية والصوتية، وانطلاقا منها يتداخل العديد من الاعتبارات النفسية والاجتماعية[1].

وبهذا يتبين أن الدلالة المعجمية لمفهوم السياق تدور حول معاني التتابع والاتصال، قيادة الإبل، وإعطاء المهور، ونزع النفس والروح عند الموت؛ لأنّ السياق نزع الروح، والإفضاء بالحديث، فسوق الإبل وتساوقها من التتابع، والتتابع اتصال لا انقطاع فيه، وساق الإنسان كذلك سوق البيع والشراء، كل ذلك يدور على معنى التتابع والاتصال، والملاءمة والاتفاق والنظم.

ب–السياق في الوضع الاصطلاحي:

ليس من اليسير أن يجد الباحث تعريفا شافيا جامعا ومانعا لمصطلح السياق، على الرغم من استعمال هذه الكلمة كثيرا، وفي شتى مجالات الفكر والعلوم، ومعظم ما وجدته في تعريف السياق بوصفه مصطلحا لا يتعدى تلك الومضات الخاطفة التي تشير إلى أقسامه أو عناصره، فالسياق بمعناه العام الذي يشمل اللغة وغير اللغة هو مفهوم يصعب تحديده وذلك لأن معظم المعاجم لا تفرد تعريفا كافيا وشافيا لكلمة السياق مجردة عن نعوتها، كالسياق اللغوي، أو سياق الحال[2].

ويتكون مصطلح السياق(Contexte)من مقطعينtextوcont؛ أي مع النسيج، حيث استعمل المصطلح الأول ليعني الكلمات المصاحبة للمقطوعات الموسيقية، ثم بعد ذلك أصبح يستعمل بمعنى النص؛ أي تلك المجموعات من الكلمات المتراصة مكتوبة أو مسموعة؛ إضافة إلى معنى جديد متمثل في ما يحيط بالكلمة المستعملة في النص من ملابسات لغوية وغير لغوية، فالسياق لفظ يتكون من سابقة"Con" تعني المشاركة أي وجود أشياء مشتركة تقوم بتوضيح النص وهي فكرة تتضمن أمورا أخرى تحيط بالنص كالبنية المحيطة والتي يمكن وصفها بأنها الجسر بين النص"[3]؛ فالسياق ((سمات شكلية تقع في المحيط اللساني الفعلي، سواء كان قريبا، أو بعيدا عن مونيم أو تلك التي تشكل المحيط المباشر للفونيم(/i/و/v/ يشكلان سياق/l/في: (ils vont "إنهم يذهبون"). يجب أن نميز السياق الذي هو لساني عن الوضعية (situation) التي هي التجربة المعيشة غير اللسانية. ومع ذلك يمكن للسياق أن يعد مثل الترجمة من خلال وسائل لسانية خالصة لكل ما هو ملائم في الوضعية لكي تتشكل الرسالة. في الوضعية، نشير إلى قلم فوق الطاولة قائلين: (donnez-le-moi)"أعطني

---

[1] ينظر: خُلود العُموش، **الخطاب القرآني–دراسة في العلاقة بين النص والسياق–**، عالم الكتب الحديث، إربد والأردن، ط1429،1هـ/ 2008م، ص25–26.

[2] ينظر: الصادق محمد آدم، **توظيف السياق في الدرس اللغوي**، دراسة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، من إشراف : الحبر يوسف نور الدائم، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، نوفمبر /2007م، ص38.

[3] ينظر: كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، جريدة المقطم، القاهرة، مصر، ط3، 2001م، ص251.

إياه"، لكننا نكتب: (donne-moi le crayon qui est sur la table)"أعطني القلم الموجود فوق الطاولة"، مستعيدين بذلك الوضعية الغائبة من خلال السياق اللساني. هذا الأخير يشير إلى المعنى الذي نعطيه إلى الكلمات من خلال تحيين بعض السمات وإقصاء أخرى، مما يسمح بتفادي الغموض، حتى في حالة المشتركات اللفظية))[1].

كما((يعد مصطلح السياق في الدراسات اللغوية الحديثة من المصطلحات العصية على التحديد الدقيق، وإن كان يمثل نظرية دلالية، من أكثر نظريات علم الدلالة(sémantique) تماسكا وضبطا منهجيا))[2] فالسياق ((هو البيئة اللغوية التي تحيط بصوت أو فونيم أو مورفيم أو كلمة أو عبارة أو جملة، وهو ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، وهو التتابعات الأسلوبية التي يجري عليها الكلام وهيكلته، أي التي تنسج مداخلاتها، ومخرجاتها، وفق منهج سياقي، فالسياق في دلالته الأولى البنية اللغوية في اتصالها بما قبلها وبما بعدها، وهو ما نطلق عليه السياق اللغوي أو المقالي، ويعني في دلالته الأخرى الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي، أو غيره وهو ما ندعوه بالسياق غير اللغوي))[3].

وقد عرفه"**أولمان ستيفن**"(Ullman Stephen) في "دور الكلمة" بأنه ((**النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم**))[4]، ثم علق على هذا التعريف بقوله: ((السياق–على هذا التفسير ينبغي أن يشمل–لا الكلمات والجمل الحقيقة السابقة واللاحقة فحسب–بل القطعة كلها والكتاب كله، كما ينبغي أن يشمل–بوجه من الوجوه–كل ما يتصل بالكلمة من ظروف وملابسات والعناصر غير اللغوية المتعلقة بالمقام الذي تنطق فيه الكلمة لها أهميتها البالغة في هذا الشأن))[5].

أما السياق عند "**تمام حسان**" فيمكن أن ننظر إليه من زاويتين:[6]

أولهما: توالي العناصر التي يتحقق بها السياق الكلامي، وفي هذه الحالة نسمي السياق "سياق النص"، أي توالي الأجزاءِ التي يتحققُ بها التركيبُ والسبكُ، والسياقُ من هذه الزاويةِ يُسمى"سياق النص النحوي" والذي

---

[1]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique, Presses Universitaires de France ,Paris, 1974, p83-84.

[2]محمد سالم صالح ، **أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور النظرية في التوصل إلى المعنى**، كلية المعلمين بمحافظة جدة، جامعة الملك عبد العزيز، ص1.

[3]فاطمة الشيدي، **المعنى خارج النص(أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)**، دار نينوي للطباعة والنشر، دمشق، دط، 2011م، ص21.

[4] ستيفن أولمان ، **دور الكلمة في اللغة**، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، النيرة ، 1975م، ص57.

[5]نفسه ص نفسها.

[6]ينظر:

تمام حسان، **اجتهادات لغوية**، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م، ص237.

ـــــــــ **اللغة العربية معناها ومبناها**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م، ص243.

يُستدلُ عليه من القرائن الحالية والمقامية، وهو الذي يشمل قرينة تعين على فهم المعنى لولاها ما فُهم المعنى على وجهه الصحيح.

والثانية: توالي الأحداث التي هي عناصر الموقف الذي جرى فيه الكلام، وعندئذ نسمي السياق "سياق الموقف"، أي توالي الأحداثِ التي صاحبتِ الأداءَ اللغويَّ، وكانت ذاتَ علاقةٍ بالاتصالِ، والسياقُ من هذه الناحيةِ يسمى"سياقَ الموقفِ"، والذي يُستدلُ عليه من القرائنِ المقامية.

–أما عند **البلاغيين** فقد حظي"السياق أو المقام"كما شاع عندهم بأهمية خاصة ومميزة، فارتباط الدرس البلاغي ككل به، قد نؤكِّد ذلك من مقولتهم التي تكرّرت في معظم المصنّفات البلاغية؛ وهي"لكل مقام مقال"، و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام"*، فهي من جوامع الكلم التي تستجمع بدقّة موضوع الدراسات البلاغية.

وقد كانت هذه الفكرة المنطلق الرئيس في التنظير البلاغي والأدبي بشكل عام، نلمح ذلك مع **"الجاحظ"**(ت255هـ)، حيث قال((تمكّن بمنهجية عقلانية ناضجة من تمثّل آراء السابقين من علماء الشعر وتجريدها وسهرها ضمن نظرية متماسكة هي "نظرية المقامات" التي تمثل مسلكا من أبرز المسالك إلى اكتشاف خصائص نظريته الأدبية والجمالية بشكل عامّ))[1].

ويذكر **"تمام حسان"** في هذا السياق أنَّ البلاغيين عند اعترافهم بفكرة "المقام"كانوا متقدِّمين ألف سنة تقريبا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي"المقام" و"المقال" باعتبارهما أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى يعتبر الآن في الغرب من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة[2]، وقد دعا البلاغيون إلى ضرورة مراعاة "المقام"بكل معطياته أثناء الأداء الكلامي؛ لأنَّ((المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكون من معاني العامة، وإنما مدار الشرف على الصواب وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكل مقام من المقال))[3].

---

* لعل أول ظهور لهذه العبارة في التاريخ الأدبي عند العرب يرتبط **بالحطيئة** الذي يقول في أحد أبياته مخاطبا عمر بن الخطاب(رضي الله عنه):

تَحَنَّنْ عَلَيَّ هَدَاكَ المَليكُ فإنَّ لكُلِ مقامٍ مَقَالا

ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها مبناها**، ص337 .

[1] أحمد الوردني، **قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن السابع الهجري/13م**، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 204م، مج2، ص765.

[2] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص337.

[3] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع ، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م، ج1، ص136.

وعلى هذا الأساس نجد "**السكاكي**"(ت **626هـ**) يؤكد أهمية سياق الحال"المقام فيقوله: (فإن كان مقتضى الحال إطلاق الحكم فحسن الكلام تجريده من مؤكدات الحكم، وإنْ كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الحكم تحلّيه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة، وإن كان مقتضى الحال طيّ ذكر المسند إليه فحسن الكلام تركه، وإن كان المقتضى إثباته على وجه من الوجوه، فحسن الكلام وروده عاريا عن ذكره، وإن كان المقتضى إثباته مخصصا بشيء من التخصصات فحسن الكلام نظمه على الوجوه المناسبة، من الاعتبارات المقدّم ذكرها، وكذا إنْ كان المقتضى عند انتظام الجملة مع أخرى فصلها أو وصلها، أو الإيجاز معها أو الإطناب فحسن الكلام تأليفه مطابقا لذلك)[1]. وهذا النموذج يدل على أن سياق الحال أو سياق الموقف له تأثير كبير على نوع الكلام، وهذا التنوع في الكلام يفضي إلى تنوع في المعاني والدلالات؛ فإذا أردنا معرفة تلك المعاني والدلالات يجب مراقبة الحال الذي نقول فيه الكلام، وهذا هو المبدأ الذي قامت عليه النظرية السياقية في سياق الموقف.

3–أنواع السياق:

ظهر الاهتمام بالسياق(Le Context) كمفهوم عام مع الفلسفة التحليلية، ثم نشأت نظرية مع الإنجليزي جون فيرث(J,Firth)، وإن الاهتمام بالسياق والتنظير له كأداة إجرائية في الدرس اللساني الحديث، هو وليد علم الدلالة اللغوي(La sémantiuqeLinguistiuqe)[2].

*فنجد في علم الدلالة في الدراسات الغربية اليوم، ديبوجراند(Robert De- Beaugrand) يفرق بين مصطلحين:[3]

1-Contexte)، ويتضمن الدلالات الخارجية، وإنتاج النصوص واستقبالها.

2-co-texte)، ويتضمن مكونات قواعدية ونحوية ودلالات داخلية وصرف وأصوات.

وهذا التفريق بين نوعين من السياق هما السياق اللغوي وغير اللغوي هو ما ألبسته نظرية فيرث(firth) أو النظرية السياقية للدرس اللغوي حين أصبح تناول المعنى تناولا لهذين الجانبين واصطلح عليهما في الإنجليزية على الأشهر بـ:[4]

أ - verbal Context – Linguistic Context ، ويراد به السياق اللغوي أو سياق النَّص.

---

[1] أبو يعقوب يوسف السكاكي، **مفتاح العلوم**، تح : نعيم زرور، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط2،1407 هـ - 1987 م، ج1، ص73.

[2] ينظر: علي آيت أوشان، **السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة**، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 2000م، ص15.

[3] ينظر: روبيرت دي بوجراند، **النص والإجراء والسياق**، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م، ص91.

[4] ينظر: بالمر، **علم الدلالة**، تر: مجيد عبد الحليم الماشطة، مكتبة الوطنية، دط، بغداد، 1985،م، ص141.

ب-Context of situation the nom-Linguisitic Context ، ويراد به سياق الموقف أو سياق غير اللغوي.

إذا تمكنا من تحديد عناصر السياق وحصرها في المحددات الشخصية ، والمكانية والزمانية؛ فأي سياق يتم التحدث عنه؟، هل هو السياق الذي يتم في الحديث؟، أم السياق المستنبط من "الحديث/النص"؟، فالنصوص تتم في سياق معيّن بمحدداته، كما أنها تزخر بمحددات سياقية، وكما ذكرنا سابقا وبهذا نكون أمام أنواع متعددة من السياق يمكن حصرها فيما يأ تي :[1]

أ–السياق النصي: وهو سياق القرائن أو ما يسمى بنحو النص.

ب–السياق الوجودي : ويتضمن هذا السياق المرجعي بطبعه"عالم الأشياء حالاتها، الأحداث"، التي ترجع إليها التعبيرات اللغوية ، ويتم الانتقال من الدلالة إلى التداولية حالما يدرك المرسل و المرسل إليه وكذلك موقعهم الزماني والمكاني؛ أي يوافق المحيط المادي المباشر للفاعلين(الفضاء، الزمان، طبيعة التواصل وبنيته)، أي يشمل هوية المتخاطبين ومحيطهم زمانيا ومكانيا.

ج–**السياق الوضعي**: يتوافق مع المحيط الثقافي للخطاب وبصفته هذه، فهو يحدد معايير للصحة"هناك تعابير ينظر إليها باعتبارها تعابير عادية في ثقافة معينة، ويتبين أنها غير لائقة في ثقافة أخرى"، وهو يعمل كمصفوفة أجناس، وفقا للتطبيقات التي يحددها.

د–السياق التفاعلي[*] : يحدد صور الخطاب، ونسق العلامات المصاحبة له(دورية الكلام، حركات).

هـ–السياق التداولي: يتضمن الغايات والممارسة خطابيا.

---

[1] ينظر: علي آيت أوشان، **السياق والنص الشعري(من البنية إلى القراءة)**، ص82-89.

– خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف/الجزائر،، ط1، 2009م، ص115-116.

–ماري آن بافو، جورج إلياسرفاتي، **النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن على الذرائعية**، تر:محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012م، ص353-354.

[*] **التفاعلInteraction**:هو مجموع القواعد التي تُمكّن مستعمل اللغة الطبيعية من إنتاج عبارات لغوية سليمة وفهمها في مواقف تواصلية معينة قصد تحقيق أغراض معينة، فالتفاعل هو التأثير المتبادل الذي يمارسه المشاركون على أفعالهم الخاصة بكل منهم عندما يلتقي بعضهم ببعض التقاء فيزيائيا مباشرا أي التفاعل وجها لوجه،(خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية**، ص114).(وباتريك شارودو ودومينيك منغنو، **معجم تحليل الخطاب**، ص309)، **أما التفاعلية**: فهي محادثة حين ينسّق المتكلمان بين ملفوظاتهما، ويتلفظ كلاهما حسب موقف الآخر، ويلمس في الحال مفعول كلامه فيه، والتفاعل نوعان شفوي ومكتوب فالتفاعلية الشفوية فكل تلفظ، ولو أُنجز بدون حضور مرسل إليه، فهو في الواقع داخل في تفاعلية تكوينية، فهو تبادل صريح أو ضمني مع متكلمين آخرين ، ويفترض دائما حضور جهة تلفظ أخرى يتجه إليها المتكلم، ويبني خطابه بالنسبة إليه(باتريك شارود ودومينيك منغنو، **معجم تحليل الخطاب**، ص183).

و–السياق المقامي: هو سياق يوفِّر جزئيا بعض العوامل أو المحددات التي تسهم في تحديد معاني التعبيرات اللغوية أي الأشخاص المشاركين في المقام إيجابيا أو سلبيا، والعلاقات الاجتماعية التي تربط المتكلمين، وظروف الزمان والمكان، ومستوى وعي المتكلم وإدراكه.

والشكل التالي يوضح ذلك:[1]

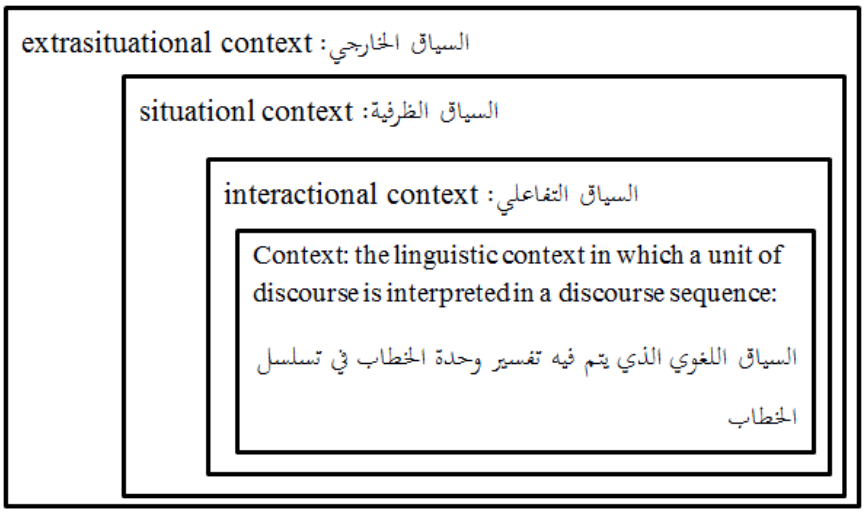

*** الشكل يبين أنواع السياق***

الحِصافة: إنَّ الحديث عن السياق بأنواعه، وطريقة الحديث، وزمن التكلم، مفاهيم إجرائية تلقفتها التداولية فيما بعد، وتأسست على ضوئها نظرية متكاملة استفادت من إرث النَّظرية السياقية، والبلاغة القديمة.

4– عناصر السياق: يتطلب السياق عناصر مختلفة، تظهر في:[2]

أ–العنصر الذاتي : هو معتقدات المتكلم فكل متكلم له معتقداته، وأيضا مقاصد المتكلم فهو حين يقصد شيئا، وكذلك اهتمامات المتكلم، فقد تكون له أهداف، فينبغي أن تدخل هذه الأهداف أيضا في تحديد الظاهرة اللغوية، ثم ينبغي أيضا أن نراعي في هذا رغبات المتكلم، فإذًا هناك الاهتمامات، والرغبات والمقاصد والمعتقدات، كلها تدخل كعنصر ذاتي لتحديد السياق.

ب–العنصر الموضوعي : ويشمل الوقائع الخارجية التي تم فيها القول يعني الظروف الزمانية والمكانية cadre spatio-temporei، يعني أن هذه العوامل أيضا تدخل ضمن السياق.

[1]Richard W.Janney: Cotext as context: vague answers in court, p458.

[2] إدريس مقبول، **الأفق التداولي"نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية"**، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1، 1432هـ/ 2011م، ص154.

ج– العنصر الذواتي:و يعني ما بين ذوات المتخاطبين، وأقصد به المعرفة المشتركة بين المتخاطبين، أو ما يسمى بالأرضية المشتركة، وهي معرفة معقدة التركيب. (المشاركون في الخطابparticipants)[1]، وهي مسألة اعتنت بها الدراسات التداولية؛ لما لها من أهمية خصوصا في عملية التأويل، وقد وجدنا عند المحدثين وشراح الحديث أخذا بهذا المبدأ في تفسير عدد من القضايا المتعلقة بالتمام السياقي.

فالسياق إذن يتحدد بعناصر عدة هي: الاهتمامات والرغبات والمقاصد والمعتقدات، والوقائع الخارجية(الظروف الزمانية والمكانية)، إلى جانب المرسل الذي هو الذات المحورية في إنتاج الخطاب من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه وفق استراتيجية معينة، والمرسل إليه الذي يوجه إليه المرسل خطابه عمدا قصد التأثير فيه وإقناعه، مع مراعاة المقام ومقتضى الحال، والمعرفة المشتركة التي هي الأرضية التي يعتمد عليها طرفا الخطاب في إنجاز التواصل؛ إذ ينطلق المرسل من عناصرها السياقية في إنتاج خطابه، كما يعول عليها المرسل إليه في تأويله، وذلك حتى يتمكنا من الإفهام والفهم أو الإقناع والاقتناع.[2].

5– أهميته: و تتلخص أهميته فيما يأتي :

أ– إنَّ "السياق يعتبر عاملا من العوامل الأساسية في تبويب الظواهر النحوية من خلال مراعاة حال المخاطِب والمخاطَب والظروف العامة، وتقوم القواعد النحوية مراعاة لهذه الظروف؛ لأن التداخل بين العناصر اللغوية تداخل عضوي ولا تستطيع أن تقيم حدا فاصلا بينها، والعلاقة بين العلاقات السياقية، والعلاقات الترابطية هي التي توحي إلينا بطريقة ما في تبويب الأبواب النحوية، وتفرض نفسها بنفسها وهي الطريقة التي نبني عليه النظام النحوي"[3].

ب– كما أن "للسياق أهمية كبيرة في تحديد المعنى وتوجيهه، ومعظم الكلمات من حيث المفهوم المعجمي دالة على أكثر من معنى واحد، فالذي يحدد هذه المعاني ويفصله هو السياق في مورد النص"[4].

ج–كما يساعد على تعيين دلالة الصيغة، مثلا أسماء الزمان والمكان، تصاغ من الثلاثي على وزن(مَفْعَل) بفتح العين، نحو(مَذْهَب، ومَشْرَب، ومَكْتب...) والذي يحدد هذه الدلالة إنما هو سياق الكلام، و يُسهم كذلك في تفريق بين المعاني"المشترك اللفظي"، فالتحديد الدقيق لدلالة هذه الألفاظ إنما يرجع إلى السياق[5].

---

[1] ينظر: علي بعداش، **خصائص البنى التركيبية للخطاب البنيوي الشريف في صحيح مسلم–مقاربة تداولية–**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في المعجمية وقضايا الدلالة، من إشراف: محمد بوادي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، ص72.

[2] ينظر:نفسه ص نفسها

[3] مريم وصل الله صامل الرحيلي، **أثر السياق في توجيه المعنى–دراسة تطبيقية في صحيح مسلم–**، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص فقه اللغة، من إشراف ناجح عبد الحافظ مبروك عبيد، جامعة طيبة، 1431هـ/2010م ، ص7.

[4] علي زوين، **مناهج البحث اللغوي بين التراث ة وعلم اللغة الحديث**، دار الشؤون الثقافية العامة،، بغداد، ط1، 1916م/198م، ص185.

[5] مريم وصل الله صامل الرحيلي، **أثر السياق في توجيه المعنى–دراسة تطبيقية في صحيح مسلم–**، ص7.

وخلاصة القول: نستنتج من خلال ما سبق:

إنَّ السياق هو مفتاح اللغة، إنَّه سلطة لغوية أحيانا، وسلطة فوق لغوية أحيانا كثيرة، وذلك لحضوره الدائم على مستوى الخطاب، وعلى مستوى ظروف التخاطب أيضا، وهو ما يفرض على القارئ ضرورة العودة إليه، كقوة قادرة بكفاءة عالية على تفسير أي نظام لغويّ.

إنَّ السياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة، حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، ويمكننا من تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في الاستعمال للغة، وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة، لذا فهو يقوم بدور فعال في تواصلية الخطاب وانسجامه.

ثانيا– البلاغة:

البلاغة من علوم اللغة العربية ، وقد كانت السبيل المفضي إلى فهم كتاب الله عزَّ وجلَّ وحديث النبي صلى الله عليه وسلم، وكلام العرب، ولذلك أولى القدماء هذا الفن عناية كبيرة، ووضعوا فيه دراسات كثيرة اتسمت بالدقة والأصالة والتمثيل.

1– مفهوم البلاغة (Rhétorique): للبلاغة تعريفات لغوية واصطلاحية.

أ–**البلاغة لغة:**

استعمل مصطلح البلاغة في المعاجم العربية للدلالة على معاني مختلفة تساعد القارئ على تبيّن مفهومها، واستيعابه ويمكن حصر مفهوم البلاغة فيما يلي:

–جاء في لسان العرب: ((بَلَغَ الشَّيءُ يَبْلُغُ بُلُوغا وبَلاغا: وَصَلَ وانْتَهَى؛ وَأَبْلَغَهُ هُوَ إبْلاغا وبَلَّغَهُ تَبْلِيغا،(...) والبَلاغَةُ: الفَصاحَةُ، والبَلْغُ والبِلْغُ: البَلِيغُ منَ الرِّجالِ، ورَجُلٌ بَلِيغٌ وبَلْغٌ وبِلْغٌ: حَسَنُ الكلامِ ، فَصِيحُه يَبْلُغُ بِعِبارَةِ لسانِهِ))[1]. قد جعل ابن منظور مفهوم البلاغة محصورا في معنى الوصول والبلوغ والانتهاء، أي بلوغ المتكلم وتبليغه، والوصول إلى الشيء المطلوب.

–جاء في **المعجم الوسيط**: ((بَلَغ الشَّجَرُ–بُلوغا، وبَلاغا: حان إدراك ثَمَره، و–الغُلامُ: أدرك، و–الأَمْرُ: وصل إلى غايته، ومنه: ﴿**حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ**﴾، و– الشيءَ بلوغا : وصل إليه، وبَلُغَ– بَلاغَةً: فَصُحَ وحَسُن بيانه، فهو بَلِيغٌ(ج) بُلغَاء، ويقال: بَلُغَ الكلامُ، (أبْلَغَهُ) الشيءَ وإليه: أوْصَله إليه، (بالَغَ)فيه مبالغة، وبِلاغا: اجتهد فيه واستقصى، و–

[1] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة" ب ل غ"، ص345–346.

غالى في الشيء، والبلاغةُ: حسن البيان وقوة التأثير، و–عند علماء البلاغة: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته))[1]، فكذلك المعجم الوسيط جعل مفهوم البلاغة محصورا في معنى الانتهاء والإدراك.

–وجاء في **معجم متن اللغة** ما نصه بقوله::((بَلَغَ بُلُوغا وبَلاغا المكانَ: وصل إليه وانتهى: شارف عليه، بَلغَ مَبْلَغَهُ ومَبْلَغَتَهُ: وصل إلى ما وصل إليه(...)،(ج) بُلَغاء، بَالَغَ: اجتهد ولم يُقصِّر، والبَلْغ والبِلْغ والبِلَغ والبَلِيغ والبَلاغيّ والبُلاغِيُّ: الفصيح يبلغ بفصاحته كنه ضميره، البّلاغُ: الكفاية: الوصول إلى الشيء: ما بَلَغك: ما يُتَبلَّغ به ويُتَوصَّل إلى الشيءِ المطلوب، فالبلاغةُ: مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، وكلُّ بليغ فصيح ولا عكس))[2].

إنَّ تعريفات المعاجم للبلاغة تحمل معنى الوصول وبلوغ الشَّيء وإدراكه، فمن حَسُنَ كلامه، وأدَّى المعنى فهو بليغ، –إذًا– فالبلاغة في معناها اللغوي هي الوصول والانتهاء إلى المعنى الذي يجول في الصّدر.

ب–البلاغة اصطلاحا:

لم يجتمع للبلاغة حدٌّ فاصل بقدر ما اجتمع لها من الضوابط ما يبين آلتها، ويقرب دُربتها، ويعين السالك على ورود معانيها، فكان لأهل الصنعة فيها تصورات كلّ بحسب ما رأى أنه يحقق كفايتها، فنجد **الجاحظ** أول من بحث عن مفهومها، متسائلا ما البلاغة؟ تعريفه فيها عند ذكره البيان فقال:((مدار الأمر والغاية التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفهم والإفهام، فبأي شيء بلغت الإفهام، وأوضحت عن المعنى فذلك هو البيان في ذلك الموضع.))[3] ، ويقول أيضا:((وقد عرفه صُحَار بن عباس العبدي له عندما سأله معاوية"ما تعدون البلاغة فيكم؟قال: الإيجاز، فسأله معاوية وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ[4]، فالبليغ من يوجز ولا يطنب حتى لا يمل السامع من كلامه، والبليغ من يحترز من الخطأ اللغوي والمعنوي.

وعرفها **"أبو هلال العسكري"** (ت **395هـ**) بعده:((البلاغة من قولهم: بلغتُ الغايةَ إذا انتهيت إليها، وبلغتها غيري، ومبلغ الشيء: منتهاه، والمبالغة في الشيء: الانتهاء إلى غايته، فسميت البلاغةُ بلاغةً؛ لأنَّها تُنْهِي المعنى إلى قلبِ السامعِ فيفهمَه))[5] فالبلاغة–حسب "أبي هلال العسكري" هي الانتهاء والوصول إلى المستمع بغرض توصيل المعنى، وبلوغ الغاية من الفهم والإفهام.

---

[1] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مادة"ب ل غ"، ص69–70.

[2] أحمد رضا، **معجم متن اللغة"موسوعة لغوية حديثة"**،دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ/1960م، م1، مادة" ب ل غ" ، ص339–340.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين** ،ج1، ص76.

[4] ينظر: أبوعثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **الحيوان**، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت/لبنان، 1416هـ/1996م، ج1، ص90–91.

[5] أبو هلال العسكري، **كتاب الصناعتين**، تح: علي البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت/لبنان، 1998م، ص06.

أما "**السكاكي**"(**ت 626هـ**) فقد عرفها بقوله:((البلاغة هي بلوغ المتكلم في تأدية المعاني حدا له اختصاص بتوفيه خواص التراكيب حقها وإيراد أنواع التشبيه والمجاز والكناية على وجهها))[1]. فالبلاغة عنده، مركزا على الاعتناء حال تأدية المعاني على لزوم تضافر التراكيب على الوجه الواجب لها، خاصة عند العدول في التشبيه والمجاز والكناية.

أما "**الخطيب القزويني**"(ت793هـ) فنجده يعرف البلاغة من خلال تقسيمها إلى بلاغة الكلام، وبلاغة المتكلم إذ يقول:((بلاغة الكلام فهي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته ومقتضى الحال مختلف فإنَّ مقامات الكلام متفاوتة(...)، وأما بلاغة المتكلم فهي ملكة يقتدر بها على تأليف كلام بليغ))[2]. فبلاغة الكلام عنده أن تجعل الكلام حسنا، ومقبولا، حيث إن الكلام لن يطابق الحال إلا إذا كان فصيحا، وبلاغة المتكلم أن يصل إلى غرضه بسهولة ويسر إذا كان بليغا في تعبيراته.

فجِماعُ البلاغة: هو:((التماسُ حُسنِ الموقِعِ، والمعرفةُ بساعاتِ القولِ، وقِلَّةُ الخرقِ بما التبسَ من المعاني أو غَمُضَ، وبما شَرَدَ عليكَ من اللفظِ أو تعذَّرَ))[3].

صفوة القول: نستنتج مما سبق أن البلاغة:

* تشترك في إفادة المعنى الذي يحسن السكوت عليه، إضافة إلى تخصيص البلاغة للكلام والمتكلم دون الكلمة؛ لأنها قاصرة عن تأدية المعنى، وهي مفردة فالكلمة إذا كانت مفردة لا تصل بالمتكلم إلى غرضه والشرط في الكلام البلاغة.

* تقوم على علاقة الفهم والإفهامِ، ويتحقق ذلك بحسنِ اختيارِ الكلماتِ، وتأديةِ الخطابِ، بوسائلَ متعددةٍ، واختيارِ أفضلِ السُبلِ لإيصالِ الخطابِ إلى المتلقي، ومن تحققتْ في خطابهِ هذه الشرُوطُ أصبح بليغا.

2: مراتب(مباحث) البلاغة[*] : للبلاغة مراتب ثلاث نوجزها فيما يأتي:

حفل البلاغيون بمباحث انضوت تحتها آليات البحث البلاغي ومخرجاته، جاءت على النحو الآتي:

---

[1] السكاكي، **المفتاح**، ج1، ص415.

[2] جلال الدين القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل- بيروت، ط3، دت، ص41-50.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص88.

[*] لقد قسم أرسطو البلاغة إلى الإبداع، والترتيب، والتعبير، والفعل ، فالإبداع هو الإجابة عن السؤال ماذا نقول، والترتيب هو فن التأليف ، والتعبير : هو صياغة العبارة وتمثل فصلا متطورا جدا ، والفعل: هو الخطاب المجهز ، وأن يكون محفوظا أي الذاكرة" ينظر:أوزوالد ديكرو وجان ماري سشايفر، **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان** ، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، دب، طبعة منقحة، ص156-158.

أ–علم المعاني:

علم المعاني هو علم يهتم بدراسة الجملة العربية، من خلال البحث عن التوافق والتلازم الموجود بين الكلام والمقام، ومدى مطابقة المتكلم لمقتضى الحال، وتوافر القرائن المانعة من حدوث اللبس.

*نجد **السكاكي** بقوله:((اعلم أن المعاني هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره))[1].

كما عرفه **القزويني** بقوله:((وهو علم يعرف به أحوال اللفظ التي بها يطابق مقتضى الحال.))[2] ، وهو تعريف أساسه اللفظ، ومطابقة الكلام لمقتضى الحال، أي يطابق صفة اللفظ مقتضى الحال.

نستنتج من خلال ما سبق: أنَّ علم المعاني يقوم على الفصاحة في الكلام دون مطابقة الكلام لمقتضى الحال لبيان واضح من هؤلاء العلماء، فعلم المعاني يهتم بأحوال المتكلم والمستمع، وذلك من خلال أن يكون المتكلم على علم بأحوال السامع قبل أن يتكلم حتى يأتي بالكلام على صفة مخصوصة تتطابق مع حال السامع.

ب–علم البيان*:

علم البيان، هو العنصر الثاني من مباحث البلاغة، اعتنى البلاغيون من خلاله بالبحث في التصوير الفني كالتشبيه والكناية والاستعارة، فالبيان يمثل المحور الرئيس للنظرية البلاغية؛ إذ استقطبت اهتمامه الفكري، وأضحى المعادل الموضوعي لعلاقة اللغة بالمتكلمين في السياقات المعينة، إذ يقول **السكاكي**:((علم البيان والخوض فيه يستدعي تمهيد قاعدة وهي أنَّ محاولة إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة بالزيادة في وضوح الدلالة عليه والنقصان بالدلالات الوضعية غير ممكن))[3].

كما عرَّفه **القزويني** بقوله:((ما يعرف به كيفية إيراد المعنى الواحد بطريق مختلفة في وضوح الدلالة))[4]، فهو يبحث في تعدد صور المعنى الواحد قصد الدلالة عليه وتوضيحه.

وممَّا سبق نستنتج أنَّ علم البيان هو العلم الخاص بطرق التعبير المختلفة، باختلاف صيغ التراكيب اللغوية، والتي تمتاز بالوضوح في مقام، والخفاء في مقام آخر، أو التمام في مقام، والنقصان في آخر، لتصل في نهاية المطاف إلى غاية واضحة، وهي التعبير عن المعنى وفق مقتضى الحال، فيصبح المرسِل مخيرا أمام العديد من طرق التعبير التي يختار منها ما يناسب سياق الحديث.

---

[1] السكاكي، **المفتاح**، ج1، ص161.

[2] القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**،ج1، ص52.

[*] **علم البيان**:هو أصول وقواعد يعرف بها إيراد المعنى الواحد بطرُقٍ يختلف بعضها عن بعض في وضوح الدلالة على نفس ذلك المعنى، ولا بد من اعتبار المطابقة لمقتضى الحال دائما(أحمد الهاشمي، **جوهر البلاغة**–في المعاني والبيان والبديع–، ضبط وتدقيق وتوثيق: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، 1999م، ص216).

[3] السكاكي، **المفتاح** ، ج1، ص329.

[4] القزويني، **الإيضاح** ، ج1 ، ص123

ج–علم البديع[**] :

إذا كانت زاوية الاهتمام بالتواصل في علم البلاغة تكفَّل بها علم المعاني، وزاوية الاهتمام بالكشف عن المعنى تكفَّل بها علم البيان، فإنَّ زاوية الاهتمام بتزيين الكلام وزخرفته، واختيار الألفاظ التي لا تنفر منها الأسماع والقلوب، تكفَّل بها علم البديع، فيقول **القزويني** في ذلك:((ما يعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية تطبيقه على مقتضى الحال وفصاحته))[1]، فـ((علم البديع علم يبحث في المعنى أو في اللفظ، من حيث تزيينه، وتدبيجه وإلباسه ثوبا من البهجة والبهاء ، يستشرق السمع ، ويستأسر اللب))[2]، وبما أن الكلام لفظ ومعنى، فالتحسين يكون للجانبين، تحسين المعنى وتحسين اللفظ، فالبديع ينقسم إلى قسمين: بديع يُحسن به الكلام من جهة المعنى فهو معنوي، وبديع يُحسن به الكلام من جهة اللفظ فهو لفظي، وهي:[3]

–المحسنات المعنوية(البديع المعنوي):

وتتضمن الطباق، والمقابلة، والمشاكلة، وحسن التعليل، وأسلوب الحكيم، والتورية، وتأكيد المدح بما يشبه الذم وعكسه.

–**المحسنات اللفظية**(البديع اللفظي): وتتضمن السجع والجناس ورد العجز على الصدر(الازدواج).

وصفوة القول:

إنَّ البلاغة هي بلاغة الذوق وإدراك والجمال، وحسن التمييز بين طبقات الكلام، والاهتداء إلى لطائف الصنعة وأسرار البراعة، وكشف العلة في سحر الكلام الجميل وفتنة اللغة البديعية؛ هي اجتماع التذوق لجمال الأدب مع العلم بأسراره وقوانينه[4].

[**]كلمة البديع جاءت في معجم **لسان العرب**: ((بدع الشيء يبدعه بدعا، وابتدعه أنشأه وبدأه، والبديع، المحدث العجيب، وأبدعت الشيء اخترعته لا على مثال، والبديع من أسماء الله تعالى، لإبداعه الأشياء وأحداثه إياها، ويجوز أن يكون بمعنى مبدع أو يكون من بدع الخلق أي بدأه الله تعالى : كما قال((بديع السماوات والأرض)) أي خالقهما ومبدعهما، فهو سبحانه الخالق المخترع لا عن مثال سابق، وسقاء بديع أي جديد وأبدع الشاعر جاء بالبديع))(ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة "ب د ع"، ص230)، فكلمة البديع في اللغة تدور حول: الجديد، والمحدث، والمخترع.

[1]القزويني، **الإيضاح**، ج1، ص50.

[2] ، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط1، 1997م، ص155

[3] ينظر:

–عبد العاطي غريب علاَّم، **دراسات في البلاغة العربية** ، ص180 وما بعدها.

– محمد حسين أبو موسى، **البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية**، دار الفكر العربي، دب، دط، دت ، ص648

[4]ينظر: عبد الملك بومنجل، **تأصيل البلاغة–بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية**–، مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين–سطيف2، 1437هـ/2015م، ص12–13.

ثالثا– التداولية

توطئة.

تعددت البحوث في مجال علوم اللسان، وعظمت فوائده، وتنوعت أغراضه ومقاصده تبعا للمنهج المتبع، وتوالت النظريات الدلالية في النصوص الأدبية وغيرها، ثم طرحت الكثير من الدراسات اللسانية منهجا في تفسير النصوص، وبيان معانيها، واتضح أنها تدرس ذلك دراسة شكلية صورية بغض النظر عن السياقات الكامنة في الكلام، وظهر لمقابل علم الاستعمال اللغوي المتجدد بتجدد مقاصد المتكلمين وهو ما يعرف بالتداولية، فما هي التداولية؟ وكيف نشأت وكيف تطورت؟ وما هي أهم مرجعياتها الفكرية؟، وما هي أهم مباحثها، ومفاهيمها الأساسية؟ وفيما تكمن أهميتها، ومهامها اتجاه اللغة؟ .

1–مفهومها: تمتلك التداولية تعريفات لغوية واصطلاحية.

أ–التداولية لغة:

يعود مصطلح التداولية في أصله العربي إلى جذر اللغوي "د و ل"، وتدور دلالتها في المعاجم حول التحوَّل والتبدل والاسترخاء، والتناقل والانتقال والتمكين ، فنجد في معجم "مقاييس اللغة":("**دول": الدال والواو واللام أصلان : أحدهما يدلُّ على تحوُّل شيءٍ من مكانٍ إلى مكانٍ، والآخر يدلُّ على ضعْفٍ و استرخاء، فأما الأول فقال أهل اللغة : انْدَالَ القومُ، إذا تحولوا من مكان إلى مكان، وتداول القومُ الشيءَ بينهم : إذا صار من بعضهم إلى بعض، أما الأصل الثاني: دالَ الثوَّبُ يَدُول، إذا بَلَي، أي أندال بَطْنُه،أي اسْترخىَ)**[1]، ومن ثَمَّة فمادة"د و ل" في المقاييس لها معنيان:

–الأول:يدل على دوران الشيء وتبادله من مكان إلى آخر.

–الثاني: يدل على قدم الشيء وضعفه واسترخائه.

–أما في معجم **لسان العرب: قالَ: والدُّولةُ، برَفْعِ الدَّالِ في الملكِ، والسُّننِ التي تُغيَّرُ، وتُبدَّلُ عن الدَّهرِ، فتلكَ الدَّولةُ والدُّولُ، والدُّولةُ اسمُ الشيءْ الذي يُتداولُ، والدَّولَةُ الفعلُ والانتقالُ من حالٍ إلى حالٍ**[2]، فتعريف ابن منظور لا يختلف عن تعريف ابن فارس، وكلاهما مرتبط بمعنى التبادل والتناقل.

–أمَّا في المعجم الوسيط:**فدَالَ الدُهرُ – دَوْلاً، ودَوْلَةً: انتقل من حالٍ إلى حالٍ و– الأيامُ: دارتْ، ويقال: دالت الأيامُ بكذا، ودالتْ له الدَّولةَ، و– الثَّوبُ: بَلِيَ، وبَطْنُه: استرخى وقرُبَ من الأرض، و– فلانٌ دَوْلاً،**

[1] أحمد بن فارس بن زكرياء، **معجم مقاييس اللغة**، مادة(دول)، ج2، ص314–315.

[2] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(د و ل)، ج1، ص 1455.

ودَالةً: صار دَالَة، أدال الشيء: جعله مُتَدَاوَلاً، ودَاوَلَ الله الأيَّام بينَ النَّاس: أدارها وصَرَّفها.[1] ، كذلك مجمع اللغة العربية جعل مادة "دول" بمعنى التحول والتبدل، والتنقل، والاسترخاء.

نستخلص مما سبق أن مادة(دول)، وجلّ معانيها لا تكاد تخرج في المعاجم العربية اللغوية عن التناقل والانتقال والتمكين والدوران والحركة، والذي يقتضي وجود أكثر من حال، ينتقل بينها الشيء، وتلك حال اللغة متحولة من حال لدى المتكلم إلى حال أخرى لدى السامع، ومنتقلة بين الناس.

ب– اصطلاحا:

اكتسبت التداولية تعريفات عدة بعضها يتجه وجهة وظيفية، وبعضها يركز على أهمية السياق وبعضها الآخر يركز على الجوانب المختلفة للمعنى في التواصل، مما جعل كل باحث ينطلق في تعريفات من ميدان تخصصه، ومن بين هذه التعريفات نوردها فيما يلي:

أولا: إنَّ الحديث عن مفهوم التداولية يكون عن العلاقة بين العلامة ومؤوليها يشير ضمنيا إلى مستخدمها فالعلامة قبل استخدامها تمر بمرحلتين تأويل ذهني هي التي تمكن من استخدام علامة بعينها دون بقية العلامات، واستخدام العلامة يطرح جملة من التساؤلات تخص المستخدمين، غايات الاستخدام "المقاصد"، وظروف الاستخدام" السياق" تمثلت هذه التسؤلات كما أشارات"فرانسواز أرمينكو" في:

من يتكلم؟"المتكلم/المبدع"، مع من تتكلم؟"المستمع/المتلقي"، لأجل ماذا نتكلم"مقاصد الكلام"، ماذا علينا أن نعلم حتى يرتفع الإبهام عن جملة أو أخرى "السياق"؟[2]

ثانيا: أمَّا "جاك موشلار"J. Moeschler) ، فيرى أن التداولية: هي علم جديد للتواصل يسمح بوصف وتحليل وبناء استراتيجيات التخاطب اليومي، والمتخصص بين المتكلمين في ظروف مختلفة.[3] ، فهو يرى أن التداولية في اهتماماتها وسّعت من مجال اشتغالها، ومن أدواتها الإجرائية في مقاربة الخطاب، فضلا على أنها لم تركز على جنس الخطاب الأدبي وحسب؛ بل شملت عنايتها واهتماماتها مختلف أنواع الأخطبة –بتعبير عبد الملك مرتاض– الأخرى.

ثالثا: يذكر مسعود صحراوي(MESSAoud Sahraoui) أنَّ:(التداولية ليست علما لغويا محضا بالمعنى التقليدي،علما يكتفي بوصف وتفسير البنى اللغوية، ويتوقف عند حدودها وأشكالها الظاهرة؛ ولكنها علم جديد

---

[1] ينظر: مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، مادة(دول)، ص 304.

[2] فرانسواز أرمينكو ، **المقاربة التداولية**، تر: سعيد علوش، مكتبة الأمة، الرباط، 1986م ، ص2.

[3] آن روبول وجاك موشلار، **التداولية اليوم (علم جديد في التواصل)** ، تر: سيف الدين غفوس، دار الطليعة للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط1، 2003م، ص29-33.

للتواصل، يدرس الظواهر اللغوية في مجال الاستعمال)[1]، مفاده أن التداولية علم لساني يدرس طريقة استعمال النَّاس للغة أثناء أحاديثهم وتواصلهم الكلامي، إضافة إلى كيفية تأويلهم لها، أي تهتم بدراسة اللغة أثناء الاستعمال، ووصف العلاقة القائمة بين المتخاطبين أثناء التواصل لفهم قصد المتكلم.

رابعا: أمَّا عبد الهادي بن ظافر الشهري(Abdul Hadi bin Dhafer Al Shehri) فيرى بأنها (كيفية إدراك المعايير، والمبادئ التي توجهها عند إنتاج الخطاب،بما في ذلك استعمال مختلف الجوانب اللغوية في ضوء عناصر السياق،بما يكفل له ضمان التوفيق من لدن المرسل إليه عند تأويل قصده،وتحقيق هدفه)[2]، نجد أن ظافر الشهري يرى أن التداولية هي العلم الذي يقوم بدراسة المفاهيم والألفاظ، والأفكار التي لها علاقة بالاستعمال اللغوي، وكذا بتفسير ما يعنيه الناس في سياق معين وكيفية تأثير السياق في ما يقال.

فالتداولية هي دراسة للغة أثناء استعمالها واستخدامها في سياق التخاطب، وتقوم على مراعاة كل ما يحيط بعملية التخاطب، للوصول إلى المعنى وإحداث الأثر المناسب، بحسب قصد صاحبه، وتبحث في الشروط اللازمة لضمان نجاعة الخطاب وملاءمته للموقف التواصلي الذي يوجد فيه المتلفظ بالخطاب والسامع له.

2–علاقة التداولية بالحقول المعرفية: إن التداولية تمثل جسرا وامتدادا لعلوم ومفاهيم عديدة نوجزها فيما يأتي:

أ–**التداولية واللسانيات**: ولتوضيح علاقة التداولية باللسانيات نحدد مستوى النظام، ومستوى استعمال النظام، فالأول: يتكون من تركيب ودلالة، وترى "**آن ريبول وزميلها**"(Anne Ripoll) أن التركيب يولِّد الصورة السطحية التي تنتجها قواعد الصياغة الحسنة(قواعد التكوين الجيد)، وتولد الدلالة صورة منطقية بواسطة قواعد التأليف، ويكوِّن المجموع المتركَّب(صورة سطحية، صورة منطقية)، **دلالة الجملة** "مقابل معنى القول، ولا تتم الدلالة اللسانية على ذلك إلا بالدور الذي تقوم به التداولية المتمثل في تقديم تأويل تام للجملة، وهو ما يتم في المستوى الثاني، وهو مستوى استعمال النظام[3].

والرسم الموالي يوضح ويلخص ما سبق:[4]

---

[1] مسعود صحراوي، **التداولية عند علماء العرب–دراسة تداولية لظاهرة"الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"**، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط1، 2005م،ص17.

[2] عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتيجيات الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)**، ص22.

[3] ينظر: جاك موشلر وآن ريبول، **القاموس الموسوعي للتداولية**، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، دط، 2010م، ص30.

[4] نفسه ص نفسها.

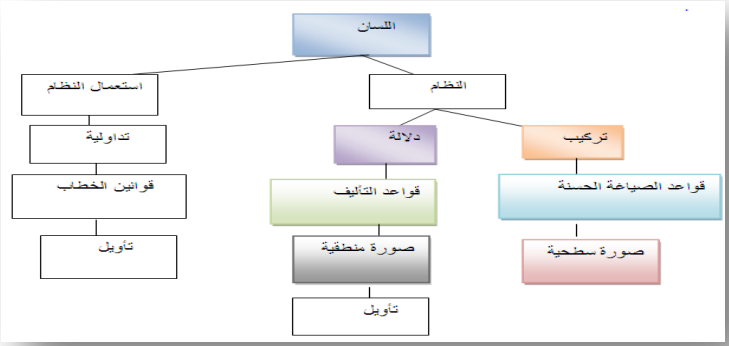

الشكل يوضح العلاقة التداولية باللسانيات.

والتداولية تتجاوز الدراسة البنيوية للغة إلى دراستها في استعمالها ومراعاة كل ما يحيط بها من أحوال وما تخضع له من مقاصد المتكلمين، لذلك صاغ **الجيلالي دلاش**(Jilali Dlash) تعريفا لها كالآتي: ((تخصّص لساني يدرس كيفية استخدام الناس للأدلة اللغوية في صلب أحاديثهم، وخطاباتهم، كما يُعنَى من جهة أخرى بكيفية تأويلهم لتلك الخطابات والأحاديث))[1].

ب–**التداولية والبلاغة**: تتمثل علاقة التداولية بالبلاغة في ((أن البلاغة تدرس كل ما يرتبط باستعمال اللغة وممارستها أثناء عملية التواصل بقصد تبليغ رسالة ما مراعية مقتضى الحال "لكل مقام مقال"، فالبلاغة تقوم على مبدأ التبليغ والتأثير في السامع أثناء عملية التواصل، ومن هنا يصبح التداخل واضحا بين العلمين، إذ إنهما يشتركان في اهتمامهما بدراسة اللغة بوصفها أداة تبليغ وتأثير وتواصل بين المتكلمين))[2]، كما تتمثل أيضا في ((رصد كيفيات إيصال المعنى إلى المتلقي؛ لأنه هو الذي يعيد إنتاج الرسالة من خلال فعل القراءة،و لا بد من أن يتمكن من فك شفرة هذه الرسالة، ولا يكون ذلك إلا بإعادة تحليلها وفق الفهم،فهم البلاغة يعني فهم التداولية فهما علمان متداخلان، وقد تطور هذا التداخل فيما بعد إلى أن أصبحت التداولية تهتم بالسياق وأنواعه،ونظريات أفعال الكلام، وهذا كله موجود في الدراسة البلاغية للأدب))[3]، فإذا كانت التداولية قد جاءت لتعيد للمنطوق ديناميته وفاعليته، فإن هذا المنطوق"والمكتوب" لطالما كان كذلك في الدرس البلاغي العربي؛ الذي

[1] الجيلالي دلاش، **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، تح: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م، ص1.

[2] يوسف تغزاوي، **نماذج التداولية**، مكتبة ووراقة العمران، جامعة محمد الأمل، الكلية المتعددة التخصصات الناطور، تونس، دط،ت، ص27.

[3] سليمان بن سمعون، **البلاغة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النص**، "مجلة الواحات للبحوث والدراسات،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة غرداية/الجزائر، ع 17، 2012م، ص46.

تميز بتأسسه على إجرائية اللغة، واهتمامه بكل ما له علاقة بالعملية الإبلاغية من متكلمٍ ومستمعٍ ورسالة، ومقام، ومقاصد، وشروط لصناعة الكلام البليغ، وهذا ما يبرّر قول بعضهم عن التداولية بأنَّها البلاغة الجديدة.

ج–التداولية وعلم النص:"لقد اهتمت اللسانيات التداولية بتحديد النص فهو عندها سلسلة لسانية منطوقة أو مكتوبة لوحدة تواصلية، وهو المجال الذي تنصب عليه اللسانيات التداولية"[1]، فعلم النص من مظاهر التداولية، المرتبط بالبنية اللغوية وغير اللغوية.

د– التداولية وعلم الدلالة: فعلم الدلالة هو "علم يشارك التداولية في دراسة المعنى على خلاف في العناية ببعض مستوياته، أي إنَّ التداولية تدرس المعنى الضمني وتراعي الظروف الخارجية، بينما الدلالة تدرس المعنى الحرفي الظاهر)، فهي دراسة كل جوانب المعنى التي تهملها النظريات الدلالية، فإذا اقتصر علم الدلالة على دراسة الأقوال التي تنطبق عليها شروط الصدق، فإن التداولية تعنى بما وراء ذلك مما لا تنطبق عليه هذه الشروط"[2].

ولعل المفارقة الكائنة بين العلمين تتضح من خلال الجدول الآتي:[3]

علم الدلالة	التداولية
يدرس المعنى بمعزل عن السياق، يختص بمفاهيم الحقيقة، والقيمة الإخبارية.	تدرس المعنى في سياق الاستعمال.
موضوعات علم الدلالة: –البنية الدلالية للمفردات اللغوية. – العلاقات الدلالية بين المفردات الترادف، التضاد. –علاقة الألفاظ بالحقائق الخارجية التي تشير إليها.	موضوعات التداولية: علاقة العلامات بمستخدميها"أفعال الكلام–أصول التعاون– الاستلزامات، وعناصر أخرى.
يدرس اللغة.	يدرس الكلام.
يدرس معاني الجمل على اعتبار أن الجملة كيانات لغوية تنتمي إلى اللغة.	تدرس معاني الأقوال على اعتبار أن القول من حيث هو تجلٍ فعليّ وتحقيق وتجسد عملي للجمل ينتمي ويصنف ضمن الكلام.

[1] يوسف تغزواي، **نماذج التداولية** ، ص14.

[2] محمود محمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002م، ص 11–14.

[3] درقاوي مختار، **من العلامة إلى المعنى–دراسة لسانية ودلالية لدى علماء الأصول–**،رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، من إشراف: مطهري صفية، جامعة وهران 2011م، ص19–20

هـ– التداولية وعلم اللغة الاجتماعي: وهو ((يشارك التداولية في تبين أثر العلاقات الاجتماعية بين المتشاركين في حديث، والموضوع الذي يدور حوله الكلام، ومرتبة كل من المتكلم والسامع وجنسه، وأثر السياق غير اللغوي في اختيار السمات اللغوية وتنوعاتها))[1].

و– التداولية واللسانيات التعليمية:إن البحوث أسهمت في مراجعة مناهج التعليم، ونماذج الاختبارات ، والتمارين وفق الظروف السابقة، وعدّت البعد التداولي للغة(ممارستها واقعا) ، أحد أهداف العملية التعليمية، وإلى جانب ذلك فقد انتقدت طرق تدريس اللغات الأجنبية التي تتعامل مع لغات مثالية، وأناس مثاليين في مواقف مثالية بعيدا عن أي سياق اجتماعي مما جعل الدارسين أنفسهم يعتقدون أن ظاهر اللغة: هو الهدف من تدريسها فاهتموا باللغة، ولم يغفلوا الشكل التي هي في جوهرها ملكة استخدام اجتماعي.[2]

ي– **التداولية والأسلوب**[*] :تتقاطع كل من التداولية والأسلوبية في بعض الجوانب، نحو اهتمامها باللغة إلا أن كلاً منهما تختلف عن الأخرى من حيث منهج الدراسة، فإذا كانت التداولية تهتم بدراسة اللغة أثناء استعمالها مع مراعاة قواعد هذا الاستعمال التي توجد في أذهاننا والتي تسمح لنا بتأدية المعنى المطلوب للقواعد الاجتماعية والعملية والأسلوبية، ومراعاة السياق الذي ترد فيه إلى جانب الاهتمام بالقوى الإنجازية المتضمنة في الأفعال الكلامية وشروط تحقق الفعل بالقول، فإن الأسلوبية تلغي كل الأبعاد التي تخرج من نطاق البعد اللساني للنص الأدبي، فهي وإن أقرت بوجود جوانب ثقافية ونفسية تؤثر في إنتاج النص الأدبي إلا أنها لا تأخذها بعين الاعتبار أثناء دراستها للنص، فالأسلوبية تقف عند حدود جمالية العبارة، وهي بذلك تنظر إلى النص الأدبي من خلال حصره بين ثنائية (**النمط والانزياح**)[3].

3– مبادئ التداولية:

تضم التداولية مجموعة من المفاهيم الإجرائية والقضايا تمكنها من معالجة اللغة في سياقات استعمالها المختلفة، فتُسهم في كشف المعنى بأدق صورة ممكنة، وأكثرها ضبطا، ومن بين مفاهيمها: الفعل الكلامي، الاستلزام التخاطبي، متضمنات القول، ونظرية الملاءمة، الإشاريات، والنظرية القصدية.

---

[1] محمود محمد نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**،ص 11–14.

[2] خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، بيت المحكمة للنشر والتوزيع، سطيف/الجزائر، ط1، 2009م، ، ص134.

[*] **الأسلوب**:**style**: هو طريقة وضع الأفكار في كلمات، و"سانت بيف"كان يرى أن الأسلوب هو الرجل نفسه ولديه أنواع منها الأسلوب الطبيعي، والكلاسيكي، والواقعي(إبراهيم فتحي، **معجم المصطلحات الأدبية**، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية، ط1، ع1، 1986م، ص29).

[3] –ينظر: يوسف تغزاوي، **نماذج من التداولية**، ص26–27.

(1)–نظرية أفعال الكلام[**] Speachact:

ويرجع أصل نظرية الفعل الكلامي إلى الفلسفة التحليلية[***] التي بزعامة"**غوتلوب فريجه**(**1848**م)": gottlob frege[****]، وبالضبط إلى فلسفة اللغة العادية**Philosophie du langage ordinaire** في الإنجليزية تعد نظرية أفعال الكلام الركيزة الأساسية التي قام عليها الاتجاه التداولي، وهي ترجمة للعبارة الفرنسية la theorie des actes des paroles، ويطلق عليها باللغة العربية نظرية الحدث الكلامي ، والحدث اللغوي ، والنظرية الإنجازية، ونظرية الفعل الكلامي، والأعمال الكلامية وغيرها.

– أعمال "جون أوستن(**1997**م)"(**John Austin**):

أ–أقام أوستن تمييزا بين الأقوال الخبرية، والأقوال الإنشائية[*] ، فالأقوال الخبرية هي أخبار تتمثل مهمتها في وصف الظواهر والمسارات، أو حالة الأشياء في الكون، ويمكن أن تكون صادقة أو كاذبة،أما الأقوال الإنشائية، فليس لها قيمة حقيقية إذ نستعملها لنصنع شيئا ما فجمل من قبيل أسمي هذه الباخرة"الحرية"، أو أنصحك بالإقلاع عن التدخين هي أقوال لإنجاز ضرب مخصوص من العمل لا يمكن أن ينجز بشكل آخر، فالملفوظ الخبري هو قول شيء ما، والملفوظ الإنشائي هو صنع وإنجاز شيء ما بواسطة اللغة.[1]

[**]**أفعال الكلام actes de parole**:الوحدة الأساسية في الخطاب حسب الدراسة التداولية اللسانية والتواصلية، حيث أكدت أبحاث searle austin، أن الوحدة الأساسية في التواصل الإنساني ليست هي المقطع أو الجملة بل إنها فعل كلامي، فعندما يتكلم شخص فإنه يوظف اللغة لأمر ما، لطلب أو للبرهنة أو النداء... وهي مظاهر فعلية للكلام، فأن تقول إن شيئا حسن –حسب سيرل– يعني أن تفعل وهذا الفعل لا يقوم على شكل اللغة وحده، ولا على المظاهر الدلالية والسيكولوجية للغة أيضا بل يقوم على المكونات الثلاثة وهي: فعل القول، وفعل الناتج عن القول ، وفعل التأثير(ينظر:عبد الرزاق غميصه، **معجم علوم التربية (مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك)**"سلسة علوم التربية"، دار الخطابي للطباعة والنشر، دب، مطبعة النجاح الجديدة، دت، ص8–9).

[***]**فلسفة اللغة العادية**: تدرس اللغة اليومية كما يتكلمها الشخص العادي.

[****]**غوتلوب فريجه**:gottlob frege:عالم في الرياضيات وفيلسوف ومنطقي ألماني (1838–1925م) جدّد النظرة إلى المنطق وتجاوز تحاليل أرسطو للقضية إلى المحمول، وموضوع مقترحا تحليلا يقوم على الوظيفة القضوية والحجة، كما فتحت أعماله الباب على مصراعيه لنشأة علم الدلالة لاسيما بتمييزه بين المعنى والإحالة والمعنى الحقيقي، من مؤلفاته(conept et objet,1891، rechereches logique1916–1925)(آن روبول وجاك موشلار، **التداولية اليوم(علم جديد في التواصل)**، ص244).

[*]ويرى **أوستن** أن الأقوال الإنشائية تعود إلى فعل شيء ما فقط بمجرد التلفظ بها ، واهتم بالظروف المناسبة للنجاح القول الإنشائي، وجعل ثنائية النجاح والإخفاق للقول الإنشائي في مقابل الثنائية التقليدية الصدق والكذب للأقوال الوصفية ووضوح، وضرب مثال لذلك:

أ–أترك هذه الساعة ميراثا لأخي: هنا يحصل عند قراءة الوصية.

ب–نعم أقبل أن تكون هذه المرأة زوجتي شرعية : فنعم هنا أثناء مراسيم حفلة زفاف، أي التلفظ بهذه الكلمة.(ينظر:أوستن، **نظرية أفعال الكلام العامة(كيف ننجز الأشياء بالكلام)**، تر: عبد القادر قنيني، دار البيضاء، افريقيا الشرق، 1991م، ص16).

[1]ينظر: صابر حباشة، **لسانيات الخطاب(الأسلوبية والتلفظ والتداولية)**، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا/اللاذقية، ط1، 2010م، ص199–202.

ب- ثم قام بتقسيم الفعل الكلامي إلى:

1-**الفعل القولي**: locutionActe: هو ((مصطلح يعين مجموعة من الكلمات المكونة إما لمدلول وحيد(chanter pouilles)"قذف"، وإما بنية تركيبية قابلة للعزل(عبارة سليمة، فاسدة، مبتذلة، إلخ). هو نوع من المركب الجامد(Au fur et à mesure)"شيئا فشيئا"، (Mettre la charrure avant les boeufs)"وضع العربة قبل الثيران". نميز حسب الوظيفة بين العبارات الفورية : (tout à coup) "فجأة"، والتواصلية : (aussitôt que)" في لحظة..."، والإضافة: (en dépit de)" رغم"))[1].

2–**الفعل الإنجازي**: PerformatifActe: ((هو صنف من الأفعال ميزه المناطقة الإنجليز المعاصرون.ميزة هذه الأفعال في أن التلفظ بها يعبر عن قيمتها الحديثة: je jure) "أنا أقسم" هو فعل إنجازي: في هذا الاتجاه: (il jure) " هو يقسم"ليس إنجازيا...))[2].

3-**الفعل التأثيري**:Acte Impressif : هو ((ينطبق على كل عنصر لساني (يسمى إذا مثيرا)(stimulus) يؤدي إلى استجابة ذاتية من القارئ(جمهوريات تأثيرية=sonorités impréssives). عند(M.Grammont) هي ميزة خاصة تتوفر في أصوات اللغة–بغض النظر عن الصفات السمعية ذاتها– وتثير بها الضجيج: الصوامت الانسدادية واللينة، وكذا الصوائت(هنا حادة، وهناك واضحة ثم حادة) تعطي قيمة تأثيرية لكلمات اللغة الفرنسية(cliquetis)"خشخشة" و(clapotis) "هدير الأمواج"))[3].

ج–ثم قسم أوستن* الأفعال الإنجازية إلى خمسة أفعال وهي :[4]

---

[1]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique ,p206-207.
[2]Ibid.p 254.
[3] Ibid.p 170.

*أوستنAustin**جون لانغشو** (John Langshaw): : هو فيلسوف إنكليزي، وأحد ممثلي فلسفة اللغة، والفلسفة التحليلية، فهو منطقي ولساني بريطاني (1911–1960)درَّس الفلسفة في أكسفورد(1952–1960)، لم تنشر لأوستن مؤلفات في حياته ماعدا بعض المقالات والمحاضرات التي ألقاها أمام جمعيات أو في مؤتمرات علمية، فقد كان يُعنى بالتدريس وإعداد الدروس الجامعية، ويعقد كل يوم سبت حلقة يحضرها طلاب وأصدقاء، ويغلب عليها طابع النقاش والحوار، واعتمدت الأوراق التي خلَّفها في ما نُشر له بعد وفاته: أهمها: ((أوراق فلسفية 1961م)، و((الحس والمحسوسات 1962م))و((كيف تصنع أشياء بالكلمات 1962م))، يعني أنه لم تصدر له كتب إلا أن مقالاته جمعت في :

-philosophical papers;1961

-Sensand Sensibilia;1962.

-How To Do thing with words;1962.

ينظر: آن ريبول وجاك موشلار، **التداولية اليوم"علم جديد في التواصل"**، ص243.*

[4] فرانسواز أرمينكو، **المقاربة التداولية**، ص63.

–الحكميات:verdidifs:وتقوم على الإعلان عن الحكم، تتأسس على بداهة، تتعلق بقيمة أو حدث مثال إخلاء الذمة، كالوعد والوصف...

– التمرّسية:exercitifs:وتقوم على إصدار قرار صالح، مثال: أعلن عن بداية الجلسة، تأسف، نصح...

–التكليف:commissifs:ويلزم المتكلم بسلسة أفعال محددة مثل: أُقْسِم ، أَلْتَزِمُ ، القيام بمعاهدة...

–العرْضية:expositifs: وتستعمل لعرض مفاهيم، وتوضيح وبسط موضوع مثال: أكّد، اعترض أنكر ضبط مراجع...

–السلوكيات:comportementanx:يتعلق الأمر هنا بردود فعل تجاه سلوك الآخرين مثل الاعتذار والشكر والتهنئة ...

د–كما وضع أوستن شروطا مناسبة لتحقيق الأقوال الإنجازية(الإنشائية والأداتية)، منها شروط تكوينية وأخرى شروط قياسية.

يمكن توضيحها فيما يأتي[1]:

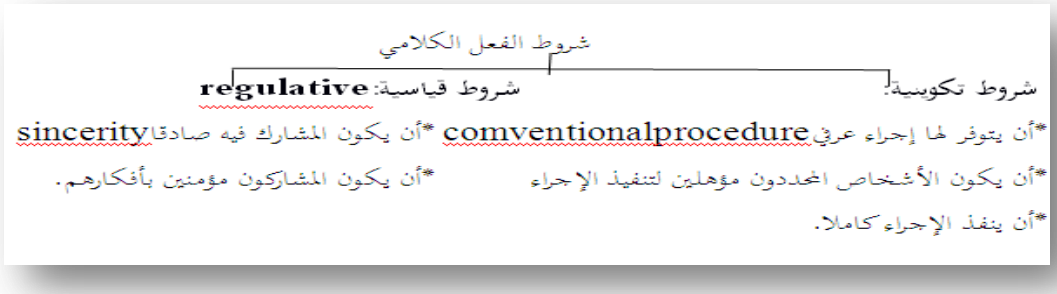

❖ **أعمال وجهود جون سيرل(1932م)(John Searle)**: ألّف الفيلسوف الأمريكي "سيرل" كتابي الأعمال اللغوية والتعبير والمعنى ، ليكون هذان الكتابان امتدادا لمبادئ أوستن في نظرية الأعمال اللغوية ، وقد فرّق بين قوة القول، والفعل الإنشائي مفترضا أن قوة القول واقعة في مستوى مجرد يتجاوز اللغات، في حين أن الأفعال الإنشائية تتصل بالألسنة المخصوصة، وهو الذي طوّر نظرية أفعال الكلام عند "أوستن"، فهو تلميذه[2].

1–**قام سيرل بتقسيم الفعل الكلامي** إلى أربعة أقسام:[3]

[1] ينظر: محمود عكاشة، **النظرية البرجماتية اللسانية،(دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)**، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م، ص99–100.

[2] ينظر: معاذ بن سليمان الذحيّل ، **منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية(مقاربة تداولية)**، دار محمد علي للنشر، دب، ط1، 2014م،ص43–44.

[3] ينظر: محمود عكاشة،**النظرية البرجماتية اللسانية،(دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**، ص109.

أ–إنجاز فعل التلفظ:التلفظ بالكلمات(الصوتي والتركيبي).

ب–إنجاز فعل القضية:فعل الجملة(الإحالي والجملي).

ج–إنجاز فعل قوة التلفظ:إنجاز فعل معين أو عمل* ما على نحو ما فعل "أوستن".

د–فعل أثر التلفظ:ويكمن في إقناع المخاطب بالحِجاج، ويمكن تخويفه أو تنبيهه بالإنذار، ويمكن أن يعمل شيئا ما بالطلب، ويمكن التأثير فيه وإقناعه على نحو ما فعل "أوستن".

نوضح ذلك في المثال التالي:

الفعل الكلامي	القوة المتضمنة	المحتوى القضوي
سافر غدا	الأمر أو الطلب	السَّفر غدا
ستسافر غدا	قوة التنبؤ أو الإخبار	السّفر غدا
هل ستسافر غدا	قوة السؤال	السَّفر غدا

2–**ثم قام بتقسيم الأفعال الإنجازية إلى قسمين**:[1]

أ– أفعال إنجازية مباشرة direct : ورأى أنها التي تطابق قوتها الإنجازية مراد المتكلم،فيطابق ما يعنيه أي قوة أن القوة الإنجازية تطابق قصد المتكلم دون تأويل، ودون الخروج عن المعنى مثلا:أُكتبْ الدرسَ، فعل أمر قرينة تبين قوة إنجازية أنها طلب وأمر.

ب–أفعال إنجازية غير مباشرة:indirect:هي التي تخالف قوتها مراد المتكلم، وبيّن "سيرل" الفرق بين الأفعال المباشرة والأفعال غير مباشرة، بأمثلة :

مثال:إذا قال رجل لرفيقه على المائدة:هل تناولني الملح؟ له معنيان:

أولهما:أصلي، يدل على الاستفهام الحقيقي الذي يحتاج جوابا.

الثاني:معنى غير مباشر، وهو استئذان المخاطب في طلب مهذب عبر معنى فعل إنجازي مباشر: ناولني الملح من فضلك.

3–ثم وضع "سيرل" شروطا **لضبط الاتصال الإنجازي**، ومعالجة القصور التي وقع فيها "أوستن":[1]

---

*العمل: هي تغيرات جسمية مرئية، وخارجية مدّركة، ويمكن التحكم فيها، فمجال مفهومه مادي عملي، بخلاف الحدث ذي مجال الفلسفي(خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية**، ص112).

[1] ينظر: محمود عكاشة، **النظرية البرجماتية اللسانية،(دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**، ص108.

-**شروط المدخل والمخرج الاعتيادية** conditionsnormalinputandoutput: ويفترض "سيرل" أن يكون الاتصال صريحا وجادا، وأن يتم بين متكلم ومتلقٍ، يشترط فيهما القدرة على الاتصال فيما بينهما عضويا ونفسيا.

-**شروط المحتوى القضوي propositional content conditons**: ينبغي أن يعبر فعل التلفظ عن قضية، وأن تستند القضية إلى المتكلم فعلا مستقبلا.

-شروط تمهيدية preparartoryconditons:أن يفترض المتكلم أن المستمع يريد أن يقوم بالفعل، وأن يصدق افتراض المتكلم، وأن يكون أمر إنجاز الفعل من قبل المتكلم واضحا لدى المتكلم والمستمع.

-شروط الصدق the sincerity condition:أن ينويَ المتكلم إنجاز الفعل الذي تسنده له القضية المصرح بها.

– الشرط الأساسي the essential condition:أن يقصد المتكلم أن يلزمه تلفظه القيام بالفعل

وسرعان ما أعاد اقتراح خمسة أصناف لها :[2]

1–التأكدات assertifs: (تبلغ خبرا وهي تمثيل للواقع) وتسمى أيضا الأخبار، والأفعال الحكمية، وتجعل وجهة التأكدات المتكلم ينخرط بدرجات مختلفة في حقيقة قضايا، المعبر عنها وهي علامة يأتي بها سيرل لتعبير عن توجيه مطابقة الكلمات للعالم.

2**–الأوامر direclif**: وهي تحمل المخاطب على فعل معين، وتقوم وجهة الإنجاز في الأوامر على حصول المتكلم بواسطتها على قيام المستمع بشيء ما مثلا طلب، أمر، سمح، نصح.

3–الالتزامات commissifs: (أفعال التعهد): وهي أفعال التكليف عند "أوستين" حين يلتزم المتكلم بفعل شيء معين ، فهو شيء لا يمكن تجاوزه، فالإنجازية، التي تكون فيها الوجهة في جعل المتكلم ينخرط في إنجاز فعل مستقبلي، وهنا مطابقة العلم للكلمات.

4–التصريحات exprossif :وهي أفعال التمرسية عند "أوستين"، وتعبر عن حالة، مع شروط صدقها، وتعد وجهة الإنجاز تعبيرا عن الحالة السيكولوجية المخصصة، ضمن شروط الإخلاص مثال شكر، اعتذار ، ولا وجود لأثر المطابقة بين العالم والكلمات.

---

[1] السابق، ص109-110.

[2] ينظر: فرانسوازأرمينكو، **المقاربة التداولية**، ص68-69.

5–الإدلاءاتdeclaralions :(الإنجازيات)، وتكون حين التلفظ ذاته، ويقوم الإنجاز الناجح لطابع طبقة الإدلاءات في تحصيل أحد أعضائها على التقارب المطلوب بين القضوي والواقع.

(2)– الإشارياتDéictique: هي العناصر الهامة في اللغة والتي لا يمكن تفسيرها بمعزل عن المقام، فهي تأخذ دلالة جديدة في كل وضعية جديدة؛لأنها غير محدودة الدلالة أصلا ، فما معنى كلمة "هو" أو كلمة" اليوم" أو كلمة " هناك" إذا لم توضع في سياق معين تتحدد من خلال دلالتها، ولأنه في كل اللغات كلمات وتعبيرات تعتمد اعتمادا كليا على السياق الذي تستخدم فيه، وتسمى هذه العناصر الإشارية أو الإشاريات اختصارا وكان "بيرس" أولَ من درس هذا.

1–مفهومها: عرفت الإشاريات بعدت مفاهيم أهمها:

✓ ((هو مفهوم لساني يجمع كل العناصر اللغوية التي تحيل مباشرة على المقام ، من حيث الذات المتكلمة أو الزمن، أو المكان، حيث ينجز الملفوظ والذي يرتبط به معناه من ذلك: أنا ، أنت، الآن ، هنا، هناك،...))[1].

✓ هي تلك الأشكال الإحالية التي تربط سياق المتكلم مع التفريق الأساس بين التعبيرات الإشارية القريبة من المتكلم، مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عنه، فكل فعل لغوي لا يكون ناجحا إلا إذا علم المخاطب قصد وإحالة العبارة، وتتمثل الإشارات في أسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر وظروف الزمان والمكان[2].

✓ فالإشارة(Signale) من الناحية السميولوجيا: ((يطلق اسم الإشارات على الأشكال القصدية المخترعة أو المتسخدمة للتمثيل أو التصوير أو الإعلان أو التحذير، في مقابل القرائن والأعراض التي تمثل بشكل طبيعي. بهذا المعنى فإن العلامات اللسانية هي جزء من هذه الإشارات، تنتظم الإشارات غير اللسانية هي أيضا في أنظمة: لوحات مرورية، إشارات السكك الحديدية، أورقة بحرية، أضواء وأدخنة مثلا. علامات من هذا النمط تتميز عن العلامات اللسانية بكونها غير خطية بالضرورة وأنها لا تستخدم التمفصل المزدوج، يمكن للإشارات أن تكون مبررة (z في المنعرجات): لديها إذًا طابعا أيقونيا، مع أنها تبقى اتفاقية))[3].

---

[1] سامية شودار، **البعد التداولي للضمير في سورة التوبة** ، جامعة محمد خيضر، بسكرة، دط، دت، ص2.

[2]: ينظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، **استراتجية الخطاب(مقاربة لغوية تداولية)**، ص 81.

[3]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique ,p299.

2-**أنواعها:** يتفق أغلب الباحثين في مجال التداوليات على أن الإشاريات في الدرس اللساني خمسة أنواع: شخصية، وزمنية، ومكانية، واجتماعية، وخطابية، كما اقتصر بعضهم على ثلاثة دون الاجتماعية والخطابية، والبعض الآخر على أربعتها دون الخطابية، وسوف نوضّح أنواعها الخمسة في الشكل التالي[1]:

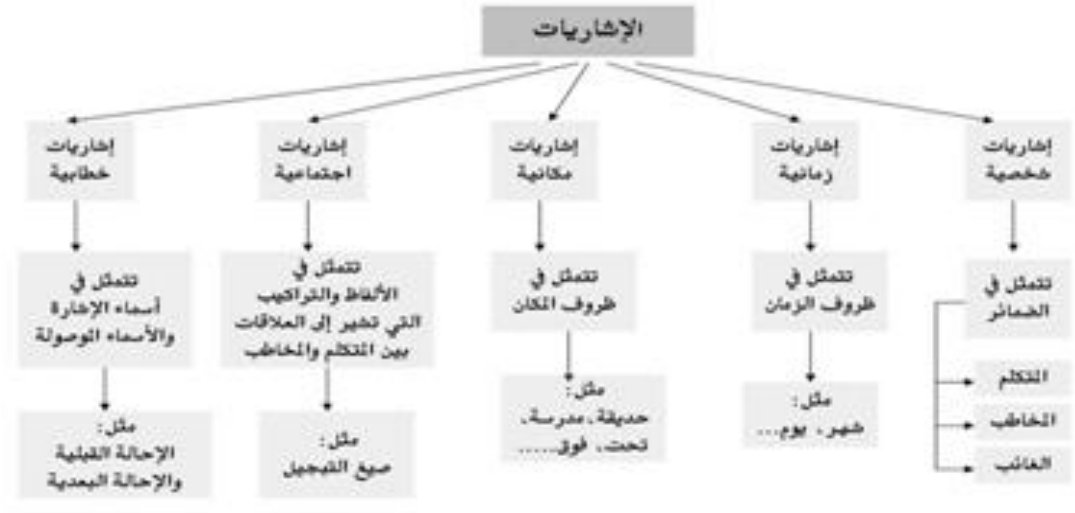

الشكل يلخص أنواع الإشاريات.

وعليه فالإشاريات إذن هي شكل من أشكال الإحالات التي ترتبط وتتعلق بسياق(بالمقام) المتكلم، أي مع التفريق الأساسي بين التعبيرات الإشارية القريبة من سياق المتكلم، في مقابل التعبيرات الإشارية البعيدة عن سياق المتكلم.

(3)– الاستلزام* الحواري**Conversational implicature** :**

هو مبدأ تداولي يدل على أن المتكلم يعني أكثر مما يقول بالفعل أي أكثر مما تؤديه العبارات المستعملة، وهذا يعني أنَّ في كلام المتكلم معنيين؛ معنى صريح ظاهر، ومعنى آخر غير صريح أي معنى ضمني*** (معنى مُستلزم

---

[1] ينظر:

-أحمد محمود نحلة، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر** ، ص25-26.

-سامية شودار، **البعد التداولي للضمير في سورة التوبة**، ص2.

*استلزام**impeication**:علاقة منطقية تربط قضية أو جملة، أو عدة جمل بمسار استدلالي استنتاجي، وتطلق لفظة الاستلزام توسعا على النتيجة التي يفضي إليها المسار، فالاستدلالي، إن انطلقنا من المقدمتين سقراط إنسان، وكل إنسان فان، استنتجنا سقراط فان، وتسمى العلاقة التي تسمح من الانتقال من المقدمات إلى النتيجة استلزاما،(آن ريبول وجاك موشلر، **قاموس موسوعي**، ص571).

**في كتب التداولية يشيع هذا المصطلح بتسميات مختلفة: كالاستلزام الحواري، الاستلزام التحادثي، الاستلزام الخطابي، الاستلزام التخاطبي، الاقتضاء التداولي، .....، ولعل السبب يرجع إلى إشكالية المصطلح، وقد اخترنا هنا استخدام مصطلح "الاستلزام الحواري للمحافظة على وحدة استعمال المصطلح المشهور.

حواريا)[1]، ويطلق " **بول غرايس**"(**Paul Grace**)"، على هذا المعنى (الدلالة غير الطبيعية أو القصد)، ويعرفها بقوله: ((أن نقول إنَّ القائل قصد شيئا ما من خلال جملة معينة، فذلك يعني أن هذا القائل كان ينوي وهو يتلفظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في مُخاطِبه بفضل فهم هذا المخاطَب لنيته.))[2].وللتوضيح نضرب المثال الآتي: إنَّ استعمال جملة(**ناولني الكتاب من فضلك**) المنجزة في مقام محدد، يخرج بمعناها من الطلب (الأمر)–وهو المعنى الصريح أو الدلالة الطبيعية للجملة–إلى معنى (الالتماس)، وهو المعنى غير الصريح أو الدلالة غير الطبيعية(القصد)، بتعبير"**بول غرايس**"[****] ، وهو ما تفيده القرينة(من فضلك)[3]، و((يلجأ المتلقي إلى هذا المبدأ التداولي (الاستلزام الحواري)عندما يحدث خرق[*****] في إحدى القواعد أو المقولات الأربع التي وضعها "بول غرايس" ضمن ما أطلق عليه مبدأ التعاون، وهذه المقولات هي: الكم، الكيف، العلاقة، الجهة:[4]

أ–**الكمية quantity**: تعتبر حدا دلاليا، القصد منه الحيلولة دون أن يزيد أو ينقص المتحاورون مقدار الفائدة المطلوبة ، أي قدم قدر المطلوب من المعلومات، لا أكثر ولا أقل ،"خير الكلام ما قل ودل"، تتعلق هذه القاعدة بمقدار المعلومات وكمها، لا بصدقها أو ملاءمتها.

ب–**الصدق quality**:القصد منها منع إدعاء الكذب أو إثبات الباطل وفرعها إلى :

كن صادقا، لا تقدم معلومات خاطئة، أو معلومات لا تستطيع أن تبرهن على صحتها ،"الصدق منجاة"،"الأمانة أفضل الطرق".

[***] **المعنى المضمر**:هي خاصية مميزة من خصائص الخطاب اللغوي عامة، ومن ثمة اعتبر فعلا لسانيا، يربط بين المتكلم والمخاطب وفق شروط تفاعلية تداولية أساسها القصد والتواصل(بن عيسى أزرابيط، **اللسانيات واللغة العربية "بين النظرية والتطبيق"**، سلسلة الندوات، جامعة المولى إسماعيل ،كلية الآداب والعلوم، ع4، 1992م، ص53).

[1] ينظر: العياشي أدراوي، **الاستلزام الحواري في التداول اللساني**، دار الأمان، الرباط، 211م، ط1، ص17–19.

[2] أن ربول وجاك موشلار، **التداولية اليوم علم جديد في التواصل**، ص53.

[****] **بول غرايس paul grice**: فيلسوف أمريكي(1913م/1988م)من أهم فلاسفة اللغة ممن كان لهم أثر كبير في توجيه الدرس الفلسفي للمعنى، وكيفية تشكله من اللغة انطلاقا من فهم آليات المحادثة، صاغ نظريته في الدلالة القصدية من خلال محاضراته الشهيرة"محاضرات وليام جيمس"التي ألقاها بهارفارد سنة 1968م، ونُشرت لا حقا سنة1975م (جاك موشلر، **قاموس موسوعي**، ص245).

[3]ينظر: العياشي أدراوي، **الاستلزام الحواري في التداول اللساني**، ص19.

[*****] **الخرق**:وقد ترجم هذا المصطلح بعدة ترجمات نذكر منها(انتهاك،عدم الاحترام،عدم المراقبة،حزم القواعد...).

[4]ينظر:

–بهاء الدين محمد مزيد، **تبسيط التداولية**، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م، ص40.

– طه عبد الرحمان، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، المركز الثقافي العربي، المغرب، 1998م، ط1، ص238–239.

ج–**الملاءمةrelation**:بمثابة حد مقصدي هدفها منع المتكلم من أن ينزلق إلى مقاصد أخرى مغايرة متباينة مع تلك التي استهدفها الخطاب، وتقول القاعدة: لتكن معلوماتك ،ومساهماتك ملائمة للحوار،فلا تخرج عن الموضوع؛ لأن"لكل مقام مقال"،"ولكل حادثة حديث".

د–**الطريقةmannner**:تختلف عن القواعد السابقة من جهة كونها لا تتعلق بما قيل، بل بما نريد قوله، والكيفية التي يجب أن يقال بها، وتتفرع إلى: كن واضحا ومنظما، وتجنب الغموض والرطانة، وخاطب الناس على قدر عقولهم، وتخصصاتهم، وخلفياتهم المعرفية.

وجيء بهذه القواعد الأربع لكي يكون الكلام قائما على الفهم والإفهام، ولضمان تواصل لغوي سليم بين المتكلم والمخاطب، وأي خرق يحدث في هذه القواعد أثناء التواصل يكون ذلك مؤشرا على وجود معان ضمنية مما يستدعي من المستمع اللجوء إلى آلية الاستلزام الحواري حتّى يتمكن من فهم المراد[1].

(4)– متضمنات القول:

تشغل متضمنات القول حيزا مميزا من الدرس التداولي، إذ لا يمكن لأي دراسة تداولية أن تمرّ بهذا الحقل من دون الإشارة إليها.

1–أنواعها:

–الافتراض المسبق[*]Pré–supposition: وهو من وَضْعِ الفيلسوف الألماني **"غوتلوب فريجه"**(gottlob frege)، ويرى أن كل تواصل لساني ينطلق من معطيات، وافتراضات معترف بها ومتفق عليها بينهم، تشكل هذه الافتراضات الخلفية التواصلية الضرورية لتحقيق النجاح في عملية التواصل، وهذه الافتراضات المسبقة لا يصرح بها المتكلمون، وهي محتواة ضمن السياقات والبنى التركيبية العامة، فإذا قال رجل لآخر(اغلقْ النافذة)، فالمفترض سلفا أن هناك نافذة، وأن هناك مبررا لإغلاقها، وأن المخاطب قادر على الحركة، وأن المتكلم في منزلة الأمر، وكل ذلك موصول بسياق الحال، وعلاقة المتكلم بالمخاطب، وإذا قال شخص لآخر:(كيف حال زوجتك وأولادك)؟ فالافتراض المسبق للملفوظ هو أن المخاطب متزوج وله أولاد، وأن شخصين تربطهما علاقة ما تسمح بطرح هذا السؤال.[2]

---

[1] ينظر:حافظ إسماعيل علوي،**التداوليات(علم استعمال اللغة)**عالم الكتب الحديث، أربد/أردن، ط1، 2014م،ص21.

[*] الافتراض السابق، الاضمارات التداولية، المعطيات السابقة....

[2] ينظر: مسعود صحراوي، **التداولية عند علماء العرب**، ص 30–31–43.

–أنواع الافتراض المسبق:

عند تحليلنا لكيفية التعبير عن افتراضات المتكلمين، ربطنا الافتراض المسبق باستعمال عدد كبير من الكلمات والعبارات والبنى، وسنعتبر هذه الصيغ اللغوية هنا على أنها مؤشرات افتراضات مسبقة كامنة ، والتي يمكنها أن تصبح افتراضات مسبقة واقعية فقط عند وجودها في سياقات مع المتكلمين، وقد أوجزها جورج يول(George Yule) في الجدول الآتي:[1]

النوع	المثال	الإفتراض المسبق
وجودي	أل(س)	(س)موجود
واقعي	ندمت على مغادرتي	غادرت
غير واقعي	تظاهر بالسعادة	لم يكن سعيدا
معجمي	تمكن من الهروب	حاول الهروب
بنيوي	متى توفيت؟	توفيت
مناقض للواقع	لو لم أكن مريضا، ...	أنا مريض

2 –الأقوال المضمرةLes Sous–entendns:

وهو يشكل النوع الثاني من متضمنات القول، ويتعلق بالتأويل وعلى سياق الخطاب، على عكس الافتراض المسبق الذي يحدد أساس معطيات لغوية، فـ(هو كل"كتلة" المعلومات التي يمكن للكلام أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث)[2].

وهو أيضا من أشكال الضمني الذي يُستنتج من المعنى الحرفي، ومن السياق عن طريق إجراء خطابي ما، فهو فعل منجز عن طريق المضمر.[3] فـ((الأقوال المضمرة تحتوي على كل الأخبار القابلة لأن تكون محمولة بواسطة الملفوظ فهي تقوم على قصدية المتكلم ، وحدس المخاطب الذي يلجأ إلى حسابات التأويلية لفك رموزها)[4].

–أنواع المضمرات: يمكن أن نصنف المضمرات وفقا لأسلوب الإضمار المستعمل في صياغتها إلى مضمرات خطابية ومضمرات لسانية:[5]

---

[1] ينظر: جورج يول، **التداولية**، ص57–58.

[2] مسعود صحراوي، **التداولية عند علماء العرب** ، ص 32.

[3] ينظر: جان سيرفوني ، **الملفوظية**، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1998م، ص108–109.

[4] ذهبية حمو الحاج، **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، لأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، 2012م، ص196.

[5] ينظر: فرانسواز أرمينكو، **المقاربة التداولية**، ص53–55.

أ–مضمرات خطابية: وهي معان ضمنية تستنتج من القول بناء على معرفة السياق ولا يدل عليها أي عنصر من عناصر البنية اللسانية للقول لذلك يعرفها كذلك بمضمرات التلفظ، ومثال ذلك القول:**تشير الساعة إلى الثامنة** ، الذي يقصد به في السياق تلفظي معين أي حان وقت ذهابك.

ب–مضمرات لسانية:هي معان ضمنية تستنتج من البنية اللسانية للقول بناء على المعجم وعلى التركيب، ومعرفة سياق التلفظ مثلا:جاء فلان لزيارتي، إذن لديه مشاكل، ولا يأتي فلان لزيارتي سوى لمصلحة.

3– الفرق بين الافتراض المسبق والقول المضمر:

يعالج الافتراض المسبق والقول المضمر بعدا من أبعاد البحث التداولي كلا بحسب مجاله الذي يعمل فيه تداوليا، فهما يعملان على تفكيك الخطاب الذي يتضمن جوانب ضمنية وخفية، وإن كل منهما يتفقان في استخدام القيم الاستنتاجية، ويوجد فروق بينهما، ومن أبرزها:[1]

*إنَّ **الافتراض المسبق** وليد ملابسات الخطاب بينما **القول المضمر** وليد السياق الكلامي.

*الافتراضات هي كل المعلومات غير المصرح بها التي تحملها بنية الملفوظ الذي تتواجد فيه بصفة جوهرية مهما تكن خصوصية الإطار التلفظي، وعليه فإن **الافتراض المسبق** متمسك بمضمون الجملة الدلالي بينما القول نجد **القول المضمر** متعلقا بالسياق التواصلي الذي قيل فيه الكلام.

***إنَّ الافتراض المسبق** ملازم للملفوظ نفسه، ومرتبط بالظواهر التركيبية الأكثر عمومية ؛ لأنه نتاج التركيب اللساني بينما **الأقوال المضمرة** تنتج من التفكير الذي يقوم به المخاطب في الظروف التي يقال فيها الخطاب، وتفكك الرموز التي تحتويها الافتراضات المسبقة عن طريق الكفاءة اللغوية والكفاءة التداولية.

–أحمد يوسف، (**السيميائيات التداولية من البنية إلى السياق**)، ضمن التداوليات وتحليل الخطاب–بحوث محكمة–، من إشراف: حافظ إسماعيلي علوي ومنتصر أمين عبد الرحيم، دار كنوز المعرفة، ط1، 1435هـ/2014م، الأردن–عمان، ص54–59.

[1] ينظر:محمود عكاشة، **النظرية البراجماتية اللسانية(التداولية)–دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ**–"التهميش" ص85.

–جان سيرفوني، **الملفوظية–دراسة**.ص106–109.

خلاصة الفصل

إنَّ البلاغة هي بلاغة الذوق وإدراك والجمال، وحسن التمييز بين طبقات الكلام، والاهتداء إلى لطائف الصنعة وأسرار البراعة، وكشف العلة في سحر الكلام الجميل وفتنة اللغة البديعية.

إنَّ السياق مسألة ضرورية وحاسمة في مجال اللغة، حيث يسمح لنا بالحديث عن الأشياء بدقة ووضوح، ويمكننا من تحديد ودراسة العلاقات الموجودة بين السلوك الاجتماعي والكلامي في الاستعمال اللغة، وأي استغناء عن السياق سيجعل قناة التواصل متوترة، لذا فهو يقوم بدور فعّال في تواصلية الخطاب وانسجامه.

إنَّ التداولية جاءت لدراسة اللغة حال الاستعمال مع الاهتمام بأقطاب العملية التواصلية، فتهتم بالمتكلم ومقاصده، وتراعي حال السامع أثناء الخطاب، كما تهتم بالظروف والأحوال الخارجية المحيطة بالعملية التواصلية، بهدف الإقناع، والذي هو عملية اتصالية بدرجة أولى نتيجة للتفاعل الديناميكي بين عناصر التواصل.

الفصل الأول

السياق اللغوي في التراث البلاغي العربي

توطئة

- السياق اللغوي

أولا– السياق الصوتي

ثانيا– السياق النحوي

ثالثا– السياق الدلالي

خلاصة الفصل

توطئة:

إن نظرتنا للسياق في المقاربتين العربية والغربية، لا تنطلق من المحاولة الجامدة المستترة لإثبات شرعية التراث بموافقته للمقولات الغربية الحديثة، أو إثبات شرعية النظرية الغربية الحديثة بموافقتها للمقولات التراثية، ولكن هذه النظرة تنطلق من هدف معرفي خالص يتجاوز كل معاني الفطرية لتستلهم معاني الإبداع، وتتعرف على مواطن البيان والتنقيب في الحقلين المعرفيين البلاغي واللساني المعاصر، بعيدا عن كل الحساسيات والأدلجة والتبعية المقيتة، وكذا الخروج بمقاربة تستطيع من خلالها التئام ما يمكن التقارب فيه، وتفريق ما ينبغي بيان وجه التباين نحوه.

❖ مفهوم السياق اللغويLinguistic context

يمثل السياق اللغوي مفهوما دلاليا وتواصليا ، وتأويليا، ونعرض فيمايلي أهم تعريفاته:

أ- عرَّف "**أحمد مختار عمر**" السياق اللغوي بقوله((أما السياق اللغوي فيمكن التمثيل له بكلمة"-وكذلك نجد أن كلمة"good" في الإنجليزية، ومثلها كلمة"حسن" العربية أو" زين" العامية التي تقع في سياقات لغوية متنوعة، فإذا وردت وصفا لـ:

1) أشخاص:رجل-امرأة-ولد...(دلت على الناحية الخُلقية).

2) طبيب-معلم-مهني...(دلت على التفوق في العمل والأداء الممتاز).

3) مقادير ومحسوسات:ملح-دقيق-هواء-ماء(دلت على الصفاء والنقاء والخلوّ من الغش).

فإذا وردت في سياق لغوي مع كلمة رجل، كانت تعني الناحية الخُلقية، وإذا وردت وصفا لطبيب مثلا كانت تعني التفوق في الأداء، وليس الناحية الأخلاقية، وإذا وردت وصفا للمقادير كان معناها الصفاء والنقاوة وهكذا))[1].

ب- أما "**عبد النعيم خليل**" فيرى أن هذا التعريف الذي ساقه "**أحمد مختار عمر**" هو أقرب إلى تعريف المعنى الدلالي للكلمة، بينما السياق اللغوي هو :((تلك العلاقة التي تربط الكلمة بما قبلها وما بعدها من الكلمات، أو بمعنى أدق هو العبارة التي ترد فيها الكلمة وعلى هدى منها تحديد مفهومها، فالسياق اللغوي لا يتطلب تحديد المعنى حتما، وإنما المعنى هو الذي يتطلب السياق لتحديده))[2].

ج-أما **استفن أولمان**(Stephen Ullman) فيرى أن السياق اللغوي: يتمثل في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية ، وهو النظم في علم العربية، أي فيرى أنه ينبغي أن يشمل- لا الكلمات والجمل الحقيقية السابقة واللاحقة فحسب- بل والقطعة كلها والكتاب كله. [3]

وعليه نستنتج أنَّ المقصود بالسياقِ اللغويّ هو: أنه يُشرفُ على تغييرِ دلالةِ الكلمةِ تبعا لتغييرِ يَمسُّ التركيبَ اللغويَّ المؤلَّفَ من وحداتٍ صوتيةٍ وصرفيةٍ، وكلماتٍ مُرَتَّبةٍ وفقَ طريقةٍ مُعينةٍ، أي ((الوحدات الحقيقة ليست

---

[1] أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م، ص69-70.

[2] عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين-دراسة لغوية نحوية دلالية-**، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م، ص35.

[3] ينظر:

-أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص57-58.

-منال النجار، (**مفهوم البرغماتية ونظرية المقام في المقولات المعرفية ولدى علماء العربية**)، **ضمن** التداوليات "علم استعمال اللغة"، من تنسيق وتقديم ، حافظ إسماعيلي علوي، عالم الكتب الحديث، إربد/ الأردن، 2014م، ص71-72.

أصواتا، ولا طريقة كتابة أو المعاني؛ لكنها العلاقات التي تمثلها هذه الأصوات والأساليب والمعاني؛ إنها العلاقات المتبادلة أو المشتركة داخل السلسلة الكلامية والصيغ والصرفية والنحوية))[1] ، أي يقصد به النص الذي تذكر فيه الكلمة، وما يشتمل عليه من عناصر لغوية مختلفة تفيد الكشف عن المعنى الوظيفي لهذه الكلمة، أي هو الذي يتمثل في عناصر اللغة، وكيفية تتابعها في الصياغة والتراكيب، ويكون ذلك في العلاقات الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية بين هذه الكلمات على مستوى التركيب، فقد نجد كلمة ما يختلف معناها باختلاف الكلمات التي تكوّن معها جملة أو عبارة[2].

وبناء على ذلك يمكن تحديد السياق اللغوي في ثلاثة سياقات أساسية، وهي:

أولا: السياق الصوتي في الدراسات الحديثة والتراث

إنَّ أية دراسة تفصيلية لبنية لغوية تستوجب دراسة تحليلية لأصواتها باعتبارها اللبنات الأساسية التي يتكون منها التركيب اللغوي قصد الوصول إلى دلالة معينة، وسنحاول في هذا العنصر التعرف على الجهود الغربية الحديثة في هذا المجال، ومعرفة الجهود البلاغية في هذا المجال.

1-مفهوم السياق الصوتي CONTEXT PHONETIC.

السياق الصوتي هو أحد أركان السياق اللغوي العام، فهو الذي يدرس الصوت في سياقه و((يتمثل في حركة الأصوات داخل الوحدة اللغوية، والوحدات الأخرى، التي تؤلف النصّ أو التركيب، وتختلف الأصوات المجردة عن الأصوات التي تؤدي وظائفها داخل السياق، من حيث كمية الجهد، والطاقة والنشاط اللازمة لإنتاج الدلالة))[3]، ويُعْنَى أيضا بـ: ((سياق الأصوات المباشرة أو غير المباشرة لصوتٍ ما، بحيث يمكن أن تؤثر هذه الأصوات على الصوت))[4]، فهو السياق الفونيمي الذي يشكل الكلمة، فمثلا "نام الولد" من الناحية الفونيمية لها سياق فونيمي يشارك في تحديد معنى مفرداتها، فنام:سياقها الفونيمي هو تأليفها من الفونيمات:"ن ا م" مرتبة بهذه الطريقة، ومتى تغيّر أحد هذه الفونيمات أو اختلف ترتيبها تبع ذلك تغير في المعنى مثلا: عند استبدال الصوت "ن" في كلمة "نام" نحصل على "دام":اختلفت عن نام بصوت "د"، "ناب"اختلفت عن نام بصوت

[1] أحمد نعيم الكراعين، **علم الدلالة بين التنظير والتطبيق**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993م، ص90-91.

[2] ينظر:

-محمد حماسة عبد اللطيف، **النحو والدلالة-مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي**، دار الشروق، القاهرة، ط1، 1420هـ/2000م. ص116.

-عواطف كنوش المصطفى، **الدلالة السياقية عند اللغويين**، دار السباب، لندن، ط1، 2007م، ص53.

[3] عبد القادر عبد الجليل، **علم الصرف الصوتي**، سلسلة الدراسات اللغوية، أزمنة ، 1998م، ص155.

[4] مبارك مبارك، **معجم المصطلحات الألسنية-فرنسي-إنكليزي-عربي-**، ص61.

"ب"[1]، وهكذا نقر أن وظيفة الصوت لا تنعزل عن السياق، فالسياق هو المكان الطبيعي لبيان المعاني الوظيفية الدلالية للكلمات.

2-القرائن الصوتية ذات الدلالات السياقية:

إن القرائن الصوتية السياقية كثيرة وتشمل الفونيم والنبر والتنغيم والفصل والوصل والحركات، وكل ما يصاحب الصوت ويساعد على توضيح المعنى، وسيقتصر حديثنا عن أهمه في السياق.

وظيفة قرينة الفونيم السياقية

✓ **في الدراسات الحديثة**

تعد نظرية الفونيم من النظريات اللغوية التي حظيت باهتمام ودراسة كبيرة من قبيل العلماء، البارزين في مدرسة براغ(1926هـ)، ومن جاء بعدهم، كل هذه الجهود تأتي لبيان قيمتها وجدواها في مجال الدراسات اللغوية.

أ- مفهوم الفونيم:

للفونيم تعريفات كثيرة ومختلفة منبثقة من توجهات العلماء ومناهجهم وتصوراتهم للغة والصوت، نوجزها فيما يلي:

-**عند "ماريوباي"(M.Pie)**:إذ عرفه بأنه: ((مجموعة أو تنوع ضرب يضم أصوات وثيقة الصلة(فونات)، ينظر إليها المتكلمون على أنها تمثل وحدة واحدة بغض النظر عن تنوعات الموضعية))[2].

- **"نيكولاي تربوبتسكوي"(Nikolai Troubetkoy)**: من حيث الشرعية المعرفية، فإنَّ "تروبتسكوي" يعد المؤسس الأول لعلم الأصوات الوظيفي، فيرى : ((أنها علامات مميزة لا يمكن تعريفها إلا بالرجوع إلى وظيفتها في تركيب كل لغة على حدتها))[3].

-"بلومفيلد"(Bloom Field) يعرف الفونيمات على أنَّها: ((الوحدات الصغرى من الصفات المميزة الأصوات، أو هو أصغر ما يحدث اختلافا في المعنى من الوحدات))[4].

---

[1] ينظر:سالم سليمان الخمّاش، **المعجم وعلم الدلالة(للطلاب المنتظمين والمنتسبين)**، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الملك عبد العزيز بجدة، 1428هـ، ص48.

[2] ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1419هـ/1998م، ص49.

*لتوضيح للمصطلح "الفونيم" أكثر ينظر:

- أحمد مؤمن، **اللسانيات النشأة والتطور**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون/الجزائر، ط2، 2005م، ص142 وما بعدها .

-ر.هـ. روبنز، **موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)**، تر: أحمد عوض، عصر المعرفة، الكويت، 1978م، ص293 وما بعدها.

[3] تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص130.

[4] نفسه ص نفسها.

-"**فريمانتواديل**"(**FreemanTwaddell**) يرى بأن: ((الفونيم ليس له وجود حقيقي لا من الناحية العضوية ولا من الناحية النفسية، وإنما هو وحدة خرافية تجريدية))[1]، فالفونيم عنده وسيلة إلى تحليل الصيغ اللغوية على أساس من الأصوات ووظائفها الدلالية.

فالفونيم هو الوحدة اللسانية التقابلية الصغرى، المجردة، ذات الوجود الذهني، الثابتة(نسبيا) والخالية من الدلالة، التي لا تقبل التقطيع، والمتكونة من عدد من السمات الصوتية التمييزية، له وظيفة إيجابية تتمثل في بناء الوحدات الدالة(المورفيمات)، ووظيفة سلبية تتمثل في التمييز بين معاني الكلمات، ويتحقق في الكلام بواسطة الصوتphone، أو بواسطة مجموعة من البدائل الصوتية(الألوفونات)، وتنقسم الفونيمات إلى صوامت وصوائت، وعدد الفونيمات محصور في كل اللغات، حيث تشمل العربية على ثمانية وعشرين فونيما تشكل نظامها الألفبائي[2].

ولتوضيح ما قيل:

مثال 1– إذا كان الصوتان في اللغة نفسها متقاربين من الناحية السمعية أو النطقية ولا يظهر مطلقا في الإطار الصوتي نفسه، فإنما يعدان صورتين لفونيم واحد، ومن ذلك فونيم (**النون**) في اللغة العربية؛ حيث تعددت صوره في الوقت الذي لا يمكن أن تقع صورة منه موقع الأخرى، ومن هذه الصور ما يأتي:[3]

-ننطق النون بالشفتين كما في قولنا:(يَنْبَح)

-ننطق النون بالشفة السفلى والأسنان العليا كما في قولنا: (يَنْفع).

-ننطق النون مفخمة في الأسنان كما في قولنا: (يَنظُر).

-ننطق النون لثوية أسنانية كما في قولنا: (أنتِ، تَنسَ).

وكل ذلك فرع للنون؛ حيث الأصل أن تخرج لثوية مجهورة مرققة؛ لكن بسبب المجاورة في السياق بين الأصوات لا يحقق إلا صورة فرعية من صور النون المتعددة، وحكمها النظري شيء، وعند الاستعمال أشياء أشياء أخرى، ذلك أنها مربوطة بالحرف الذي يأتي بعدها إخفاء، إظهار، قلب.

---

[1] السابق، ص130.

[2]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique, Presses Universitaires de France ,Paris, 1974,p259-260.

[3] ينظر:

- تمام حسان، **الأصول**، ص126-127.

-عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص39.

ولذلك نجد أن الفونيم(الوحدة الصوتية) قابل للتحليل إلى مكونات هي عناصره النطقية والسمعية، وأنه يحقق من طريق صوره السياقية، غير أنه لا يتحقق كل هذه الصفات لهذا الصوت في جميع الحالات، بل كثيرا ما نجد اختلافا بين نطق النون في موضع ونطقها في موضع آخر، وأوضح ما يكون هذا الاختلاف في نطق نون كفونيم في كلمة "النار" التي وردت في القرآن الكريم مثل قوله تعالى: ﴿**وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ أَصْحَابُ النَّارِ** ﴾[غافر:6] ، وقوله سبحانه: ﴿**النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا** ﴾[غافر: 36] ، وقوله سبحانه أيضا: ﴿**فِي الْحَمِيمِ ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ**﴾[غافر: 72]، وعلى ذلك ((فالنون اصطلاح شامل، يدخل تحت عدد من الأصوات كالذي في بداية نحن، والذي قبل الثاء في (إن ثاب)، وقبل الظاء، في(إن ظهر)، وقبل الشين في (إن شاء)، وقبل القاف في (إن قال، "مع اختلاف واضح بين هذه الأصوات في المخرج"))[1]. هي في العربية متحققة هذه التنوعات للفونيم الواحد.

أساس هذا الاختلاف، هو اختلاف الموقع لهذا الصوت في الكلمة أو الجملة، أي أنه إذا كان مقدم اللسان يلتصق بأصول الثنايا العليا عند النطق بالفونيم الرئيسي للنون، فإنه يخرج قليلا عن هذا الموضع حين يتهيأ للنطق بصوت الثاء المجاور لصوت النون في قولنا"أن ثاب"، وهذا أثر من آثار السياق الصوتي.

ومثال ذلك أيضا: [2]

السلسلة 1	تاب	سار	ذلّ
السلسلة 2	طاب	صار	ظلّ

يرينا أن كل حرف في بداية الكلمة من السلسلة1 يختلف عن مقابله من السلسلة2 بالتفخيم.

فالتاء في "تاب" تختلف عن الطاء في "طاب" فقط لكونها مرققة، والطاء مفخمة، وكذلك الشأن بالنسبة للسين والصاد والذال والظاء، نقول إن الفرق بين التاء والطاء هو الفرق بين السين والصاد، وهو الفرق بين الذال والظاء.

لنتأمل الجدول الآتي :[3]

ت	شديد	مهموس	فموي	مرقق
ط	شديد	مهموس	فموي	مفخم
ذ	رخو	مجهور	فموي	مرقق

[1] عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص39.

– تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص125.

[2] مصطفى حركات، **اللسانيات العامة وقضايا العربية**، دار الثقافة للنشر، المكتبة العصرية، صيدا–بيوت، ط1، 1418هـ/1998م، ص16.

[3] نفسه، ص17.

ظ	رخو	مجهور	فموي	مفخم
ن	رخو	مجهور	خيشومي	

في الخانة الأخيرة الخاصة بالنون فإننا نلاحظ أننا لا نستطيع أن نصف هذا الحرف بالمفخم أو بالمرقق وذلك، لأن السياق يجعله تارة مفخما مثل "نص" وتارة مرققا مثل "ناس" وفي بعض الحالات يمكننا الترقيق، أو التفخيم دون أن يؤثر ذلك على الخطاب، ولو بحثنا في العربية على حرف يطابق النون في كل صفاتها ويخالفها فقط في التفخيم والترقيق لما عثرنا عليه.

نقول عندئذ إن "التفخيم" صفة مُميّزة في الطاء والظاء، وليست صفة مميّزة في النون.

ب–أنواع الفونيمات:

إن أكثر ما تميّز به عمل فيرث الصَّوتي هو الفونولوجيا التطريزية prosodic-phonoloy ويقوم التحليل التطريزيّ على عنصرين أساسين هما:

1–**فونيمات رئيسية**[*] (primary phoneme): وهي التي تدخل عنصرا في بناء التركيب اللغوي مثل القاف والألف واللام في كلمة "قال" العربية، أو هو الوحدة الصوتيةUint التي تكون جزءا من أصغر(أبسط) صيغة لغوية ذات معنى منعزلة عن السياق[1].

2–**الفونيمات الثانوية**[**] Secondary Phoneme) : هي صفة صوتية ذات مغزى أو قيمة في الكلام المتصل، فهو لا يكون جزءا من بنية الكلمة، وإنما يظهر ويلاحظ فقط في الكلام المتصل أي بضم كلمة إلى أخرى، ومن أمثلته: النغمة والتنغيم والنبر ، فهي فونيمات تكسر المنطوق كله وتكسبه صفات أو سمات مميزة[2]؛ فهو:((مصطلح يستخدمه بعض اللسانيين للإشارة إلى كل وحدة عروضية رغم اختلافات الطبيعية والوظيفة التي يمكن أن تكون بينها(وخاصة بين مختلف أنواع النبرات والنغمات)، عامل وحدتها الوحيد هو المشكل من طابعها فوق مقطعي))[3]؛ أي هي((بعض العناصر المساهمة في تشكيل الملفوظ تكون فوق مقطعية شرط ألا تتماشى مع أي قطعة من السلسلة المنطوقة، ولا توفر بالتالي أي مجال للتحليل الصوتي، إنها حالة كل الظواهر العروضية، وخاصة التنغيم

---

[*] **مصطلحات للفونيم الرئيسي**: تركيبية أو قطعية أو فونيم مقطعي/عروضيSuprasegmental.

[1] ينظر:

–عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، **مقدمة في علم أصوات العربية، اللغة العربية بالقاهرة، ط3، 1424هـ/2004م** ، ص27.

–كمال بشر، **علم الأصوات**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، دط، 2000م، ص96 وص496–497.

[**] **مصطلحات للفونيم الثانوي**:الأدائية أو فوق التركيبية "غير التركيبية" أو غير القطعية" Suprasegmenal phonemes).

[2] ينظر:

–غانم قدوري الحمد، **المدخل إلى علم أصوات العربية**، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 1425هـ/2004م، ص 232.

–انتصار عثمان إبراهيم عثمان، **القضايا الصوتية والدلالية في كتاب المُحتسب لابن جني–دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث**–درجة الدكتوراه في علم اللغة، من إشراف: بكري محمد الحاج، جامعة أم درمان الإسلامية، 1431هـ/2010م، ص198.

[3]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique, p273.

الذي يمكن أن يلعب أحيانا دورا دالا، ولكنه لم يحلل حتى الآن إلى وحدات مستقلة قابلة للعزل))[1]، أو ما يسميه "**فيرث**" **Firth** بالتطريز فهو ((متوالية من الحروف الاستهلاكية المستخدمة في تشكيل كلمة(اسم المؤلف، المرأة المحبوبة، الكلمة-الثيمة أو الكلمة-المفتاح، الخ...)، وبتوسع هي لعبة ذهنية تخرج عن إطار نظم الشعر(versification)، وتكون بسيطة أو مضاعفة أو مثلثة حسب المقدرة على قراءة كلمة أو اثنتين أو ثلاثة عموديا، فهي تقترب من الكلمات المتقاطعة والكلمة المربع(التي تقرأ من أعلى إلى أسفل ومن اليسار إلى اليمين)، حتى إنه يتم اقتراح تنويعة شاقولية، هي لعبة خطية قبل كل شيء، ولا يتم إدراكها جيدا إلا من خلال المكتوب وتستفيد من الاتفاق البارز في بداية كل بيت شعري من خلال حرف كبير:[2]

ـ évers carmines
Ornent leurs calmes seins
ـ ı soir ces *f*leurs *f*anêes
ـ nt ou les annêes
ـ vont sitot que nées
ـ t les *f*leurs et les saints(Apollinaire)

نستخلص مما سبق:

أن نظرية الفونيم أساسها السياق الصوتي، فما كان لتظهر هذه التنوعات الفونيمية أو ما يسمى بالتوزيع التكاملي complementry distribution، إلا من خلال السياق الصوتي الفعلي فنطق الصوت منفردا لا تظهر فيه أية اختلافات صوتية وإنما كان ذلك نتيجة لوقوع الصوت في سياقات صوتية متنوعة.

✓ **في التراث البلاغي العربي:**

اهتمَّ العرب كثيرا بالدراسات اللغوية؛ حيث تعجّ كتب التراث بالمباحث اللغوية عامة، و المباحث الصوتية بصفة خاصة، وما يشهد لذلك هو أن الدراسات الغربية تقّر بذلك وتُشيدُ بما في تراثنا العربي، يقول "**براجيشتراسر**"(**Braggstrasser**): ((ولم يسبق الغربيين في هذا العلم إلا قومان من أقوام الشرق، وهما أهل الهند (...)، والعرب، وأول من وضع أصوات هذا العلم من العرب، الخليل بن أحمد الفراهيدي سنة 175هـ))[3]، وهو أيضا ما اتجه إليه "**فيرث**" حيث يرى ويعترف: أن علم الأصوات قد نما وشبّ في خدمة لغتين مقدستين، هما

[1]. Op-cit. p312-313.

[2] Ibid,p8.

[3] براجيشتراسر، **التطور النحوي للغة العربية**: تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1982م، ص11.

السنسكريتية، والعربية[1]، فمن خلال هذه الأقوال وغيرها مما ورد في الدراسات الغربية والعربية نعرف ما للدراسات اللغوية والصوتية العربية القديمة من أهمية.

1-الجاحظ:

ذكر في كتابه البيان والتبيين، أن البيان هو أساس البلاغة الصوتية وفصاحتها، فهو يرى أن البيان التام واللسان المتمكن والقوة المتصرفة هي ذاتها الإرادة الفاعلة في حسن البيان[2]، ويرى أن البيان يحتاج إلى تمييز وسياسة وإلى تدريب ورياضة وإلى تمام الآلة ، وإحكام الصنعة وإلى سهولة المخرج وجهارة، ووضوح المنطق وتكميل الحروف...[3]

كما كشف **النقاد** عن مدى إدراك السابقين والرواد الأوائل **لأهمية إقامة الحروف** وتحقيق وتمكين النطق بها وأثر ذلك في إتمام وحسن البيان ، حتى ضاقت نفوسهم وقلوبهم وصدورهم ذرعا بما كان يعرض لهم من لُثغة أو لُكنة صوتية أو خطأ نحوي أو لُكنة إعرابية، حتى أنَّ واصل بن عطاء قد تجنب الراء من كلامه، لما لم يستطع تقويم لسانه ولم يواته النطق التحقيقي بها.[4]

كما ذكر ما يشق من الأصوات والكلمات المتجاورة عن اللسان ويكده وما يكون منها مستكرها متنافرا لكونه مختلفا متباين الجرس غير متساوق الصوت ، وما يكون منها مَلْسا سَهْلا لين المعاطف خفيفا على اللسان حتى تحس وتشعر وكأن البيت بأسْرِه كلمةٌ واحدة وكأن الكلمة حرفٌ واحد[5]، كما أن الجاحظ عرف ما يسمى "**الفُون**" الذي هو أحد أصوات الحرف وعبر عنه بلفظ الأصوات أو الصوت الذي لا يصوره الخط؛ لأنه ليس من الحروف المعروفة(أي ذات الرمز المستقل والكيان الذاتي)، وإنما هو مخرج من المخارج(أي يتبع أحد الحروف ويأتي في إطاره ونطاقه)، وينتمي إلى حرف معروف، وتؤديه أعضاء النطق وذو أثر في السمع .[6]

2-الرمَّاني (ت386هـ):

لقد مس **الرماني** بلاغة الصوت من خلال حديثه عن تباعد مخارج الحروف، وفي هذا المجال يوازن الرمّاني بين قوله تعالى: ﴿**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**﴾[البقرة: 179]، وقول العرب"القتل أنفى للقتل" فقال: ((وأمَّا

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند العرب**، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988م، ص114.
[2] ينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص14.
[3] ينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص11-14.
[4] ينظر: نفسه، ج1، ص14-16.
[5] ينظر: نفسه، ج1، ص67.
[6] ينظر: نفسه، ج1، ص34.

الحسن بتأليف الحروف المتلائمة فهو مدرك بالحس وموجود في اللفظ بأن الخروج من الفاء إلى اللام "في القصاص" أعدل من الخروج من اللام إلى الهمزة لبعد الهمزة من اللام "القتل أنفى" وكذلك الخروج من الصاد إلى الحاء"القصاص حياة"أعدل من الخروج من الألف إلى اللام "أنفى للقتل"[1]، وأيضا من خلال حديثه عن سمة التلاؤم في القرآن الكريم إذ يقول((وبعض النَّاس أشد إحساسا بذلك وفطنة له من بعض ،كما أن بعضهم أشد إحساسا بتمييز الموزون في الشعر من المكسور واختلاف))[2]،كما تناول أيضا مسألة التأليف اللفظي، وقسمه إلى متنافر ومتلائم، وذكر السبب في التلاؤم مردّه إلى تعديل الحروف في التأليف، فكلما كان أعدل كان أشد تلاؤما، ((وأما التنافر فسببه مثلما ذكر الخليل يعود إلى البعد أو القرب الشديد بين مخارج الأصوات ، فإذا بعدت الأصوات كانت بمنزلة الظفر، وإذا قربت القرب الشديد كانت بمنزلة المشي المقيد؛ لأنه بمنزلة رفع اللسان وردّه إلى مكانه، وكلاهما صعب على اللسان، والسهولة من ذلك في الاعتدال، ومع ذلك وقع في الكلام الإدغام والإبدال))[3]، **فالرَّماني** بذلك يرد التلاؤم إلى تعديل بين الحروف ويتكىء على الجاحظ والخليل بن أحمد لكن الإحساس بالتلاؤم مع ذلك لا يزال عنده غامضا.

3-ابن سنان خفاجي(ت466هـ):

اهتم **ابن سنان الخفاجي** بالحروف وبالناحية الصوتية فيعرف الصوت بقوله: ((الهواء والبعد المخصوص مانع من إدراكه فإذا تولد فيما يقرب أُدرك في محله وإن لم يتصل بحاسة السمع(...)، فكذلك يدرك الصوت في جهة الريح أقوى؛ لأنه يتولد فيها حالا))[4]، هذه كمقدمة للحديث عن الفصاحة؛ لأنه يرى أن حاجة الناظر في علم الفصاحة والبلاغة لمعرفة مخارجها وأوصافها أمر ضروري؛ لأن الكلام ينتظم منها.

ويقول أيضا:((إن الحروف وهي أصوات تجري من السمع مجرى الألوان من البصر، ولا شك في أن الألوان المتباينة إذا جمعت كانت في المنظر أحسن من الألوان المتقاربة، ولهذا كان البياض مع السواد أحسن منه مع الصفرة، لقرب ما بينه وبين الأصفر، وبعد ما بينه وبين الأسود، وإذا كان هذا موجودا على هذه الصفة لا يحسن النزاع فيه ،كانت العلة في حسن اللفظة المؤلفة من الحروف المتباعدة في العلة في حسن النقوش إذا مزجت من

[1] ينظر: أبو الحسن علي بن عيسى الرماني ، **النكت في إعجاز القرآن**، تح: عبد العليم ، مكتبة الجامعية المليّة الإسلامية، دهلى، 1934م، ص2-3.

[2] الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، ص18.

[3] نفسه ص نفسها.

[4] ابن سنان الخفاجي ، **سر الفصاحة**، دار الكتب العلمية، بيروت، دط، 1402هـ/ 1982م، ص22.

الألوان المتباعدة))[1]، فهنا يتحدث عن شروط للفصاحة الكلمة المفردة، ذكر منها "أن تكون اللفظة من حروف متباعدة المخارج".

4- أما **ابن الأثير(ت637هـ) فقد** اهتم بالأصوات من الوجهة الجمالية، ويذكر له في هذا المجال أنه عول على الحس الفني والسمعي تعويلا كبيرا عند الحكم على الأصوات بالحسن أو القبح فيقول: ((الألفاظ داخلة في حيز الأصوات؛ لأنها مركبة من مخارج الحروف فما استلذه السمع منها فهو الحسن، و ما كرهه ونبا عنه فهو القبيح))[2]، ويرى **ابن الأثير** أيضا: ((أن تفاوت التفاضل يقع في تركيب الألفاظ أكثر مما يقع في مفرداتها؛ لأن التركيب أعسر وأشق))[3]، وأن العبرة بحسن استعمال الألفاظ في مواضعها اللائقة بها((فالجزل منها(من الألفاظ) يستعمل في وصف مواقف الحروب وفي قوارع التهديد والتخويف وأشباه ذلك ، وأمَّا الرقيق منها في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد ، وفي استجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك))[4].

مما سبق يتضح أن البلاغة الصوتية(الوحدة الصوتية=الفونيم) ليست بالعلم المستحدث، فقد حوم حولها وأصاب شيئا منها القدماء: أدباء كالجاحظ، ومتكلمون كالرماني ونقاد بلاغيون كابن سنان وابن الأثير ، فالقدماء –إذًا– قد تنبهوا إلى الدلالة الصوتية، وأقروا بأثرها في استدعاء المعنى والإيحاء به، وإن لم يحددوا للإفصاح عنه عبارة كالتي نستخدمها في عصرنا الحالي، فقد تعرضوا لذلك من خلال حديثهم عن فصاحة اللفظة المفردة فوصفوها بالجزالة والسلاسة والطلاوة، وغير ذلك من الأوصاف ، حيث وجدوا في الألفاظ قيما تأثيرية جمالية، ترتبط بجرس الكلمات مفردة ومركبة، فلم يهملوا جانب المعنى لحساب اللفظ، وإنما جعلوا الذوق والحس المرهف فيصلا على الحسن وتمييزه عن القبيح.

---

[1] السابق، ص64.

[2] ضياء الدين بن الأثير،**المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة. القاهرة، دط، دت، ج1، ص169.

[3] نفسه، ص166.

[4] نفسه، ص195.

النبر* Stress

❖ في الدراسات الحديثة:

1- مفهومه:

إنَّ المتكلم(الناطق) عندما يمارس إنجاز الكلام بالفعل يميل عادة إلى الضغط على مقطع معين فيبرزه في نطقه، هذا الضغط الذي يتحول إلى أثر سمعي بارز هو الذي يسمى بالنبر، وهو: ارتفاع الصوت، وعلوه بعد ضغط ناتج عن نشاط زائد في عمل أعضاء جهاز النطق.

-1-1-التعريفات والحدود:

أ-لغة: إنَّ نظرة عجلى في المعاجم اللغوية تهدي إلى أنَّ دلالة المدخل المعجمي(نبر) تفيد الارتفاع والعلو، جاء في لسان العرب: النَّبْرُ بالكلام الهَمْزُ، يُقال: وكُلُّ شيء رفع شيئا فقد نَبَرَهُ، والنَّبْرُ مَصْدَرُ نَبَرَ الحَرْفَ يَنْبُرُهُ نَبْرا هَمَزَهُ، وفي الحديث قال رجل للنبي(صلى الله عليه وسلم): يا نَبِئ اللهِ، فقال: لا تَنْبِزْ باسمِي، أي لا تَهْمِزْ.

وفي روايةٍ فقال إنَّا مَعْشَرَ قُرَيش لا تَنْبِزُ، والنَّبْرُ هَمْزُ الحَرْفِ، ورَجُلٌ نَبَّازٌ: فصيح الكلامِ، ونبَّازٌ بالكلامِ: فصيحٌ بليغٌ، والنَّبْرُ عِنْدَ العربِ **ارتفاعُ** الصَّوتِ، يُقالُ: نَبَرَ الرَّجُلُ نَبْرَةً إذا تكلمَ بكلمةٍ فيها **عُلُوٌّ**.[1]، فالنبر بهذا المفهوم هو الهمز، إذ ذهب في كلامه أن الرجل الذي ينبر يسمى نبار، وهو فصيح الكلام وبليغ فيه، أي: أن : الهمز=الضغط=النبر.

وجاء في المعجم الوسيط:((نَبَرَ الشيءَ نَبْرا رَفَعَهُ، ويقال نَبَرَ في قراءته أو غنائه؛ **رفع صوتَه**، و- الحرفَ: هَمَزَهُ، والنَّبْرَ في النُّطق: إبرازه أحد مقاطع الكلمة عند النَّطْق))[2]. فالنبر عنده هو الهمز أي رفع الكلام، فهو إذا رفع الصوت أثناء الكلام.

ب-اصطلاحا: درس علماء العربية المحدثون النبر* نظريا، وأفادوا من دراستهم للنبر في اللغات الغربية، ولكنهم لم يدرسوا على الأجهزة الصوتية التغيرات الصرفية التي تؤدي إلى تغيير في مواقع النبر العربي، من ذلك نرى:

---

*و**للنبر** مصطلحات هي: الضغط، التضعيف، الارتكاز، البروز، الجهارة(حيدر علي حلو الخرسان، "**الضغط اللغوي وأثره في الدلالة**"، مجلة كلية الآداب ، جامعة ذي قار، ع103، ص1.

[1] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(ن ب ر)، ص4323.

[2] مجمع اللغة العربية، **المعجم الوسيط**، ص897.

*__النبر__ هو: مصطلح غربي وأول ما ظهر في البلاد العربية في مصر في بداية القرن السابع عشر على أيدي المستشرقين الألمانيين كرستن وإربانيوس، وقد ظهر المصطلح عند بعض العلماء العرب، ومن هؤلاء خليل السكاكي في 1951م في بحث عنوانه (خواطر في اللغة)، وفي هذا بحثه ذكر مصطلح النبر وجاء بمثال عن نبر السياق، وهذا المثال يفصح عن التنغيم لا النبر؛ فالنبر يتشكل في داخل بنية اللفظ والتنغيم أسلوب صوتي دلالي يدخل في موسيقية الألفاظ المفردة، وفي سياق الكلام أيضا فيغير المعنى مثلا م إخباري إلى إنكاري ؛ ففي العبارة(أيها الناس أنا لص): تكون الجملة إخبارية إذا قرأتها متصلة، وإذا قرأت بتنغيم آخر من

1- "**إبراهيم أنيس**" يعرفه قائلا: إنَّ: ((المرء حين ينطق بلغته يميل عادة إلى الضغط على مقطع خاص من كل كلمة، ليجعله بارزا أوضح في السمع من غيره من مقاطع الكلمة، وهو الضغط هو الذي نسميه بالنبر))[1]، فالضغط من شيم الكلام لغاية الوضوح.

2-أما "**تمام حسان يعرفه**" **قائلا** : ((وضوح نسبي لصوت أو مقطع إذا قورن ببقية الأصوات أو المقاطع في الكلام ويكون نتيجة عامل أو أكثر من عوامل الكمية والضغط والتنغيم))[2] ويستطرد "**تمام حسان**" ليعود مفصلا عملية النبر فيقول: ((ومرجع هذا الوضوح السمعي إلى عنصرين يرتبط أحدهما بظاهرة علو الصوت وانخفاضه، وهي ترتبط بدورها بحركة الحجاب الحاجز في ضغطه على الرئتين ليفرغ ما فيهما من هواء، فتؤدي زيادة كمية الهواء إلى اتساع مدى ذبذبة الأوتار الصوتية فيكون من ذلك علو الصوت، ويرتبط العنصر الآخر بتوتر التماس بين أعضاء النطق في محرج الصوت))[3].

3-وقد سار "**كمال محمد بشر**"في فلك أساتذته عند تعريف النبر حيث قال:((فالصوت أو المقطع المنبور النبر ينطق ببذل طاقة في النطق أكبر نسبيا، ويتطلب من أعضاء النطق مجهودا أشد))[4]. فالنبر عنده يقع على الصوت كما يقع على المقطع، إذ لا يتحقق ذلك النبر إلا إذا بُذِلَ مجهودٌ أشد على جميع أعضاء النطق، ويضيف أيضا: ((نطق مقطع من مقاطع الكلمة بصورة أوضح وأجلى نسبيا من بقية المقاطع التي تجاوره))[5]. فالنبر عنده ازدياد شدة الصوت، وارتفاع نغمه، وامتداد مدته، مما يؤدي إلى وضوح نسبي لصوت أو لمقطع إذا قورن بغيره من الأصوات أو المقاطع المجاورة.

مثل: (أيها الناس...أنا...!!!؟؟؟...لص)فتكون استفهامية إنكارية وإذًا فالنبر بنائي حسي يتكون في داخل الكلمة وليس من خارجها، والتنغيم دلالي معنوي؛ فأي تغير صوتي من المتكلم يؤدي إلى تغير في المعنى المراد دون أي تغير في بنية الكلمة، ثم ظهر النبر في دراسة صوتية عند "إبراهيم أنيس"(**الأصوات اللغوية**)، و"كمال بشر" **في**(**علم الأصوات**)، و"أحمد مختار عمر" في(**دراسة الصوت اللغوي**)، و"تمام حسان" في (**اللغة العربية معناها ومبناها**)،(**ومناهج البحث في اللغة**)، وقد أفاد هؤلاء ومن جاء بعدهم من دراسات المستشرقين الألمان للنبر وقواعده في العربية.

[1] إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، دط، دت، ص98.

[2] تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص160.

ـــــــــ، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص170.

[3] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص171.

[4] كمال بشر، **علم الأصوات**، ص513.

[5] نفسه، ص512.

4- أما "**محمود السعران**"، فيعرف النبر بأنه:((الارتكاز هو درجة قوة النفس التي يُنطق بها الصوت أو المقطع، وليس كل صوت أو مقطع ينطق بنفس الدرجة، فدرجة قوة النفس في نطق الأصوات والمقاطع المختلفة تتفاوت تفاوتا بينا))[1].

وعليه فالنبر في حدِّه الاصطلاحي يفيد معنى الوضوح، والطاقة ، والجهد، والعلو والنشاط الزائد في عمل أعضاء جهاز النطق عند الإنسان، فهو ((اسم أعطى لظاهرة عروضية (أو فوق مقطعية) تصيب المقطع وتسبب تباينا بين هذا الأخير والمقاطع الأخرى داخل الوحدة النبرية، يميز النحويون التقليديون بين عدد كبير من النبرات وخصوصا نبرة نغمية(tonique) أو لحنية (mélodique)تتميز بارتفاع موسيقي أكبر للمقطع المصاب ونبرة حركية (dynamique)(أو أيضا نبرة للشدة، نبرة زفيرية) تؤدي إلى تقوية الشدة))[2].

2- وظائف النبر:أحصى الباحثون وظائف عديدة للنبر نوجزها فيما يأتي :[3]

أ-الوظيفة المميِّزة: بواسطة تحديد أماكن النبر يمكن تحديد هوية الكلمات أسماء هي أم أفعال، وكذا معانيها المتنوعة، وهذه الوظيفة تظهر في اللغات النبرية التي يعد فيها النبر فونيما، مثل اللغة الإنجليزية التي تفرق بين الاسم والفعل في بعض الأحيان باختلاف مواضع النبر، حيث نجد نبر المقطع الأول في الأسماء، أما إذا نبر المقطع الثاني تحولت الأسماء إلى أفعال، من أمثلة ذلك كلمة record التي تأتي اسما بمعنى السجلّ، وفعلا بمعنى سجَّل، يقع فيها النبر بمعنى الاسم على المقطع الأولre أمَّا بمعنى الفعل فيقع على المقطع الثاني(cord).

ب-الوظيفة المعيِّنة: وهي تابعة للغات غير النبرية كاللغة التشيكية التي يكون النبر فيها في المقطع الأول دائما، وهذا يساعدنا على تعيين بداية الكلمة ونهايتها على مستوى الكلام المتصل.

ج-الوظيفة الإدغامية: ومفادها أن النبر يساهم في إبراز القيمة التعبيرية لبعض أجزاء الجمل التي يلحق بها، ولهذا فإن هذه الوظيفة تخص نبر الجملة، وتنوع النبر ودرجاته، في الجملة يفيد التأكيد أو المفارقة، حيث ينتقل النبر القوي من كلمة إلى أخرى قصدا إلى بيان هذا التأكيد أو الكشف عن هذه المفارقة.

---

[1] محمود السَّعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ** العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، ص189.

[2] Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique . p2.

[3] ينظر: سميرة بن موسى، **ملامح الصوتيات التركيبية عند ابن جني، من خلال كتبه:الخصائص/وسر صناعة الإعراب/والمصنف"**، ص81.

3- أنواع النبر[*]:

لقد استطاع علماء الغرب أن يؤسسوا لمفهوم ومصطلح النبر ويقعدوا له في بلادهم؛ وبعد ذلك انتقل هذا العلم إلى البلاد العربية عن طريق المستشرقين الذين ما فتئوا يدرسون نظام اللغة العربية بكل مستوياته، وتطبيق أصواتها على ما درسوه في لغتهم الأم، لعلهم يستطيعون أن ينفذوا إلى أسرار هذه اللغة الخالدة؛ ومن هؤلاء من كشف بديعها-وكان منصفا-، وأقام أعمدتها، ونفض الغبار عن كنوزها، و في هذا ينظر **كمال بشر** إلى((النبر في العربية على مستوى الكلمة، بأن له قوانين ثابتة مطردة، لا تحتمل أي تنوع في درجاته أو مواقعه (...) حسب مكونات الكلمة، وتتابع مقاطعها))[1].

كما يقر "**كمال بشر**" ((أن للغة العربية شبها قريبا باللغات النبرية من حيث توظيف النبر وتوزيع درجاته توزيعا مناسبا لمقاصد الكلام على مستوى الجملة))[2].

فالناظر إلى نبر الكلمة في العربية باعتبار **الدرجة** و**الوظيفة** و**المحل** عند إبراهيم أنيس، فيتمثل في الأنواع التالية:[3]

- النوع الأول:(ص+ح)=(بَ).
- النوع الثاني: (ص+ح+ح)=(با).
- النوع الثالث: (ص+ح+ص)=(نسْ)من كلمة (نستعين).
- النوع الرابع: (ص+ح+ح+ص)=(عينْ)من كلمة"نستعين" في حالة الوقف على آخرها.

---

[*]وهناك من قدم أنواعا أخرى للنبر، وهي:

-**نبر إلحاحacceat d'lnalstance**، وهو لا يرتبط بمقطع معين من الوحدة النبرية؛ بل يمكن أن يقع في جميع المقاطع مما يعطيه وظيفة انفعالية أو تعبيرية، أي وهو نبر يتغير مكانه من مقطع إلى آخر بين كلمة وأخرى، وبذلك يكتسب وظيفة تمييزية، ليصبح معادلا للصوتية.

-**نبرا ثابت**اaccent flxé//Ftxed Stress، وهو خاص بطبيعة اللغة وهو غير مرتبط بحالة وظيفية انفعالية، أو تعبيرية، أي النبر الذي لا يتغير مكانه في الكلمة.

-**نبر مقطعي**: أي يتحدد مكانه حسب عدد المقاطع ونوعها في الكلمة الواحدة كما في اللغة العربية.(عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية –الفونولوجيا-، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م، ص112، و صلاح الدين سعيد حسين، **التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي"المقطع-الكلمة-الجملة"**، بحث معد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، من إشراف: د/سامي عوض، جامعة تشرين، 2009م، ص139).

[1] كمال بشر، **علم الأصوات**، ص518.

[2] نفسه، ص519.

[3] ينظر:

- إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص87-101.

-بسام بركة، **علم الأصوات العام-أصوات اللغة العربية-**، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان،دط، 1988م، ص142وما بعدها.

- النوع الخامس: (ص+ح+ص+ص)=(قَرْ) من كلمة(المستقرّ) في حالة الوقف على آخرها.

ويتحدث "**إبراهيم أنيس**" عن النوعين الرابع والخامس بقوله أما إذا وجدنا أن الكلمة لا تنتهي بهذين النوعين من المقاطع، كان النبر على المقطع الذي قبل الأخير، شرط ألا يكون هذا المقطع* من النوع الأول ومسبوقا بمثله[1]، ثم يذكر "**إبراهيم أنيس**" ((أنَّ موضع النبر في الكثرة الغالبة من الكلمات العربية هو المقطع ما قبل الأخير، مثل "اسْتَفْهَمَ" أو "ينادي" أو "قاتلَ" أو " يكْتبُ" ؛ ففي المثالين الأخيرين رغم أن المقطع الذي قبل الأخير من النوع الأول لم يسبق بمقطع نظير له من النوع الأول أيضا))[2]، كما أتى "**إبراهيم أنيس**" بنوع آخر من النبر يسمى (نبر الجمل)((وهو أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملته فيزيد من نبرها، ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيدها أو الإشارة إلى غرض خاص))[3]. ويقدم مثلا على ذلك بالعبارة: هل سافر أخوك أمس؟، ففي هذه الجملة يختلف الغرض منها باختلاف زيادة النبر على إحدى الكلمات فيها؛ كأنَّ زيادة النبر على كلمة (سافر) قد تعني أنَّ المتكلم يشك في حدوث السفر من أخي السامع، وهكذا[4]، وقد لا يصل هذا النوع إلى درجة النبر إنَّما هو أقرب للتنغيم من النبر.

---

*__المقطع الصوتي__**Syllables/SYLLABES**: هو حزمة أو مجموعة صوتية مترابطة لا يكاد الحس يشعر بامتياز بعضها عن بعض لشدة ترابطها وتلاحمها، ويظهر هذا بوضوح في حالة التهجي الإملائي العادي فالمتكلم في هذه الحالة يجد نفسه مقسما الكلمة إلى عدة حزم أو مجموعات صوتية تعرف كل حزمة بالمقطع الصوتي أو هو أصغر وحدة صوتية يمكن أن تنْفصل في تركيب الكلمة، وفي اللسان العربي ستة أنواع للمقاطع، ثلاثة منها أساسية، وأخرى ثانوية:

أولا: المقاطع الأساسية:

-النوع الأول: صامت+صائت قصير ـــ(كتب)ـــ(كَ، تَ، بَ).

-النوع الثاني: صامت+صائت طويل ـــ(كَاتِبٌ)ـــ(كَا).

-النوع الثالث: صامت+صائت قصير+صامت ـــ(هلْ، لَمْ، لَنْ).

ثانيا: المقاطع الثانوية: تنحصر المقاطع الثانوية في (حالة الوقف، حالة الابتداء بالساكن).

أ-في حالة الوقف:

- النوع الرابع: صامت+صائت طويل+صامت ـــ(كَانْ، قَالْ).

- النوع الخامس: صامت +صائت قصير+صامتين ـــ(نَهْرْ، بَحْرْ).

ب-في حالة الابتداء بالساكن:

- النوع السادس: صائت+صامت ـــ استخراج.

يتعلق هذا النوع بهمزة الوصل في اللسان العربي، وفي الهمزة المساعدة على حمل الحركة للتخلص من الابتداء بالساكن ، وهذا المقطع هو مقطع وظيفي فحسب لا اعتبار له في علم الأصوات العام، وما كان ذلك إلا لأن المقاطع العربية من الناحية الصوتية لابد له من الابتداء بصوت صامت متحرك(ينظر:

-أحمد حساني، **مباحث في اللسانيات**، ص217 .

-حمد عبد التواب الفيومي، **علم الأصوات اللغوية ظواهر علم الأصوات في القرآن الكريم**"، المكتبة الأزهرية للتراث، دار الكتب المصرية، دط 2009 م ، ص81-82.

[1] ينظر: إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص101.

[2] ينظر: نفسه ،ص100.

[3] نفسه، ص102.

[4] ينظر: نفسه ص نفسها.

أما **تمام حسان فيقسم** النبر إلى قسمين: الأول: نبر صرفي، والثاني: نبر دلالي[1]، أما النبر الصرفي فينقسم بحسب قوة النطق ودرجة الدفعة إلى قسمين: أولي وثانوي.

وسمي النبر الأولي:

1-لأنه أقوى من الثانوي، واستعمال كلمة أولي بهذا المعنى يقتضي كلمة ثانوي بالضرورة.

2-لأن موضوع النبر الثانوي إنما تقاس مسافته في المقاطع بالنسبة للأولي، فإذا وضعت قاعدة"المسافة بين الأولي والثانوي" بعدد من المقاطع ظهر الإيقاع اللغوي الخاص باللغة العربية))[2].

وسمي النبر الثانوي ثانويا؛ ((لأن مجال النبر الثانوي في الكلمة أضيق منه في الجملة أو المجموعة الكلامية، ومع هذا فإن النبر الثانوي يوجد في الكلمات ذوات المقطعين فأكثر))[3].

ويقدم "**تمام حسان**" مثالا من الميزان الصرفي وهو كلمة(فاعل) حيث إن (فا) هي أوضح أصواتها لوقوع النبر عليها، وإن كل ما جاء على مثاله يقع عليه النبر بنفس الطريقة مثل(قَاتِل)،(حَابِس)،(رَابِط)،(عَازِل)[4].

وفي ذلك يفرق "**تمام حسان**" بين الدلالي والصرفي أي نبر السياق ونبر الصيغة، أن الدلالي إمَّا أن يكون تأكيدا ، وإمَّا أن يكون تقريرا؛ أمَّا الفرق بينهما من حيث دفعة الهواء والعلو فيتمثل في:

أ-أن دفعة الهواء في النبر التأكيدي أقوى منها في التقريري.

ب-أن الصوت أعلى في التأكيدي منه في التقريري.

وهنا يتحدث "**تمام حسان**" عن المقاطع في المجموعة الكلامية والمسافة التي يتحكم فيها عامل الإيقاع في الكلام العادي، وكيف لاحظ أن المسافات بين حالتي النبر تبدو كأنها متساوية تقريبا بين النبر الأولي والثانوي، ويسمي هذه الحالة بالإيقاع، ومن خلالها سيجد القارئ أن هذه الظاهرة واضحة كل الوضوح أثناء القراءة[5].

ويُفرّق "**محمود السعران**" بين ثلاث درجات رئيسة من (النبر) الارتكاز في الكلام العادي غير المؤكد، وهي:

1-الارتكاز القوي 2-الارتكاز الثانوي 3-الارتكاز الضعيف.

---

[1] ينظر: تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص161.

[2] نفسه ص نفسها.

[3] نفسه، ص163.

[4] ينظر: نفسه، ص162-163.

[5] ينظر: تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص163.

ويتحدث السعران عن الارتكاز في الأوزان الصرفية، من مثل (فَاعِل: سَامِع وكَاتِب قَارِئ)،(ومُستفعِل= مُستفهِم ومُستقبِل)،(مَفْعول =مَحْبُوب ومَفْهُوم مَضْرُوب)[1].

فـ((نحن اليوم على العموم أقل حسما فيما يخص مكونات مختلف النبرات، إذا كنا لا نزال نقبل بأن تقوية الشدة على المقطع لا يمكن إنكارها في اللغات الجرمانية، وأن تنويعات الارتفاع اللحني تلعب في الإنجليزية دورا حاسما تماما مثل مدة الصائت المنبور في الفرنسية؛ فإن الأبحاث الراهنة تظهر بوضوح أن هذه المكونات تتدخل غالبا بشكل متزامن وتنضم في أغلب اللغات إلى إجراءات نبرية أخرى ، في اللغة الإيطالية تم إبراز قيمة المقطع المنبور ليس فقط بفعل خصائصه الذاتية، ولكن أيضا بسبب اتجاه صوائت المقاطع غير منبورة إلى فقدان بعض سماتها التمييزية، والأمر نفسه بالنسبة للغة الروسية حيث تأخذ الصوائت المنزوعة النبر موقع المركز: [a]> [ə] في (dalekó) [dal'ik,o]، يتعلق الأمر في هذه الحالة بإجراء سلبي لإبراز القيمة النبرية للذاتية، في الفرنسية المستعملة في كندا يكون المقطع المنبور من منظور المقارنة أقل طولا، وهذا ليمنع سامعا باريسيا من التقاط النبرة بنفس الطريقة، مع أن المدة تعتبر المكون الأساسي للنبرة الفرنسية))[2].

و((يكون اشتغال التباين النبري وإبراز قيمة وحدة قابلة للنبر(المقطع عموما وأحيانا جزء من مقطع لفظي طويل)، في إطار الوحدة النبرية ، مرتبطا بثوابت خاصة بكل واحدة من اللغات، بعضها (الفنلندية، التشيكية، الفرنسية)تتوفر على نبرة ثابتة ذات موقع قار: المقطع الأخير من المجموعة في الفرنسية(avec plaisir) [avek plezir]، المقطع الأول للكلمة في التشيكية، المقطع ما قبل الأخير في البولونية، الخ، في لغات أخرى، النبرة الحرة ، موقعها غير متوقع، يتحدد وفق عوامل صرفية أو دلالية : إيطالية، إسبانيا، روسية، ألمانية، الخ، هذه الأخيرة التي تتضمن الكلمة المركبة فيها عدة نبرات بفعل أن كل عنصر مضاف يحافظ على نبرته الخاصة، تعرف تراتبا نبريا منظما وفق الأهمية الدلالية لكل عنصر ومهما يكن طول المركب، وهكذا فإن (nachthemd)"قميص الليل" يتألف من عنصرين أهمهما(nacht) ويحمل بالتالي النبرة الأساسية، بينما نبرة(hemd) ثانوية هنا، يمكن أن نكون إذًا أمام كلمات مثل: (Doppe*ff*lugzeugzpilot)بصدد نبرات ذات رتبة خامسة، فالنبرة الثابتة تؤدي وظيفة فصلية خالصة، بينما تكون النبرة الحرة أحيانا تمييزية، في الحالة التي يسمح فيها في بعض اللغات بتمييز العديد من شبه-المشتركات اللفظية، في الروسية(užé) "من

[1] ينظر: محمود السعران، **علم اللغة**، ص190.

[2]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique,p2-3.

قبل"تقابل(užé)"أكثر ضيقا"، الوظيفة الأساسية للنبرة تبقى مع ذلك فصلية أو أوجية" culminativ"))[1].
ومن خلال ذلك نجد: [2]

أ-نبرة التعبير(أو الإصرار)لها قيمة تعبيرية فقط، ونميز فيها نوعين ، الأولى وتسمى نبرة فكرية وتؤدي في الفرنسية إلى إظهار المقطع الأول من الكلمة وتلعب إذًا بالمناسبة ذاتها دورا فصليا بينما الثانية (في الفرنسية دائما)، وهي النبرة العاطفية فتكتسي شكل تمديد لصامت كلمة فهو دور أوجي فقط.

ب-نبرة أجنبية: هي نبرة الطريقة المميزة التي ينطق بها شخص أصوات لغة أجنبية والتشويهات التي يسببها لهذه الأصوات مصدرها الاختلافات الصوتية والوظيفية والعروضية الموجودة بين النظامين اللذين تم استحضارهما، ليكن مثلا نظام الصوامت العربي: فعل عكس النظام الفرنسي؛ فإنه لا يتضمن الصامت الشفوي المهموس/p/والنتيجة هي واحدة من ثوابت النبرة العربية في الفرنسية : الشخص المعرب يستبدل بانتظام /b/الموجود في نظامه ب/p/في كلمات اللغة الفرنسية المتضمنة لهذا الصامت : فيقول : (bardon) عوض (pardon)" عفوا"، ولسبب مماثل يعوض شخص يتكلم الإيطالية بطريقة ربما تكون ثابتة/y/في الفرنسية ب/u/: (oune voitoure))[3].

فالنبر له دورٌ هامٌ في تحديد المعنى اللغوي، وللنبر استخدام آخر تشترك فيه كل اللغات، النبري منها وغير النبري، وهو الدلالة على معان إضافية كالتأكيد ويسمى النبر حينئذemphatic stress ولو نطق المتكلم الإنجليزي الجملةcome here بدرجة أقوى من النبر فذلك يعني درجة أكبر من الإلزام المصحوب بانفعال، ولو نطقها بنقص النبر عن المعتاد، فإن ذلك يعني الرغبة الملحة في هدوء الحالة وهكذا، والدور نفسه يلعبه النبرَ في العربية، فإن التركيز على مقطع من المقاطع قد يعني التأكيد كما يحدث حين أنطق بكلمة"لا" بشيء من التركيز على اللام، أو حين أنطق كلمة من الكلمات بتركيز أشد دون بقية الكلمات، ويسمى النبر حينئذ نبر الجمل، هو أن يعمد المتكلم إلى كلمة في جملته، فيزيد من نبرها ويميزها على غيرها من كلمات الجملة، رغبة منه في تأكيد أو الإشارة إلى غرض خاص، وقد يختلف الغرض تبعا لاختلاف الكلمة المختصة بزيادة نبرها[4].

[1],op-cit.p 3.
[2]Ibid,p3-4.
[3] op-cit, p4.
[4] ينظر: أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1418هـ/1997م ، ص222 -223.

❖ **في التراث البلاغي العربي :**

اختلفت آراء العلماء حول وجود النبر في العربية، إذ لم يكن معروفا في القديم كما هو الآن، وإلى هذا ذهب "**كمال أبو ديب**"(**Kamal Abu Deeb**) في تأكيده المعنى نفسها[1]، مع " **إبراهيم أنيس** ": (وليس لدينا من دليل يهدينا إلى موضع النبر في اللغة العربية، كما ينطق بها في العصور الإسلامية الأولى، إذ لم يتعرض له أحد من المؤلفين القدماء))[2]، وبعض الباحثين المستشرقين"**هنري فليش**"(**Henry Fleisch**) يرى أنَّ: ((نبر الكلمة فكرة كانت مجهولة تماما لدى النحاة العرب، بل لم نجد لها اسما في سائر مصطلحاتهم، تلك التي كانت على الرغم من ذلك وافرة غزيرة، ذلك أن نبر الكلمة لم يؤد أي دور في علم العروض العربي، وهو المؤسس على تتابع مجموعة من المقاطع الطويلة والقصيرة المحددة، فهو على هذا كمي، ولقد لزم واضعو هذا العروض الصمت إزاء موضوعه، تماما كما فعل النحاة وقفى على أثرهم المؤلفون في علم التجويد))[3]، أما "كارل بروكلمان"**K-Brockelman** فيثبت وجود النبر في العربية القديمة، إذ يقول: ((يدخل نوع من النبر، تغلب عليه الموسيقية ويتوقف على كمية المقطع فإنه يسير من مؤخر الكلمة نحو مقدمتها، حتى يقابل مقطعا طويلا، فيقف عليه، فإذا لم يكن في الكلمة مقطع طويل، فإن النبر يقع على المقطع الأول منها))[4]، أما "**عبد الصابور شاهين**" يقر: ((أن المحدثين لاحظوه كظاهرة ذات تأثير في نسق اللغة المنطوقة، في حين غفل القدماء عن وجوده كظاهرة صوتية تحتاج إلى علاج علمي.))[5]، ولعل هذا ما ينصف القدماء في تعاملهم مع النبر، أمَّا أنهم لم يعرفوه ، أو لم يستعملوه فهذا مستبعد، أمَّا تعرضهم وتعاملهم معه بمنهج علمي، فهذا ما لا ندعيه عنهم لطبيعة المادة والوسائل المستعملة آنذاك، وبعد: **هل صحيح أن علماء العربية لم يتناولوا في مؤلفاتهم قضية النبر هذه؟أو أنهم أشاروا إليها ولكن بأسماء ليست معروفة في علم اللغة الحديث؟**

الحقيقة أن هناك من العرب من عرف النبر بمعنى الهمز، قال((**ابن منظور**)): ((والنبر همز الحرف، ولم تكن قريش تهمز في كلامها ، ولما حج المهدي قدم الكسائي يصلي في المدينة فهمز فأنكر أهل المدينة عليه، وقالوا: تنبر في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم بالقرآن))[6].

---

[1] ينظر، كمال أبو ديب، **في البنية الإيقاعية في الشعر**، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974م، ص220 وما بعدها.

[2] إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص97-104.

[3] هنري فليش، **العربية الفصحى –دراسة في البناء اللغوي–**، تح: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1997م، ص64.

[4] كارل بروكلمان، **تاريخ الأدب العربي**، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط2، دت، ص61.

[5] عبد الصبور شاهين، **القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث**، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، 1966م، ص25.

[6] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(ن ب ر)، ص4323.

ومصطلح النبر هذا أشار إليه "**ابن جني**"(**392هـ**)في كتابه **الخصائص** في (**باب في مطل الحركات**):((وإذا فعلت العرب ذلك أنشأت عن الحركة الحرف من جنسها، فتنشئ بعد الفتحة الألف، وبعد الكسرة الياء، وبعد الضمة الواو))[1]، ثم يمثل لذلك فيقول:((فالألف المنشأة عن إشباع الفتحة ما حكاه الفراء(227هـ)، عنهم: أكلت لحما شاة: أراد لحم شاة، فمطل الفتحة فأنشأ عنها ألفا))[2].

ويضيف:((ومن إشباع الكسرة ما جاء عنهم في الصيارف والمطافيل والجلاعيد))[3]، والمراد الصيارف والمطافل والجلاعد، أما عن مطل الضمة فيقول:((ومن مطل الضمة القرنفول))[4].

ممكوزة جُمٌّ العظام غُطْبولْ كأن في أنيابها **القَرَنْفُولْ**، والمراد القرنفل.

وذكر "**ابن جني**" **أيضا** أن:((الحركات عند التذكر يُمطلن حتى يفِين حروفا،(...) وذلك قولهم عند التذكر مع الفتحة قُمْتَ: قُمْتا، أي قمت يوم الجمة ونحو ذلك، ومع الكسرة أنتي: أي أنْتِ عاقلة، ونحو ذلك، ومع الضمة قُمْتُو، في قُمْتُ إلى زيد، ونحو ذلك))[5].

فالمطل عند "**ابن جني**"، في ما أورده: هو زيادة قوة الارتكاز الإشباع أو التضعيف، إذا ما علمنا أن الألف ضعف الفتحة والياء ضعف الكسرة والواو ضعف الضمة، والقصد من هذا الإشباع زيادة الضغط على مقطع من المقاطع لإبرازه في السمع؛ لتحقيق غرض قصدي[6]، فالتضعيف في الصوتيات هو ((صامت يلاحظ أنه أطول من الصامت البسيط في محيط واحد، وتكتب مثلا[l.] بالنسبة إلى [l:]، هذا الامتداد يمكن أن يرجع إلى تنبير تعبيري: (c'est illégal!)"هذا غير مشروع" [il:egal]، أو يرجع في الفرنسية-التي لا تعرف تشديدا صوتيا –إلى التمدن المفرط(Hyperbanisme) أو التصحيح المفرط(hypercorrection): (allocutionune)"مداخلة"[ünal:ocacjɔ]، (les hollandais l'ont pris)"أخذه الهولنديون"[leol:adɛ].

إنها ظاهرة التشديد ، بداية نطق المشددات (وهو انفجاري) يلاحظ عادة في نهاية المقطع وفي نهاية المشدد(وهو انفجاري) مثل بداية المقطع الموالي، مما يعطي الانطباع (الخاطئ) بنطق صامتين متشابهين صوتيا ومتتابعين، ويسجل الرسم غالبا هذا التوهم(في الإيطالية: fatto,addio,affano)الذي يبقيه أيضا

[1] أبو الفتح عثمان بن جني، **الخصائص**، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية/المكتبة العلمية، مصر، دط، 1372هـ/1952م، ج3 ، ص121.

[2] نفسه ، ج3، ص121-123.

[3] نفسه ص نفسها.

[4] نفسه، ج3، ص124.

[5] نفسه، ج3، ص129-130.

[6] ينظر: عبد القادر عبد الجليل، **الأصوات العربية**، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2010م، ص241.

لفظ(géminée))) ، وفي فونولوجيا-((في بعض اللغات يكون للمشدد قيمة تمييزية، إنها فونيم مختلف عن البسيط: (في الإيطالية: (dona)"يقدم هدية"، (donna)"سيدة"))[1].

وعليه نستنتج أن القدامى لم يعرفوا النبر بمعنى الضغط على مقطع من مقاطع الكلمة، وهذا هو وجه الاختلاف بينهم وبين علماء اللغة المحدثين، ولعل ذلك راجع إلى كونه"أي النبر" لا يقوم بوظيفة دلالية في العربية الفصحى، سواء أكان ذلك عن طريق الضغط أم المطل أم الإشباع، وهذا يعد في نظر "**إبراهيم أنيس**" ميزة في اللغة العربية، يقول: ((ولحسن الحظ لا تختلف معاني الكلمات العربية، ولا استعمالها باختلاف موضع النبر فيها))[2].

التنغيم* Intonation:

- **في الدراسات الحديثة:**

إنَّ التنغيم له أثر عجيب في النفس البشرية، وكان العربي بطبيعته ميالا إلى النغم والإيقاع ، فشغف بحسن التوزيع للكلمات والأصوات، ذلك التوزيع المتقن على فترات زمنية متساوية في أغلب الأحيان مستجيبا بذلك لكلّ ما يتحسّسه في حياته من إيقاعات سببها الانتظام والتعاقب على فترات زمنية محددة.

1-تعريف التنغيم:للتنغيم تعريفات لغوية واصطلاحية:

أ- لغة:جاء في **لسان العرب**: "نغم: النَّغْمَةُ** : جَرْسُ الكَلِمَةِ وحُسْنُ الصَّوْتِ في القِراءَةِ وغَيرِها، وهو حَسَنُ النَّغْمَةِ، والجَمْعُ نَغْمٌ، والنَّغَمُ: الكَلامُ الخَفِيُّ، والنَّغْمَةُ: الكَلامُ الحَسَنُ، وقيلَ: هو الكَلامُ الخَفِيُّ، نَغَمَ يَنْغَمُ ويَنْغِمُ.."[3].

أما في **معجم الوسيط** فنجد:"نغَمَ-نَغْما: تكلَّمَ بكلام خَفِي، والنَّغَّامُ: الكثير النَّغْمَة، والنَّغْمَةُ: جَرْسُ الكلمة، و-حُسن الصَّوت في القراءة وغيرها، و-صوت موقَّع، (ج) أنغامٌ وأناغيمُ، يقال رجلٌ نَغُومٌ: حَسّن النَّغْمَة"[4].

---

[1]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique,p 151.

[2] إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص165.

*لقد أدلى العرب بدلوهم كذلك في هذا البحث الخاص **بالتنغيم**، وبما أنَّ المصطلح قد نُقل من لغة أخرى فإنَّ الاختلاف في ترجمته متوقّع، إذ بقي متأرجحا عن المحدثين موسيقى الكلام، النبر الموسيقي، أو نبر التنغيم، أو النغمة الصوتية أو اللحن أو التلوين الصوتي، وهي مصطلحات لمسمى واحد مشهور هو"التنغيم"(ينظر: كمال بشر، **علم الأصوات**، ص245، و إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص176، وينظر: مزاحم مطر حسين، **أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني"الاستفهام أنموذجا"**، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المج 6، ع4/3، 2007م، ص39).

** وهناك فرق دقيق بين **النغمة واللحن** هو أن النغمة يتصف بها مقطع من المقاطع فيوصف المقطع الفلاني من أنه ينطق بنغمة صاعدة أو هابطة أو مستوية، أمَّا اللحن فهو ينشأ من ترتيب النغمات المتتابعة في المجموعة الكلامية.

[3] ابن منظور، **لسان العرب**، مادة(ن غ م)، ص4490.

[4] مجمع اللغة العربية، **معجم الوسيط**، ص937.

وعليه يعد التنغيم قرينة صوتية سياقية كاشفة عن اختيار المتكلم لنوع معين من أنواع الكلام؛ أي تلك التنوعات الصوتية التي يستعملها المتكلم لإبراز المعاني المقصودة، أو التلوينات الموسيقية التي تظهر أثناء الأداء، والتي يكون لها تأثير في الأداء دلالة الكلام وتوجيه أغراضه.

ب– اصطلاحا:

إن طبيعة كلامنا نحن لا يسير على نسق صوتي موسيقي واحد، بل ينخفض الصوت ويرتفع، وتعلو درجته بحسب ما يختلج في صدر المتكلمين من المعاني، وهو مظهر عام في كل اللغات، كما تعددت واختلفت تعريفات العلماء لظاهرة التنغيم، ونوجزها فيما يلي:

-نجد " **محمد بشر**" يرى أن التنغيم: يظهر في ((موسيقى الكلام في صورة ارتفاعات وانخفاضات أو تنوعات صوتية، أو ما نسميها نغمات الكلام))[1] ، والذي نقف عليه في هذا القول إنَّ التنغيم يسمى **موسيقى الكلام**، وثاني ما وقف عليه هو: هل كل ارتفاع أو انخفاض على مستوى الصوت، يسمى تنغيما؟.

– أمَّا "**مختار عمر**" فيما ذهب إليه معرفا ظاهرة التنغيم فإنَّها: ((تتابعات مطردة من مختلف أنواع الدرجات الصوتية على جملة كاملة أو أجزاء متتابعة، وهو وصف للجمل وأجزاء الجمل، وليس للكلمات المختلفة المنعزلة))[2]، إن أول ما يشد الانتباه هو الصبغة العلمية التي يكتسبها إذ أن (التتابع) و(الدرجات الصوتية)، مصطلحات علمية زادت في دقة التعريف، ثم إنه اشترط أن يقع التنغيم على جملة كاملة أو أجزاء منها، ولم يحدد نوع الجملة.

– أمَّا "**إبراهيم أنيس**" فيقول عنه : ((أن الإنسان حين ينطق بلغته لا يتبع درجة صوتية واحدة في النطق بجميع الأصوات، فالأصوات التي يتكون منها المقطع الواحد ، تختلف في درجة الصوت وكذلك الكلمات قد تختلف فيها(...)، ويمكن أن نسمي درجة الصوت بالنغمة الموسيقية))[3]، فدرجات الصوت تختلف بين الارتفاع، والانخفاض، وتوالي هذه الدرجات يشكل انسجاما نغميا موسيقيا.

– يعد "**تمام حسان**" من الذين أفاضوا في تعريف **التنغيم** إذ نجده ينطبق في تعريفه مما أُشتهِر عند سابقيه فهو: ((ارتفاع الصوت وانخفاضه أثناء الكلام))[4]، ويقول أيضا: ((تختلف طريقة رفع الصوت وخفضه في الإثبات عنها، في الاستفهام، ولكن كل شيء فيما عدا التنغيم يبقى في المثال على ما هو عليه))[5]، **فالتنغيم عنده هو** العنصر الموسيقي في الكلام الناتج عن ارتفاع وانخفاض درجة الصوت، والدال على معنى ذاته.

---

[1] كمال بشر، **علم الأصوات**، ص533.

[2] أحمد مختار عمر، **دراسة الصوت اللغوي**، ص229.

[3] إبراهيم أنيس، **الأصوات اللغوية**، ص103.

[4] تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة**، ص164.

[5] نفسه ص نفسها.

-في حين ذهب الأستاذ"**ماريوباي**" إلى أن التنغيم: ((تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات* في حدث كلامي معين))[1]، فهل وجود لفظ (تتابع) يفرض تسلسلا منطقيا في النغمات* الموسيقية أو الأمر غير هذا؟ ثم هل كل حدث كلامي يفترض ويحتمل نغمات موسيقية؟ أو بالأخرى؛ هل كل صوت منغم دال على معنى؟ ولا يمكننا أن نثبت التنغيم على حدث خط، فالكلام مجموعة جمل تامة مفيدة المعاني، ولكل: ((جملة من هذه ، صيغة تنغيمية خاصة فاؤها وعينها ولامها وزوائدها وملحقاتها، نغمات معينة بعضها صاعد وبعضها منخفض))[2].

ومن خلال التعريفات السابقة ندرك أنَّ المصطلح يدل على ارتفاع الصوت وانخفاضه في الكلام، فهو من الظواهر الصوتية التي تساعد في تحديد المعنى؛ لأن تغير النغمة قد يتبعه تغير في الدلالة في كثير من اللغات، وتختلف هذه الدلالة من سياق لغوي لآخر.

2-أنواع التنغيم: اختلف الأصواتيون في تحديدها، فمنهم من عدَّها أربعة أنواع، ومنهم من جعلها خمسة وكلّ نوع من هذه الأنواع الخمسة يشتمل على نغمات ضمنية؛ لكن الأشهر والأكثر شيوعا هي النغمات الثلاث، نوجزها فيما يأتي:[3]

أ-**النغمة الهابطةFalling tonne**: هو أداء يتطلب هبوط نغمة الصوت عن المسْتَوي أو الاعتيادي.

ب-**النغمة الصاعدةRissing tonne**: هي التي تتطلب صعودا في نهاياتها على الرغم من تنوع أمثلتها الجزئية الداخلية، ونجد هذا الأداء عادة في الجمل الاستفهامية التي تستوجب الإجابة (بلا أو نعم)، والجمل المعلقة؛ أي التي تكون مرتبطة بما بعدها، ويظهر ذلك بوجه خاص في الجزء الأول من الجمل الشرطية.

---

*__الإيقاع__: جاء في **لسان العرب**: ((الإيقاع من إيقاعِ اللَّحْنِ والغِناءِ ، وهو أن يُوقِعَ الألحانَ ويَبَيِّنَها، وسمَّى الخليلُ رَحِمَهُ الله، كِتابا من كُتُبِهِ في ذلكَ المعْنى كِتابَ الإيقاعِ))(ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"و ق ع"، ص4897، فمصطلح الإيقاع مشتق من الكلمة الإغراقيةRhuthmos التي تعني"الحركة المنتظمة"ومن المصطلح الأجنبيrthythm، وبعبارة أخرى :"لفظ الإيقاع :هو الترجمة العربية للمصطلح الأوربي"Rhythm" في الفرنسية، وهما: "الإيقاع"، ولفظ"Rhuthm"مشتقان من"Rhuthmos"اليونانية، وهي في أصل معناها الجريان والتدفق والمقصود به عامة هو التواتر بين حالتي الصوت والصمت"، وأبسط تعريف للإيقاع هو تعاقبُ أنغامٍ منسقة في عملية تتابع، وهو يعني به التكرار المنتظم فهو أعم من الوزن، وهو تكرار لبعض الحروف أو الكلمات أو النغمات أو لجو نفسي معين يوافق السياق علوا وهبوطا ، حزنا وفرحا))(روحاله نصيري، **"الإيقاع الصوتي في نهج البلاغة-خطبتي "الشِّقشقية" و"خلقة الطاووس"أنموذجا-"**، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ع35، 1394هـ/2015م، ص45.

[1] ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ص93.

*من خلال ذلك نجد من الباحثين الغربيين من يذكر أن الأنماط التنغيمية في اللغة الإنجليزية تتمثل في ((أربع درجات للصوت: منخفضlow، ومتوسطmid، وعاليhigh، وعالٍ جداextra high))(ماريوباي، **أسس علم اللغة**، ص94، مزاحم مطر حسين، **أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني"الاستفهام أنموذجا"**، ص40).

[2] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص226.

[3] ينظر:

-كمال بشر، **علم الأصوات**، ص534-537.

-رياض بوزنية، **"نمطية الوظائف التنغيمية في اللغة العربية"**، مجلة النص، دب، ع13، 2013م، ص167.

ج–النغمة المستوية: هو أداء طبيعي للجمل بحسب المستوي المقرر لها، ويتجلى في أسلوب الإخبار كالخطب والمواعظ...؛ وسماها د/ تمام حسان:ب(**النغمة المسطحة**) وقال فيها بأنها:((لا هي بالصاعدة ولا هي بالهابطة))[1].

3– وظائف التنغيم:

إن للتنغيم **وظائف متعددة** في عملية الاتصال بين المتكلمين، نوجزها فيما يلي:[2]

الأولى: وهي الوظيفة الأساسية للتنغيم–وظيفة نحويةgrammatical، وهو المسؤول عن تحديد عناصر الجملة المكونة لها، ومن ذلك"أولئك الرجال المناضلون"، وقد تكون"أولئك الرجال" إما عنصرا واحدا مبتدأ"مبدل منه وبدل" و"المناضلون"خبره، فإذا وقفنا على "أولئك"بمفردها كانت مبتدأ، و"الرجال"خبرا، و"المناضلون"نعتا، وما أحدث هذا التعيير في الإعراب والعناصر النحوية إلا التنغيم، فالتنغيم يفرق بين معاني الأدوات والحروف، كالفرق بين"يا" للندبة والنداء، ومن ذلك قوله تعالى:﴿ **يَا حَسْرَتَا عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنبِ اللَّهِ** ﴾[الزمر:56]ف"يا" هنا للندبة لتعذر النداء على الحسرة ولنغمة الحزن التي تكتنف حديث العاصي يوم القيامة.

الثانية : وظيفة دلالية سياقية: تتمثل في المواقف الاجتماعية كرضى وقبول وغضب وتعجب ودعاء...الخ، حيث يقوم التنغيم بأداء هذه المعاني بمعونة السياق العام المتعلق بالظروف والمناسبات التي يلقى فيها الكلام، فالتنغيم عنصر مكمل للمنطوق لا ينفكّ عنه، وأمارة صحّته ووفائه بالمعنى المقصود وفقا لنوعيّات التراكيب، ونوعيَّات مقام الكلام.

الثالثة:وظائف تأثيرية أو تعبيرية:ونعني بها الدلالة على ما يجيش في نفس المتكلم من فرح أو حزن أو غضب ومن دهشة أو تأمل إلى غير ذلك من الانفعالات النفسية، وهذه الوظيفة تتصل بالمتكلم أكثر من اتصالها بنظام اللغة، فهي دلالة وظيفية على معاني الجمل تتضح في صلاحية الجمل التأثيرية Exclmatory) نحو دلالة" نعم، يا سلام، الله" ولا يفرق بينهما إلا التنغيم الذي يتضافر مع القرائن الحالية لحركة اليد وملامح الوجه مع انقباضه أو انبساطه وخلافه، فجملة"يا سلام" قد تدل على التهويل أو التحقير أو التأثير أو الشك أو السخرية، أو غير ذلك، وبذلك يزال أي لبس في الكلام.[3]

---

[1] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص230.

[2] ينظر:

–سهل ليلى،"**التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق**"، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع7، جوان 2010م،ص8–10.

–حمد كشك، **من وظائف الصوت اللغوي**، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997م، ص74.

[3] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص228.

❖ **في التراث البلاغي العربي:**

إنَّ قضية التنغيم الصوتي في التّراث العربيّ أثارت خلافاً كبيرا بين الدّارسين المعاصرين خاصة، فدراسة ظاهرة التنغيم في العربية ، تُعد نوعا من المغامرة أو المجازفة، من هنا انقسمت آراء العلماء إلى قسمين حول هذا الموضوع؛ **القسم الأول**: قالوا إنَّ العرب لم يتناولوا هذه الظاهرة ولم يدرسوها ولم يلتفتوا إليها ، ومنهم **"تمام حسان"** على ما عُرِف عنه من دقّةٍ وتمهل في الحكم، عندما ذهب في كتابه"مناهج البحث في اللغة" إلى القول: ((إن العربية الفصحى لم تعرف هذه الدراسة في قديمها، وإن القدماء لم يسجلوا لنا شيئا عن هذه الظاهرة))[1]. ويقول أيضا في كتابه "اللغة العربية معناها ومبناها" : ((أنّ التنغيم في اللغة العربية الفصحى غير مسّجل ولا مدروس، ومن ثمّ تخضع دراستنا إيّاه في الوقت الحاضر لضرورة الاعتماد على العادات النّطقية في اللهجات العامية))[2]، مستخدما أسلوب النّفي الجازم لوجود ظاهرة التنغيم في التّراث العربيّ.

وهذا **"رمضان عبد التواب"** يقف مترددا، فهو من ناحية ينفي معرفة العرب القدامى لماهية التنغيم، ولكنه يثبت إشاراتهم إلى وظائفه في الكلام؛ يقول :((ولم يعالج أحد من القدماء شيئا من التنغيم، ولم يعرفوا كنهه، غير أننا لا نعدم عند بعضهم الإشارة إلى بعض آثاره في الكلام، للدلالة على المعاني المختلفة))[3]. **والقسم الثاني** من الآراء التي تناولت مسألة التنغيم في التراث، هي آراء لباحثين معاصرين، ترى أن القدماء أدركوا هذا الجانب، إذ توجد إشارات في كتبهم توحي إلى ذلك، وإن لم يكن لها حاكم من القواعد، ومن ممثلي هذا القسم "**أحمد كشك**"(**Ahmed Kishk**) في كتابه"**من وظائف الصوت اللغوي**"، فقد خصص فصلا في كتابه المذكور لدراسة التنغيم إذ يقول ((وقدامى العرب، وإن لم يربطوا ظاهرة التنغيم بتفسير قضاياهم اللغوية، وهم وإنْ تاه عنهم تسجيل قواعد لها، فإن ذلك لم يمنع من وجود خطرات ذكيّة لماحة تعطي أحساسا عميقا بأنَّ رفض هذه الظاهرة تماما أمرٌ غير وارد، وإن لم يكن لها حاكم من القواعد))[4].

والحقيقة –في نظري–أن المسألة ليست مسألة نفي أو إثبات، بقدر ما هي مسألة استقراء، وإعادة قراءة للتراث، فمن المسلّم به أن لكل عصر منهجه، ومصطلحاته، ولكل باحث طريقته في تسجيل الظواهر اللغوية، فإذا كان علم اللغة الحديث يميل إلى التخصص في كثير من الفروع اللغوية، حتى أصبح كل فرع منها علما قائما بذاته، فإن الدراسات اللغوية القديمة يغلب عليها طابع الإلمام بكل هذه الفروع، بل إن العرف الذي كان سائدا

[1] ينظر: تمام حسان، **مناهج البحث في اللغة معناها ومبناها**، ص197-198.

[2] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص 228.

[3] رمضان عبد التواب، **المدخل إلى علم اللغة ومناهج البحث اللغوي**، ص106.

[4] أحمد كشك، **من وظائف الصوت اللغوي محاولة لفهم صرفي ونحوي ودلالي"**، ص57-58.

آنذاك هو أن العالم لا يكون عالما بحق إلا إذا كان ضليعا في جميع الفروع اللغوية، يقول **"ابن قتيبة"(ت 276هـ)**:((وليست كتبنا هذه لمن لم يتعلق من الإنسانية إلا بالاسم، ولم يتقدم من الأداة إلا بالقلم والدواة، ولكنها لمن شدا شيئا من الإعراب، فعرف الصدر والمصدر، والحال والظرف، وشيئا من التصاريف والأبنية، وانقلاب الياء عن الواو، والألف عن الياء وأشباه ذلك))[1]. وفي هذا القول-كما نرى-إشارة صريحة إلى أن اللغوي الحقيقي هو ذلك الذي يكون على دراية بالمسائل الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية، وهي كلها فروع علم اللغة الحديثة، وبعد: **هل تحدث البلاغيون عن التنغيم؟وإذا كان الجواب (نعم)فتحت أي مصطلح عالجوا هذه القضية؟.**

نعم تحدث التراث عن ظاهرة التنغيم، من خلال القيمة التعبيرية الصوتية للفظ من خلال ما يمتاز به شاعر عن آخر في صياغة اللفظ أو افتتاح النص أو" **الأثر الشعوري في النفس**" ، ويقول "**ابن طباطبا**"(ت322هـ): ((والأذنُ تتشوَّف للصَّوتِ الخَفيض السَّاكن، وتَتَأذَّى بالجَهير الهَائل، واليَدُ تَنْعَمُ بالمَلْمَس اللَّين النَّاعم، وتتأذَّى بالخَشِن المؤْذي، والفَهْمُ يأنَسُ من الكَلامِ بالعَدْلِ الصَّواب الحَقّ، والجَائزِ المعْروفِ المأْلُوفِ، ويَتَشَوَّفُ إِلَيْهِ، ويتَجَّلى لَهُ، ويستوحش من الكَلامَ الجَائر الخَطأِ الباطِل، والمحَالِ المجَهْول الْمُنكر، وينَفرُ منهُ، ويصدأ لَهُ.))[2]. وقول "**أبي هلال العسكري**" (ت395هـ) جاء مقاربا لذلك : ((والسمعُ يتشوَّق للصواب الرائع وينزوي عن الجَهير الهائل؛ واليدُ تنعَمُ باللّين..))[3]، والإيحائية الجمالية للصوت يشبهها "**ابن رشيق**"(ت456هـ) بالصورة البصرية فيقول: ((البليغ من يحوك الكلام على حسب الأماني، ويخيط الألفاظ على قدود المعاني، وقال أيضا : الألفاظ في الأسماع كالصور في الأبصار.))[4]. عند "**ابن سنان الخفاجي**"(ت 466هـ) يقول في ذلك: ((أن تجد لتأليف اللفظة في السمع حسناً ومزية على غيرها وإن تساويا في التأليف من الحروف المتباعدة كما أنك تجد لبعض النغم، والألوان حسناً يتصور في النفس ويدرك بالبصر والسمع دون غيره مما هو من جنسه كل ذلك لوجه يقع التأليف عليه ومثاله في الحروف ع ذ ب فإن السامع يجد لقولهم العذيب اسم موضع وعذيبة اسم امرأة وعذب وعذاب وعذب وعذبات))[5].

---

[1] ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، تح: محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، دط، دت، ص12.

[2] أبو الحسن أحمد بن طباطبا، **عيار الشعر**، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع،مكتبة الخانجي، القاهرة، دط، دت، ص20.

[3] العسكري، **الصناعتين**، ص57.

[4] أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد، دار الجيل، ط5، 1401 هـ - 1981م، ج1، ص128.

[5] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص65.

وكذلك عبد "**القاهر الجرجاني**"(ت**471**هـ) الذي نضجت نظرية النظم القرآني لديه قدَّم رؤيته في التنغيم وأثره في دلالة السياق القرآني بقوله: ((أن الكلام من حيز المعاني دون الألفاظ، وأنها ليست لك حيث تسمع بأذنك، بل من حيث تنظر بقلبك، وتستعين بفكرك، وتعمل رويتك ، وتراجع عقلك وتستنجد في الجملة فهمك، وبلغ القول في ذلك أقصاه، وانتهى إلى مداه))[1]، ويقول أيضا:((إن المعاني لا تتزايد، وإنما تتزايد الألفاظ))[2]، كما أشار "**الجاحظ**"(ت255هـ) إلى أهمية التنغيم في الدلالة على المعنى الذي يريده المتكلم ، ويرى أيضا أن من تمام الكلام ضم الحروف وتأليفها وتقطيعها وحسن التعبير عنها بتقسيم الوجه وحركة الرأس واليدين مما يضم القول في سياق عام يساعد على توضيح دلالته وإبلاغ المقصود منه يقول: ((والصوت هو آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع، وبه يوجد التأليف ولن تكون حركات اللسان لفظا ولا كلاما إلا بالتقطيع والتأليف وحسن الإشارة باليد والرأس، ومن حسن البيان باللسان مع الذي يكون مع الإشارة من الدَّل والشكل والتقتل والتثني))[3]، وإشارة"**الجاحظ**" دليل على أهمية التنغيم في السياقات التنظيمية للمتكلّم، وهي بعد ذلك التفاتة واضحة المعالم إلى الجرس الصوتي الذي يرافق الحركة أثناء تأدية الفعل الكلامي، ويلتمس الجاحظ في تيار الكلام الذي يتطلب الوضوح، وأن يكون مقرونا بما اصطلح عليه"**الدّل**"، و"**الشكل**"، "**التثنّي**" ، مما له القدرة على إضفاء حالة البيان، واكتساب السياق قبولا حسنا، وقوة في إيصال الدلالة وإسراعا في الفهم.

وكان "**الباقلاني**"(**ت403**هـ) أكثر وضوحا في تحديد أثر الصوت في السمع والملاءمة بين الصوت والدلالة ، فالتلاؤم عنده: ((حسن الكلام في السمع، وسهولته في اللفظ، ووقع المعنى في القلب وذلك كالخط الحسن والبيان الشافي، والمتنافر،كالخط القبيح، فإذا انضاف إلى التلاؤم حسن البيان وصحة البرهان في أعلى الطبقات، ظهر الإعجاز لمن كان جيد الطبع، وبصيرا بجواهر الكلام، كما يظهر له أعلى طبقة الشعر))[4].

خلاصة القول:

إنَّ التنغيم هو عبارة عن تتابع النغمات الموسيقية أو الإيقاعات في حدث كلامي معين، ويشير إلى الاستخدام المميز للأنماط الخاصة بدرجة الصوت أو اللحن، ويقوم التنغيم بوظائف عديدة في اللغة، وظيفته الأدائية، وبها يتم نطق اللغة حسب النظام المتعارف عليه عند أهلها، من حيث الالتزام بطرق أدائها؛ لأنه لو لم يلتزم بها يصبح نطقه وكلامه غير واضح ولبدأ غريبا عند أهلها، ومنها وظيفته الدلالية وهو أنَّ التنغيم له تأثير على بيان وتوضيح الدلالات المختلفة ومقاصد الكلام، وأهم وظيفة له أنه يقوم مقام الإشارة في البنية النحوية حيث يقوم مقام الترقيم علامات الترقيم في الكتابة، ويكشف كذلك عن المواقف الشخصية للمتكلمين مثل السخرية والغضب والتهكم...

---

[1] عبد القاهر الجرجاني ، **دلائل الإعجاز في عم المعاني**، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط1، 1409هـ/1988م، ص51.

[2] عبد القاهر الجرجاني، **دلائل الإعجاز**، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة،1404هـ/1984م، ص63.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص79.

[4] أبو بكر الباقلاني، **إعجاز القرآن**، **إعجاز القرآن** ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م، ص270.

خلاصة:

وقبل الانتقال من هذا العنصر إلى الذي يليه لابد من القول بأنَّ هذه الظواهر التي تناولناها لا تمثل إلا شيئا متواضع القدر قياسا إلى ما تناوله الصوتيون، واللغويون، والبلاغيون من ظواهر فونولوجية، وعزاؤنا في هذا أن الظاهرات الفونولوجية عصيّة على الإحصاء فعلا، وهي متنوعة لتنوع درجات الاختلاف والتناظر في النطق الإنساني، فالفونيم والنبر والتنغيم، وغير ذلك من الأمور، تعرض في الكلام ولا تخضع لحصر، عرضنا من هذا التصنيف الذي أوردناه الإشارة إلى أن اللغويين، والبلاغيين العرب، لم يغفلوا عن هذه الناحية من الدرس الصوتي: بل كانت لهم فيها مباحث وآراء مصيبة في الغالب، وتنطوي على تفسيرات صوتية تنسجم مع الدرس اللغوي المعاصر.

ولاشك أن العرب لمسوا قوانين وضوابط التغيير السياقي للأصوات، كأثر استعلاء الصوت واستفالته في جرسه تفخيما أو ترقيقا، وغير ذلك مما تؤديه المباحث الصوتية الخالصة، ولعلّ ذلك ما أشار إليه من الدارسين المحدثين لفضل العرب في مجالات الدراسة الفونولوجية، فالصوت يرتبط بالمعنى، وطريقة الأداء لها دخل في التعبير عنه وهذا وإن كان خاصا ببعض الألفاظ وطرق أدائها فإن له أهمية في كشف جانب حيوي من جوانب دلالة الألفاظ[1].

ثانياً– السياق النحوي The syntactic theory

السياق النحوي هو: الذي يدرس البنية النحوية التي ترد فيها الكلمة بوصفها وحدة نحوية في كل متسق، وأن الكلمات في الجمل تتوالى على نسق مرتب وتخضع في ترتيبها إلى أنساق تركيبية مطردة وعلاقات داخلية معينة تشكل في مجموعها قواعد التركيب النحوي على وفق مقتضى السياق[2]، فإنَّ أي تغيير في موقع كل كلمة من كلماتها يؤدي إلى معنى مغاير بحسب سياقها من التركيب، ومن هنا نؤكد على ترتيب الكلمات داخل السياق لغرض فهم المعنى.

–و هو السياق الذي يظهر في التراكيب وأنَّ هذه التركيب تختبئ في خصائصه وأحواله إشارات ودلالات مختلفة، وأن السياق هو الذي يستخرج من هذه الخصائص مقتضياته.[3]

---

[1] ينظر: إبراهيم محمود خليل، **السياق وأثره في الدرس اللغوي–دراسة في ضوء علم اللغة الحديث**، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه في تخصص اللغة العربية وآدابها ، من إشراف : محمود السمرة، الجامعة الأردنية، 1411هـ/1990م، ص124-125.

[2] ينظر: سيروان عبد الزهرة الجنابي وحيدر جبار عيدان، **جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية–النص القرآني أنموذجا**"، دب، ع9، 2008م، ص42.

[3] ينظر: نفسه ص نفسها.

بناء على هذا الأساس **فالسياق النحوي** هو: شبكة من العلاقات القواعدية تحكم بناء الوحدات اللغوية داخل النص، وفيها تقوم على علاقة بمهمة وظيفية تساعد على بيان الدلالة من خلال القرائن النحوية مثل الإعراب ، وهو قرينة سياقية ، تتعاون جاهدة مع غيرها في رسم شبكة البيانات الدلالية .

- **في الدراسات الحديثة:**

فبعد حديثنا عن مفهوم السياق النحوي، سنحاول أن نبين كيف نظرت الدراسات اللسانية الغربية الحديثة إلى هذا المجال المهم في الدراسات اللغوية، وكذا معرفة المجال الذي درست ضمنه هذه القضايا باختصار، وسنبدأ بالاتجاه البنيوي على أساس أنه يمثل بداية الدراسات الغربية الحديثة.

أ–الاتجاه البنيوي:

قام هذا الاتجاه على استبعاد المعنى من دراسة الجملة استبعادا تاما، ولذلك عُرِفَت بأنها مضادة للمعنى، وقد اتبعت منهجا في التحليل قام على تفكيك الجملة إلى مكوناتها المباشرة، وطبقا لهذا المنهج؛ فإن الجملة لا ينظر إليها على أنها مجموعة من المفردات المتحاذية في السياق الكلامي بل على أنها مكونة من طبقات متراكبة أو مستويات[1].

وهي بهذه الطريقة مدرسة لسانية اهتمت بقواعد النحو لكن بطريقتها الخاصة التي بنيت على التعامل الشكلي مع الجمل، ولم تبن على المعنى، فهي من مباحث نحوية لا تراعي العلاقات المعنوية والمنطقية بين الكلمات، وخير مثال على ذلك هي **شجرة نعوم تشومسكي(Noam Chomsky)**، ويكون تطبيقها على جملة "ذهب الولد إلى المدرسة كالآتي:[2]

[1] ينظر: نايف خرما، **أضواء على دراسات اللغوية المعاصرة**، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1978م، ص233-238.

[2] ينظر:

-السعيد شنوقة، **المدخل إلى المدارس اللسانية، دار السلام الحديثة**، القاهرة، ط1، 2008م، ص106 وما بعدها.

-نايف خرما، **أضواء على دراسات اللغوية المعاصرة**، ص238.

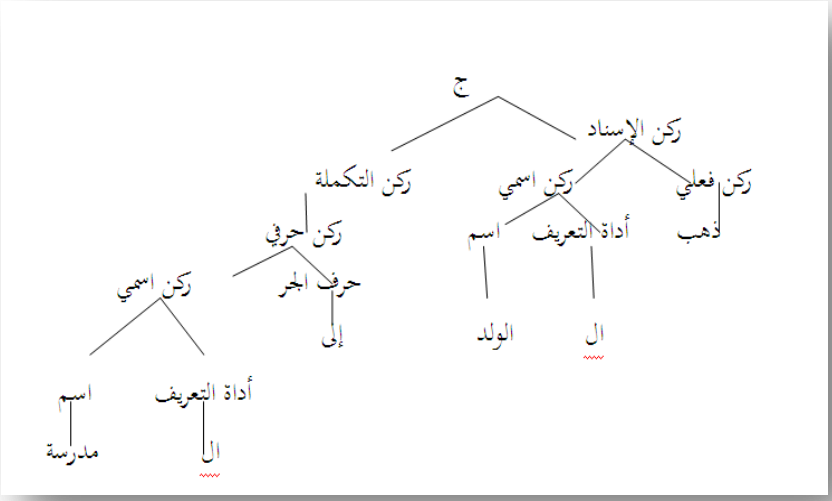

هذه الطريقة مكّنت التوزيعيين من حصر الجمل الإنجليزية كلها في تسعة أو عشرة نماذج أساسية تتفرّع عنها تراكيب كثيرة، لكن ما يؤخذ عليها أنها لا تدرس العلاقات بين مكونات الجملة، ولا وظائفها لاهتمامها بشكل التركيب لا بمحتواه.

ب– الاتجاه التوليدي التحويلي: زعيم هذا الاتجاه "نوام تشومسكي(1928م) Noam Chomsky"، فلقد اعتمد في وضع نظريته على المسلَّمات التالية: [1]

- **حول اللغة واكتسابها:**

أ–إن الطفل يتعلم هذه اللغة الأم من المحيط الذي يعيش فيه ، دون النظر إلى جنسيته أو أصله أو انتمائه.

ب–إن الطفل يتعلم اللغة الأم بسرعة فائقة(يتعلم التوليد ، التحويل..).

ج–إن الطفل يستوعب لغة ما، فيملك معرفة ضمنية لها: تسمى: الملكة والقدرة، تستخدم بالفطرة.

د–إن الطفل يعبّر باللغة في وضعيات معينة بكيفيات مختلفة ويسمى الأداء أي تحقق الملكة وإنجازها.

- **البنية العميقة والبنية السطحية:**

يهتم تشومسكي بالوصول إلى البنية العميقة، والأصل ليتم التواصل بنجاح مع المتكلم وفهم مقصده، فالبنية العميقة تبحث عن الأصل في الجملة والبنية السطحية هي التي نجد فيها الإضافة والحذف والتقديم والتأخير ...ولابد من تحديد الأصل–أولا–ثم البحث عن التحولات الطارئة التي وصلت بالجملة إلى بنيتها السطحية.

- **طريقة التحليل التحويلي التوليدي:**

يتخذ التحليل التحويلي التوليدي الجملة أساسا له، ويتم ذلك على المستويات الثلاثة:

---

[1] ينظر:

–شفيقة العلوي، **محاضرات في المدارس المعاصرة**، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت–لبنان، ط1، 2004م، ص40 وما بعدها.

–خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم**، ص35–38.

المكون التركيبي-المكون الدلالي-المكون الصوتي الوظيفي(الفونولوجي).

وما يهمنا في هذا المقام هو مستوى المكون التركيبي الذي يفرد لكل جملة بنية عميقة تمثل التفسير الدلالي للجملة، وبنية سطحية تمثل التفسير الفونولوجي للجملة حيث يصبح التركيب محور الكلام.

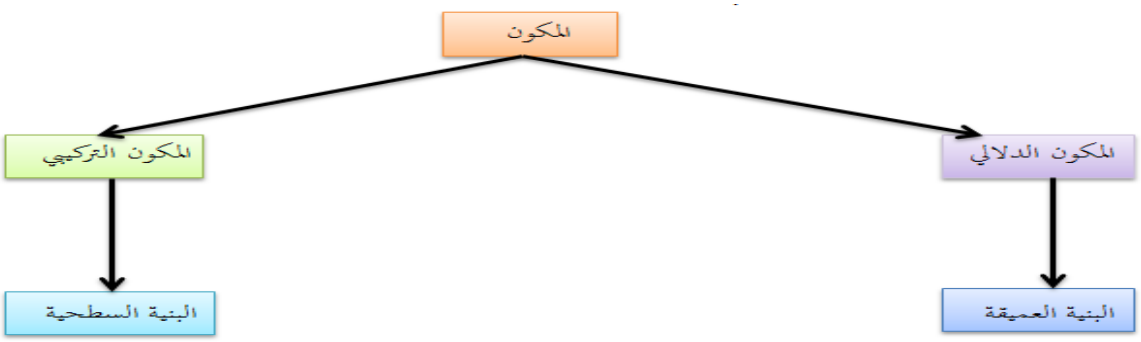

وخلاصة الحديث عن هذا الاتجاه أنه لم يسلم هو الآخر من الانتقادات؛ حيث تعامل النحو التحويلي التوليدي في نموذجه التحليلي للغة مع لغة مثالية، وأبنية مثالية، في مواقف مثالية وهو النقد الذي ستوجهه الاتجاهات الوظيفية والاجتماعية في الدراسات اللغة كما سنرى فيما بعد.

ج-الاتجاه الوظيفي:

يعود الاتجاه الوظيفي إلى جملة بحوث وأعمال لسانية لم تستقر في فترة معينة، ولا عند دارس معين؛ حيث يمكن الحديث عن الوظيفة بداية من أعمال البراغيين، حين ميَّزوا بين علم الأصوات وعلم الأصوات الوظيفي، وقد وُصفت أعمالهم بأنها تهتم بالوجهة الوظيفية للجملة، لاهتمامهم بدراستها ضمن مفهوم التواصل، بعدّه وظيفة أساسية في النشاط اللغوي عند الإنسان.

ومن ثمرات الدراسات الوظيفية في السبعنيات النحو الوظيفي، الذي يعد من أشكالها العامة، ويهتم بوظيفة اللغة الأساسية(التواصل)، وموضوع اللسانيات في نظره هو وصف القدرة التواصلية لدى المتكلم والسامع مما جعل بعضهم يعدّه نظرية في التركيب والدلالة من وجهة نظر تداولية وتقدم في هذا المجال بحوث "سيموندیك"(Symondic)[1]، وخير ما مُثل في هذا الاتجاه" هو **"ما يكل هاليداي(1925م)" Michael Haliday**[2] وهو يقوم على فكرة رئيسية هي أن للغة وظائف متعددة، وكل وظيفة منها يتوصل إلى تحقيقها

---

[1] ينظر:

-أحمد المتوكل، **آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي**، دار الهلال العربية، الرباط، ط1، 1993م، ص5 وما بعدها.

ـــــــ، **الوظائف التداولية في اللغة العربية**، دار الثقافة-الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م، ص38 -89.

[2] ينظر: محمود أحمد نحلة، **علم اللغة النظامي-مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي** ، ملتقى الفكر، دب، ط2، 1422هـ/ 2001م، ص91-99.

باستعمال تراكيب معينة، وتلك التراكيب تقل أو تكثر حسب اللغة المستعملة وهو ما يجعل لكل لغة إمكانات خاصة بها في التعبير، والمطلوب-حسب هاليداي-زيادة على تقدم-مقولات خاصة استعملها في تحليل الجملة أهمها: [1]

-المنفِّذُ: في قولك سافر علي(لأنه من يقوم بالفعل). منْ نفّذ الفعل.

-المتأثر: في قولك: مات الرجل(لأنه فاعل وقع عليه الفعل). من تأثّر به.

-الهدف: في قولك: نفّذ الجندي العملية(لأنها وقع عليها الفعل).

-المستفيد: في قولك: سلمت الولد جائزة(لأنه جنى ثمرة الفعل).

سمي العناصر التي تقوم بالفعل أو يقع عليها الفعل أو تستفيد منه عناصر مشتركة مميزا بين الحركة(نحو: أكل، جرى)، والحدث(نحو/ سقط، اندلع)، هذه المقولات هي عبارة عن وظائف دلالية لا تتضارب مع الوظائف التركيبية (نحو: فعل وفاعل ومفعول به)؛ بل تتكامل وإياها.

والخلاصة فقد اهتمت المدارس اللسانية الغربية الحديثة بالمستوى التركيبي، كل من وجهة نظره الخاصة؛ حيث حاولت كل مدرسة أن تطور التحليل التركيبي بما يخدم اللغة ويسهل الوصول إلى معانيها ودلالاتها، ويفسر كذلك طرق اكتسابها.

- **في التراث البلاغي العربي:**

قلنا إنَّ السياق النحوي شبكة من العلاقات النحوية تقوم كل علاقة فيها عند وضوحها على إضاءة المعنى، وقد يعتمد وضوح المعنى أو إنتاج الدلالة على التآخي والتضافر بين قرائن السياق النحوي، وسأوضح أثر القرائن النحوية في بيان الدلالة من خلال السياق، ومن هذه القرائن:

- **التقديم والتأخير:**

جهود البلاغيين في دراسة التقديم والتأخير

1-البلاغيون القدامى :

ولقد أشار إلى ذلك البلاغيون في البحث عن التقديم والتأخير، وأسرارها البلاغية البيانية، فركَّزوا على دلالات التراكيب وبيان أثر ذلك في المعنى، فربطوا تحوّل عناصر الجملة التركيبية عن موضعها بالدلالة، فتوجهت جهودهم نحو استقصاء الدَّلالات والمعاني لا تأخير القواعد وتأصيلها.

[1] صورية جغبوب، **قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان، من إشراف: عز الدين صحراوي، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2012م، ص96.

فابن "**سنان الخفاجي**"(**466هـ**) لم ينظر إلى التقديم والتأخير نظرة شاملة فحسب، وإنما ذكره في نطاق ضيّق عندما كان يتحدث عن الشروط الخاصَّة بالتأليف منها"وضع الألفاظ في وضعها حقيقةً أو مجازا، يقول: ((ومن وضع الألفاظ موضعها أن لا يكون في الكلام تقديم وتأخير حتَّى يؤدي ذلك إلى فساد معناه وإعرابه في بعض المواضع أو سلوك الضّرورات حتى يفصل فيه بين ما يقبح فصله في لغة العرب كالصّلة والموصول وما أشبههما))[1]، رأيت أنَّه إذا كانت الألفاظ في مكانها لا يكون هناك تقديم وتأخير حتَّى لا يحدث خلل في معنى الجملة، وفي ضوء ذلك استشهد "**ابن سنان**" ببعض الأمثلة عن التقديم والتأخير التي تتنافى مع شروط صحّة تأليف الكلام، ومن هذه الأمثلة قول أبي الطيب: [2].

المَجْـــدُ أخْسَـــرُ والمَكَـــارِمُ صَـــفْقَةُ مِـــنْ أنْ يَعـــيشَ لهـــا الهِمَـــامُ الأرْوَعُ.

ففي هذا البيت قُدِّم "أخسر" على المكارم"، وفصل بين المعطوف والمعطوف عليه بالخبر وهو أخسر؛ و تقدير الكلام: المجد والمكارم أخسر صفقة.

ويبدو أن عبد "**القاهر الجرجاني**"(**ت471هـ**) أدرك تركيز النحاة على جانب التقديم والتأخير دون العناية الكافية بالمعنى المترتب على ذلك، وأفرد فصلا للتقديم والتأخير في كتابه"دلائل الإعجاز"وظّفَ فيه ارتباط علم المعاني بعلم النحو، إذ يرى أن التّركيب النحوي الصحيح، وهو الذي يأتي بوظائف مختلفة ، فليس النظم عنده، وقد قال: ((واعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهِجَتْ فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسِمتْ لك فلا تُخِلُّ بشيء منها))[3].

وقد لاحظ عبد القاهر أن النحويين لا يتغلغلون إلى معرفة دقائق الكلام، الفروق بين التراكيب، ووجوه الاختلاف بينها في درس التقديم والتأخير، يقول: ((واعلم أنَّا لم نجدهم اعتمدوا فيه شيئا-يجرى مجرى الأصل-غيرَ العناية والاهتمام، قال صاحبُ الكتاب، وهو يذكر الفاعل والمفعول: وكأنهم يقّدّمون الذي بيانهُ أهمُّ لهم، وهم بِبَيانِهِ أعْنى، وإن كانا جميعا يُهِمَّانهم ويَعْنِيانهم))[4].

والتقديم عند **الجرجاني** نوعان: تقديمٌ على نيّة التأخير، وذلك كخبر المبتدأ إذا قُدمَ عليه، والمفعول به إذا قُدِّمَ على الفاعل، وتقديم لا على نية التأخير، ولكن على أن ينقل الشيء من حكم إلى آخر وذلك أن تجيء إلى اسمين يحتمل أن يكون كل منهما مبتدأ، ويكون الآخر خبرا له، فتقدم مرة هذا على ذاك، وأخرى ذاك على هذا،

[1] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص111.
[2] نفسه، ص112.
[3] الجرجاني، **الدلائل**، ص81.
[4] نفسه، ص107.

ومثله ما تصنعه بزيد المنطلق حيث تقول مرة: "زيد المنطلق" وأخرى"المنطلق زيد" فقد تغيّر حكم الإعراب، وتغير المعنى أيضا[1].

فعبد القاهر الجرجاني يرى أن التقديم يؤدي فيه إلى تغيير الدلالة؛ لأنه تقديم يتم في نطلق الجملة التي تحكمها قواعد النحو، ومناهجه التي نهجت، ورسومه التي رسمت، وقد أفاض عبد القاهر في الحديث عن التقديم بعد همزة الاستفهام، وأبرز أثره في تحديد دلالة الصياغة والتعبير، ثم تحدث عن أثر التقديم بعد النفي، وعن أثر التقديم في الإثبات، وما يتبعه من تقديم(مثل وغير).

1-التقديم والتأخير في سياق الإثبات(الخبر المثبت):

لقد كان **عبد القاهر الجرجاني** متمثلا لكثير من الرؤى البلاغية مستوعبا لها أيَّما استيعاب، ومدركا لدقائقها وأسرارها البلاغية وقيمتها السياقية في كثير من الجوانب كما رأينا، ونجده يتابع سابقيه أيضا في بيان التقديم والتأخير في الخبر المثبت وأسراره البلاغية، معتمدا القصد معيارا تداوليا في التَّمييز، ومعلوم أنَّ المعنى يرتبط دوما بما يريده المتكلم ويعنيه، كونه منتج الخطاب، **يقول الجرجاني**: فإذا قدّمت الاسم فقلتَ "زيدٌ قد فعل"، و"أنا فعلتُ"، و" أنت فعلتَ"، اقتضى ذلك أن يكون القصدُ إلى الفاعل، وقولي القصد إلى الفاعل (....) ويمثل لذلك فيقول: "هو يُعطي الجزيلَ"، " هو يحبُّ الثناءَ" فلا تريد أن تزعم أنه ليس هنا من يعطي الجزيل ويحب الثناء غيره، فهنا أنت لا تريد الحصر؛ بل أن تحقق على السَّامع أنَّ إعطاء الجزيل دأبه، وتمكن هذا الحديث في نفس المستمع[2]، يشير **الجرجاني** في هذا النص إلى ارتباط التركيب الخبري بالوظيفة التواصلية التي يؤدّيها، وقصد المتكلم في الاستعمال، فقصد المتكلم هو أساس الخطاب التواصلي، وتراكيبه، وكيفية نظمها مرهونة بما يروم إنجازه وإفادته لسامعه، فالتركيبان: "زيدٌ قد فعل"، و" أنا قد فعلتُ"، تقدّم فيهما المسند إليه(الفاعل)، فتفيد قوَّتها الإنجازية زيادة المعنى قوةً وتأكيدا، فالقصد إلى تقديم الفاعل في مثل هذا يقتضي حسب الجرجاني وجهين، أو يحقق غرضين، يميّز سياق الاستعمال بينهما:[3]

❖ الأوَّل: أن يكون القصد التواصلي إثبات أنَّ المتكلم هو فاعل الفعل، فيدَّعي الانفراد في القيام بذلك الفعل، ويجعل نفسه مخصوصة به دون غيره.

❖ الثاني: القصد إلى تمكين الفعل في نفس السَّامع، وتأكيده وإثباته، نحو قولهم: "هوّ يُعطي الجزيلَ"، فقصد المتكلم يتجاوز حصر المعنى وتخصيصه إلى تأكيد وإثبات أنَّ إعطاء الجزيل والكرم دأبُ من يتحدثان عليه، فينتقل المتكلم كل هذا وأكثر، بتراكيب كلامية تحمل تحولات في بنيتها بما يتناسب مع الموقف التواصلي في عمومه.

---

[1] ينظر: السابق، ص106-107.

[2] ينظر: الجرجاني، **الدلائل**، ص128-129.

[3] ينظر: بسيوني عبد الفتاح فيود، **دراسات بلاغية**، مكتبة لسان العرب: مؤسسة المختار، مصر الجديدة، ط1، 1419هـ/1998م، ص67 وما بعدها.

ولم يكتف **الجرجاني** بهذه الأمثلة؛ بل انتقل إلى التَّمثيل لهذا النظم المخصوص بالتقديم والتأخير في الإثبات بأمثلة من النظم القرآني أرقى درجات البلاغة، وأعلى مستويات النَّظم، فنجده يمثّل للظاهرة بنظم قرآني بليغ؛ حيث قُدّم فيه المسند إليه ليفيد معنى مهما لا يحققه التركيب دونما هذا الإجراء، يقول الله تعالى:﴿ **وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لَّا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ** ﴾[الفرقان:3]، فليس المراد تخصيصهم بالمخلوقية؛ بل أراد بتقديم الضَّمير "هم" زيادة في قوة فعل الكلام المتحقق بهذا النَّظم المخصوص"هم يُخْلَقُونَ"، وهو أثر تداولي مهم، وسرٌ بلاغيّ دقيق أحسن الجرجاني استيعابه وإدراك أهمّيته عمل عبد **"القاهر الجرجاني"**، فتمثله وروَّج له بطريقته.

فتقديم المسند إليه يفيد تقوية الحكم بثبوت الفعل للفاعل، وتوكيده وتقريره في ذهن السَّامع، وإبعاد الشَّك عنه والتَّردد فيه، يقول عبد **"القاهر الجرجاني"**: ((فإنْ قلت: فمن أين وجب أن يكون تقديمُ ذكر المحدّث عنه بالفعل له، وأن يكون قوله((هما يلبسان المجد))، أبلغ في جعلهما يلبسانه من أن يقال: (يلبسان المجد؟، فإن ذلك من أجل أنه لا يُؤتى به مُعرَّى من العوامل إلا لحديث قد نُوي إسنادُه إليه، وإذا كان كذلك فإذا قلتَ"عبد الله" فقد أشْعرتَ قلبَه بذلك أنَّك قد أردت الحديث عنه، (...)، فدخل على القلب دخول المأنوس به، وقَبِلَه قَبُول المهيأ له المطمئنّ إليه، وأنفى للشبهة، وأمنعُ للشك، وأدخل في التحقيق))[1].

2–سياقات لتقديم الفاعل على الفعل وإفادة التنبيه والتحقيق:

أشار البلاغيون العرب وعلى رأسهم "الجرجاني والسكاكي" إلى أنَّ تقديم الفاعل على الفعل لإفادة التنبيه والتحقيق غرض تقتضيه مقامات مختلفة وجب أن يكون مناسبا لها محققا للقصد المتوخى منه لإزالة ما يكتنف السَّامع في تلك المقامات، منها:[2]

أ–مقام الشَّك والاعتراض: فهنا سياقا في مسائل **الوعد والضَّمان**، يقول الجرجاني: ((ومما يحسن ذلك فيه ويكْثُر، الوعدُ والضَّمانُ، كقول الرَّجل: أنا أعطيك، أنا أكفيك، أنا أقوم بهذا الأمر، وذلك إذا كان من شأن من تعده وتضْمَنُ له، أن يعترضه الشَّكُّ في تمام الوعد وفي الوفاء به، فهو من أحوج شيء إلى التأكيد))[3]، واضح جدا عناية الجرجاني هنا بمقتضى الحال أو سياق الاستعمال، وضرورة ارتباط بنية التركيب بالحال التي سيقال فيها، فإن لم يكن هناك داعٍ للشّك لم يحتج المتكلّم في إنجاز نظمه المخصوص إلى تأكيده وتقوية درجة شدته بالتقديم والتأخير، وإلا لم يكن النَّظم ملائما لسياق الاستعمال.

---

[1] الجرجاني، **الدلائل**، ص131–132.

[2] باديس لهويمل، "**مقاصد التداولية للتقديم و التأخير في كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي**"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدراية، جامعة محمد خيضر، بسكرة/ الجزائر، 2020/5/5م، ص6.

[3] الجرجاني، **الدلائل** ، ص134، وباديس لهويمل، "**مقاصد التداولية للتقديم و التأخير في كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي**"، ص6.

ب–مقام المدح والفخر: يتم هذا المقام تمهيدا للمدح تقديم المسند إليه في التركيب بذكره أوّلا دفعا للشّك وإبعاده للشبهة فيه، إذ يقول "**الجرجاني**": ((وكذلك يكثر في المدح، كقولك: "أنتَ تُعطي الجزيلَ، أنت تقْرِي في المِحْلِ، أنت تجوُد حينَ لا يوجدُ أحدٌ))[1].

وعموما يدور طرح عبد "**القاهر الجرجاني**" هنا حول المواضع وحسن الاستعمال بحسب القصد والغرض التواصلي، فبيّن أن هناك مواضع لا تستقيم إلا ببناء الفعل على الاسم أي تقديم الفاعل نحو ما ورد في قوله تعالى:﴿ **إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ** ﴾[الأعراف:196]

3–التقديم والتأخير في سياق النفي:

يشير الجرجاني في تحليله للتقديم والتأخير في سياق النفي في" دلائل الإعجاز"، أنَّ ما يطرأ من تغيير في بنية الجملة بالتقديم والتأخير يؤدي إلى تغيير المعنى أو تأكيده وتخصيصه على نحو ما يناسب سياق الاستعمال، ويوافق مقصد المتكلّم مُنتج الخطاب، فكلّ تغيير عن النّمط التركيبي الأصل سواء في النفي أو الاستفهام أو الإثبات،وفي هذا الصدد يقول "**الجرجاني**": ((النفي إذا قلت" "ما ضربتُ زيدا"، كنتَ نفيت عنك ضرْبَه، ولم يجب أن يكون قد ضُرب؛ بل يجوز أن يكون ضربَه غَيْرك، (أي نفيت عن نفسك ضربا واقعا بزيد، وذلك لا يقتضي كونه مضروبا؛ بل ربّما لا يكون مضروبا أصلا)، وإذا قلت: " ما أنا ضربتُ زيدا" لم تقله إلا وزيدٌ مضروبٌ، وكان القصد أن تنفي أن تكون أنت الضّارب))[2]، يدل هذا النَّص بوضوح أنَّ التراكيب الجملية المنطوية على تقديم وتأخير في سياق النفي ترتكز في تحوّلاتها التركيبية إلى مقاصد المتكلمين وسياقات المعنى الذي يروم التعبير عنه.

فحينما يستخدم المتكلّم النمط: أداة النفي+الفعل+الفاعل؛ حيث يقدّم الفعل على الفاعل نحو: "ما ضربتُ زيدا، فالقصد نفيُ فعل الضّرب عن المتكلم دون إثبات لحصول الفعل من عدمه، أي إنَّ هذا التركيب يدّل على الإخبار المجرّد ومفاده نفي حصول الفعل عن المتكلّم المقصود، ويوحي أنَّ الفعل غير حاصل، وغير مؤكّد وقوعه، فيمكن أن يقع ويمكن أن لا، حسب حال المتكلم ومقامه، في حين يؤدي القول الثاني: "ما أنا فعلتُ"، معنى الاختصاص الذي يخصّ فيه الفاعل بنفي الفعل عنه[3]، وهذا الذي يحدث مع الفعل والفاعل حين تقدم أحدهما في أسلوب النَّفي، يحدث حين يُقدّم المفعول به، حيث يختلف هنا المعنى ليُؤكد أن له قصدا آخر، فإذا قلنا"ما زيدا ضربتُ، ، فقدمت المفعول، كان المعنى على أنَّ ضربا وقع منك على إنسان، وظُنَّ أن ذلك الإنسان زيد، فنفيت أن يكون إياه[4] ، يفيد التركيب فعلا كلاميا إخباريا منفيا، القصد منه أنَّ المتكلم لم يضرب زيدا مع تأكيد حصول الفعل مع شخصٍ آخر غير زيد.

---

[1] باديس لهويمل، "**مقاصد التداولية للتقديم و التأخير في كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي**، ص6.

[2] الجرجاني، **الدلائل**، ص124.

[3] ينظر: القزويني، **الإيضاح** ، ج2، ص53-54.

[4] ينظر:

ويمكن إيجاز منطق استعمال كل تركيب ومقامه:[1]

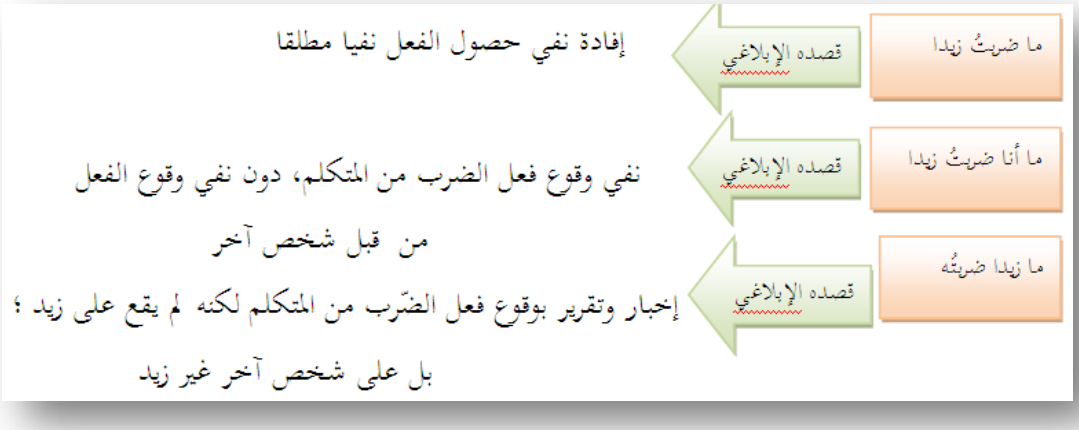

فالفائدة التي يجنيها المخاطَب من تقديم الفعل تختلف عن التي يجنيها من تقديم الفاعل، وعن الفائدة التي يجنيها من تقديم المفعول به، فلكل منها قواعد التداولية ومقاصد الإبلاغية، وكل هذا يدل أن **الجرجاني** يشير بوضوح إلى كون منطق اللغة العربية يقوم على التعبير عن المعنى بطرق مختلفة تستندُ إلى القصد، ومقام التواصل، وترتبط فيها البنية اللغوية بالوظيفة التي تؤديها، وبناء عليها يتم تقديم أو تأخير الكلمات لتحقيق مزيد من التخصيص والتأكيد للمعاني.

وأشار "**ابن الأثير**" إلى ضربين من التقديم والتأخير: [2]

الأول: يختص بدلالة الألفاظ على المعاني، ولو أخر المقدم أو قدم المؤخر لتغير المعنى.

والثاني: يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى.

فأما الضرب الأول، فإنه ينقسم إلى قسمين:

أحدهما: يكون التقديم فيه هو الأبلغ.

والآخر: يكون التأخير فيه هو الأبلغ.

فأما القسم الذي يكون التقديم فيه هو الأبلغ، فكتقديم المفعول على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، وتقديم الظرف أو الحال، أو الاستثناء على العامل.

-الجرجاني، **الدلائل**، ص125-126.

-مسعود صحراوي، **التداولية عند علماء العرب**، ص199.

[1] باديس لهويمل، "**مقاصد التداولية للتقديم و التأخير في كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي**"، ص7.

[2] ينظر: ابن الأثير، **المثل السائر** ، ج2، ص172-173.

فمن ذلك تقديم المفعول على الفعل، كقولك: زيدا ضربت، وضربت زيدا، فإن في قولك: زيدًا ضربت تخصيصا به بالضرب دون غيره، وذلك خلاف قولك: "ضرب زيدا"؛ لأنك إذا قدمت الفعل كنت بالخيار في إيقاعه على أي مفعول شئت، بأن تقول: خالدا، أو بكرا، أو غيرهما وإذا أخرته لزم الاختصاص للمفعول.

وكذلك تقديم خبر المبتدأ عليه، كقولك: زيد قائم، وقائم زيد، فقولك: "قائم زيد" قد أثبت له القيام دون غيره، وقولك: "زيد قائم" أنت بالخيار في إثبات القيام له، ونفيه عنه، بأن تقول: ضارب، أو جالس، أو غير ذلك.

والثاني: يختص بدرجة التقدم في الذكر لاختصاصه بما يوجب له ذلك، ولو أخر لما تغير المعنى.

كما أن "**السكاكي**" يأخذ بملاحظة سيبويه(180هـ) في التقديم فيقول: ((والحالة المقتضية (...) لذلك كون العناية بما يقدم أتمّ وإيراده في الذّكر أهمّ، والعناية التّامة بتقديم ما يقدّم والاهتمام بشأنه))[1].

والعناية هي الغرض البلاغي للتقديم عند السكاكي، وعلى هذا الأساس يقسّم التقديم للعناية إلى قسمين:[2]

أحدهما: أن يكون أصل الكلام في ذلك هو التقديم ولا يكون في مقتضى الحال ما يدعو على العدول عنه كالمبتدأ المعرّف فإن أصله التقديم على الخبر نحو "زيدٌ عارفٌ" وكذلك الحال المعرّف فأصله التقديم على الحال، نحو "جاءَ زيدٌ راكباً "وكالعامل فأصله التقدم على معموله نحو "عَرَفَ زيدٌ عمراً و""كان زيدُ عارفا" و"أنَّ عارف ومن زيد وغلام عمرو كالفاعل فأصله التقدم على المفعولات وما يشبهها من الحال والتمييز، نحو "ضربَ زيدُ الجاني بالسُّوطِ يومَ الجمعةِ أمام بكر ضربا شديدا تأديبا لهُ ممتلئا من الغضب وامتلأ الإناء ماء وكالذي يكون في حكم المبتدأ من مفعولي باب "علمتُ" نحو علمتُ زيدا منطلقاً أو في حكم فاعل من مفعول باب" أعطيتُ" و" كسوتُ"، نحو" أعطيتُ زيدا درهما" و"كسوتُ عمراً جُبَّةً (...)، وكالمفعول المتعدى إليه وساطة فأصله لتقدم على المتعدى إليه بوساطة نحو "ضربتُ الجاني بالسُّوط وكالتوابع فأصلها أن تذكر مع المتبوع.

وثانيهما أن تكون العناية بتقديمه والاهتمام بشأنه لكونه في نفسه نصب عينك وأن التفات الخاطر إليه في التزايد كما تجدُكَ قدْ مُنِيتَ بِهجر حبيبك، وقيل لك ما الذي تتمنى؟ تقول: وجه الحبيب أتمنى ، أو لعارض يورثه ذلك كما إذا أخذت في الحديث وتوهمت لقرائن الأحوال من أنت معه في الحديث مُلْتفِت الخاطر إليه، ينتظر أن تذكره صالحا أوردته، كقوله تعالى: ﴿**وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ**﴾ [يس: 20]:، قُدِّم فيه المجرور لاشتمال ما قبله على سوء معاملة أهل القرية من إصرار على تكذيبهم، فكان مَظِنَّة أن يلعِنِ السامع تلك القرية.

[1] السكاكي، **المفتاح**، ج1، ص236.

[2] ينظر: نفسه، ص236-238.

2-البلاغيون المحدثون:

تحدث البلاغيون المحدثون عن التقديم والتأخير، فعبد العزيز عتيق، يُسلم ((أن الكلام يتألف من كلمات أو أجزاء، وليس من الممكن النطق بأجزاء أي كلام دفعة واحدة. من أجل ذلك كان لا بد عند النطق بالكلام من تقديم بعضه وتأخير بعضه الآخر. وليس شيء من أجزاء الكلام في حد ذاته أولى بالتقدم من الآخر، لأن جميع الألفاظ من حيث هي ألفاظ تشترك في درجة الاعتبار، هذا بعد مراعاة ما تجب له الصدارة كألفاظ الشرط والاستفهام))[1]، ولتوضيح ذلك نشير إلى أنه يرى أن((تقديم جزء من الكلام أو تأخيره لا يرد اعتباطا في نظم الكلام وتأليفه، وإنما يكون عملا مقصودا يقتضيه غرض بلاغي أو داع من دواعيها،فكل ما يدعو بلاغيا إلى تقديم جزء من الكلام هو ذاته ما يدعو بلاغيا إلى تأخير الجزء الآخر. وإذا كان الأمر كذلك فإنه لا يكون هناك مبرر لاختصاص كل من المسند إليه والمسند بدواع خاصة عند تقديم أحدهما أو تأخيره عن الآخر، لأنه إذا تقدم أحد ركني الجملة تأخر الآخر، فهما متلازمان))[2].

وكما ذكر "**محمَّد عبد المطلب**" عن قضيّة التّحوّل في المسند إليه، فالتّحوّل عنده يصيب المسند إليه، ويأخذ شكل حركة أفقية، ينتقل فيها الدَّالُّ من موضعه الأصلي إلى موضع طارئ.ومقولة التَّقديم عنده قد تكون خالصة للبعد المعنوي، وإنَّ المسند إليه محكوم عليه أبدا، والمحكوم عليه متقدّم في الذهن على المحكوم به، ومقولة التقديم لا تكتسب حقيقتها الخالصة إذا كان المسند إليه فاعلا؛ لأنَّ موضعه الدَّائم هو التأخير عن الفعل، ومن ثم تنصرف مقولة التقديم إلى المبتدأ؛ لأن رتبته"غير محفوظة" هي التَّقديم[3].

ويرى "**أحمد مطلوب**" أن التقديم والتأخير يقع في الجملة، والجملة أصغر وحدة يتمّ بها معنى الكلام، ولابَّد من أن يكون فيها مسند ومسند إليه أي : فعل وفاعل ، أو مبتدأ وخبر، وذهب إلى أن تقديم الفعل أو تأخيره في الجملة ليس مسألة إعراب واختلاف فيه، وإنما يرجع ذلك إلى المعنى، فهو الذي يحدد تركيب الجملة ويوجب البدء بالفعل أو الاسم ، ويرى أنه في الجملة يمكن تقديم وتأخير الفعل لا من جهة المحل الإعرابي، وإنما من حيث المعنى الذي يعطيها الأكثر وضوحا ويبين تركيبها.[4]

وأشار "**أحمد مطلوب**" إلى أن التقديم والتأخير يؤثر ((في حكم كل جزء ويدل على المعنى الذي يُهْدفُ إليه، فإذا تساوى المبتدأ والخبر في التعريف أو التنكير كان المقدم منهما المبتدأ والمؤخر الخبر، وهو ما يحدده الغرض

---

[1] عبد العزيز عتيق، **علم المعاني**، دار النهضة العربية للنشر والتوزيع، بيروت/لبنان، ط1، 1430 هـ - 2009 م، ص136.

[2] نفسه، ص نفسها.

[3] ينظ: عبد المطلب محمد، **البلاغة العربية –قراءة أخرى–**، دار نوبار للطباعة،القاهرة، ط2، 2007م، ص235-236.

[4] ينظر: أحمد مطلوب ، **بحوث لغوية**، دار الفكر للنشر والتوزيع، جامعة تكريت/بغداد، ط1، 1406هـ/ 1987م، ص38-43.

فإن كان المراد الإخبار بأحدهما ، أُخِّرَ ليصبح وصفا للثاني أي مسندا ولولا هذا الهدف لم يكن لهذا التركيب أهميّة، ولأصبح عبثا أو ضرورة يلجأ إليها من لا يقدر على التعبير السليم))[1].

ورتبة المسند إليه عند "**أحمد مصطفى المرّاغي**"التقديم((لأنه المحكوم عليه، ورتبة المسند التأخير، إذ هو المحكوم به، وما عداهما فتوابع ومتعلقات تأتي تالية لهما في الرتبة، ولكن قد يعرض لبعض الكلم من المزايا ما يدعو إلى تقديمه، وإن كان حقه التأخير، فيكون من الحسن تغيير هذا النظام ليكون المقدم مشيرا إلى الغرض الذي يراد، ومترجما عما يقصد به))[2].

ثم تطرق إلى أحوال التَّقدم، وهي عنده أربعة:[3]

1-ما يفيد زيادة في المعنى مع تحسين في اللفظ.

2-ما يفيد زيادة في المعنى فحسب نحو: ﴿ **بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ**﴾، [الزمر:66]فتقديم المفعول في هذا لتخصيصه بالعبادة دون سواه، ولو أخر لم يفد الكلام ذلك.

3-ما يتكافأ فيه التقديم والتأخير، وليس لهذا الضرب شيء من الملاحة.

4-ما يختل به المعنى ويضطرب، وذلك هو التعقيد اللفظي، أو المعاظلة التي تقدمت كتقديم الصفة على الموصوف، والصلة على الموصول.

وقد أشار "**رجاء عيد**" إلى مسألة التقديم والتأخير بلاغيا، وهو يجيز تقديم الفاعل على الفعل، وتقديم الخبر على المبتدأ، ولكن يُنبّه إلى الخطورة التي تمكن في تحديد أسباب التّقديم، إذ يرى أنَّ الجملة قد تخرج ((عن نمطها التركيبي المعروف لغرض فنّي، فيتقدّم الفاعل على فعله،و يتقدم الخبر على مبتدئه، ولكن الخطورة تكمن في تحديد أسباب التقديم وتقنينها في نماذج لا تخدم تماما وجهة نظر البلاغيين))[4]. وحاول إرجاع التقديم والتأخير ((إلى فنية الأديب ، وهذا الفنّية المتشابكة مع حسّه الشعوري واللاشعوري، هي التي تتدخل في التركيب اللغوي للعبارة))[5].

الخلاصة

وعموما يمكن القول في مبحث التقديم والتأخير إنه باب بلاغي مهمّ، وآلية من آليات النظم التي ترقى به إلى مستوى بليغ من حيث التعبير عن المقاصد التواصلية بحسب مقتضى الحال، وهو ما يكسب التركيب تأثيرا

---

[1] السابق، ص51-52.

[2] أحمد مصطفى المراغي، **علوم البلاغة(البيان، المعاني البديع)**، دن، دط، دت، ص100.

[3] نفسه، ص100-101.

[4] رجاء عيد، **فلسفة البلاغية بين التقنية والتطور**، دار المعارف، الإسكندرية، ط2، دت، ص74.

[5] نفسه، ص79.

أعمق في نفس سامعه، ومن أهم الدلالات التي نستفيدها من التقديم والتأخير في التراكيب المنظومة بكيفية مخصوصة: التقرير، والإثبات، والتقوية والإنكار، وله التخصيص وإزالة الشك ودفع الشبهة عن المتلقي ليتقبل بصدق ما يقال له.

- **الحذف***:

لاشك أننا نعمد في حديثنا أو كتابتنا إلى حذف كثير من العناصر التي تتكرر في الكلام، أو التي نستطيع الاستدلال عليها من قرائن حالية أو مقالية، ونحن نستطيع فهم هذه العبارات التي حذف جانب منها ((اعتمادا على القرائن المختلفة بحيث لو افترضنا تجردها عن هذه القرائن للزمنا أن نعيد المحذوفات التي فهمنا معانيها من قبل دون أن نلفظ بها. إن فهمنا لكثير من العبارات الموجزة يعتمد على تقديرنا لألفاظ غير منطوقة في لغة الحديث أو غير مكتوبة فيما نقرؤه، ومن ثم فلا مجال لإنكار هذه الظاهرة جملة، على الرغم من إمكان وقوع الخلاف في بعض تفصيلاتها عند تقدير المحذوفات))[1].

وفائدة الحذف هي الإيجاز وتقليل الكلام، فيحذفون من الكلام قصدا للتخفيف، لكن يشترط في الحذف أن يكون السامع على علم به ، أي : إن الحذف لا يكون إلا لدليل، لذا يقول "ابن جني": ((قد حذفت العرب الجملة والمفرد والحرف والحركة وليس شيء من ذلك إلا عن دليل عليه، وإلا كان فيه ضرب من تكليف علم الغيب في معرفته))[2]. فالحذف كما عرفه الرماني بأنه : ((إسقاط كلمةٍ للأجزاء عنها بدلالة غيرها من الحال، أو فحوى الكلام))[3]، وعرفه "الزركشي" بقوله: ((إسقاط جزء الكلام، أو كله بدليل))[4].

فالحذف، من حيث مفهومه اللغوي يعني الإسقاط"، وهذا يُشعر بأنه العدمُ بعد الإتيان، لذلك فالمقصود بالحذف هو المفهوم الاصطلاحي وهو عدم الإتيان بالمسند إليه.

وفي هذا يقول **"حازم القرطاجني"** في منهاج البلغاء بخصوص هذا الجانب: ((إنما يحسن الحذف، ما لم يشكل به المعنى، لقوّة الدلالة عليه، أو يقصد به تعديد أشياء، فيكون في تعدادها طول وسآمة، فيحذف ويكتفي بدلالة الحال، وتترك النفس تجول في الأشياء المكتفي بالحال عن ذكرها على الحال، قال: وبهذا القصد يؤثر في

---

[1] طاهر سليمان حمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية، دط، 1998م، ص18-19.

[2] ابن جني، **الخصائص**، ج2، ص360.

[3] الرماني، **النكت في إعجاز القرآن**، ص76.

[4] الزركشي، **البرهان في علوم القرآن**، ج3، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1376 هـ - 1957 م، ص102.

-أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، **أساليب بلاغية، الفصاحة – البلاغة – المعاني**، وكالة المطبوعات – الكويت، ط1، 1980، ص160.

المواضع التي يراد بها التعجّب والتهويل على النفوس، ومنه قوله تعالى في وصف أهل الجنة: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ [الزمر:73]، فحذف الجواب؛ إذا كان وصف ما يجدونه ويلقونه عند ذلك لا يتناهى، فجعل الحذف دليلا على ضيق الكلام عن وصف ما يشاهدونه وتركت النفوس تقدّر ما شأنه، ولا تبلغ مع ذلك كنه ما هنالك، لقوله عليه الصلاة والسلام: :"لا عين رأت، ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر"))[1].

أمَّا "**ابن الأثير**" فيقول : ((والأصل في المحذوفات جميعها على اختلاف ضروبها أن يكون في الكلام ما يدل على المحذوف، فإن لم يكن هناك دليل على المحذوف، فإنه لغو من الحديث، لا يجوز بوجه، ولا سبب))[2].

ويقول أيضا: ((ومن شرط المحذوف في حكم البلاغة أنه متى أظهر صار الكلام إلى شيء غثّ، لا يناسب ما كان عليه أولًا من الطلاوة والحسن، وقد يظهر المحذوف بالإعراب كقولنا: أهلًا وسهلًا، فإن نصب الأهل والسهل يدل على ناصب محذوف، وليس هذا من الحسن ما للذي لا يظهر بالإعراب، وإنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، كقولنا: فلان يحل ويعقد، فإن ذلك لا يظهر المحذوف فيه بالإعراب، وإنما يظهر بالنظر إلى تمام المعنى، أي أنه يحل الأمور ويعقدها، والذي يظهر بالإعراب يقع في المفردات من المحذوفات كثيرًا، والذي لا يظهر بالإعراب يقع في الجمل من المحذوفات كثيرًا))[3].

- **أنواع الحذف:**

ويقول "**القزويني**" في هذا: ((اعلم أن الحذف على وجهين: أحدهما أن لا يقام شيء مقام المحذوف كما سبق، والثاني أن يقام مقامه ما يدل عليه كقوله تعالى: ﴿**فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُم**﴾[هود: 57] ليس إلا بلاغ هو الجواب؛ لتقدمه على توليهم، والتقدير فإن تولوا فلا لوم علي لأني قد أبلغتكم، أو فلا عذر لكم عند ربكم، وقوله: ﴿**وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِك**﴾[فاطر: 4] أي: فلا تحزن واصبر فإنه قد كذبت رسل من قبلك، وقوله: ﴿**وَإِنْ يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِين**﴾[الأنفال: 38] أي فيصيبهم مثل ما أصاب الأولين))[4].

وقد انتبه الشرّاح إلى أنَّ ظاهرة الحذف بصفتها حالا من أحوال المسند إليه، إنَّما تتعلق أساسا بالمبتدأ لا بالفاعل ؛لأن الفاعل "مستكن في الفعل "كما يقول "عبد القاهر الجرجاني"، يعلل "الدسوقي "ذلك بقوله: ((لأن الفاعل إذا حذف إمَّا أن يقوم شيء مقامه، كما في باب النّيابة وباب الاستثناء المفرغ، وباب المصدر ، ولا يحتاج الحذف حينئذ؛

---

[1] حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأدباء**، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008، ص353.

[2] ابن الأثير، **المثل السائر**، ج2، ص220.

[3] نفسه ص نفسها.

[4] القزويني، **الإيضاح** ، ج3، ص193-194.

بل الحذف للأمر الداعي له، وإمَّا لغرض لفظي كالتقاء السّاكنين))[1] من ثمَّة نفهم اقتصار المصنّف على حذف المبتدأ من المسند إليه:

-غايات الحذف فيُجمِلها المصنّف في الأمور التالية:

أولا: إمَّا لمجرّد الاختصار والاحتراز عن العبث بِناء على الظاهر، لدلالة القرينة عليه ، وإن كان في الحقيقة ركنا منا لكلام ، أو تخييل العدول إلى أقوى الدليلين من العقل واللفظ وقد مثل التفتازاني لذلك قائلا: قال لي : كيف أنت قلت عليل، لم يقل أنا عليل، للاحتراز والتخييل المذكورين، أو اختيار تنبه السامع عند القرينة[2].

ثانيا: وإمَّا لتخييل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل، وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشّهادتين؟[3].

ثالثا: وإمَّا لاختيار تنبه السامع له عند القرينة أو مقدار تنُبهه، وقد مثل لذلك "الدُسوقي" بمثال: ((كما إذا حضر عندك شخصان أحدهما أقدمُ صُحبة من الآخر، فتقول لمخاطبك، " والله حقيقٌ بالإحسان" تُريد أقدَمُهما صُحبةً، وهو زيدٌ مثلا حقيق بالإحسان، فتحذف ذلك المسند إليه اختبارا لمبلغ ذكائه، هل يتنبّه لهذا المحذوف ، بهذه القرينة التي معها خفاءٌ، وهي أن أهل الإحسان ذو الصّداقة القديمة دون حادثها أولا يتنبه له))[4].

رابعا: وإمَّا لإيهام أن في تركه تطهيرا له عن لسانك أو تطهيرا للسانكَ منه[5]، يقول الدسوقي: ((المراد بالإيهام إيقاع شيء في وهم السامع أي في ذهنه ولو كان على سبيل التحقق قاله الشارح في شرح المفتاح ومما ينبغي أن يعلم أن كما يجوز أن يعتبر من مقتضيات حذف المسند إليه إيهام صوّنه عن لسانك أو عكسه يجوز أن يعتبر إيهام صوّنه عن سماع المخاطب أو عكسه))[6]، ((أي إيهامُ صونِه أي المسند إليه عن لسانك تعظيما له أو عكسه أي إيهام صون لسانك عنه تحقيرا له))[7].

خامسا: وإما ليكون لك سبيلٌ إلى الإنكار إن مسّت إليه حاجةٌ، ويوضح التفتازاني هذا قائلا: ((أو تأتي الإنكار أي تيسيره لدى الحاجة نحو : فاجر فاسق عند قيام القرينة على أن المراد : زيد، ليأتي لك أن تقول: ما أردت زيدا بل غيره، أو تعينه والظاهر أن ذكره الاحتراز عن العبث يغني عن ذلك لكن ذكره لأمرين: أحدهما: الاحتراز عن سوء الأدب فيما ذكروا له من المثال؛ وهو خالق لما يشاء)).[8]

---

[1] الدسوقي، **الحاشية** ، ص205.

[2] القزويني، **الإيضاح**، ج2، ص4، والتفتازاني، **مختصر المعاني**، ص133 -134، الدسوقي، **الحاشية**، ص206.

[3] القزويني، **الإيضاح**، ج2، ص4-5.

[4] الدسوقي، **الحاشية**، ص208.

[5] ينظر: نفسه، ص208.

[6] نفسه، ص208.

[7] التفتازاني، **مختصر المعاني**، ص135..

[8] الدسوقي، **الحاشية** ، ص209، والتفتازاني، **مختصر المعاني**، ص135.

سادسا: وإما لأن الخبر لا يصلح إلا له حقيقة أو ادّعاء.[1]

وتنضاف إلى قائمة هذه الأسباب الستّة للحذف، أسباب أخرى يعددها التفتازاني في قوله: ((كضيق المقام عن إطالة الكلام بسبب ضجَرٍ، سآمة، أو فوات فُرصة، أو محافظة، على وزن، أو سجع، أو قافية، أو ما أشبه ذلك، كقول الصياد: "غزالٌ" أي هذا غزالٌ" وكالإخفاء عن غير السامع من الحاضرين مثل: "جاء"، وكاتّباع الاستعمال الوارد على تركه"أي ذِكر المسند إليه" مثل "رميةٌ من غير رامٍ))[2].، أي نجملها فيما يلي:[3]

- التحذير: ومثلوا له بقوله تعالى: ﴿**نَاقَةَ اللَّهِ وَسُقْيَاهَا** ﴾ [الشمس:13]، على تقدير محذوف"ذروا".
- الإغراء: ومثلوا له بقوله: "وسقياها" قالوا هو إغراء محذوف وتقديره"الزموا".
- التفخيم: ومثلوا له بقوله: ﴿**حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا**﴾ [الزمر: 73]، فحذف الجواب لما كان وصف ما يجدونه لا يوصف، فجعل الحذف على عجز الكلام عن وصفه لفخامة ما يجدونه.
- التخفيف: لكثرة وروده، ومثلوا له بحذف حرف النداء من قوله: ﴿ **يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا**﴾[يوسف: 29]،
- التحقير: ومثاله قوله تعالى: ﴿ **صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ** ﴾ [البقرة:18]، أي هم المنافقون.
- التعظيم: ويظهر هذا في نحو الأسماء الألقاب التي يشعر ذكرها بعظمة أصحابها وفخامتهم، فيما يثير ذكره في النفوس المهابة أو الإجلال.

كما تناول البلاغيون في مباحث علم المعاني سياقات الكلام التي يَرد فيها حذف أحد أطراف الإسناد، وذلك من منطلق أن النظام اللغوي يقتضي في الأصل ذكر هذه الأطراف، ولكنّ التطبيق العملي من خلال الكلام قد يُسقِط أحدَها اعتمادا على دَلالة القرائن المقالية أو الحالية.

وإذا كانت القاعدةُ المركوزةُ في أذهاننا تقول: إنَّ كلَّ زيادةٍ في المبنى تقتضي غالبا زيادة في المعنى؛ فإنَّ الحذفَ قد يكونُ –أحيانا–بخلاف تلك المسلمة؛ ومردُّ ذلك إلى ما يكتنِفُ بعض التراكيب من غموضٍ وإيحاء واحتمالاتٍ متعددةٍ لمعانيه؛، تذهبُ النَّفْسُ فيها كلَّ مذهبٍ.

وقد أشار إلى ذلك **ابنُ رشيق** بقوله: وإنما كان هذا –يقصد الحذف–معدوداً من أنواع البلاغة **لأن نفس السامع تتسع في الظن والحسابِ، وكل معلومٍ فهو هينٌ؛ لكونه محصوراً))**[4].

والبليغُ قد يسلُكُ الحذفَ تارةً سبيلا للإبانة، كما قد يسلُكه تارةً بقصد الإبهام، وهذا بحسب مُرادهِ ويحسنُ بنا وصحيحُ أنَّ الفصاحة هي الوضوحُ، غير أن الفصاحةَ في سياق الأدب الجميل لا تعني الكشف والسّفور مُطلقا؛

---

[1] السابق، ص209.

[2] التفتازاني، **مختصر المعاني**، ص137، و الدسوقي، **الحاشية**، ص209-210.

[3] ينظر: القزويني، **الإيضاح**، ج3، ص197، وعبد الرحمن حنبكة الميداني، **البلاغة العربية أسسها وعلومها وفنونها**، ج1، ص315

[4] ابن رشيق القيرواني، **العمدة**، ج1، ص251..

بل إنَّ الأدبيةَ أو الشعرية قوامها اللغة الموحية الغامضةُ نسبيا، والتي يكثُرُ فيها الانزياحُ والحذف والتكثيفُ؛ لأن الحذفَ البلاغي يدعُ للمتلقي فضيلةَ التَّأملِ المشاركةِ أو التفاعلِ مع النصِ من خلال تقدير المحذوف، وتلمُّس السِّرِّ الجماليّ وراءه.

وما من ريب في أن الحذفَ أدقُ أبوابِ البلاغةِ مَسلكا،و أكثرُها إعمالا للفكرِ، وقد عدَّه ابن جني(ت392هـ) من شجاعة العربية.

و"**عبد القاهر الجرجاني**"رأى فيه أمرا عجيبا شبيها بالسّحرِ، واستكثرَ عليه من الأمثلةِ من دون أن يُقررَ له ضوابطَ مُطردةً كالتي وضعهاَ المتأخرون فيما بعد؛ وذلك لوعيهِ أن الحذفَ لا سبيلَ إلى حصرِ مراميهِ؛ لأن فائدةَ الحذفِ لا تتعيّنُ من بنيةِ تركيبِ الكلامِ، بقدرِ ما تتعينُ مما يحيدُ به من قرائن وأحوالِ، ويرجعُ ذلك أيضا إلى مقدارِ علمِ السامعِ ونباهته إلى تدبُّره أعطافَ الكلامِ، لذا تراه قد اقتصرَ على تذوُقِ الشواهدِ البلاغيةِ دن تقعيدها؛ ليدعَ بابَ التأويل الجمالي مفتوحا لمن يشاءُ الغوصَ فيه.

والأساس العام لمفهوم الحذف ينطلق من الحاجة الفنية للمعبر في استخدام هذا النَّسق من الأداء، بحيث يكون العدول عنه إفسادا له، فإننا نرى فيه، كما يقول "**الجرجاني**": ((بابٌ دقيقٌ المسْلك، لطيفُ المأْخذ، عجيبُ الأمر، شبيهٌ بالسِّحر، فإنك ترىَ به تَرْك الذِّكْر أَفصحَ من الذكر، والصَّمْتَ عن الإفادة، أزيدَ للإفادة، وتجدُك أَنطقَ ما تكون إذا لم تَنْطِق، وأتمّ ما تكون بيانا إذا لم تُبِنْ))[1]، ويتأكد ربط هذا النسق من الأداء بطبيعة المتكلم في تحليله لقوله تعالى: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** ﴾[يوسف:81-82]، فلو جاء هذا المعنى ((في غير التنزيل لم تقطع بأن ههنا محذوفا، لجواز أن يكون كلامَ رجل مرَّ بقرية قد خَرِبتْ وباد أهلها، فأراد أن يقول لصاحبه واعظا ومذكرا، أو لنفسه مُتَّعظا ومُعْتبرا: سل القرية عن أهلها، وقُلْ لها : ما صنعوا؟ على حدِّ قولهم: سَلِ الأرض من شقَّ أَنْهارَك، وغَرَس أشجارك، وجَنَى ثمارك، فإنها إن لم تُجِبك حِوارا، أجابتْك اعتبارا))[2]، وذلك أمر يرجع إلى غرض المتكلم.

وقد يرتبط هذا النسق بالصياغة الفنية ذاتها، فلزوم الحذف يكون من أجل الكلام لا من حيثُ غرض المتكلم به، وذلك كأن يكون المحذوف أحدَ جزئي الجملة: **كالمبتدأ** في نحو قوله تعالى: ﴿**قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ** ﴾[يوسف:82-83] ، جاء على لسان يعقوب، لعلمه بمكر أولاده، وهو بما يحمله في إيمان في قلبه سيصبر على فقد ولده، ولا يعلم إن كان

[1] الجرجاني، **الدلائل**، ص146.

[2] عبد القاهر الجرجاني، **أسرار البلاغة** ، تح: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، 1409هـ/1988م، ص422.

سيطول صبره أم لا، فقال: ((فصبْرٌ جَمِيلٌ))، وتقدير الكلام: ((صبري صبرٌ جميل)) غير أن نفسيته المرهقة من الحزن كرهت إعادة الصبر مرتين، فلا بد من تقدير محذوف، ولا سبيل إلى أن يكون له معنى دونه، سواءٌ كان في التنزيل أو في غيره[1].

وفي ذلك يورد عبد القاهر سياقات الحذف من خلال النَّماذج ملاحِظا أن من مألوف الاستعمال وروده عند ذكر الديار، كقول الشاعر:

اعْتَاد قَلْبُك مِن لَيْلَى عوائِدُهُ وهـاجَ أهْـواءَك المَكْنونَـةَ الطِّلَـلُ

رَبْـعٌ قَـواءٌ أذَاعَ المُعْصِـرَاتُ بِـه وكُـلُّ حَيْـرَانَ سَـارٍ مَـاؤُهُ خَضِـلُ

أراد ذلك ربع قواء، أو هو ربْعٌ))[2]

وكما **يُضمَر المبتدأ يضمر الفعل** أيضا، كقول الشاعر:

دِيَارَ مَيَّــةَ إذْ مَــيَّ تُسَــاعِفُنَا ولا يُـرى مِثلُهـا عُجْـمٌ ولا عَـرَبُ

أنشده بنصب (ديارَ) على إضمار فِعل، كأنه قال: اذْكُر ديارَ ميَّةَ))[3].

وتعليق **عبد القاهر** على هذه النماذج يؤكد لزوم الحذف في مثل هذا السياق حيث يقول: ((وهذه طريقةٌ مُستمِرّة لهم إذا ذكروا الديار والمنازل))[4].

الموضع الثاني الذي يطّرد فيه حذفُ المبتدأ: **القطعُ والاستئناف**، حيث((يبدؤون بذكر الرّجل ويقدِّمون بعض أمره، ثم يَدَعُون الكلامَ الأول، ويستأنفون كلاما آخر، وإذا فعلوا ذلك أتوا في أكثر الأمر بخبر من غير مبتدأ، (وفي مثل هذا السّياق يغلب وجود الخبر من غير مبتدأ)، مثال ذلك قول الشاعر:

وعَلِمْــــتُ أنّي يَــــوْمَ ذا كَ مُنَــــازِلٌ كَعْبــــا ونَهْــــدا

قَــــوْمٌ إذا لَبِسُــــوا الحَــــدِي دَ تَنَمّــــروا حَلَقــــا وقِــــدَّا))[5]

الموضع الثالث الذي ((أُعْتيد فيه أن يجيء خبرا قد بُني على مبتدأ محذوفٍ قولُهم بعد أن يذكُروا الرجل: فتًى مِنْ صفته كذا، وأغرُّ مِنْ صفته كيت وكيت، كقوله:

ألا لا فَتىً بَعْدَ ابْنِ نَاشِرةِ الفَتَى ولا عُــرْفَ قــدْ تــولَّى وأدْبَــرَا

---

[1] ينظر: طاهر سليمان حمودة، **ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي**،ص109 وما بعدها.

[2] الجرجاني، **الدلائل**، ص146.

[3] نفسه، ص147.

[4] نفسه ص نفسها.

[5] نفسه، ص147-148.

فَـتًى حَنْظَلِـيٌّ مـا تَـزَالُ رِكَابُـهُ تَجُـودُ بِمَعْـرُوفٍ وتُنْكِـرُ مُنْكَـرا))[1]

- وهناك سياق آخر يكون فيه المفعول معلوما مقصودا يقول الجرجاني: وفي ذلك

يقول((قد عُلِم أنه ليس للفعل الذي ذكرت مفعولٌ سواه بدليل الحال، أو ما سبق من الكلام، إلا أن المتكلم تطَّرِحُه وتتناساه (...) وذلك الغرضُ أن تتوفّرَ العِناية على إثبات الفعل للفاعل وتخْلُصَ له، وتنصرفَ بجملتها وكما هي إليه؛ والشاهد الذي يقدمه قول عمرو بن معدي كرب:**فَلَوْ أنَّ قَوْمي أنْطَقَتْنِي رِمَاحُهُمْ نَطَقْتُ ولكِنَّ الرِّمَاحَ أجَرَّتِ))**[2].

حيث يقول معلقا عن هذا البيت(("أجرّت" فعلٌ متعدي ومعلوم أنه لو عدّاه لما عدَّاه إلا إلى ضمير المتكلم، نحو"ولكن الرمح أجرتني" وأنه لا يتصور أن يكون ههنا شيء آخر يتعدى إليه لاستحالة أن يقول: فلو أن قومي أنطقتني رماحهم، ثم يقول: ولكن الرماح أجرّت غيري؛ إلا أنك تجد المعنى يلزمك أن لا تنطق بهذا المفعول ولا تخرجه إلى لفظك، والسبب في ذلك أن تعديتك له توهم ما هو خلاف الغرض، وذلك أن الغرض أن يثبت أنه كان من الرماح إجرارا، بل الذي عناه أن يُبين أنها أجرته))[3]؛ فقد دلّ **السياق** على المحذوف، بالإضافة إلى أن هذا الحذف **لغرض وقصد** معين؛ فإن ذكر هذا المحذوف بطل هذا الغرض وانصرف ذهن **السامع** عن **القصدوالمعنى المراد**.

صفوة القول:

-إن الحذف أسلوب بلاغي له أهمية لا تخفى على العربي الفصيح، فالحذف من أساليب العربية التي تعتمد البلاغة عليها ، فلكل كلام ظروفه الخاصة به، فقد يكون من بلاغة القول أن تذكر الكلمة، وقد يكون من البلاغة أن تحذف، فلكل مقام مقال.

- إنَّ الحذف خصيصة من خصائص العربية امتازت بها عملا بالمقولة البلاغية: خير الكلام ما قلَ ودلَ، أو مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته، ولقد امتاز القرآن الكريم بالحذف وهو أسلوب أَلِفه العرب وعملوا به فهو ليس غريبا على دارس اللغة العربية على أن نميز بين الحذف الحاجة والحذف التعسف، إذ إنَّ من الحذف ما يؤدي إلى الغموض والاشتراك في المعاني لذلك يجب الانتباه إلى هذا الأمر.

[1] السابق، ص149.
[2] نفسه، ص156.
[3] نفسه، ص156-157.

○ **التعريف والتنكير**[*]:

تعتبر مسألة التعريف والتنكير من المواضيع المهمة التي تشغل حيزا كبيرا في مجال الدراسات اللغوية والبلاغية.

1-التعريف بالإضمار: يدّل على عموم الحاضر أو الغائب دون تخصيص لغائب أو حاضر بعينه، وهذا الحضور قد يكون حضورَ تكلُّم كأنا ونحن، وقد يكون حضورَ خطابٍ كأنتَ، وأنتِ، والغيبةُ تكون شخصية كهو وهي، وهذه الضمائر في مجملها لا يمكن وصفها بالتعريف أو تنكير في النظام-كما يقول " **تمام حسان**"[*] وإنما تكون معرفة حين ترتبط بالسياق، وتُعين على ذلك القرائن كالحضور بالنسبة للمتكلم والمخاطب، والمرجع بالنسبة للغائب[1].

فسياق التكلُّم يقتضي مجيء الضمير الذي يؤدي هذه الوظيفة، كقول النبي صلى الله عليه وسلم يوم بدر ((أنا النبيُّ لا كذب، أنا بن عبد المطلب)).وسياق الخطاب يستدعي ضميره كقول أمامَة الخَثْعميّة:[2]

وأنْتَ الذي أخْلَفْتَني ما وعَدْتَني وَأشْمَتَّ بي مَنْ كان فيهِ يَلومُ

وسياق الغيبة يستدعي ضميره-أيضا-شريطة أن يتقدَّم عليه مرجعه لفظا، أو معنى، تحقيقا أو تقديرا.

ويرى السكاكيُّ أن **مقام الحكاية** يمثل المقام الأساسي في الإضمار؛ كقول الشاعر:[3]

أنا الذي يجدوني في صدورهم لا أرتقي صدْرا منها ولا أَرِدُ

2- سياق التعريف بالعلَمِيَّة: يرتبط أساسا بقصد المتكلم، من حيث يريد بالعَلم إحضاره في ذهن السامع باسْمٍ يختص به، بحيث لا يُطلق على غيره باعتبار وضعه لهذه الذات المعينة ابتدائيا، أي للمرة الأولى ، وفي ذلك يقول "**السكاكي**": ((وأما الحالة التي تقتضي كونه علما فهي إذا كان المقام مقام إحضار له بعينه في ذهن السامع

---

[*] وللاستزادة أكثر في " **التعريف والتنكير**" ينظر:

- عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية –علم المعاني-، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعتها، دب، ط2، 1411هـ/1991م، ص69-80.

- أحمد أحمد بدوي، **من بلاغة القرآن**، إشراف: داليا محمد إبراهيم، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2005م، ص102-108.

[*] **تمام حسان**: تمام حسان بن عمر بن محمد داود، هو اللغوي الحديث من مصر، ولد تمام حسان في التاريخ27 من يناير 1918م، في كرناك"Karnak "، قريةصغيرة في دائرة قينا"Qina"، ووهو تلميذ فيرث ، توفي تمام حسان في التاريخ 11 أكتوبر 2011 في مدينة القاهرة، مصر، أشهر كتبه" الغة العربية معناها ومبناها"، "مناهج البحث في اللغة" (ينظر: أبو شهد مسلم، منتديات ستارتايمز، نبذة عن حياة العالم اللغوي"تمام حسان" ، https://www.startimes.com، 2011/10/22، 15:40)

[1] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص108-110.

[2] السكاكي، المفتاح، ج1، ص179.

[3] نفسه ص نفسها.

ابتداء بطريق يخصه))[1]، أي أن "المتكلم" يقصد أن يحضره ويبيّنه ل"السامع"، كقوله تعالى: ﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ** ﴾[المسد:1]، وكان اسمه عبد العزى، فعدل عنه إلى كنيته إهانة له، أو يكون في مقام يقصد فيه المتكلم **تعظيم** أو **تحقير** اسم العلم المذكور، أو أن "المتكلم"يقصد التبرك، أو أنه **يستلذ** أو يحبذ ذكره، أو التفاؤل أو التطير، وقد يمتد هذا السياق إلى المجال الإخباريّ، وإلى مجال الأسلوب القضائي على وجه الخصوص إذا أريد التَّسجيل على السامع في مجال لا يسمح له بالإنكار [2]

أما "**التفتازاني والدسوقي**" فيريان أن التعريف بالعلمية هو: ((تعريف المسند إليه بإيراده عَلما، وهو ما وُضع لشيء مع جميع مشخّصاته))[3]. والمشخّصات هي الصفات الحاصلة بطريق التّبع، فالمشخّصات جزء من الموضوع له.

ويبيّن الدّسوقي، في حاشيته، اعتراض المعترض على استعمال العلم استعمالا حقيقيا وذلك عند تبدّل المشخّصات، وأورد مثال الصفات الطفولية التي تحصل عند الوضع"وضع العلم"، ولكنها تزول في فترة الشباب أو الشيخوخة"كصغر الأعضاء وعدم النطق وعدم التمييز؛ فإن هذه كلها تزول عند الشبوبية والشيخوخة.[4]

أمَّا الجواب على هذا الاعتراض، فيتمثل في ((أن المراد بالمشخّصات المشتركة بين جميع أحواله التي تتحقّق بها جزئيّته وتمنع من وقوع الشّركة فيه "كالوجود الخارجي والحياة واللون المخصوص، ولاشكّ أنها أحوال لازمة له في سائر الأحوال مشخّصةٌ له، فهي المعتبرة(...) المراد بالمشخصات أمارات الشخص لا موجباته؛ لأن الشخص هو الموجود على النحو الخاص أو على حالة تقارنه أو تتبعه)) [5]، ويقول أيضا: ((الأعراض والصفات كالكمّ والكيف، أمارات يعرف بها الشخص كما تقرر في محله...))[6] ويستند الدّسوقي إلى النحاة في تمييزهم بين علم الشّخص وعلم الجنس، فالأوَّل علَمّيته حقيقية أما الثاني فحُكميَة"يؤخذ بها عند الضّرورة"[7].

---

[1] السكاكي، **المفتاح**، ج1، ص180.

[2] ينظر: نفسه ،ج1، ص181-182.

[3] مسعود بن عمر التفتازاني مع حاشية : الهند محمود حسن ، **مختصر المعاني"علم المعاني –علم البيان"**، مكتبة البُشرى كراتشي ، باكستان، ط1، 1431هـ/201م، مج1، ص141.

[4] ينظر: محمد عرفة الدسوقي على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني على **متن التلخيص**، دن، مصر، دط، دت ، ج1، ص217.

[5] نفسه ص نفسها.

[6] نفسه ص نفسها.

[7] ينظر: نفسه ص نفسها.

2.1.2 غايات التعريف بالعلمية:

يورد المصنّف أهدافا لإيْراد المسند إليه معرفا بالعلمية يرتّبها كما يلي: [1]

أ-إمَّا لإحضاره في ذهن السّامع ابتداءً باسم مختصّ به نحو قوله تعالى: ﴿**قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: 1].

ب-وإما لتعظيمه أو لإهانته كما في الكُنى والألقاب المحمودة والمذمومة.

ج-وإما للكناية كقوله تعالى﴿**تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾[المسد:1] ؛ أي : جهنميّ، مع أنَّ هذه الكناية لم تقع على المسند إليه بل على المضاف إليه.

د-وإما لإيهام استلذاذه أو التّبرّك به.

هـ-وإما لاعتبار آخر مناسب.

فهذه الاعتبارات التي جمعها صاحب التلخيص، تجعل تصريف طاقة التعريف أمرا معللا ذا غاية واضحة، وهذا ما يخرج عن البُعد التركيبي في الجمل التي يكون المسند إليه فيها اسما علما، ويدخل في البُعد التداولي للخطاب ؛ لأنه ينظر في علاقة الألفاظ"الأسماء الأعلام" بمراجعها في الواقع من جهة؛ ولأن المتكلّم لا يورد اسم العلَم فقط للتعيين "وهي الغاية الأساس لكلّ تعريف" بل ليُحقّق بذكره أهدافا تخاطُبيّة أخرى تنسجم مع علاقة المتكلم بمرجع اسم العلم من جهة أخرى، والملاحظ أن قائمة الاعتبارات التي توقّف القزويني عن تعدادها: وهي ((التفاؤل والتطير والتسجيل على السَّامع وغيره مما يناسب اعتباره في الأعلام))[2]، على أنَّ السعد نفسه ترك القائمة مفتوحة إذ رغم أنَّه أثراها باعتبارات أخرى، فإنَّه لم يغلقها حتى جاء الدَّسوقي فأضاف إلى ذلك اعتباريّن آخرين هما:[3]

أولا: التنبيه على بلادة المخاطب، وأنَّه لا يفهم إلا باسم المظهر ولا يفهم مع اختصار الكلام.

ثانيا: الحثّ على الترحَّم نحو : أبو الفقر يسألك.

فالكناية اعتبار قائم في حدِّ ذاته، ثم إنَّها تتفرّع إلى اعتبارات خاصة فكأنَّها نموذج عام"نمطي" يدل على اعتبار عام، ثم تتخصّص في السياق فتكتسب دلالات أخص.

---

[1] ينظر: مسعود بن عمر التفتازاني، **مختصر المعاني** ، ص143-147.

[2] نفسه ص نفسها.

[3] الدسوقي على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني على **متن التلخيص**، ص225.

على أننا إذ نشير إلى أن القزويني عندما خصص للكناية اعتبارا موازيا للاعتبار الذي يستفاد من الكُنى والألقاب"المحمودة والمذمومة"، إنما نلمح إلى السمة الموضوعية للكناية بخلاف الكُنية واللقب، والكناية موسومة وسما موضوعيا ، أما الكنية واللقب فموسمان وسما تقويميا تحسينا أو تهجينا"وهو ما عبر عنه بالتعظيم أو الإهانة"

3- سياق التعريف بالإشارة:

وضع"اسم الإشارة "في اللغة للدلالة على شيء معين، ومدرك لدى "السامع" ولكن ذلك لا يتم إلا بوجود قرائن لغوية أو مقامية، تساعد على تحديد دلالته وتعيينها، فـ((الضمائر جميعا مفتقرة إلى القرائن باعتبارها شرطا أساسيا لدلالتها على معين، فضمائر المتكلم والمخاطب والإشارة قرينتها الحضور، وأمَّا ضمير الغائب فقرينته المرجع المتقدم، إما لفظا أو رتبة أو هما معا))[1] ، ويعني ذلك أن قرينة اسم الإشارة الحضور عند التكلم ، أي أن تكون حاضرة عند تداول الكلام.

يقول **الدسوقي** : ((تعريف المسند إليه يعني لفظه، لأنه الذي يعرّف وقوله لتمييزه أي المسند إليه أي معنى المسند إليه ففي الكلام استخدام ذكر المسند إليه: أولا مرادا به اللفظ وأعيد عليه المضمر مرادا به المعنى أو حذف مضاف أي لتمييز معناه...))[2]، بيّن الدّسوقي أن في هذا العنوان استخداما ، ذلك أنَّ المقصود بالمسند إليه هو الدَّال"اللفظ"، أما المقصود بضميره العائد عليه فهو المدلول"المعنى،كذلك يناقش الدّسوقي عبارة المصنّف "لتمييزه أكمل تمييز" قائلا: ((فإن قلت إنَّ كلام المصنف يقتضي أن اسم الإشارة أعرفُ المعارف، وليس كذلك أجيب بأن المراد أنَّه أكملُ تمييزا بالنسبة لما تحته من المعارف لا بالنسبة لما فوقه أيضا ، ويكون الكلام في مقام لا يمكن فيه التعبير بما فوقه من المعارف، أو يقال إن دلالة اسم الإشارة على أكمليّة التمييز، إنما هو من حيث إنَّ معه إشارة حسيّة ولا يتأتى معها اشتباهٌ أصلا بخلاف العلم؛ فإنَّ مدلوله وإن كان جزئيا مانعا من الشركة لكن ربَّما يكون مشتركا اشتراكا لفظيا أو يكون مسمّاه غير معلوم للسّامع فلا يحصل التمييز ناهيك عن كماله، وهذا لا ينافي أن غير اسم الإشارة أعرافُ منه من جهة أخرى، وذلك لأنّ من المضمرات ضمير المتكلم الذي لا يتصوّر فيه اشتباه فيه أصلا من حيث ذاته، ومدلول العلم متعيّن مُشخّص بحسب الوضع والاستعمال معا بخلاف اسم الإشارة فإنَّ مدلوله متعيّن بحسب الاستعمال لا غير، وبالجملة فالدلالة اسم الإشارة على أكمليّة التمييز لا

[1] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص110.

[2] الدسوقي على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني على **متن التلخيص**، ص233.

تقتضي أعرفيّته، فلا يكون كلام المصنف مخالفا للقول الصحيح، وهو قول سيبويه من أن أعرف المعارف المضمراتُ ثم الأعلام ثم المبهمات))[1].

فالتفسير الذي يقدّمه الدّسوقي يستبعد التأويل الذي يخالف أقوال النحاة من حيث ترتيب المعارف، وهو في الوقت ذاته يتوخّى التأويل الذي يجعل من كلام المصنّف مسايرا للسنة النحوية.

وإذا ما تابعنا تأويل "الدّسوقي" ، فإننا نجده يعتمد الاستدلال بالمقام في تحليل وجوه التشابه والترتيب بين المعارف، يقول: ((وعبارة اليعقوبي كون المعارف فيها ما هو أعرف من اسم الإشارة لا ينافي أن يكون فيه خصوصيّة يفوق بها ما سواه لأن المراد بكون المعرفة أعرف من غيرها أنها أكثر بُعدا من غُرض الالتباس، وهذا لا يتنافى أن يكون ما هو دونه أقوى منه في هذا المعنى في بعض الصوّر؛ فإن اسم الإشارة إذا كان المشار إليه حاضرا محسوسا للسّامع بحاسة البصر أو نُزّلَ تلك المنزلة أقوى من العلم المشترك في الحالة الرَّاهنة))[2] .

وحتى نفهم كلام الشّارح فهما مستترا، نرى أنَّه من المفيد إدخال شروط إنجاح القول في المقام التخاطبي، ونعني بذلك تحقق القول في صورة جائزة من صورة لا تخرج عمَّا يسميه "غرايس"Grice"مبدأ التعاون" الذي صيغ كما يلي((ليكن انتهاضُك للتخاطب على الوجه الذي يقتضيه الغرضُ منه))[3] ، ولا سيما إحدى القواعد المتفرّعة عنه وهي المتمثلة في ((الاحتراز من الالتباس))[4].

غايات التعريف بالإشارة:

أ–الغاية الأولى: هي تمييز المسند إليه تمييزا"((لصحة إحضاره في ذهن السَّامع بواسطة الإشارة حسّا))[5] ، وقد عرض المصنّف عددا من الأبيات شواهد على هذه الغاية كقوله"هذا أبو الصقر فردا في محاسنه"، وذلك أكان المقام مدح أ مقام إجراء أوصاف الرّفعة عليه[6]، ويقول "الدّسوقي"((فإن تمييزه حينئذ تمييزا كاملا أعون على كمال المدح لأن ذكر الممدوح إذا صاحبه خفاء كان قصورا في الاعتناء بأمره))[7].

ب–الغاية الثانية: للقصد إلى أنّ السّامع غبي لا يتميز الشيء عنده إلا بالحسّ، كقول الفرزدق"الطويل"

---

[1] السابق، ص234.

[2] نفسه ص نفسها.

[3] طه عبد الرحمن، **اللسان والميزان أو التكوثر العقلي**، **المركز الثقافي العربي**، ص238.

[4] نفسه ص نفسها.

[5] القزويني، **الإيضاح**، ج2، ص18.

[6] ينظر: الدسوقي على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني على **متن التلخيص**، ص 234.

[7] نفسه ص نفسها.

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع[1]

نلاحظ أن الغايتين الأولى والثانية على طرفي نقيض، فالأولى قد أفادت التمييز في سياق مدحي أمَّا الثانية فأفادت التمييز ولكن في سياق فخري، يستتبع هجاء المفتخر عليه وذلك بالتعريض بعجزه عن الإتيان بمثل آباء المفتخر مناقبَ.

ج–الغاية الثالثة: ل((بيان حاله أي المسند إليه في القُرب أو البُعد أو التوسط كقولك هذا أو ذلك أو ذاك زيد[2]، وقد يُجعل القُرب ذريعة للتحقير، كقوله تعالى : ﴿**وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَٰذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ**﴾المؤمنون:36]، وقوله تعالى: ﴿**وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ**﴾ [العنكبوت:64]

وربّما جعل البعد ذريعة إلى التعظيم، كقوله تعالى: ﴿**الم (1) ذَٰلِكَ الْكِتَابُ**﴾[البقرة:2]، ذهابا إلى بُعد درجته ورفعة محله منزلة بعد المسافة،[3]، نلاحظ أن دلالات اسم الإشارة متضاربة بل متناقضة، والعبرةُ في ذلك بالسياق وقصد القائل، فهما اللّذان يفسران الدلالة الصائبة؛ فاسم الإشارة البعيد"ذلك" كما بيّن بعضُ الشّراح، ((قد يشار به للغائب عن حاسة البصر مطلقا سواء كان ذاتا أو معنى وللحاضر غير المحسوس، كما لاحظ الشّارح نفسه أن هذا الاستعمال مجاز؛ لأنه "كذا موضوعة للبعيد المحسوس بحاسة البصر لا الغائب عن الحس المذكور ولا للحاضر غير المحسوس))[4].

د–الغاية الرابعة : للتنبيه أي عند تعقيب المشار إليه بالأوصاف؛ أي عند إيراد الأوصاف على عقب المشار إليه، تقول عقبته بالشيء إذا جعلت الشيء على عقبه؛ أي متعلق بالتنبيه أي للتنبيه على أن المشار إليه "جدير بما يرد بعده نحو قوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**﴾[البقرة:3]، إلى قوله ﴿**أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [البقرة:5]، عقب المشار إليه وهم الذين يؤمنون بأوصاف متعددة من الإيمان بالغيب وإقامة الصلاة وغير ذلك .[5]

فسياق التعريف بالإشارة يجمع بين الارتباط بمقصد المتكلم وطبيعة المخاطب وحِسيّة المشار إليه، ولا بد في هذا السياق من صحة إحضار المشار إليه في ذهن المخاطب بواسطة الإشارة، يُضاف إلى ذلك توفُّر المقام الذي يستدعي التمييز والتعيين ، لذا أدرك **السكاكي** أن أسماء الإشارة في التعبير الفني تستخدم للإشارة إلى شيء حسي، يمكن إدراكه من خلال "**المقام**" أو "**السياق**"، واسم الإشارة يحل محل المشار إليه(المسند إليه)، فيقول:

---

[1] ينظر: السابق، ص235.

[2] مسعود بن عمر التفتازاني، **مختصر المعاني**، ص155.

[3] ينظر: الدسوقي على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني على **متن التلخيص**، ص235.

[4] نفسه، ص236

[5] ينظر: مسعود بن عمر التفتازاني، **مختصر المعاني**، ص158.

((وأما الحالة التي تقتضي كونه اسم إشارة فهي متى صح إحضاره في ذهن السامع بوساطة الإشارة إليه حسا واتصل بذلك داع مثل أن لا يكون لك أو لسامعك طريق إليه سواها أو أن تقصد بذلك أكمل تمييز له وتعيين))[1]، وعبارة"**السكاكي**" تشير بوضوح إلى غياب المشار إليه عن سطح الصياغة ودلالتها الحرفية المباشرة، ووجوده في حيز يقع خارجها، يمكن ل"السامع أن يستحضره، ويتمثله ذهنيا عند التعامل مع البنية الحرفية، و أن الإشارة تتسلط على شيء قد تم التواضع عليه فعلا بين طرفي الخطاب؛ كقول ابن الرومي: [2]

هـذا أبـو الصَّـقْر فـردًا في محَاسِـنِه مِنْ نسْلِ شَيْبَانَ بين الضَّالِ والسَّلَمِ

لا يمكن أن تتحقق فاعلية الإشارة؛ إلا إذا كان أبو الصقر له حضور سابق في الفضاء الشعري، أو أن "السامع" على علم بهذا الشخص.

واسم الإشارة –إذًا–يرتبط بالفضاء اللغوي، أو المقام الخارجي ارتباطا أساسيا من خلال هوامشه الإضافية التي يقدمها على مستوى الزمان والمكان في القرب أو البعد أو التوسط، ففاعلية اسم الإشارة–كما سبق وأن ذكرنا– لا تتحقق لها ناتج فعلي إلا في إطار السياق.

كما قد يستعمل "المتكلم" الإشارة لدلالات جديدة ومتعددة؛ يقول الشاعر:

أولئـك قـوم إنْ بَنَـوْا أَحْسَـنُوا البِنَـا وإنْ عَاهَدُوا أَوفوا وإنْ عقَدوا شَدُّوا[3]

إن اسم الإشارة"أولئك" الذي يدل على البعد، لا يحيل إلى مشار إليه مدرك بالفعل، وإنما نراه غامضا وغير محدد؛ فهو غير حاضر في الصياغة الحرفية الظاهرة، وإن كان حاضرا بالقوة، ويبقى على "السامع" أن يستحضره ذهنيا كي يسد الفجوة الدلالية التي حدثت بسبب غيابه الفعلي.

خلاصة:

من خلال السياقات الثلاثة" التقديم والتأخير" و"الحذف" و"التعريف والتنكير" نخلص إلى:

– أن سياقات التقديم والتأخير والتعريف والتنكير والحذف، وباقي المقولات التي ضمنها "علم المعاني" والتي درسها البلاغيون العرب ، جعلتهم يقفون من خلالها على جوانب معينة، فقد فصلوا القول في ما يتعلق **بالمعنى الجديد** الذي يؤيد به الآليات و المقولات عندما تخرج عن مقتضى ظاهرها، وما يرتبط بالمعنى من **سياق "مقام "خارجي** أو **داخلي** في علاقته بالسامع، كما كانوا يستندون إلى **المقام** لتفسير بعض المقولات للوصول إلى معنى

[1] السكاكي، **المفتاح**، ج 1، ص183.

[2] نفسه ص نفسها.

[3] ينظر: نفسه ص نفسها.

المتكلم والمقصود من هذه المقولات، وهذا ما يثبت تنبيه البلاغيين لبعض التوجهات السياقية في دراساتهم للغة، كما سنحاول في العنصر الموالي الكشف عن الجوانب السياقية الأخرى الخاصة بالأساليب الإنشائية الطلبية.

– أن العلاقات النحوية بين مكونات العبارة قد تتغير تبعا لمراد المتكلم أو مستخدم اللغة عامة من منشئ وغيره، مع تجاوز العلاقات الأساسية التي يوجّهها النظام المثالي لنحو اللغة إلى ابتكار العلاقات الأساسية جديدة: التقديم بدل التأخير، والحذف بدل الذكر، والتعريف بدل التنكير، وما إلى ذلك من علاقات تناولناها في أثناء كلامنا عن العلاقات التأليفية.

ثالثا– السياق الدلالي

إن نظام اللغة نظامٌ متشابك العلاقات بين وحداته، دائم التجديد في بنياته المعجمية والتركيبية، مما جعل تحديد دلالة الكلمة يحتاج إلى تحديد مجموعة السياقات التي ترد فيها، وهو ما نادت به النظرية السياقية، التي يعد منهجها من أكثر المناهج موضوعية ومقاربة للدلالة، حيث ينفي عن الصيغة اللغوية لدلالتها المعجمية، ويقدم نموذجا فعليا لتحديد دلالة الصيغ اللغوية؛ لأن السياق يحمل حقائق إضافية تشارك الدلالة المعجمية في تحديد الدلالة العامة التي قصدها المتكلم[1].

1–مفهومه:

وهو صنف آخر من أصناف السياق اللغوي، ويقصد به الكيفية التي يتم فيها استعمال المفردات ضمن سياق لغوي معين وبيان علاقاتها بالعملية الذهنية؛ لأن الألفاظ لا تدل على الأمور الخارجية بل الأمور الذهنية، يدل عليه وجوده.[2]

أو هو الذي يطرأ على المفردات من تغير في أثناء الاستعمال أو في السياقات المتعددة التي تلبي حاجات المجتمع...فتتغير المفردات تبعا لتغير الظروف الاجتماعية، ويتبعها تغير دلالتها فتنزع سياقها القديم، وتلبس سياقا جديدا يناسب المرحلة والظرف [3]، فهو الذي يتكون من معاني الألفاظ التي تتألف منها وكيفية استعمال هذه

[1] ينظر: منقور عبد الجليل، **علم الدلالة–أصوله ومباحثه في التراث العربي"دراسة"–**، من منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001م، ص72.

[2] سعدية موسى عمر واقبال سر الختم أحمد عبد الباقي، "**تغيرات الدلالة ودورها في المعنى –دراسة في الحديث النبوي الشريف–**"، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، ع5، 2012م، ص6.

[3] ينظر: عقيد خالد حمودي العزاوي، **أثر السياق في تغيير دلالة الألفاظ–سورة الكهف أنموذجا–**،مجلة الأستاذ، كلية التربية ابن رشد قسم علوم القرآن الكريم، مج1، ع209، 1435هـ/2014م، ص 275.

الألفاظ في نص تلك العبارة اللغوية ، فأية لفظة ليس لها إلا معنى واحد يحدده السياق؛ لأن الكلمة في المعجم معناها (متعدد ومحتمل)، ولكن معنى اللفظ في السياق واحد لا يتعداه لأنه: [1]

أ-يوجد في السياق قرائن تعين على اختيار معنى واحد من بين المعاني المختلفة التي تجدها في المعجم.

ب-وأن السياق أيضا يرتبط بمقام معين يحدد المعنى في ضوء القرائن الحالية.

فالسياق الدلالي هو الذي يهتم بالتغيرات التي تطرأ على المفردات أثناء الاستعمال.

2-القرائن الدلالية ذات الدلالات السياقية:

إن القرائن الدلالية السياقية كثيرة، و سيقتصر حديثنا عن أهمها في السياق:

- **الدلالة الهامشية والدلالة المركزية** [*]:

✓ **في الدراسات الحديثة:**

توطئة:

اللغة وسيلة الاتصال الأولى بين بني البشر، والأداة المعبرة عن آلامهم وآمالهم، و احتاج الإنسان للغة ليعبر بها عن أغراضه، كانت وسيلة الاتصال التي يسرت دائما التعاون الاجتماعي المنشود، رغم اختلاف بيئات الناس، وتجاربهم وظروفهم الحياتية وما يتركه ذلك الاختلاف من أثر، إلا أنهم يصطلحون على قدر مشترك من الدلالة الاجتماعية يمكن بواسطته استمرار الاتصال، وهو ما يعرف بالدلالة"المركزية"، أما اختلاف دلالات الألفاظ باختلاف الأفراد وبيئاتهم، وموروثهم الثقافي، وتركيبة عقولهم، فذلك ما يعرف بالدلالة"الهامشية"، فمن خلال ما سبق فما هي الدلالة المركزية والهامشية عند المحدثين، وعند البلاغيين؟.

[1] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص351-355.

[*] وللتوضيح أكثر"**الدلالة الهامشية والمركزية**" ينظر:

-محمد محمد يونس علي، **المعنى وظلال المعنى**"أنظمة الدلالة في العربية"، دار المدار الإسلامي، بيروت/لبنان، ط2، 2007م، ص177 وما بعدها.

-علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1986م، ص171وما بعدها.

1-الدلالة المركزية[**] :

الجدير بالذكر والملاحظة قبل البدء بالبحث التنبيه على ملحوظة مهمة، هي أن الدلالة المركزية دلالةُ على التربية الأولى من المعاني التي استحقت هذه المرتبة بعد حيازتها على أهم صفة تحقق ثبوت المعنى وهي (تمركزها في الذهن الجماعي).

فالدلالات تنمو معنا، وتتحدد معالمها على قدر ما نصل إليه من معرفة، لذا يقول **إبراهيم أنيس**: ((فدلالات الأطفال هي أطفال الدلالات، نتبناها منذ صغرنا، ونغذيها بما يتاح لنا من علم وتجارب، فتتغير وتتطور مع الزمن حتى تستقر على حال معينه في ذهن كل منا.))[1].

وهناك عدة تعريفات لهذا المفهوم منها ما ذكرهُ "**جون لاينز**"(**John Lines**):-

((المعنى الوصفي أو المعنى الأساس وهناك مصطلح بديل معادلُ له تقريبا، وهو إدراكي، وهناك حقيقة معترف بها عالمياً تتعلق بالمعنى الوصفي، وهي أن اللغات يمكن استخدامها للإدلاء ببيانات وصفية صائبة أو خاطئة طبقاً لصواب أو خطأ القضايا (المنطقية) التي تعبر عنها))[2]، أي أن المعنى الوصفي أو الإدراكي يستعمل للتعبير عن الحقائق والمسائل الموضوعية في اللغة التي تبعد عن المفاهيم الأدبية.

ويذكر "**لاينز**": أن هذا (هو المعنى الذي أتوقع أن يتذكرهُ القارئ متى ما أشرتُ إلى معنى الكلمة من غير شرح إضافي عنه))[3].

والدلالة الأساسية أو المركزية لدى "**انكاردن هولاند**"(**incarden holland**)* تعتمد ((إعادة الترميز يطابق استخدام "استعمال" اللغة في دلالتها الأساسية في الشرح المعقد))[4] إذ إنّ استعمال اللغة من خلال الدلالة الأساسية لديه هي تسمية يستعملها المرء تعتمد كليا على الحاجة التي تلبيها أي التسميات الموضوعية ذات الغرض النفعي، ويقول ((فالدلالة الأساسية لا تعني في أية حال من الأحوال أنها صفة أزلية، بل تعتمد على نظام

[**] **ولهذا المصطلح"الدلالة المركزية"** تسميات تختلف باختلاف المدارس ولاجتهادات التعبيرية فهناك ((ألفاظ المعجم، المعاجم، العناصر المعجمية، المعنى المركزي، المعنى الأساس، المعنى القاعدي، اللغة "الانفعالية و المنطقية"))(ينظر:.

- إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م، ص106- 213.

-ج. فندريس، **اللغة**، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي، مكتبة الأنجلو المصرية، 1950م، ص235-254.

[1] إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص103.

[2] جون لاينز، **اللغة والمعنى والسياق**، تر: عباس صادق الوهاب، مر: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق-بغداد، ط1، 1987م، ص35 هامش الكتاب.

[3] نفسه، ص24.

[4] وليم رآي، **المعنى الأدبي**-من الظاهراتية إلى التفكيكية ، ترجمة: يونيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ط1، 1987م، ص94 .

***هولاند ناقد أدبي يعرض وليم رآي رأيه ضمن الدلالة الأساسية.**

سابق واسع للتميز اللغوي، وتصف ظاهرة من الظواهر، فتشرحها وفق الأصناف التي سبقتها في الوجود ،(...) والمرء لا يستطيع أن يزعم وجود دلالة أساسية إلا ضمن إطار موضوعي، حيث تحل الحقائق والإشارات محل الأنماط والصور))[1].

ويعرض "**وليم رآي**"(**William Ray**) الدلالة المركزية لدى ناقد أدبي آخر هو (**إي، دي هيرش**)(**E, de Hirsch**) برأي آخر فيذكر: (أن المعنى اللفظي (اللغوي) يعتمد على فعل الفرد ليصبح مثالاً معينا، فهذا المعنى له وجود كصنف ثابت لتطابق الذات* الذي يمكن أن يقصده فاعلون آخرون، فالمعنى طبقا لما يحددهُ هيرش، إنما له في جوهره سمة بين الذوات))[2]، جعل المعنى هنا مدلولاً ذا مفهوم تقصدهُ المجموعة التي عبّر عنها بالفاعلين للغرض العام والفكرة المتوحدة والإفادة منه في اللغة.

وقد عبَر "**هيرش**"(**Hirsch**) عن ذلك المعنى الذي شرحهُ بـ(المعنى المشترك) فقال: ((مما لاشك فيه أنّ للمعاني التي يريدها المرء قيوداً ، ولكن هذه القيود تضمن إمكانية مشاركة المعنى بين المؤلف والقارئ معا))[3]. وهكذا فإنَّ فكرة (المعنى المشترك) تعدُ جوهر حديث هيرش.

ويعرض "**وليم رآي** " الدلالة المركزية عند ناقد أدبي آخر وهو "**جونثان كلر**"(**Jonathan Color**) بتعبير (فعالية معرفية) فقال: (واللغة هنا بوصفها أساس المعنى لا هي جوهر مادي (حضوري) ولا قصد فاعل (فعالية معرفية) بل مجموعة من الأعراف والتقاليد التي تؤلف الشفرات وهذه الشفرات يمتلكها أعضاء ثقافة أو مجتمع معين، على أنها القدرة اللغوية لهم(...)، فالشفرات إذا قبلها المجتمع، تخلق عالما(ثقافيا) ليس حقيقيا ولا ممكنا بالمفهوم الوجودي، فوجوده يرتبط بنظام ثقافي يجسم الطريقة التي يفكر بها المجتمع ويتكلم، وحين يتكلم يوضح مدلول فكره عن طريق الأفكار الأخرى))[4].

وقد أشار "**أولمان**" إلى هذا المعنى بالمعنى (المركزي والأساس و الرئيس) وعرّفه بأنه: هو ذلك القدر الثابت من المعنى الذي يعرفه كل أفراد البيئة اللغوية أصحاب اللغة المعنية، ويتصل هذا المعنى بالوحدة المعجمية أي حينما ترد في أقل سياق أي منفردة [5].

---

[1] وليم رآي ، **المعنى الأدبي**، ص95.

* **الذات قصد بها ذات المعنى** .

[2] ينظر: وليم رآي ، **المعنى الأدبي**، ص105.

[3] نفسه ص نفسها.

[4] نفسه، ص125-126.

[5] ينظر: ستيفن أولمان ، **دور الكلمة في اللغة**، ص90-95 .

وعلى الرغم من تشعب الدراسات في هذا الموضوع من حيث النظرة أو من حيث المنهج، أو المصطلح، ينبغي للباحث أن يأخذ بنظر الاعتبار أمرين يتصفان بالعموم: [1]

الأول: إن الدلالة المركزية للكلمات المادية تستقر واضحة في الذهن قبل الدلالة المركزية للألفاظ المعنوية فالكلمات نحو: الشجرة والبحر والماء والتراب والإنسان والحيوان والصخر والجبل ....الخ تستقر في الذهن منذ الطفولة، أما الكلمات التي من نحو الشجاعة والكرم والعفة والحب والخير والشر والحزن والفرح والسعادة .....الخ، فتطور دلالاتها المركزية مع نمو الإنسان.

الثاني: إن الناس على اختلاف كثير في الدلالة المركزية ولكنهم قادرون على التفاهم؛ لأن الاختلاف هو في نسبة وضوح تلك الدلالة، فهي واضحة عند بعضهم أكثر من غيرهم ولكنهم متساوون جميعا في مقدار معين من الوضوح يكفي للتفاهم، وواجب اللغوي تسجيل هذا القدر المشترك من الدلالة عند الناس وجعلها واضحة.

2-الدلالة الهامشية [*] :

وهي من نتاج فردي شخصي مختلط بالانفعالات النفسية والعاطفية، وتنعكس في ألفاظها ظلال الثقافة والبيئة والتجارب الشخصية والخبرة، وقد عَرّفَ الدارسون الدلالة الهامشية بتعريفات شتى تكاد تكون متقاربة بمختلف التسميات التي وضعت لها؛ فقد عَرّفها "**إبراهيم أنيس**" بقوله:(الدلالة الهامشية هي تلك الظلال التي تختلف باختلاف الأفراد وتجاربهم وأمزجتهم وتركيب أجسامهم وما ورثوه عن آبائهم، وأجدادهم))[2]، فيضرب مثلاً لذلك فيقول:" فلفظ (المسدس) يدرك من قوة دلالته المركزية، ولكن قد يرتبط بتجربة خاصة مع الفرد فإما تثير عنده الشعور السار حوله كأن تكون ذكرى عن لعبةٍ له كانت في طفولتهِ ، أو تثير عنده الشعور المحزن لارتباط اللفظة بحادث تسبب في مقتل إنسان يعرفهُ"[3] .

وعرّفها"**لاينز**" بتسمية أخرى وهي (المعنى اللاوصفي) أو (المعنى المعبر)، وقال: (المعنى اللاوصفي ويتضمن ما سأشير إليه بالكون المعبر (هناك مصطلحات بديلة معادلة له تقريبا وهي (مؤثر) و(موقفي) و(انفعالي)، فالمعنى المعبر، أي المعنى الذي يعبر المتحدث بموجبه عن معتقداتهِ ومواقفهِ ومشاعره بدلا من أن يصفها)[4].

---

[1] ينظر: محمد محمد يونس علي، **المعنى وظلال المعنى**، ص179-180.

[*] وقد تعددت تسمياتها (**الدلالة الهامشية**):ومن أهمها : ((الدلالة الهامشية، وخارج المركز، وظلال المعنى أو ألوانه، القيم الانفعالية والسلوكية، والألوان العاطفية والجمالية للمعنى، وشعور فردي، عاطفة شخصية، والمعنى المعبر).

[2] إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص107- 173.

[3] ينظر: نفسه، ص107-108.

[4] جون لاينز، **اللغة والمعنى والسياق**، ص 35.

ونجد "**تمام حسان**" في كتاب **الأصول** يطلق على الدلالية الهامشية بالمعنى الاستدعائي Associative ، الذي يضم جوانب نفسية، ومنطقية علاقة وثيقة بالدلالة الهامشية من خلال بعض من فروعه:[1]

1- **المعنى الإفصاحي**Affective : الذي يفهم من الشخصية العاطفية التي تصاحب نطق الكلمة.

2- **المعنى الأسلوبي**Stylistic : وهو ما يفهم من المحيط الاجتماعي للاستعمال.

3-**المعنى الانعكاسي**: Reflected، وهو ما يفهم من ارتباط اللفظ بمعنى آخر ينسبُ إليه، فقد يرتبط لفظ (الأم).مضافاً إلى كاف المخاطب بمعنى الشتم عند بعض الناس، ومن ثم يستبدلون به لفظ (الوالدة) دفعاً للانعكاس.

وتكتسب هذه الدلالة هامشيتها عن طريق : التطور اللغوي الذي يحدث في الألفاظ، إذ يخضعها الاستعمال فنجد فيها خصوصيات معنوية ذات ظلال دلالية Semantics جديدة يستدعيها الزمان والمكان، فيبعدها الاستعمال عن أصلها بعداً كثيراً[2]، وبهذه التغيرات أخذت فيها الدلالة مرحلةً هامشية من المراحل التي انتهت إليها.

وعملية فهم ظلال المعنى وملاحظتها في الكلام أو النصوص تتطلب التغلغل في علاقات الوحدات اللغوية مع بعضها، واستشفاف ما بينها من معانٍ أصلية ومتغيرة للتمكن من الوصول إلى الانعكاسات النفسية والعاطفية لمنتج الكلام أو النص، ولذلك لا تتحدد معاني الكلمات وقيمها من خلال المعجم اللغوي المتجرد عن المعاني النفسية والعاطفية، ((فمعاني الكلمات لا تتحدد فقط بالتعريف التجريدي الذي تحددها به القواميس إذ يحيط المعنى المنطقي لكل كلمة جو عاطفي، ينفذ فيها ويكسبها ألواناً مؤقتة على حسب استعمالاتها، هي التي تكوّن قيمتها التعبيرية))[3] وللمعنى العاطفي، أو الجو العاطفي قوةٌ لإثارة المشاعر الخاصة المولّدة لهذه الألوان، أو الظلال المعنوية تدعى قوة (الاستدعاء)، إذ يقول "**أولمان**" في ذلك: المعنى العاطفي من المصادر التي تثير في النفس حساساتٍ خاصة بما تمدنا به من ألوان أو ظلال معنوية إضافية، ويتمثل هذا المصدر في قوة الكلمات على

[1] ينظر:

-تمام حسان، **الأصول**، ص 345.

[2] ينظر: إبراهيم السامرائي، **التطور اللغوي التاريخي**، دار الأندلس ، ط2، 1401هـ/1981م، ص228 -229.

[3] ينظر: علي زوين، **منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث**، ص91-92 .

(الاستدعاء). فالملاحظ أنّ وقوع الكلمات في نماذج معينة من السياقات يكسبها جواً خاصاً ويحيطها بملابسات تعين في الحال على (استحضار) البيئة التي تنتمي إليها هذه الكلمات[1].

ولهذه المعاني الوجدانية مشاركة فعلية كبيرة في إثارة الفرح أو، الحزن، أو الرغبات، والآمال تبعاً لارتباطها بالأمور الخاصة، وفي ذلك يقول "**فندريس**"(**Fenders**): ((كل كلمة أيّاً كانت توقظ دائما في الذهن صورةً ما بهيجة، أو حزينة رضية، أو كريهه، كبيرة أو صغيرة، معجبة، أو مضحكة تفعل ذلك مستقلة عن المعنى الذي تعبر عنه وقبل أن يعرف هذا المعنى في غالب الأحيان))[2]، ولهذه الاختلافات التي تصورها هذه الدلالة في معانيها أم في الأحاسيس التي تثيرها نجد اختلافاً وتفاوتاً كبيراً بين الأدباء والبلاغيين في هذه الدلالة لكثرة تعاملهم معها، ((وللأدباء بصدد الأشياء قدرة أخرى فوق ما للمرء العادي، يستمدونها من خيالهم وتبنيهم للألفاظ. وتمدهم هذه القدرة بظلال من الدلالات لا تكاد تخطر في ذهن الآخرين))[3].

✓ **الدلالة المركزية والدلالة الهامشية عند البلاغيين:**

إن دراسة الدلالة عند البلاغيين باب واسع يغني الفكر والنظر بما ترتاح إليه النفس من الفن اللغوي البليغ بالوقوف على خصائص الأدب وتمييزه من غيره من أنماط التعبير باللغة، وكان المحور لهذا الوقوف هو البحث عن منهج يربط القيمة الفنية بأصول ثابتة، وقد ساعد في ذلك تبلور المادة البلاغية وكثرتها وتنوعها.

والكشف عن نوع الدلالة أمر يعود إلى السياق الذي ترد فيه اللفظة فإذا طابقت ما فهم منها ضمن المعنى المعروف فهي الدلالة المركزية، وإذا اختلف المعنى اختلف نوع الدلالة.

والدراسة الدلالية هي دراسة في التراكيب اللغوية، وكثيراً ما أكد ذلك البلاغيون ولاسيما "**عبد القاهر الجرجاني**" مبيناً طبيعة التوجه اللغوي على أنه مجموعة من العلاقات وعن ذلك يعبر قائلاً بـ إن الألفاظ التي هي أوضاع اللغة لم توضع لتعرف معانيها في أنفسها، ولكن لأن يضم بعضها إلى بعض فيعرف فيما بينها من فوائد[4] وتتضح فائدة المعنى من تركيبه السياقي وأثره المطلوب.

ولهذا قال "**عبد القاهر الجرجاني**": ونظم الكلم ليس الأمر فيه (**كنظم الحروف**) لأنك تقتفي في نظمها آثار المعاني وترتبها على حسب ترتب المعاني في النفس فهو إذًا نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض وليس

[1] ينظر: ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص94 .

[2] فندريس، **اللغة**، ص237.

[3] إبراهيم أنيس، **دلالة الألفاظ**، ص85.

[4] ينظر: الجرجاني، **الدلائل** ، ص36-46.

هو النظم الذي معناه ضمُّ الشيء إلى الشيء[1] ، وبذلك تكون معاني التراكيب فكرة منظومة نفسياً وعقلياً أولاً ثم أنزلت في نظم المفردات بعد ذلك.

وهو ما أورده "**الجاحظ**" أيضا بقوله: ((جَنَّبك الله الشُّبْهة، وعَصَمَك من الحَيْرَةِ، وجعل بينك وبين المعرفة سبَباً، وبين الصدق نَسَباً، وحبَّب إليك التثبُّت، وزَيَّنَ في عينك الإنصاف، وأذاقك حلاوة التقوى، وأشعر قلبك عِزَّ الحق، وأوْدع صدرَك بَرْدَ اليقين، وطَرَد عنك ذُلَّ اليأس، وعرَّفك ما في الباطل من الذلّة، وما في الجهل من القِلّة))[2]، فهذه عبارات معناها مفهوم وهي متداولة بقصد الدعاء لم يصنع المتحدث فيها شيئاً سوى حسن النظم الذي أظهر معناها والإدراك التام للمعنى والإحساس الجمالي به، فالدلالة المركزية تمثل المعاني المعروفة المتواضع عليها، وفهمها مباشرة من نصوصها يكون عمقاً معيناً من الإدراك الحقيقي للأشياء وجزءاً من الوعي تناوله البلاغيون من حيث الحقيقة المتأتية من المواضعة في هذه الدلالة التي تمثل مستوى مشتركاً شائعاً بين الناس يسمح لهم بالتفاهم والتعبير عن أمورهم العامة، و**للمعاني المركزية أربعة مواضع** حددها "**ابن سنان الخفاجي**" حين ذكر معيار المعاني قائلاً: ((والمعاني معيارها العقل والعلم وصفاء الذهن، ولها في الوجود أربعة مواضع: الأول وجودها في أنفاسها، والثاني وجودها في إفهام المتصورين لها، والثالث وجودها في الألفاظ التي تدل عليها، والرابع وجودها في الخط الذي هو أشكال تلك الألفاظ المعبر بها))[3]، نستنتج من هذا القول، أن الوجود الأول هو وجود ذاتي، أما الوجود الثاني فهو الاشتراك في فهمها وهو الشرط الأساس لاعتبار المركزية، وأما الوجود الثالث الذي هو في اللفظ يدل على المعنى المركزي؛ أي لفظ معروف الدلالة والمعنى وبذلك يطابق اللفظ معناه، فالرابع هو وجود كتابه، وكل هذه المعاني كان معيارها العلم والعقل وصفاء الذهن لدى **الخفاجي** لأنها تعتمد على هذه المعايير في فهمها وتحديدها ولا تعتمد على خارج العقل من أبعاد التخيل والتصور.

ولهذا تعد **الدلالة المركزية** من النوع المحمود من أنواع الكلام لوضوح معناها ودلالة لفظها، قال **ابن سنان**: ((إن المحمود من الكلام ما دل لفظه على معناه دلالة ظاهرة ولم يكن خافياً مستغلقاً(...)، فإن كان الكلام الموجز لا يدل على معناه دلالة ظاهرة فهو عندنا قبيح مذموم لا من حيث كان مختصراً بل من حيث كان المعنى فيه خافياً، وإن كان يدل على معناه دلالة ظاهرة إلا أنها تخفى على البليد والبعيد الذهن ، ومن لا يسبق خاطره

[1] ينظر: السابق، ص49.

[2] الجاحظ، **الحيوان**، ج1، ص3و ص97.

[3] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص235.

إلى تصور المعنى، ولو كان الكلام طويلاً لجاز أن يقع لهم الفهم، فليس هذا عندنا بموجب أن يكون الإسهاب في موضع من المواضع أفضل من الإيجاز))[1]، أي أن وضوح الدلالة ساعد في فهمها مباشرة.

أما **عبد القاهر الجرجاني** حين ذكر الدلالة فقد حدد أضربها على نحو مباشر إذ يقول :((الكلام إلى ضربين"ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده إذا وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت"خرج زيد" وبالانطلاق عن عمرو فقلت"عمرو منطلق" وهذا القياس، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لظلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل))[2]،ومعنى كلامه هنا أن الدلالة عنده تساوي المعنى، فالمعنى معلوم منها مباشرة، وسمى هذا الضرب من الدلالة بـ ((المعنى))، والإخبار فيها على الحقيقة، أي على المعنى المتعارف عليه في أصل الوضع متحقق في تطبيقها قولاً وفعلاً و((المفهوم من ظاهر اللفظ والذي تصل إليه بغير واسطة))[3].

وتناول "**ابن الأثير**" دراسة الدلالة في الفصل الثالث من كتابه (**المثل السائر**) في موضوع سماه: ((**في الحكم على المعاني**)) وبين فيه فائدة دراسة المعنى، إذ قال: ((وفائدة هذا الفصل الإحاطة بأساليب المعاني على اختلافها وتباينها، وصاحب هذه الصناعة مفتقر إلى هذا الفصل والذي يليه بخلاف غيرهما من هذه الفصول المذكورة لاسيما مفسري الأشعار، فإنهم به أعنى))[4]، فهنا يبين طريقة فهم المعنى وأساليب تناوله المتعددة بحسب تنوع المعاني ولهذا خص بهذه الدراسة مفسري الأشعار لأنهم يدرسون المعنى لأجل المعنى نفسه، كما بين في موضع آخر طبيعة المعنى من حيث كونه ظاهراً أو مؤولاً فقال: (واعلم أن الأصل في المعنى أن يحمل على ظاهر لفظه، ومن يذهب إلى التأويل يفتقر إلى دليل))[5]، فكلام **ابن الأثير** هنا قاعدة مهمة للدلالة المركزية، فهي (أصل المعنى) أي قبل احتماله معاني أخرى غير الأصل، ويجب معرفة المعنى الأصلي لكل لفظ يراد تأويله ولهذا يحمل على ظاهره ثم يؤول بدليل أي قرينة توضح التضمن للمعنى.

---

[1] السابق، ص206.

[2] الجرجاني، **الدلائل** ، ص262-263.

[3] نفسه، ص263.

[4] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج1، ص62.

[5] نفسه ص نفسها.

وتمثل بقوله تعالى: ﴿**وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ**﴾[المدثر:4]، قائلاً: ((فالظاهر من لفظ الثياب هو ما يلبس، ومن تأول ذهب إلى أن المراد هو القلب لا الملبوس، وهذا لابد له من دليل لأنه عدول عن ظاهر اللفظ))[1]، وعبارة (عدول عن ظاهر اللفظ) تعني انتقال المعنى المركزي إلى المعنى الإضافي إذا توفرت القرينة، أو الدليل.

ولذلك جاءت الدلالة المركزية في القسم الأول من أقسام تأويل المعنى لديه وهي ثلاثة، قال **ابن الأثير**: ((إما أن يفهم منه [أي من المعنى] شيء واحد لا يحتمل غيره، وإما أن يفهم منه الشيء وغيره، وتلك الغيرية: إما أن تكون ضداً، أو لا تكون ضداً، وليس له قسم رابع))[2].

وبما أن المعنى مفهوم من ظاهر اللفظ، أخرجه "**ابن الأثير**" من المعاني التي يمكن الترجيح بينها، قال: ((لا تعلُّقَ للترجيح به، إذا ما دل عليه ظاهر لفظه، ولا يحتمل إلا وجهاً واحداً فليس من هذا الباب في شيء))[3]، وتبين التفكير الدلالي عند "**ابن الأثير**" في تقسيماته المذكورة آنفاً وتحليله الدلالي للمفردات في تراكيبها، وهذا ما اتضح في ترجيحه بين معاني المفردات لا على ما اختلف فيه، بل على ما تشابهت به وهذا ما يجعل الترجيح أدق وأصح فقد رجح بين الحقيقيين والمجازيين تاركاً الترجيح بين الحقيقة والمجاز؛ لأنه ((يعلم ببديهية النظر لمكان الاختلاف بينهما، والشيئان المختلفان يظهر الفرق بينهما بخلاف ما يظهر بين الشيئين المشتبهين))[4].

وهو بذلك يشير إلى مبدأ الثبات في الدلالة المركزية ، فالكلمة إن دلت على حقيقة ثابتة في الاستعمال، أو على مجاز ثابت في الاستعمال هي من باب الدلالة المركزية، وقد مثل للمعنيين الحقيقيين وأقربهما للدلالة المركزية بقوله صلى الله عليه وآله وسلم: ((التمسوا الرزق في خبايا الأرض))[5] فالخبايا قد تعني الكنوز المخبوءة في الأرض، وقد تعني الحرث والغراس، وكلا المعنيين حقيقيين إلا أن المعنى الأول ألصق بالدلالة المركزية للكلمة فيكون المعنى الثاني أقرب إلى الدلالة الهامشية؛ لأن المعنى المعجمي للكلمة (خبيئة) وهي مفرد خبايا: كل ما يخبأ كائناً ما كان، وخبايا الأرض أقرب في المعنى المعجمي إلى الكنوز[6].

وقد تكثفت الشروح والنصوص السالفة التي بينت مفهوم الدلالة الأصلية أو المركزية عند البلاغيين في مصطلح وضعوه عندما احتاجوا إلى تقنين العلوم، والتعبير عنه بمفردات معروفة القصد، وفي ذلك يقول "**العلوي**" معرفاً الحقيقة* : ((الحقيقة استعمال اللفظ في موضوعه الأصلي، وهي على وزن فَعِيلة))[1]، قال: ((ما أفاد معنى

---

[1] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج1، ص62.

[2] نفسه، ص64.

[3] نفسه ، ص71.

[4] نفسه، ص71.

[5] نفسه ، ص72-73.

[6] ينظر: نفسه ، ج1، ص73.

* **الحقيقة** هو الشق الأول من مستوى الدلالات في الدراسة البلاغية ويطلق عليها (المعنى الأول) أو أصل المعنى، أو المعنى الوضعي أو المعنى غير المؤول)، وغيرها من التسميات التي تداولها قدامى البلاغيين.

مصطلحاً عليه في الوضع الذي وقع فيه التخاطب))[2]، وقال "**عبد القاهر**": ((كلُّ كلمة أريد بها ما وقعتْ له وفي وَضْع واضع، وإن شئت قلت في مُواضعة وقوعاً لا تستند فيه إلى غيره فهي حقيقية))[3] ، وهذه الحقيقة في اللفظ المفرد أما في الجملة: (((فكلُّ جملة وضعتَها على أن الحكمَ المفادَ بها على ما هو عليه في العقل وواقعٌ منه فهي حقيقةٌ، ولن تكون كذلك حتى تَعْرَى من التأوُّل))[4]، وقال "**ابن الأثير**": ((فأما الحقيقة فهي: اللفظ الدال على موضوعه الأصلي))[5]، نستنتج من تلك الأقاويل أن الحقيقة هي لفظة الأصلية مميزة لنوع المعنى فيما إذا كان معنى مركزياً في أصل وضعه أو مركزياً من تكرار استعماله لشيوعه مع مجازيته، أما "**السكاكي**" (ت626هـ)، فقد تناولها في أكثر من موضع للحديث عنها لأهميتها في التثبت من صحة أصول المعاني، قال **السكاكي**: ((فالحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما هي موضوعة له من غير تأويل في الوضع كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص، كلفظ ((الأسد)) موضوع له بالتحقيق، ولا تأويل فيه))[6] ثم قال: ((ولك أن تقول: الحقيقة هي الكلمة المستعملة فيما تدل عليه بنفسها دلالة ظاهرة كاستعمال الأسد في الهيكل المخصوص))[7]، وهذه التعريفات تعرض الدقة والأصالة في الموضوع الذي تناوله المحدثون بالدراسة تحت تسميات حديثة وهو قديم في كتب البلاغيين على نحو تحددت فيه كل ضوابط هذه الدلالة من اتفاق في المعنى المتواضع أمام المفردة، ووجوب الاستعمال والتخاطب بهذه المعاني وإلا لا تعد حقيقة ما لم تشتهر المفردة بذلك المعنى المتفق عليه، وعدم احتمال اللفظة معنى آخر ما لم ترد قرينة تشير إلى المعنى الآخر ويكون بذلك المعنى المتفق عليه هو المفهوم والظاهر وكل تلك هي شروط الحقيقة بحسب المصطلح القديم، والدلالة المركزية حديثاً.

فذكر البلاغيون الحقائق بالألفاظ المباشرة وميزوها أيضاً بأسلوب (**التشبيه الصريح**)[8] ، الذي يشير إلى المعنى الأولي ويوضحه بذكر حالة مشابهة واضحة مقاربة للمعنى على نحو ملحوظ؛ لأن التشبيه سيكون مما هو متعارف ومألوف بين الناس بأن يكون مدركاً بإحدى الحواس الخمس، أو أمراً عقليا راجعاً إلى الفطرة، وشرح **ابن رشيق** ذلك بقوله: ((إن ما تقع عليه الحاسة أوضح في الجملة مما لا تقع عليه الحاسة، والمشاهد أوضح من

---

[1] يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، المكتبة العنصرية ، بيروت، ط1، 1423 هـ، . ج1، ص28.

[2] نفسه ص نفسها.

[3] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص350.

[4] نفسه، ص384.

[5] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج1، ص84.

[6] السكاكي، **المفتاح** ، ج1، ص358.

[7] نفسه ص نفسها.

[8] ينظر:

-السكاكي، **المفتاح** ، ج1، ص338-339.

- الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص125-246.

الغائب؛ فالأول في العقل أوضح من الثاني، والثالث أوضح من الرابع، وما يدركه الإنسان في نفسه أوضح مما يعرفه من غيره، والقريب أوضح من البعيد في الجملة، وما قد ألف أوضح مما لم يؤلف))[1] ، فمن ذلك قول الشاعر[2]:

كـــأن المـــدام وصـــوب الغمـــام وريـــح الخزامـــى وذوب العســـل

يعـــل بـــه بـــرد أنيابهـــا إذا الـنجم وسـط السـماء اعتـدل

فدلالة التشبيه في قول الشاعر واضحة مأخوذة عناصرها من البيئة العربية إذ من المعتاد حين يريد الشاعر تشبيه شيء من حبيبته بشيء آخر يأتي بأحب الأشياء في حياته فيجعلها مشابهة لها. فقد شبه طيب ريقها بما ذكره من الخمر (المدام)، وصوب الغمام، وريح النبت المعروف لديهم وحلاوة العسل وذلك كله هو مستعمل ومحسوس ومعروف ذوقه، أو أثره في الاستعمال لدى الناس.

وأنه جعله مع وقت الليل الذي أشار إليه (بتوسط النجم السماء) وهو وقت بارد من الليل أي حلاوة وبرودة جمعت الطعم العذب في ريقها.

وتلك هي البلاغة في التشبيه التي يريدها البلاغيون إذ لا يقصد من التشبيه الجمع بين طرفين فقط وإنما تجسيد ما في المشبه به بالمشبه كما في المثال السابق حين جسد الشاعر مشاعره وخواطره بما هو معروف ليكسب ما يريد من خلال التشبيه قوة وصدقاً في المعنى.

ومن ذلك كله اتفقت آراء البلاغيين في التشبيه الحقيقي ولم يختلفوا عما ذهب إليه **ابن رشيق** كما سبق منها، قال **ابن سنان** ((ومما يحتاج إليه شدة التشبيه أن يكون الأمر المشبه به واقعاً مشاهداً معروفاً غير مستنكر، ليوافق ذلك المقصود بالتشبيه والتمثيل من الإيضاح والبيان))[3].

وقال **عبد القاهرالجرجاني** :((إنَّ أُنْس النفوس موقوفٌ على أن تُخرجها من خفيٍّ إلى جليٍّ وتأتيها بصريح بعد مكنيٍّ، وأن تردَّها في الشيء تُعلِّمها إياه إلى شيء آخر هي بشأنه أعلم، وثقتُها به في المعرفة أحكم، نحو أن تنقُلها عن العقل إلى الإحساس، وعما يُعلَم بالفكر إلى ما يُعلَم بالاضطرار والطبع، لأن العلم المستفادَ من طرق الحواسِّ أو المركوز فيها من جهة الطبع وعلى حدِّ الضرورة ، يفضلُ من جهة النَّظر والفكر في القوة والاستحكام وبلوغ الثقة فيه غاية التمام، كما قالوا، ليس الخبرُ كالمعاينة))[4]، وفي جملة **عبد القاهر الجرجاني** الأخيرة (ليس الخبر

[1] ابن رشيق القيروان، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ج1، ص287..

[2] العلوي، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ج1، ص139.

[3] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص253.

[4] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص121.

كالمعاينة) تنبيه على حقيقتين مهمتين: هي أن التشبيه عملية وصف فإننا أحياناً نصف أشياء قد نجمع أَجْزاءَها في مخيلتنا ولكن حين ننظر إليها حقيقة نراها تختلف عما ركبناها عليه ولكن بالأجزاء نفسها، والثانية أنه ليس المطلوب من التشبيه مجرد وصف الأشياء بذكر أشياء مقابلة تشبهها. وإنما المقصود الوصول إلى حالة من الامتزاج الوصفي الفني تصور تشبيه ذلك المشهد.

ولم يختلف **السكاكي** عما ذهب إليه **الجرجاني** فيما يخص التشبيه حين وضع له المقاييس الخاصة به، إذ قال في التشبيه الحقيقي: ((إن النفس لما تعرف أقبل منها لما لا تعرف لمحبتها العلم طبعاً (...)، وذاك أن يكون المشبه به غالب الحضور في خزانة الصور بجهة من الجهات، كما إذا شبهت الشعر الأسود بالليل، أو الوجه الجميل بالبدر، أو المحبوب بالروح))[1]، وتمركز صفة المشبه به الغالبة في الذهن هي الوجه المهم في عملية التشبيه إذ تمثل الوجه الجامع لكل جزيئات الشيء الحامل للصفة الغالبة.

ولهذا ذهب **السكاكي** في معيار آخر حدده للتشبيه يشبه ما ذكره الجرجاني عن الصورة التشبيهية الممتزجة، أو ما سماها السكاكي (مجملة) في قوله: ((إن إدراك الشيء مجملاً أسهل من إدراكه مفصلاً، ومنها أن حضور صورة شيء تتكرر على الحس أقرب من حضوره صورة شيء يقل وروده على الحس وحال هذين الأصلين واضح، ومنها أن الشيء مع ما يناسبه أقرب حضورا منه مع ما لا يناسبه))[2].

ومن الجدير بالذكر أيضا أن من الاعتبارات المهمة في تحقيق البلاغة الفنية في الدلالة المركزية هي فصاحة الألفاظ، وصحة المعاني ودقة اختيارها مما يكون نصوصاً بليغة بدلالة ذوقية محققة لغرضها المطلوب، فجميع ما ذكرته من النصوص والأشعار تحققت فيه هذه الصفات وانطبق عليها ما اشترطه البلاغيون من شروط في فصاحة الألفاظ وبلاغة المعاني فمن شروطهم في الألفاظ، قول **العلوي**: ((أن تكون جارية على العادة المألوفة فلا تكون خارجة عن الاستعمال، فتكون شاذة عن الاستعمال المطرد في معناها وبنائها، وإعرابها، وتصريفها))[3].

ومقياس فصاحة اللفظة يكون بالتزامها بالعرف العربي، مع قرب معناها وينطبق ذلك على الدلالة المركزية فقط ولهذا انتقد ابن الأثير هذا الشرط فهو لا يسمح باستعمال اللغة في معان أبعد، إذ قال: ((فليس ذلك مما يوجب حسناً و لا قبحا، وإنما يقدح في معرفة مستعملها بما ينقله من الألفاظ فيكف يعد ذلك من جملة الأوصاف الحسنة))[4].

---

[1] السكاكي، **المفتاح** ، ج1، ص350-351

[2] نفسه، ج1، ص350.

[3] العلوي، **الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ج1، ص62.

[4] ابن الأثير، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر**، ج1، ص175.

والتزام الدلالة المركزية معناها حقيقة هو ما اشترطه **ابن سنان** حين قال: ((وضع الألفاظ موضعها حقيقة، أو مجازاً لا ينكره الاستعمال ولا يبعد فيها))[1] ، فالاستعمال الحقيقي غير البعيد هو ما استندت عليه، وفهم المعاني دون احتياج إلى نظر وتأمل هو محور أساس في هذه الدلالة المركزية ؛ لأنه يدل على ثبوت المعنى وشيوعه.

أمَّا الدلالة الهامشية فنجدها بارزة عند **عبد القاهر** في " القسم التخييلي"[2] وهو الخروج إلى صورة لا أصل لها في الواقع ونجد أن الشاعر يتخيلها لشيء في نفسه، ومن لطيف هذا النوع قول أبي العباس الضبي[3]:

لا تـــــــــركننَّ إلى الفـــــــــرا قِ وإن سَـــــكَنْتَ إلى العِنَـــــاقِ

فالشـــــمسُ عِنْـــــدَ غروبهـــــا تصـــــفَرُّ مـــــن فَـــــرَقِ الفِـــــراقِ

قال **عبد القاهر الجرجاني**: ((فقد وَضَعَ المعنى وضعاً وصوَّره في صورةٍ خرج معها إلى ما لا أصل له (...)، لتعظيم الفراق أنَّ ما يُرَى من الصُفرة في الشمس حين يرِقُّ نورها بدنوّها من الأرض، إنما هو لأنها تُفارق الأُفُق الذي كانت فيه، أو الناسَ الذين طلعت عليهم، وأنِسَتْ بهم.))[4]، وخيال الشاعر سمح له تصور علة نفسية لاصفرار الشمس وقت مغيبها، وهي فراقها لمن تحب مستبعداً أن ذلك من طبيعتها عند الغروب، وقد استساغ الشاعر هذه العلة التي تربط بين اصفرار الشمس في الغروب وحالة الفراق انسجاماً مع ما في نفسه من أثر حزن عميق سببه الفراق، التمس له صورة لون الشمس وقت غروبها. وعلى الرغم من أن تصوره من خياله الخاص إلا أنه عبر عن حالة من الألم مجربة عند الآخرين لذلك استطاع الشاعر أن يوصل إحساسه لدى متلقي النص ويجد له استجابة إذ يقول العشماوي: ((عندما تصبح التجارب التي يسجلها الأثر الفني متوائمة في يسر والتصاق مع تجاربنا الفعلية أو ما نسميه بتجاربنا الممكنة فإننا نقول دون شك هذه القطعة من الأدب صادقة))[5].

إذًا هامشية هذه الدلالة هامشية بتصورها وسببها في الربط بين الأشياء، وليست هامشية بانعكاسها على تجارب الآخرين فالأحاسيس واحدة، ولكن التعبير عنها مختلف.

---

[1] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص111.

[2] ينظر: الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص267 وما بعدها.

[3] نفسه، ص278.

[4] نفسه، ص278-279.

[5] محمد زكي العشماوي، **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1979م، ص3.

كذلك أوردها **الجرجاني** في (**التعليل بعلة بعيدة عن الحقيقة=التعليل التخييل والتأوُّل في الصفة**) قائلاً: ((ما تراه من تأوُّلهم في الأمراض والحمَّيَات أنها ليست بأمراض، ولكنها فِطَنٌ ثاقبة وأذهانٌ متوقِّدة وعَزَمات))[1]، كقول كشاجم[2]:

ولقـــد أخطـــأ قـــومٌ زعمـــوا أنهـا مـن فَضْـل بَـرْدٍ في العَصَـبْ

هُـــو ذَاك الـــذِّهن أذكـــى نارَهُ والمِـــزاَجُ المُفْـــرِطُ الحَـــرّ التهـــبْ

وشرح الجرجاني لهذه التعليلات بأنها بعيدة وغير واضحة، وهي ليست بعيدة فقط وإنما غير حقيقية، فإصابة الجسد بالحمى من فرط الذكاء وفرط نار المزاج لا بسبب برد أو مرض التقاط ذكي لسبب يوجد علاقة بين شيئين لا يمكن أن توجد صلة بينهما أبداً. والشاعر يفعل هذا ترويحاً لنفسه أو لمن يقال له الشعر من حرارة وتعب الحمى المؤذي[3].

وفي تسمية أخرى ترد الدلالة الهامشية عند الجرجاني أيضاً وهي ((**التخييل مع حسن التعليل**))[4]، ومنه قول الشاعر[5]:

رَحَـــل العـــزاءُ بـــرحْلَتي فكـــأنني أتبعتُـــه الأنفـــاسَ للتشـــييعِ

وإشارة الجرجاني إلى الدلالة الهامشية في هذا العنوان دقيقة جداً فصورة التعليل، أو سبب التعلل مأخوذ من تصور الشاعر لنفسه أنه يعيش حالات تفوق في مستواها ما يمر به الآخرون، لذلك يحس بصدق هذه المعاني في داخله فيتخيل إليه السبب في هيئات تكون صور الحالة التي يتخذ منها في الوقت نفسه تعليلاً لألمه أو فرحه.

فالشاعر في قوله المذكور آنفاً صور أنفاسه الصاعدة بالمشيعين الذين يتبعون (المتوفى) فالتشييع لا يكون إلا للمتوفى وهو (العزاء) في شعره، وحقاً إن هذا التخييل ، هامشي فردي لغرابة ما فيه من التصوير لحالة الحزن الشديدة التي يعانيها الشاعر.[6]

وقال شاعر آخر[7]:

أتتـــــني تُـــــؤَنّبني بالبكـــــا فـــــأهلًا بَهَـــــا وبتأنِيبَهـــــا

---

[1] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص282.

[2] نفسه ص نفسها.

[3] ينظر: نفسه، ص283.

[4] نفسه، ص284.

[5] نفسه، ص298.

[6] ينظر: نفسه، ص299.

[7] نفسه، ص300.

تقـــــولُ وفي قولهـــــا حِشْمـــــةٌ أتبكـــــي بعَـــــيْنٍ تـــــراني بهـــــا؟

فقلـــــت: إذا استحســـــنتْ غـــــيركم أمـــــرتُ الـــــدُّموع بتأديبهـــــا

قال **الجرجاني**: ((أعطاك بلفظة التأديب، حُسْنَ أدب اللبيب، في صيانة اللَّفظ، كما يُحوج إلى الاعتذار، ويؤدي إلى النِّفار))[1]، فالمعروف أن البكاء يريح النفس من معاناتها، أو تعبيراً عن شدة التأثر من الفرح أو للتأديب، فهذا دافع فردي رآه الشاعر في مخيلته منسجماً مع فعل عينه المقصرة. ويأتي المعنى الهامشي لـ (تحقيق معنى) نفسي قد لا يكون فردياً، إلا أن له خصوصية في التصور.

وهذا ما ينسجم والمعنى الذاتي للشاعر الموضوع في التصور النادر والجديد مكوناً بذلك الدلالة الهامشية، أو (التخيلية) على تسمية البلاغيين لها آنفاً، التي يجسد الشاعر تأثيرها في رسم صورة لفظية موحية مثيرة للانفعال والوجدان في نفوس الآخرين[2].

نستنتج من خلال هذه الأمثلة جميعها تتضح فيها الدلالة الهامشية ويتمثل ذلك في ما يلي:

الأولى: علاقة هامشية خاصة تمثل الحالة وإن كان المعنى لا يخص الشخص نفسه، وهذا ما يتمثل فيه صدق الانفعال والتأثر بتجارب الآخرين و يستلزم إيماناً بالتجربة في معانيها الإنسانية وهو في هذا يتلاقى مع الصدق الخلقي غير التقليد.

والثانية: علاقة هامشية خاصة بذات الشاعر.

صفوة القول:

تجمعت من خلال البحث في عنصر الدلالة المركزية والدلالة الهامشية بين المحدثين والبلاغيين)، واختلاف المستويات الموضوعية التي درست فيها هذه الدلالات، نتائج مفيدة مهمة أختصر أهمها كما يأتي:

1. إن مصطلحات (الدلالة المركزية) و (الدلالة الهامشية)، هي تسميات حديثة للمعاني (العامة والخاصة)، حددتها الكتب الحديثة التي تناولت الموضوع، أما المصادر القديمة فقد تطرقت إلى جوانب من هذه الموضوعات من دون الإشارة إلى مصطلحات محددة.

3. تمثلت حرية التعبير الفكرية والنفسية في الدلالة الهامشية عند المحدثين، أما عند البلاغيين القدامى فقد تمثل تعبيرهم بتمسكهم الشديد إلى(العرف اللغوي) و(عمود الشعر) و(معايير الفصاحة والبلاغة).

4. اقتربت دراسة المحدثين في بعض الأوجه من دراسة العرب القدامى لهذه العلوم الدلالية، إلا أن الدراسة الحديثة قد طورت جوانب كثيرة منها، مثل النفسية والأسلوبية والمفاهيم الجمالية التي لها أثر كبير في التحليل الدلالي.

---

[1] السابق، ص301.

[2] ينظر: سيد قطب، **النقد الأدبي أصوله ومناهجه**، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1410هـ/1990م، ص9.

- **نظرية الرصف**

✓ **في الدراسات الحديثة:**

تعد ظاهرة الرصف في اللغة من الظواهر اللغوية التي تشيع في جميع اللغات، ولا تختص بلغة محددة، ويُقصدُ بها الترابط المعتاد لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معيّنة في تلك اللغة، كما تُعَدّ الرصف فرعا من فروع علم الدلالة؛ لما لها من أهمية في توجيه دلالة كثير من الألفاظ والتراكيب، ففي كثير من الأحيان نجد أنَّ المعنى المعجمي للكلمة لا يحقق المعنى المراد، ولذا كان لا بدّ من التوجّه إلى السياق لملاحظة الكلمات التي قد تتصاحب معها هذه الكلمة، وهذا الأمر لا ينفي دور المعنى المعجمي، بل يعمل على تقويته؛ لأن هذه المصاحبة تساهم في تحديد الدلالة المركزية للكلمة، كما تساهم في خلق دلالات لا يمكن التعبير عنها باللفظ المفرد، ومن هنا انصبّ اهتمام القدماء على تحرّي الدقة في استعمال اللفظ المناسب في المكان، من دون العناية بوضع القوانين الضابطة لهذه الظاهرة.

فالرصف[*] هو :((الارتباط الاعتيادي لكلمة ما في لغة ما بكلمات أخرى معينة في الجمل))[1]، أو هو (استعمال وحدتين معجميتين منفصلتين، استعمالهما عادة مرتبطتين الواحدة بالأخرى، ومن أمثلة ذلك كلمة "منصهر" مع مجموعة من الكلمات: حديد-نحاس-ذهب-فضة...ولكن ليس مع جلد مطلقا))[2].

ويرى "**البركاوي**" أن المراد بالرصف هو: ((الورود المتوقع أو المعتاد لكلمة ما مع ما يناسبها أو يتلاءم معها من الكلمات الأخرى في سياق لغوي ما، ومن أمثلة ذلك: البقرة مع اللبن، والليل مع الظلمة، ويطلق على هذا المستوى من التحليل مصطلح التحليل الرصفي، وهو يقع في منزلة وسط بين مستويين: مستوى السياق الخارجي والمستوى النحوي، وهو مسؤول تماما أو إلى حد ما عن تحديد المعنى المعجمي أو بالأخرى سياقات خارجية من معنى الليل، يكمن في إمكانية وروده مع لفظ" الظلمة"، وجزءا من معنى الظلمة يكمن في إمكانية وروده مع "الليل" ، وهنا تحدث "فيرث" عن الربط بين الألفاظ المترادفة والمتباينة وغير ذلك من التقابلات الثنائية بين كلمتين يحتمل ورودهما معا في سياق لغوي بعينه))[3]، ومن خلال التعريفات السابقة يتضح أن الرصف هو ابتداءً العشرة اللفظية، وأسميها عِشْرة؛ لأنها وكما في التعريفات السابقة تتكئ على الاعتياد والاستعمال، وهما لفظان يشيبان بقدر من المصاحبة الطويلة التي فرضها الاستعمال فأصبحت عادة في التكلم وتوقعها في التلقي.

---

[*] ولتفصيل أكثر ينظر: محاضرات في علم النفس اللغوي لـ"بن عيسى خنفي"

[1] محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى"أنظمة الدلالة في العربية"** دار المدار الإسلامي، بيروت/لبنان، ط2، 2007م ، ص122، وأحمد مختار عمر ، **علم الدلالة ، ص74**.

[2] أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص74.

[3] عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث-دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق"**، دار الكتب، دب، 1991م، ص52.

ويقول "**البركاوي**" أيضا: إن دراسة تحليل السياقات وأنماط الرصف المختلفة وفقا لنظرية "فيرث" ومن نحا نحوه قد أديا إلى نتيجة مهمة فحواه((أنه لم يعد ينظر إلى الكلمات باعتبارها وحدات معجمية تشغل مواقع نحوية محددة، وإنما إلى شروط استخدامها في تلاؤم وانسجام مع الكلمات الأخرى))[1]، إن هذا التلاؤم والانسجام بين الكلمات هو أحد أسس المقبولية (acceptability)، ويرى" Firth " أنَّ **الرصف** هي تجريدٌ على المستوى الائتلافي، ولا تتعلّق مباشرة بالمنهاج المفهوميConceptual Approach، أو منهاج الفكرة Idea Approach، بمعنى أن العلاقة بين عنصري المصاحبة أو عناصرها يجب أن تتّسم بالتآلف والانسجام فيما بينها، دون الاهتمام بالتصوّر المسبق لمعاني الألفاظ، ولذا نجد أن اللفظ الواحد لا يتصاحب مع جميع ألفاظ اللغة، وذلك لغياب عنصر التآلف و الانسجام فيما بينها، وإنما يتصاحب مع ألفاظ محدّدة، وذلك على نحوٍ ما تجد في قولك: (nightdark)، فالتآلف بين هذين العنصرين يجعل تصاحبهما مقبولا، وبذلك يكون أحد معاني اللفظ night ، هو قبوله لمصاحبة dark وأحد معاني اللفظة dark هو قبوله لمصاحبة night[2]، وهذا الأمر يجعلنا أمام رأيين متناقضين حول العلاقة بين الدلالة والاقتران*:[3]

1–الرأي الأوّل: هو أن الاقتران يحدّد معاني الألفاظ، وهو الرأي السائد لدى علماء اللغة.

2–الرأي الثاني: هو أن المعنى يحدّد الاقتران؛ أي أن الاقتران لا يتحقق إلا بتوافق المعاني وتلاؤمها بين العناصر المتصاحبة، والحقيقة أنَّ كلا الرأيين على صواب، إلا أنَّه لا يمكن أن يتحقق أحدهما بمعزل عن الآخر، وإنما هما رأيان يكمّل أحدهما الآخر، فقد بيَّنا سابقا أن اللفظ الواحد لا يتصاحب مع ألفاظ اللغة جميعها، وإنما يتصاحب مع عدد محدّد من هذه الألفاظ تجمع بينهما علاقة من التلاؤم والتناسب الدلالي، ولكن عندما يتحقق هذا التلاؤم تصبح المصاحبة هي المحدّد الأساس لمعنى اللفظ بشكل دقيق، فكلمة(عين) مثلا تصلح للتصاحب مع عدد من ألفاظ اللغة، مثل(الإنسان، أو الحيوان، الجيش، الماء، القناة، الشمس...إلخ)، وذلك لوجود تلاؤم دلالي بينها وبين هذه الألفاظ يسمح بتصاحبها، ثمّ إن هذا التصاحب بينهما هو الذي يحدّد المعنى الدقيق لكلمة(عين)، فعندما نقول: ((عينُ الإنسان أو الحيوان) تعني: العين التي يُبصر بها الناظر، و(فلانٌ عين الجيش) تعني : رئيسه،

---

[1] السابق، ص53.

[2] ينظر: محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى"أنظمة الدلالة في العربية"**، ص122.

[3] ينظر:

–، محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى"أنظمة الدلالة في العربية**، ص122.

– أحمد سراج المنير، **مفهوم السياق عند تمام حسان وفيرث –دراسة تحليليةًّة مقارنة–**، بحث جامعي مقدم لاستيفاء بعض الشروط للحصول على درجة سرجانا في قسم اللغة العربية وآدابها كلية العلوم الإنسانية ، من إشراف: أندوس كياهي الحاج مرزوقي مستمر ، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، 2016م، ص.70.

و(عين الماءِ) تعني: ينبوع الماء الذي ينبع من الأرض ويجري، و(عين القناة) تعني : مصبُّ مائها، و(عين الشمس) تعني: شعاعُها الذي لا تثبت عليه العين الناظرة[1].

وما كان لنا أن نصل إلى هذه المعاني الدقيقة لولا وضع كلمة (عين) في تصاحبات مختلفة، وما كان لنا أن نضعها في هذه التصاحبات المختلفة لولا وجود عنصر التلاؤم والتناسب الدلالي فيما بينها، إنَّ هذا الاهتمام من "فيرثFirth " بنظرية المصاحبة دفعه إلى أن يجعلها جزءا من نظريته الشاملة في المعنى، فقد عدَّ المستوى التصاحبي في التحليل اللغوي مرحلة متوسّطة بين المرحلة المقاميةSituational، والمرحلة القواعديةGrammatical، واقترح أن يُعالج هذا المستوى مع المعنى المعجمي للمفردات التي تتوافق في السياقات المختلفة، من دون الاهتمام بوظائف في مقام معين، فإن" Firth "وغيرَهُ من أصحاب النظرية السياقية لا يهتمون بما تشير إليه الكلمة في الخارج، ولا بما تُحيل عليه، وإنَّما معنى الكلمة-عندهم- يستمدّ حياته من السياق فقط، بل إنَّ المنهل الوحيد الذي تستقي منه اللفظة معناها هو مصاحبتها للفظة أخرى[2]، وهكذا تصبح المصاحبة اللغوية المحدّد الأساس لمعاني المفردات اللغوية، وهو ما أشار إليه أيضا "بالمرBalmer " عندما أكَّد أنه لا يجوز الفصل بين المصاحبة اللغوية ودلالة الكلمات المتصاحبة؛ لأن الكلمة قد تقترن بعدد من الكلمات الأخرى التي تشترك معها بشكل ما دلاليا، بمعنى أنَّ هناك علاقة دلالية بين الكلمات المتصاحبة تساعد على تحديد معنى الكلمة[3]؛ من ذلك أن بعض معاني كلمة (شجاع) مثلا يتحدّد بمصاحبتها لكلمة (رجل)، وبعض معاني كلمة (رجل) يتحدّد بمصاحبتها لكلمة(شجاع)[4]، وكذلك حاول" **Balmer** " التمييز بين نوعين من الجمل المستبعدة أو المرفوضة لغويا، هما: [5]

---

[1] ينظر:

-ابن منظور، **لسان العرب**، مادة"ع ي ن"، ص3195-3201.

-جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، **المزهر في علوم اللغة وأنواعها**، تح: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1998م، ج1، ص295.

-عبد الله بن يحي الفيفي، **مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية-إشراق على أحمد الرفاعي-**، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، المملكة العربية السعودية/الرياض، ط1، 1438هـ/2017م، ص115

[2] محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى"أنظمة الدلالة في العربية"**، ص122.

[3] ينظر: أف،آر بالمر، **علم الدلالة**، ص152.

[4] ينظر: علي محمد محمد يونس، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، دار الكتاب الجديد المتحدة، مكتبة نرجس، بنغازيا/ليبيا، ط1، 2004م، ص30.

[5] ينظر: أف، آر، بالمر، **علم الدلالة**، ص151.

1-الجمل المستبعدة(غير المقبولة) لأسباب قواعدية، مثل: (الأولاد جالسٌ في الحديقة)، فهذه الجملة تخالف قانونا قواعديا واحدا، ولكن هناك جملٌ لا تنطبق عليها أيّة قوانين على الإطلاق، على نحو: (فوقَ عن يلعبُ قويا).

2-الجمل المستبعدة لأسباب مفرديّة تتعلق بدلالة الكلمات، مثل: (الماءُ هشٌّ)، أو (الزهرة ركضت)، وهو في هذا النوع يشير إلى مشكلة الاقتران أو المصاحبة التي لا تسمح بتوارد (ماء) مع(هشّ)، أو توارد (زهرة) مع (ركضت)، بمعنى أنَّ المستوى التصاحبيّ، كما أشار" **Firth** "، هو الذي يحدّد قبول الجُملة دلاليا أو مفرديا، بحسب تعبير **Balmer** أو استبعاد هذه الجملة.

وهذا الأمر جعل "**جون ليونز**" Johns Lyons يُطلق مصطلح (تصاحبيّ) بوصفه مرادفا لمصطلح (معجميّ) الذي ارتبط في أذهان الكثيرين بما تدلّ عليه الكلمة خارج اللغة[1].

وإلى جانب الصحّة النحوية في الألفاظ المتصاحبة يشير" **Lyons** "إلى أنَّ هناك مجالا للتنوع في الصيغ الصرفية، محاولا من خلال ذلك التمييز بين المصاحبة اللغوية، أو كما سمَّاه(تعبير العبارة)، وبين الصيغة أو الصيغ التي توضع معها في توافق بواسطة قواعد اللغة الصرفية، فعلى سبيل المثال: (pass muster يفي بالغرض) تعبير عبارة، وله الصيغ الآتية: (pass muster- passes muster- passed muster) وهلمَّ جرا، وحالات هذه الصيغ هي التي ترد في الجمل، بحسب المقام المناسب لكلّ صيغة[2].

إنَّنا نجد من خلال ما سبق أن الدراسات اللغوية المعاصرة أثبتت أهمية كبيرة لنظرية الرصف في تحديد معاني الألفاظ، وتحرّيها الدقّة في استعمال اللفظ المناسب في المكان المناسب، إلا أن الدراسات القديمة لم تتعدَّ حدود الوصف الخارجي للظاهرة؛ إذ إنَّنا لا نجد من علماء العربيّة القدماء من قام بتحديد أنواع الرصف، أو بوضع ضوابط تجعل التركيب من قبيل الرصف، ومن هنا تبرز أهمية الدراسات اللغوية المعاصرة حين اتَّخذت من المصاحبة اللغوية نظرية مستقلةً فقد بذل المحدثون جهدهم في الحديث عن هذه الظاهرة، وحاولوا تبيان أنواعها وضوابطها.

✓ **نظرية الرَّصف عند البلاغيين:**

إنَّ ما نادى به **Firth**، وذهب إليه أصحابُه، ومن جاء بعدَهم، قد سبقَهم إليه القدماء من علماء العرب، تشهد بذلك مصنّفاتهم التي اتسمت بعمقِ إدراكهم لهذا المفهوم في تفسير أو تحديد معاني الألفاظ، ، وهناك كثيرٌ من النصوص والإشارات التي تدلُّ على معرفة القدماء للمصاحبة بمعناها الاصطلاحي الحديث،

[1] ينظر: علي محمد محمد يونس ، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، ص30.

ـــــــــــــــــــا، **لمعنى وظلال المعنى**، ص122.

[2] ينظر: جون ليونز ، **اللغة والمعنى والسياق**، ص44.

ولأهميتها في إتمام المعنى، إذ شدَّد العلماء على الترابط والتجاور بين بعض الألفاظ؛ لأنَّ الفصل بينها يُفْسِدُ ترابطَها، ويخلّ بالمعنى المراد.

فقد نبَّه **الجاحظ** إلى أهمية استعمال بعض الألفاظ دون غيرها بما يحقّق التناسب والتلاؤم بينها، مستدلا على ذلك بما ورد في القرآن الكريم، إذ يقول: ((وقد يستخفّ النَّاس ألفاظا ويستعملونها، وغيرُها أحقُّ بذلك منها، ألا ترى أنَّ الله تبارك وتعالى لم يذكر في القرآن الجوعَ إلا في موضعِ العقاب أو في موضعِ الفقر المدقعِ والعجزِ الظاهر، والنَّاسُ لا يذكرون السَّغَبَ ويذكرون الجوعَ في حال القدرة والسلامة، وكذلك ذكرُ المطرِ؛ لأنَّك لا تجدُ القرآنَ يلفِظُ به إلاّ في موضعِ الانتقامِ، والعامةُ وأكثرُ الخاصَّة لا يفصلون بين ذِكْرِ المطر وبين ذِكْرِ الغيثِ، ولفظُ القرآنِ الذي عليه نزلَ أنَّه إذا ذكَرَ الأبصار لم يقل الأسماع، وإذا ذكر سبعَ سماوات لم يقل الأرضين، ألا تراه لا يجمعُ الأرضَ أرضين، ولا السمع أسماعا، والجاري على أفواهِ العامّة غيرُ ذلك، لا يتفقَّدون من الألفاظ ما هو أحقّ بالذكرِ وأولى بالاستعمال))[1] ، وهذا دليلٌ واضحٌ على اهتمام **الجاحظ** باستخدام اللفظ المناسب في المكان المناسب؛ ولذا نجده يفرق بين (الجوع) و(السغب)، فالأوَّل منهما يُصاحبُ العقاب والفقر المدْقِع، كما في قوله تعالى: ﴿**وَلَنَبْلُوَنَّكُم بِشَيْءٍ مِّنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِّنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِالصَّابِرِينَ**﴾[البقرة:55]، وأمَّا الآخر فهو يُصاحب القدرة والسلامة، ومثل ذلك لفظ(المطر) الذي يُصاحب العقاب والانتقام، ولفظ (الغيث) الذي يُصاحب الخير والنعمة[2].

ثم يذكر **الجاحظ** في السياق نفسه مجموعة من الألفاظ التي لا ترِدُ إلاَّ متصاحبة مع بعضها في النص القرآني الكريم، إذ يقول((وفي القرآن معانٍ لا تكادُ تفترق، مثل الصلاة والزكاة، والخوف والجوع، والجنَّة والنَّار، والرغبة والرهبة، والمهاجرين والأنصار، والجنّ والإنس))[3].

إنَّ ما تقدّم يشير إلى أنَّ العلماء العرب القدامى تنبَّهوا إلى ما يعنيه(الرصف) في الاستعمال اللغويّ، وهي لم تكن بعيدة عن أفهامهم، أو غريبة على عقولهم، بل إنَّهم قد((ضربوا بسهمٍ وافرٍ في هذا المجال، وكشفوا عن المجالات المختلفة التي تُستعملُ فيها ألفاظٌ بأعيانها، بحيثُ لو استُعمِلَ لفظٌ مع غير ما يتلاؤَمُ معَهُ كان ذلك خطأ))[4]، وكأنَّ الألفاظ تفرضُ قيودا على الألفاظ التي تليها، تجعلُها ترفض التصاحب مع غيرها، بمعنى أنَّ الألفاظ

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص20.

[2] ينظر: محمد أحمد أبو الفرج، **المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1385هـ/ 1966م، ص111-115.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**،ج1، ص21.

[4] البركاوي عبد الفتاح عبد العليم، **دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث**، ص72،

تميل إلى التجمَّع والتصاحب على نحوٍ انتقائي، فلا يتصاحب اللفظ الواحد مع ألفاظ اللغةِ جميعِها، بل بألفاظٍ محدّدة تنضبطُ ضمن أطر معْنويّة، وهو ما أشار إليه **عبد القاهر الجرجاني** في معرض حديثه عن "نظرية النظمSystem Theory"، مبيّنا أهميّة التلاؤم والتناسب بين معنى اللفظ و معنى اللفظ الذي يليه، إذ يقول في فصلٍ" في تحقيق القول على **البلاغة والفصاحة والبيان والبراعة**:((فقد اتضح إذن ولا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث إنها ألفاظ مجردةُ، ولا من حيث هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهدُ لذلك أنك ترى الكلمة تروقُك وتؤنسك في موضعٍ، ثم تراها بعينها تثقلُ عليكَ وتُوحشكَ في موضعٍ آخر))[1]، ويقول أيضا:((إنَّ الفصاحةَ لا تظهر في أفراد الكلماتِ، وإنما تظهرُ بالضّم على طريقةٍ مخصوصة))[2]، ويقول في موضعٍ آخر تحت عنوان "فصل في النظمِ يتّخذُ في الوضعِ ويدِقُّ فيه الصنع": ((واعلم أنَّ ممَّا هو أصلٌ في أن يدِقَّ النظرُ، ويغمُضَ المسلكُ في توخّي المعاني التي عرفتَ، أن تتّحدَ أجزاءُ الكلامِ، ويدخلَ بعضُها في بعضٍ، ويشتدَّ ارتباطُ ثانٍ منها بأوَّل، وأن تحتاجَ في الجملةِ إلى أن تضعَها في النفسِ وضعا واحدا))[3].

يشير **الجرجاني** في النص السابق إلى أمرين؛ أولهما أن اللفظ المفرد لا يوصف بالفضيلة أو خلافهما، إنَّما تكون الفضيلةَ والمزيّة للفظ عندما يوضع في سياق، ويتحقّق التلاؤم بين معناه ومعنى اللفظِ الذي يليه، وثانيهما أنَّ هناك ألفاظا يشتدّ ارتباطُ بعضِها ببعضٍ، فتوضَع وضعا واحدا، وهو بذلك يشير إلى مفهوم المصاحبة اللغويّة التي نحن بصدد الحديث عنها من دون أن يصرّح بهذا الاسم، وممَّا يؤكّد ذلك أيضا قوله: ((وإذ قد عرفتَ أنَّ مدارَ أمرِ النظمِ على معاني النحو، وعلى الوجوهِ والفروقِ التي من شأنِها أن تكونَ فيه، فاعلم(...) أن ليست المزيةُ بواجبةٍ لها في أنفسِها(...)، ولكنْ تعرِضُ بسبب المعاني والأغراض التي يوضَعُ لها الكلام، ثمّ بحسب موقعِ بعضِها من بعضٍ، واستعمالِ بعضِها مع بعض))[4]، فقوله"استعمال بعضِها مع بعضٍ "يشير إلى أنَّ بعض الألفاظ تستدعي ألفاظا، أخرى، فلا ترِدُ إلا معها، وهو ما أطلق عليه **"تمَام حسان"**، في تعليقه على قول الجرجاني ، اسم "التضام"، وعدّه من القرائن اللفظيّة، وعرَّفه بأنَّه تطلّب إحدى الكلمتين للأخرى، واستدعاؤها إيَّاها[5]، ومن البلاغيين أيضا الذين أبدوا اهتمامهم بحسن النظم والتأليف بين الألفاظ **أبو هلال العسكري**، وقد استخدم في حديثه عن هذه الظاهرة

[1] الجرجاني، **الدلائل** ، ص46.

[2] نفسه ص394.

[3] نفسه، ص93.

[4] نفسه، ص87.

[5] ينظر: تمَّام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص187.

"**الرصف**"، وهو من المصطلحات التي تبنَّاها العلم الحديث، والذي يُعدّ من المصطلحات البديلة لمصطلح المصاحبة، إذ يقول في باب"البيان عن حسن النظم وجودة الرصف، والسّبك وخلاف ذلك: ((وحُسْنُ الرّصفِ أن توضَعَ الألفاظُ في مواضِعها، وتُمكّن في أماكنها، ولا يستعملُ فيها التقديمُ والتأخيرُ، والحذفُ والزيادةُ إلا حَذْفا لا يُفْسِدُ الكلامَ ولا يُعمّي المعنى، وتُضَمّ كلُّ لفظةٍ منها إلى شَكلِها، وتُضافُ إلى لِفْقِها))[1]، بمعنى أنَّ الألفاظ يجب ألا توضَع وضعا عشوائيا، وإنَّما يُضَمّ اللفظُ إلى ما يناسبُه، ويكمّل معناه، وهذا بليغ الدلالة على اهتمام علمائنا القدامى بتحقيق التناسب والتلاؤم بين الألفاظ المتجاورة، بحيثُ لو وُضِعَ اللفظُ في غيرِ موضِعه لأدّى ذلك إلى سوء التأليفِ ورداءةِ الرصفِ والتركيب ، وكان سببا للغموضِ والتعميةِ على حدّ تعبيره[2].

ومن البلاغين أيضا الذين لفتوا الانتباه إلى هذه الظاهرة تحت مسميات مختلفة، فقد نجد" **ابن الأثير**" فقد أطلق عليها مصطلح "المواخاة بين المعاني والمواخاة بين المباني"، وعرَّف المواخاة بين المعاني بقوله: ((أن يُذكر المعنى مع أخيه، لا مع الأجنبي، مثاله أن تذكر وصفا من الأوصاف وتقرنه بما يقرب منه ويلتئم به، فإن ذكرته مع ما يبعد منه كان ذلك قدْحا في الصناعة وإن كان جائزا))[3]، فالمواخاة بين المعاني تُدرك من خلال المناسبة بينها- أي أن يؤتى بالمعنى وما يناسبه- واعتياد أبناء اللغة سماع/قراءة هذه المعاني في سياقات مشابهة، فالقاعدة التي يُستند إليها في إدراك علاقة الرصف المعجمي أو المصاحبة بين العناصر المعجمية، هي الاعتياد أو الظهور المشترك في السياقات المتشابهة[4].

وممَّا تقدَّم نستخلص أنَّ البلاغيين قد تنبهَّوا إلى ما تعنيه،"**نظرية الرصف**"، وإن لم يضعوا مؤلفا يحمل هذا العنوان أو ما في معناه، وقد أشاروا إليها في بطون مصنَّفاتهم التي كانت تهتمّ بالألفاظ، وما يتوافق ويتلاءم مع كل لفظ في السياقات المختلفة، فتحدَّثوا عن ذلك، وبيَّنوا مواطن الجودة والرداءة فيها، وكان علمهم هذا من أجل الحفاظ على اللغة العربية من اللحن، ومن أجل تسهيل حفظ اللغة، وتسهيل عملية الكتابة والتأليف؛ أي أنهم تطرّقوا إلى ظاهرة المصاحبة اللغوية من دون أن يضعوا مؤلفا خاصا بها، أو أن يحدّدوا أنواعها، وهذا يعني أن لهم مساهمة مُبكِّرة في الوقوف عند دلالة "المصاحبة" ومتطلباتها، ففكرة العمل لهذا النمط من أنماط التعبير اللغوي كانت موجودة لديهم، بدليل أنهم فهموا هذا الاستعمال اللغويّ وإنْ لم يصرحوا به، إلى أن وصلت الدراسات اللغوية المعاصرة، وحاولت التوسّع في دراسته عن عنوان"نظرية الرصف".

---

[1] العسكري، **الصناعتين**ص161.

[2] ينظر: نفسه ص نفسها.

[3] ابن الأثير ، **المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر** ، ج3، ص154.

[4] محمد عبد اللطيف، (**مصطلح الرصف في الدرس اللغوي"مدخل إلى تحديد المصطلح**")، حوليات آداب عين شمس، مج 44، 2016م، ص427.

خلاصة الفصل:

بعد هذه الجولة في رحاب السِّياق اللغوي ومظانّه في الدرس اللغوي الحديث، والبلاغي غربيِّه وعربيِّه، لامناص من القول جزما بأنَّ هذا النمط من السياق بمختلف عناصره ومستوياته ومحدّداته قد لاقى القبول والاستحسان من حيث كونه وسيلة إجرائية فاعلة لتصيد المعنى وتقفي مواطن الدلالة، وهذا الأمر تجلى عند كثير من الغربيين وحتى العرب لاسيما منهم الذين عاصروا أو تتلمذوا على يدي مؤسس الاتجاه السياقي المؤطر والمقنن اللساني "فيرث"، ولا ضيرَ من الإشارة ختاما إلى أنَّ هذه النظرية جسدت اللبنة الأساسية والأرضية التي ولّدت ما يعرف بالنظرية المقاماتية.

كما استخلصت في هذا الفصل أيضا المكانة الجليلة التي احتلها البلاغيون العرب في دراستهم للسياق اللغوي ومعرفتهم الواسعة بوظائفه الدلالية من حيث أنه المعيار الأول والأخير للتمييز بين دلالات الكلمات والألفاظ المصاحبة و الألفاظ المقترنة، وهو من العوامل المتحكمة في طرائق تصنيف الألفاظ وتبويبها بحسب المعاني والموضوعات؛ لأن وجود اللفظ إلى لفظ آخر يُستخدمان في سياق يُعزّز القيم الدلالية المتميّزة لكل منهما، فالسياق اللغوي هو مفهوم واسع بحيث يشمل السياق الصوتي والنحوي والصرفي والدلالي، ولا يظهر المعنى المقصود إلا بمراعاة الوظيفة الدلالية للألفاظ المستخدمة.

الفصل الثاني

السياق غير اللغوي في التراث البلاغي العربي

توطئة

أولا– السياق غير اللغوي في الدراسات الحديثة

1–مفهومه

2–عناصره

3–السياق غير اللغوي عند الدارسيين الغرب والعرب

ثانيا– السياق غير اللغوي عند البلاغيين

1–مفهومه

2–عناصره

خلاصة الفصل

توطئة:

لقد غدا كثيرٌ من الدَّارسين المنشغلين بالدرس اللساني الغربي الحديث معتقدين بأنَّ فيه من القضايا اللغوية ما انعدم في الدرس اللساني العربي القديم، وبأنَّ قضاياه اللغوية ساعدت على فتح ما استغلق من فهم المعنى، ومن ذلك قضية سياق الحال التي تعد آلية من آليات الفهم غير اللغوية التي توصَّل إليها الدرس اللساني الغربي الحديث في إشكاليته مع المعنى، وهي قضية عدّت فتحا كبيرا في الدرس اللساني الغربي الحديث، وتعد فتحا لغويا غير مسبوق تُوِّجت به مباحث المدرسة اللسانية الاجتماعية بزعامة "فيرث"، في الوقت الذي يعتقد فيه بعض الدَّارسين أن الدرس اللساني اللغوي العربي القديم يفقد هذه الآلية غير اللغوية.

أولا– السياق غير اللغوي في الدراسات الحديثة:

1–مفهومه:

عـرف السـياق غـير اللغـويContextNon-linguistic، والـذي يسـمى كـذلك بالسـياق الحال Context of situtionبمجموعة من التعريفات نوجزها فيما يأتي:

أ- يرى"**مالينوفسكي**"(**Malinovsky**) أنَّ فكرة سياق الحال((تعني أكثر من اللغويات والثقافة والبيئة وغيرها من العناصر اللغوية الميتة، وقد قصد بهذا المصطلح أيضا الوقوف على الجانب اللغوي الحي بمعنى دراسة اللغة عن طريق المشاهدة والملاحظة للكلام في الموقف الفعلي؛ إذ إنَّ معنى الكلمات متأصِّل في كفاءتها العلمية))[1]، وأنه لا يتضمن عند الاتصال اللغوي الكلمات فقط، بل الصلات والظروف الخارجية التي تسهم في إنتاجية الكلام، ويقصد به ((الوضعية والظروف التي رافقت المتكلم وقت الكلام الفعلي))[2].

ب–وقد أطلق عليه **كمال محمد بشر** "المسرح اللغوي أو المقام أو مجريات الحال"؛ وفي ذلك إشارة إلى معطيات الموقف الحي التي تؤطر الكلام، يقول: ((والمقام في نظرنا ليس مجرد مكان يلقى فيه الكلام؛ وإنما هو إطار اجتماعي ذو عناصر متكاملة آخذ بعضها بحجز بعض، فهناك الموقف كله بمن فيه من متكلمين وسامعين وعلاقتهم بعضهم ببعض، وهناك كذلك ما في المواقف من الأشياء والموضوعات المختلفة التي قد تفيد في فهم الكلام، والوقوف على خواصه، وهناك كذلك الكلام نفسه))[3].

ج–أمَّا **محمود السعران**، فيقول: ((إنَّ سياق الحال هو جملة العناصر المكونة للموقف الكلامي أو للحال الكلامية))[4]، وفي ذلك ربط مباشرٌ للكلام بمجريات إنتاجه وتلقِّيه.

وبهذا يتضح أنَّ جوهر"السياق غير اللغوي، يقوم على بيان أهمية العناصر غير اللغوية ودورها الفعال في إنتاج الكلام وتلقيه، باعتبار أنَّ صور الكلام تختلف وتتنوع من حال إلى آخر، و بتعبير آخر دراسات الكلام في المحيط الذي يقع فيه، والعالم الخارجي عن اللغة بما له من صله بالحدث اللغوي أو النص، ويتمثل في الظروف الاجتماعية

---

[1] عبد النعيم خليل، **نظرية السياق**، ص81، و سامية بن يامنة، **سياق الحال في الفعل الكلامي–مقاربة تداولية–**، أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية، من إشراف: أحمد عزوز، جامعة وهران، ص27،.

1- m.a.k. haliday, the notion of"context"in language education, amsterdqm studies in the theory qnd history of linguistic science, mohsen Ghadessy (editor): Text and context in functional linguistic, 1984 , p3-5.

[2] حلام الجيلالي، "**من نظريات التحليل الدلالي في التراث العربي**"، مجلة المعجمية ، تونس، ع16-17، 2001م، ص304.

[3] كمال محمد بشر، **دراسات في علم اللغة**، دار المعارف، مصر، ط9، 1986م، ص61.

[4] محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ص311.

والنفسية والثقافية للمتكلم والمشتركين في الكلام وكذا الظروف المحيطة بالبحث الكلامي، وهي العمر ونوع القول وجنسه، واللغة واللهجة المستعملة، والمتكلم، والمستمع، والعلاقة بين المتخاطبين من حيث الثقافة والجنس والعمر والطبقة الاجتماعية أي يعني الجو الخارجي الذي يحيط بالكلام من ظروف وملابسات[1].

2-عناصر السياق غير اللغوي ومكوناته:

لقد تنبه أصحاب المنهج السياقي لأثر العامل الاجتماعي في اللغة، بربط اللغة بالمجتمع برباط وثيق يضمن الوصول إلى معنى أكثر دقة، فهو ضروري في تحديد الدلالة، وعليه فإن علم اللغة الحديث قد حدد عناصر السياق غير اللغوي، وبين أثره في المعنى وتوضيحه، ونوجزها فيما يلي:

أ-المتكلم[*]:يعد المتكلم عنصرا ضروريا من عناصر الاتصال اللغوي، فلا يتم الاتصال دون وجوده، فهو الذي يقوم بعملية إنتاج الكلام؛ أي صياغة المفاهيم، والتصورات المجردة في نسق كلامي محسوس، فالمتكلم يحظى بمكانة هامَّة في العملية التواصلية والتخاطبية؛ ((كونه الذات المحورية في إنتاج الخطاب؛ لأنه هو الذي يتلفظ من أجل التعبير عن مقاصد معينة، وبغرض تحقيق هدف فيه))[2] ، فهو((الذي يقدم التركيب أو صياغة المفاهيم، والمتصورات المجرّدة في كشف كلامٍ محسوس ينقل عبر القناة الحسيّة بوساطة الأداة اللسانية))[3]، فهو ينتج خطابات تتضمن معاني ظاهرة وأخرى مستلزمة"خفية"، لا يمكن فهم المعنى إلا بعد الإحاطة بطبيعة المتكلم؛ لأن الغرض والقصد مرتبط به، ولذا نجد "**تشومسكي**"(CHOMSKY)يعيب وينتقد اللسانيين البنيويين الذين اعتنوا بدراسة((بنية اللغة الداخلية دون اعتداد بأي من عناصر البنية الخارجية، بما فيها المتكلم وبذلك بدأ الاهتمام به في اللسانيات الحديثة بعدّه أساس فهم المعنى وقصد الدلالة، أما العربية فقد أولته أهمية بالغة منذ بداياتها، واعتبرته طرفا أساسيا في عملية الكلام، وعنصرا فعالا في تحديد خصائص النص))[4].

---

[1] أسعد خلف العوادي، **سياق الحال في كتاب سيبويه(دراسة في النحو والدلالة)**،تنسيق وفهرسة: مصطفى قرمد، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع، المملكة الأردنية/ عمان، ط1، 1432هـ/2011م، ص22.

[*]وللتفصيل أكثر في **المتكلم**(ينظر: محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**،مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط1، 1995م، ص194-225).

[2] أحلام بن عمرة، **تداولية الخطاب واستراتيجية التواصل اللغوي في الخطاب الديني**، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د، من إشراف: ذهبية حمو الحاج، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2018،ص34.

[3] نعمان بوقرة، **المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب-دراسة معجمية-**، عالم الكتب الحديث، عمان/الأردن، ط1، 1429هـ/ 2009م،ص134.

[4] خليفة بوجادي، **في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصلية في الدرس العربي القديم**، ص163.

ومنه لا بد للمتكلم أن يمتلك آليات التنويع في الخطاب اللغوي بحسب مقتضياته المستمدة في جوهرها في ظل النظرية التداولية، من"سياق الموقف" الذي يُستعمل فيه؛ لأن تكون لدى كل متواصل قدرات من النوع التالي:[1]

-يجب أن يكون لديه مفهوم عن"الواقع"، وعن العوالم الممكنة التي يمكن استنباطها منه حتى يحصر ما يريد أن يتواصل حوله.

-يجب أن ينشئ اتصالا، وأن يستطيع حصره.

-يجب أن يستطيع الخوض في أدوار اجتماعية اتجاه الآخرين.

-يجب أن يستطيع الإدراك وأن يمتلك ذاكرة وقدرة على التوقع أيضا بالنسبة لسياق الكلام وسياق الموقف المستمرين.

-يجب أن يستطيع الخوض في أدوار اجتماعية اتجاه الآخرين، ويجب أن يستطيع إعادة إنشاء اجتماعية.

وفي كل هذه الشروط المتنوعة والشاملة إشارة دقيقة إلى الشروط اللغوية وغير اللغوية التي لا يمكن التغافل عنها في إنشاء الكلام وحتى في تأويله، ولذلك حُقَّ ل"**جوليان براون**" G.Brown و"**جون يول**" **G**.Yule أن يذكرا((أنَّ الفكرة القائلة بإمكان تحليل سلسلة لغوية تحليلا كاملا بدون مراعاة للسياق قد أصبحت محل شك كبير))[2].

ب-المخاطَب[*]: يعد من أهم استراتيجيات العملية الإبداعية، وقد اختلفت مسميات القارئ بحسب اعتبارات النص، فإذا كان المتلقي هو الذي يشمل على جميع أنواع التلقي، فإذا كان النص مكتوبا فهو"قارئ"، وإذا كان رسالة-وصفه خطابا-فهو "مُرسَل إليه"، وإذا كان ملفوظا فهو "سامع". إن القارئ يتلقى النص بفضاء الكتابة، فتكون للإشارات وعلامات الترقيم والتنقيط والخط دلالات خاصة بالقراءة، أما"المرسَل إليه"فهو يتلقى النص بوصفه رسالة موجهة إليه من المرسِل، فتكون بذلك خطابا حواريا بينهما، أما "السامع" فهو يعتمد على شخصية القائل وإشاراته وحركاته فضلا عن اعتبارات المقام والمقال[3]، فلا يستطيع أحد أن يتصور تواصلا لغويا دون وجود مستمع أو مستمعين، فهو: ((الطرف الثاني الذي يسهم مع المتكلم في تشكيل الفعل الاتصالي، فهو الذي يتلقَّى

[1] سامية بن يامنة ، **سياق الحال في الفعل الكلامي"مقاربة تداولية"**، ص31.

[2] ج.ب، براون وج،يول، **تحليل الخطاب**، تر: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة ملك سعود، الرياض، دط، 1418هـ/1997م، ص31-32.

[*] وللتفصيل أكثر **للمخاطَب** ينظر: محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني**، ص225-251.

[3] ينظر:محمد جاسم محمد جبارة، **المعنى والدلالة في البلاغة العربية"دراسة تحليلية لعلم البيان"**، بحث لنيل درجة الدكتوراه، تخصص البلاغة والنقد، من إشراف:مصطفى محمد الفكي، جامعة أم درمان الإسلامية، 1427هـ/2006م، ص64.

الخطاب اللغوي يؤوّله، وكونه مخاطبا لا يعني أنه ليس له أثر أو دور في بناء الكلام ؛ بل حضوره وأخذه بعين الاعتبار لدى المخاطب يجعل هذا الأخير يعبّر بما يلائمه فيستجيب لتعبيره))[1]، فهو من العناصر التي أولاها دارسو البلاغة عناية كبيرة المخاطب؛ هذا الأخير يعد السبب المباشر للتأسيس لمثل هذه القضايا التواصلية، وذلك من أجل تحقيق الإفادة والإقناع.

كما يبرز دور المخاطَب في العملية التخاطبية((في الوظيفة التي يقوم بها عند تلقيه الخطاب وهي وظيفة التفكيك، أي تفكيك الرسالة اللغوية، وهو دور إيجابي من حيث كونه مكملا لعملية التركيب التي قام بها المخاطب، وذلك لأنه ليس هناك عملية تخاطب يتم إنجازها دون أن تمر بمرحلتي التركيب والتفكيك))[2]، أي أن المخاطب يتميز بفاعلية التأويل، فهو صاحب الدور المكمّل لعملية التخاطبية، وربما يتجاوز التأويل إلى صبغ الخطاب بصبغة خاصة تؤدي إلى تشكليه من جديد، وفقا لأحوال المخاطِب الذاتية.

ج-مجال الحديث"ملابسات الكلام"field of discourse:

والمقصود بها مختلف المعطيات السياقية التي يقوم عليها الكلام؛ الاجتماعية والثقافية والنفسية، وغيرها من الملابسات التي تتحكم في صياغة القول وتأويله، منها:

-الأجناس وما تتعارف عليه من نظم سياسة واجتماعية وثقافية وحضارية وتربوية[3].

-الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية المتصلة بالحدث اللغوي ويشمل الزمان والمكان[4].

-السياق الثقافي ومستواه والخلفية المعرفيةBackground Knowledge، والمستوى الاجتماعي والثقافة الشعبية ونسيجها[5].

-الشيء أو الموضوع المتحدَّثُ عنه ، فإننا ((نتكلَّم في العادة من أجل أنْ نبلغ هدفا، هذا الهدف يُؤثر لا محالة في القول الذي نقول))[6].

-الظروف والملابسات المحيطة بالكلام(سياق الموقف)، وهذا يشمل: الزمان والمكان وأسباب النزول، والإيقاع[7].

-مقدار الفترة الزمنية المخصصة للكلام.

---

[1] سامية بن يامنة،**سياق الحال في الفعل الكلامي"مقاربة تداولية"**،ص32.

[2] محمد محمد يونس علي، **المعنى وظلال المعنى" أنظمة الدلالة في العربية**، ص155.

[3] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص359-360.

[4] كريم زكي حسام الدين، **التحليل الدلالي**، ج1، ص85.

[5] ينظر:تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص354-355.

[6] مصطفى ناصف، **اللغة و التفسير والتواصل**، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1415هـ/1995م، ص12.

[7] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها** ، ص361-362.

-أثر الحدث اللغوي في المشتركين في الكلام والحضور من حيث الإقناع والفرح والألم و التصديق والتكذيب[1].

-الوظيفة الكلامية: مدح، هجاء، طلب، والسياق العاطفي والقيمة العاطفية، و((القيمة العاطفية لبعض الكلمات الفلسفية والسياسية والدينية كالوجودي والاشتراكية والمسيحية وسارتر وماركس والمسيح، وكذلك الكلمات التي تشير إلى أشياء مادية كالكتاب والزجاجة والكرسي بالنسبة لرجل الدين ومدمن الخمر وأستاذ الجامعة))[2].

د-الزمان والمكان: تعد الإشارة إلى الزمان وسيلة من وسائل اتساق النص، إذ تربط السابق باللاحق ضمن سياق زماني، يمكن الإشارة إليه لغويا بظروف الزمان(الآن، أمس، غدا، اليوم....إلخ).

فالزمن هو الذي((يحدد المدة التي تدرس فيها اللغة، ذلك أن اللغة تتغير بمرور الزمن، فلا بد من استقرار نظامها في وقت تناولها بالدراسة، على أن يشمل البحث مدة أطول، تجنبا لظواهر لغوية تخلى عنها الاستعمال وقت إجراء الدراسة؛ لأنها ترجع إلى عصور قديمة فتضيق مدة البحث))[3]، كما يظهر الزمن في اللغة من خلال ((القرائن التي تتحدد بجوار الأفعال سواء عند نهايتها أو عن طريق الظروف التي يطلق عليها مصطلح المبهمات الزمانية: الآن، اليوم، الغد، أمس، الأسبوع الماضي(...) وتبقى لحظة التلفظ المحور الذي ترتب بواسطته مختلف مبهمات الزمن))[4].

انطلاقا مما سبق يمكن أن نصنف الظروف المبهمة وغير المبهمة كما يلي:[5]

الأزمنة	الظروف المبهمة	الظروف غير المبهمة
التزامنية	الآن	في ذلك الوقت
القبلية	البارحة، منذ قليل، قبل ساعات، منذ قليل	في ذلك اليوم، بعد مرور أسبوع، قبل ذلك
البعدية	غدا، في الأيام المقبلة، بعد يومين، السنة القادمة	اليوم التالي، السنة التالية، بعد مرور يومين.
الحيادية	اليوم	في يوم آخر

[1] كريم زكي حسام الدين، **التحليل الدلالي**، ج1، ص86.

[2] نفسه، ص87.

[3] لمسن بلبشير، "**الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة**"، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة-الجزار، ع الثامن، ماي 2009م، ص14.

[4] ذهبية حمو الحاج، **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، 2012م، ص117.

[5] أحلام بن عمرة، **تداولية الخطاب واستراتيجية التواصل اللغوي في الخطاب الديني**، 37-38.

وينبغي الإشارة إلى أن الظروف ليست كلها مبهمات؛ لأن منها ما لا يمت بأية صلة إلى الزمن الذي يتحدث فيه الشخص:ساعات قبل ذلك، أيام بعد، وإن المرجعية في المبهمات هي زمن الخطاب، والمرجعية في الظروف غير الإبهامية هي السياق النصي، أي السياق اللغوي "السياق الداخلي"، فـ((اللغة تختلف باختلاف الزمان والمكان، والثابت أن انعزال بيئة عن أخرى قد يؤدي إلى تشعب هذه اللغة إلى لهجات كثيرة، ويكون ذلك بفعل عوامل جغرافية أو اجتماعية فيترتب قلة احتكاك بعضهم ببعض، ويتبع هذا تكوين مجاميع صغيرة من بيئات لغوية تتسم كل منها بخصائص لغوية تميز لغتها عن اللغة الواحدة ولغات البيئات الأخرى))[1].

والحديث عن الزمن يجعلني أتحدث عن المكان الذي ((يتأسس في تلك النقطة من الفضاء التي يتواجد فيها المتكلم أثناء الحديث"لحظة التلفظ"))[2]، فقول المتكلم: انظروا هناك الأستاذ قادم، يشير إلى أن الأستاذ على مقربة من المكان الذي يقف فيه المتكلم المتلفظ بهذه الجملة. إن وضعية المتكلم وإشاراته أثناء الكلام هي التي نحدد المكان(القرب ، البعد، الخلف، الأمام)، فـ:((تتحدد المبهمات المكانية بوضعية المتكلم: وضعيته الجسدية إضافة إلى إشاراته"Gestes"، فمعرفة وضعية المتكلم أمر ضروري لتحديد مرجعيات المبهمات المكانية))[3]، ليبقى الأمر في توظيف معطياتهما يتطلَّب مهارة المتكلم، حيث يجب أن يكون قادرا على المراقبة والرابط بما تستدعيه عملية التلفُّظ ومعطياتها الخاصة.

هـ–ثقافة كل من المتكلم والسامع والمشاركين في الحديث:

ولأهمية هذا العنصر من عناصر السياق غير اللغوي فقد عده" **K.Annmer** "سياقا مستقلا أطلق عليه **السياق الثقافي cultural context**: الذي هو ((التفاعل بين اللغة والثقافة(...)، أي دراسة اللغة في السياق))[4] ويتمثل هذا النوع من السياق في المحيط الثقافي والاجتماعي الذي يستخدم فيه الكلمات، ويظهر السياق الثقافي في استعمال كلمات معينة في مستوى لغوي محدّد[5]، فـ((اللغة تعتبر نظاما لعناصر معجمية وفئات نحوية مرتبطة بسياقها الثقافي))[6] و((يشمل كل مكونات المجتمع من عادات وتقاليد وثقافات، وهو شامل للعلاقة

[1] لمسن بلبشير، "**الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة**"، ص15.

[2] ذهبية حمو الحاج، **لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب**، ص124.

[3] أحلام بن عمرة، **تداولية الخطاب واستراتيجيّة التواصل اللغوي في الخطاب الديني**، ص38.

[4]M.A.K. Haliday, The Notion of"Context"in language Education, p5-6

[5] ينظر:

– عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين–دراسة لغوية ونحوية ودلالية**–، ص91.

[6]M.A.K. Haliday, The Notion of"Context"in language Education , p4.

القائمة بين الأفراد والاعتقادات المشتركة والأفكار والأعراف الشائعة بينهم) [1]،فـ((اللغة شكل من أشكال الفعل كتفعيل للعلاقات الاجتماعية والعمليات الاجتماعية هذا الأخير يؤكد على الثقافة كسياق للغة))[2].

ومثال ذلك كلمة "الجذر "[3]

الكلمة	السياق الثقافي	دلالاتها
الجذر	اللغوي	جذور لغوية
	الفلاح	جذور شجر
	مجال الرياضيات	2أو 3

جدول يُبين دلالة الكلمة "جذر"

نلاحظ من خلال هذا الجدول أن كلمة"جذر" تعددت معانيها، وحدد كل سياق أحد هذه المعاني، كما نستنتج من المثال أيضا، أنَّ السّياق يحمل في ثناياه جزءا من ثقافة المتكلمين وصورة تعكس بيئتهم، وثقافتهم الاجتماعية.

و–الوظيفة الكلامية"السياق العاطفي الانفعالي Emotional context": هو شحن الكلمات بشحنات عاطفية تعبر عن انفعال المتحدث، وموقفه، (فهو الذي يتولى الكشف عن المعنى الانفعالي والوجداني، الذي قد يختلف من شخص إلى آخر، فيحدد درجة القوة والضعف في انفعال المتكلم مما يقتضي تأكيدا أو مبالغة أو اعتدالا)[4].

ومثال ذلك كلمة"**الانفعال**"[5].

---

[1] المهدي إبراهيم الغويل، **السياق وأثره في المعنى–دراسة أسلوبية–**، دار الكتب الوطنية، بنغازيا/ليبيا، دط، 2011م، ص137.

[2]M.A.K. Haliday, The Notion of"Context"in language Education , p 6.

[3]ينظر:

– سالم سليمان الخمّاش، **المعجم وعلم الدلالة(للطلاب المنتظمين والمنتسبين**، ص51.

–إسماعيل يوسفي، **السياق وأثره في توجيه الخطاب القرآني في كتاب " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي**، مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص: الفكر النَّحوي واللسانيات، من إشراف: أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 1434هـ/2013م، ص 34.

–أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص69.

[4] جبريل محمد عثمان، **نظرية السياق عند فيرث**، "مجلة العلوم الشرعية"،جامعة المرقب، ع2 ، دت، ص 276، وأحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص70.

[5]نادية معاتقي، **إسهام الدَّارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدَّلالة**، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة واللغة والأدب العربي، من إشراف: السعيد حاوزة، جامعة مولودي معمري، تيزي وزو، 2015م، ص39.

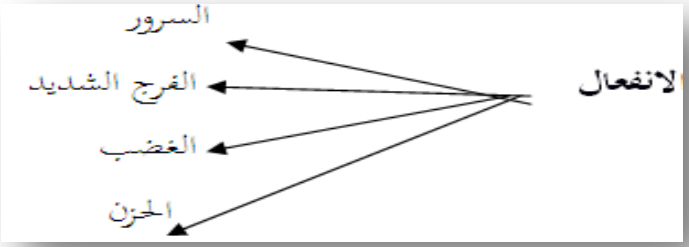

وهكذا فقد تعددت المعاني لكلمة"الانفعال"وحدد كل سياق أحد هذه المعاني: فدلت لفظة"الانفعال"على معنى"الفرح الشديد، أو معنى"الفرح"، أو معنى"السرور"أو معنى"الغضب"، أو معنى "الحزن" فخرجت كلمة"الانفعال" من معناها الموضوعي الذي يرتبط أكثر بالمعنى المعجمي إلى معنى آخر ضمن السياق، وأصبح للانفعال درجات، فدرجة الانفعال مثلا: قوةً وضعفًا فالحديث يؤثر في تحديد المعنى، ونلاحظ من خلال هذا أن لفظة "الانفعال" في هذا السياق استعملت استعمالا عاطفيا[1].

ومن ثَمَّة **فالسياق العاطفي**، هو الذي يحدد دلالة الكلمة أو الجملة من منطلق درجة الانفعال المصاحبة لعملية التلفظ، وذلك من حيث القوة أو الضعف، فهو سياق يرتبط بالجانب العاطفي للفرد، وكما تكون طريقة الأداء الصوتية كافية لشحن المفردات بالكثير من المعاني الانفعالية والعاطفية؛ كأن تُنطق وكأنها تمثل معناها تمثيلا حقيقيا، ولا يخفى ما للإشارات المصاحبة للكلام في هذا الصدد من أهمية في إبراز المعاني الانفعالية.

أمَّا "**هايمز" Hymes** ، فقد وجد عناصر سياق الموقف عند أصحاب النظرية السياقية قبله معقدة ومتداخلة وغير مقننة فحاول أن يرسم حدودا فاصلة بينها من خلال حديثه عن الأحداث الكلامية (Speech Events)، إذ إنَّها عنده الموحدات الأكبر في النشاط اللغويّ التي تحدث في السياق غير اللغوي (Nom Verbal Context)، وعنده أن لكل موقف خطابي Speech Situation) مكونات مهمة، كما وضع لكل مكون من هذه المكونات رمزا مختصرا للمكون، ومن أجل أن يضمن بقاءها في الذاكرة جمع هذه المختصرات في كلمة (Speaking)، وهذه المكونات بمختصراتها هي :[2]

-المرسل: وهو المتكلم أو الكاتب الذي ينتج القول.

---

[1] إسماعيل يوسفي، **السياق وأثره في توجيه الخطاب القرآني في كتاب " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي**،ص32-33، ومنقور عبد الجليل، **علم الدلالة(أصوله ومباحثه في التراث العربي)**، ص90.

[2] ينظر:

- محمد خطابي، **لسانيات النص، المركز الثقافي العربي**، بيروت، لبنان، دط، 1991م، ص53.

-المتلقي : وهو المستمع أو القارئ الذي يتلقى القول.

-الحضور(المشاركون في الحوار:Participants): وهم مستمعون آخرون حاضرون يساهم وجودهم في تخصيص الحدث الكلامي.

-الموضوع(Topic): وهو مدار الحديث الكلامي.

-المقام (الخلفية: Setting): وهو زمان ومكان الحديث التواصلي، وكذلك العلاقات الفيزيائية بين المتفاعلين بالنظر إلى الإشاريات والإيماءات وتعبيرات الوجه.

-القناة: كيف يتم التواصل بين المشاركين في الحدث الكلامي-كتابة ، إشارة ...

-النظام: اللغة أو اللهجة أو الأسلوب اللغوي المستعمل.

-شكل الرسالة(Message Form: المقصود به إن كانت رسالة دردشة أو جدالا أو خرافية...

-مفتاح الرموز(Key): ويتضمن التقويم؛ هل كانت موعظة حسنة، شرحا مثيرا للعواطف.

-العرض(End): أي ما يقصده المشاركون ينبغي أن يكون نتيجة للحدث التواصلي.

ويرى أن قدرة المرء على اللغة لها أربعة مظاهر تنبع كلها من استعمال اللغة:[1]

*إلى أي حد يكون الشيء ممكنا Possibl ، وهذا المظهر يشير إلى إمكانيات اللغة وانفتاحها.

*إلى أي حد يكون الشيء معقول Feasible استنادا إلى وسائل التنفيذ المتاحة والتركيز هنا على الجوانب النفسية التي نستعملها في تنفيذها للغة، مثل الذاكرة والتخطيط الذهني للكلام، والفهم..إلخ.

*إلى أي حد يكون الشيء مناسباAppropeiate وذلك ضمن السياق الذي يستعمل فيه هذا الشيء وهذا يشير إلى فكرة الاستعمالات اللغويةLanguage Registers والأساليب اللغويةStyles التي يلجأ مستخدم اللغة إليها في الظروف المختلفة متخذا لكل حالة ما يناسبها من مفردات وطريقة تعبير، مع مراعاة الأعراف والتقاليد الاجتماعية.

*إلى أي حد يكون الشيء قد أنجز(من حيث الأداء) أي ماذا نطق المتكلم من عبارات وجمل وماذا يستتبع هذا المنطلق من سلوك، وهذا المظهر يتكلم عن محوري المتكلم والمتلقي في آن واحد.

- وج براون وج يول، **الخطاب الأدبي**، تر: منير التريكي ومحمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي، المملكة العربية السعودية، دط، 1997م، ص46-47.

[1] يحي أحمد، "**الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة**، مجلة الفكر، مج20، ع3، 1989م، ص94.

وبالتالي فقد قدم "**هايمز**" جملة أركان الحدث التواصلي وعلاقته الخارجية من أجل ضبط المعنى ضبطا دقيقا وتحديد الدلالة.

3-السياق غير اللغوي عند الدارسين الغربيين والعرب المحدثين :

❖ **عند الغربيين:**

لم يكن البحث في "**سياق الحال**Contexte de situation" عند الغربيين وليد الدراسات الحديثة؛ وإنما تمتد جذوره إلى بحوث اليونانيين والهنود وغيرهما، ولكن يجب أن نشير إلى صفة عامة ظلّت تطبع أعمالهم تتعلّق بتردّدهم في إدخال أو عدم إدخال معطيات السياق الخارجي في دراساتهم اللسانية.

وللإفاضة في ذلك أكثر نبدأ مع الهنود حيث كانت دراستهم للغتهم تعتمد على الأصوات المنطوقة والمكتوبة دون الالتفات الكبير إلى الظروف والملابسات التي تحيط بالحدث اللغوي، وتساعد على وضوح الدلالة[1]، ولكن رغم ذلك تفيدنا بعض الحقائق اعتمادهم على معطيات سياق الحال في الكشف عن الدلالات، نوضّح ذلك بتقديم الأفكار الآتية:

*يذكر أن "**ياسكا***" حين شرح Nighantu ((كان يحاول في شرحه أن يقتبس من الفيدا vedae ليوضح معاني الكلمات ويربط الكلمة بأصلها الاشتقاقي ويتطرق إلى بعض الأحداث الاجتماعية والتاريخية في محاولاته لتتبع الأصل القديم لهذه الكلمات))[2]، وفي ذلك إشارة إلى سياق الحال "المقام".

*كان "**بانيني**" **Panini** يعتمد في تحليله النحوي على معطيات اللغة الحقيقية الحية، مما يعني توظيف"سياق الحال" في ضبط القواعد النحوية للحدث اللغوي.[3]

*الجملة النحوية عند الهنود أن تلبي ثلاثة احتياجات هي"التوقعexpectancy" و"الاختصاصcompetency" و"التقاربproximxty" أو "التجاورcontiguity"، ولا تكون مقبولة إلا بعد استيفائها هذه العناصر، وعنصر"التوقع مقترن بما يتوقعه السامع حين يبدأ المخاطب جملته بكلمته الأولى،

---

[1] ينظر: عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين-دراسة لغوية نحوية دلالية-**، ص99-100.

[*] واحد من أعلام اللغويين الهنود عاش قبل الميلاد بما يقرب من 700 عام على وجه الترجيح لا التحديد، وضع كتاب النيروكتا Nirukita في علم لاشتقاق(نعيم عبد خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص100).

[2] ينظر: أحمد مختار عمر، **البحث اللغوي عند الهنود**، دار الثقافة، بيروت-لبنان، دط، 1972م، ص31.

[3] ينظر: نفسه، ص61-62.

فإذا قال شخص : "ادخل" فالمعنى الذي يفهم منها يتطلَّب الإدراك المفهوم من كلمة مثل "الحجرة" أو ما يمكن أن يكون محلا للدخول[1].

أما عند اليونانيين فقد جاءت بحوثهم حول" سياق الحال" هامة وقيِّمة، ارتبطت بالمتكلم، والسامع والزمان والمكان ومختلف الملابسات التي تحيط بالكلام، وقد اتضح ذلك من دراستهم لفنَّيْ الشعر والخطابة، نوضِّح هذا بتقديم الأفكار الآتية:

*ارتأى أرسطو أنَّ درجات تأثير الكلام تختلف من حال إلى آخر، وذلك تبعا للأحوال التي يكون عليها المتكلم والسامع؛ يقول في باب"فوائد الكلام بالآراء أو الأمثال" : ((فإنَّ الرأي كما وصفنا قضيةٌ، فقد كلية، فقد يفرحون إذا ذكرت الجزئية على الجهة الكلية، ويظنُّون أنَّهم يذكرون حاجتهم، كما أن امرءًا إن كان تأذَّى بجيرانه أو بأولاد فُسَّاق، فقد يرحب بقول القائل إنَّه "ليس أسوأ من الجيران"، أو قول من يقول" : ليس في الدنيا حماقة أكثر من النسل والأولاد، ولهذا يجب على الخطيب أن يتجه إلى تعرّف أحوال السامعين وآرائهم السابقة، ثم يقول في ذلك "كلاما عاما، فهذه هي الأولى"، من منافع الكلام))[2]، فالقيمة التأثيرية للقول تأخذ حجمها انطلاقا من العلاقة الاجتماعية بين طرفي العملية التخاطبية، أي أن التأثير عنده لا يكون بدرجة واحدة في جميع الناس، بل يخضع لحال المتكلم والسامع.

وهذا مابرّره حينما قال في باب "كيف نؤثر في نفوس الحكام" : ((وأما المعرفة بالمتكلم أي امرئ هو فإنَّها تُعين بزيادةٍ عند التشاور، وأمَّا المعرفة بالسامع بأية حالٍ هو ففي الحكومات؛ لأنه ليست أحكامها فيمن أحبَّوه وفيمن قَلَّوْه شيئا واحدا، ولا في من كانوا غضابا عليه، أو كافين عنه؛ بل هي مختلفة البتة، أو مختلفة في العدد والمبلغ))[3].

-ذكر أرسطو أنَّ أساليب المخاطبة تختلف من حال لآخر، ولذلك دعا الخطيب لأنواع ينوّع في خطاباته بحسب من يخاطبه شابا أو شيخًا أو رجلا أو امرأة يقول في باب "تناسب الأسلوب الموافق لمقتضى الحال": ((ثم إنَّ السامع أبدًا- قد يشارك- الذي يتكلم بالأمليّات، وإن لم يقل شيئا، ولذلك ما قد يكون كثير من الناس يُعْجبَون بالسامعين ويتملقونهم، وبهذه الحال أيضا توجد الخلقيات، وما قد تستبينه من العلامات، إذ في كل واحد منها

[1] ينظر: السابق، ص89.

[2] أرسطو طاليس، **الخطابة-الترجمة العربية القديمة-**، تح: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت-لبنان، 1979م، ص147-148.

[3] نفسه، ص80-81.

أي الأخلاق يلزم ويشاكل كل جنس وكل استعداد وأعني بالجنس اختلاف السن كالغلام والرجل والشيخ وكذا المرأة والرجل والبلدة لا قوى أو ثيسالى))[1]، وبحسب الزمان والمكان.

أما الزمان فيستوجب من الخطيب أن يعرف الوقت المناسب في الخطاب، يختار ما يلائمه من الكلام؛ يقول: ((فأمَّا استعمال الشيء في الوقت الموافق وتميزه من غير الموافق، فإنه أمرٌ عامٌ لجميع الأنواع، وأمَّا الصحة والحقيقة فيتكلم بها في جميع ما كائنة))[2]، فيرى أرسطو أن الخطيب لابد له أن يحيط علما بكل أحوال من يخاطبه.

-وأكد أرسطو أيضا ضرورة مطابقة الأسلوب لمقتضى الحال من حيث الموضوع، والغرض والمتلقين، وكل ما تقتضيه الأحوال في تشكيل أساليب القول.

-بيَّن أرسطو في غير مرة أنَّ الكلام قد يختلف بحسب طبيعة المخاطب من جهة، وطبيعة الموضوع من جهة أخرى، ولذلك دعا إلى مراعاة كل ذلك، يقول: ((وذلك أنَّ أهل الريف هم أكثر الناس ميلا إلى الكلام الرأيي، ولا يجدون في ذلك صعوبة، والتعبير بصورة عامة عن موضوع غير عام يصلح خصوصا إذا كنا نريد الشكوى أو المبالغة، ويجب السير هكذا إما عند الابتداء أو بعد الفراغ من البرهنة))[3].

-وأوضح أنَّ فاعلية الإقناع التي تجعل المتلقي يصدِّق ويذعن لما يُقَّدم له، لا تقف عند حدود الكلام؛ بل قد تأخذ بمعطيات "**سياق الحال**"، يقول: ((فأمَّا التصديقات التي نحتال لها بالكلام فإنَّها أنواعٌ ثلاثة: فمنها ما يكون بكيفية المتكلم وسَمْتِه، ومنها ما يكون بتهيئة للسامع واستدراجه نحو الأمر، ومنها ما يكون بالكلام نفسه قبل التثبيت، فأمَّا بالكيفية والسَّمْت فأن يكون الكلام بنحو يجعل المتكلم أهلا أن يصدق ويقبل قوله))[4]، وفي ذلك إشارة قيِّمة إلى الآليات اللغوية وغير اللغوية التي تحقِّق الإقناع، والتي تتوقَّف على ثلاثة أركان وهي: "أخلاق القائل"، وهو ما يسمَّى "الإيتوس Ethos[*] "، و"تصيير السامع في حالة نفسية ما"، وهو ما يسمى بحجة "الباتوسPathos[**]"، و" القول نفسه من حيث هو يثبت أو يبدو أنَّه يثبت"، وينعت بحجة "اللوغوس Logos"[***] أي الكلام أو العقل.

---

[1] السابق، ص202-203.

[2] نفسه، ص203.

[3] نفسه، ص145.

[4] نفسه، ص10.

[*] **الايتوس**: يصف الخصائص المتعلقة بشخصية الخطيب والصورة التي يقدمها عن نفسه.

[**] **الباتوس**: ويشكل مجموعة من الانفعالات يرغب الخطيب في إثارتها لدى المستمعين.

[***] **اللوغوس**: ويمثل الحجاج المنطقي الذي يمثل الجانب العقلاني في السلوك الخطابي فيرتبط بالقدرة الخطابية على الاستدلال والبناء الحجاجي.

وقد حرص أرسطو على تقديم مقتضيات هذه الحجج، وقد شكّلت في الدراسات المعاصرة موضوعا رحبا ضمن النظرية الحجاجية.

وهذا الأمر يوضّحه ويؤكد، في قوله: ((فمنفعة الكلام المقنع إنما تكون عند الفحص، والمقنعات هن اللاتي قد فحص عنهن، حتى لا يحتاج فيهن بعد ذلك إلى كلمة واحدة، وهذا يكون إن لم يتولّ الكلام إنسانٌ واحد فيحرِّص ويَصُدَّ))[1]، ولَعَمْري إنْ فكرة "المنفعة" هي اللب الذي ركزت عليها النظرية التداولية.

أمَّا إذا انتقلنا إلى الدراسات اللسانية الحديثة، فإنَّنا نلاحظ-بنظرة سريعة-أن دراسة "السياق غير اللغوي" في الدراسات الحديثة،حظيَ بعناية كبيرة، ولتوضيح ذلك نبدأ بـ:

أ-"**دي سوسير**" **De Saussure** (1913م) الذي تنبه إلى أهمية السياق حينما بيَّن أنَّ اللغة في حقيقتها نظام اجتماعي؛ و"اجتماعية اللغة" هنا تعني سياقها الفعلي الذي تُستعمل فيه، فـ((هي الجانب الاجتماعي للسان تقع خارج الفرد الذي لا يستطيع أبدا أن يخلقها أو يحوِّرها بمفرده، فلا وجود للغة إلا بنوع من الاتفاق يتوصل إليها أعضاء مجتمع معين، وعلى الفرد أن يقضي فترة معينة يتعلم فيها وظيفة اللغة، فالطفل يدرك هذه الوظيفة بصورة تدريجية، واللغة شيء متميز جدا فإذا فقد المرء استخدام الكلام فإنه يبقى محتفظا بها إذا كان يستطيع فهم الإشارات الصوتية التي يسمعها))[2]، وربط اللغة بالمجتمع هو في جوهره ربط لها بسياق استخدامها حيث تحقِّق وظيفتها، حيث يظهر أنه يريد "الوظيفة الاتصالية" التي لا يكتسبها الفرد-كما يذكر في قوله-إلا بالاستعمال الفعال لها في مواقف تواصلية مختلفة.

ويتبدَّى حضور معطيات"السياق غير اللغوي" في المفارقة التي أقامها بين"اللغة" و"الكلام"؛ لأن هذا الأخير لا يتمظهر إلا من السياقات الفعلية للقول حيث يرتبط بمواقف خاصة تعطي لكل منه بعدا إبلاغيا ما يختلف عن غيره.

ب-"بلومفيلد(1887م)"Bloomfield ، الذي هو ((رائد المدرسة التصنيفية في التحليل اللغوي، وهي مدرسة لغوية نشأت لتلبية حاجات بحثية تقتضيها طبيعة اللغات في أمريكا الشمالية فهي لغات تمتاز بأمرين:[1]

أحدهما: أنها لغات لا تاريخ مكتوب لها يمكن أن تدرس من خلاله دراسة تاريخية كما هو حال اللغات الأوربية، وثانيهما :أنها لغات تعبر عن خليط غير متجانس من الأمم والمجتمعات نظرا لنزوح فئات مختلفة الطبقات

[1] أرسطو، **الخطابة**، ص131.

[2] دي سوسير، **علم اللغة العام**، تر: بوئيل يوسف عزيز ومراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار أفاق عربية، بغداد، ط3، 1985م، ص33.

والثقافات من أوربا وإفريقيا وغيرهما إلى أمريكا الشمالية العالم الجديد، وقد اقتضت الحاجة إلى دراسة تلك اللغات عند بلومفيلد دراسة تصنيفية آنية لا تاريخية؛ لأنها لغات بلا تاريخ مكتوب، ولا اجتماعية؛ لأنها تعبر عن أقوام غير متجانسة اجتماعيا وثقافيا، فالدراسة الوصفية هي أساس التحليل الذي انطلق منه بلومفيلد في تحليل تلك اللغات

حيث تنبَّه إلى "الموقف" حينما تكلَّم عن"المعنى"؛ إذ يقول في ذلك إن ((تحليل المعنى ودراسته هو أضعف نقطة في دراسة اللغة وسيظل الأمر على هذا النحو حتى تصل المعرفة الإنسانية إلى مرحلة أكثر تقدما مما هي عليه الآن))[2] ، ويقول أيضا: ((يجب علينا أن نحصل على معرفة علمية دقيقة لكل شيء في عالم المتكلم وبيئته))[3]، فالمعنى عند بلومفيلد هو :((الموقف الذي ينْطقُها المتكلم فيه، والاستجابة التي تستدعيها من السامع، فعن طريق نطق صيغةٍ لغويةٍ يحثُ المتكلم سامعه على الاستجابة لموقفٍ، هذا الموقفُ وتلكَ الاستجابةُ هما المعنى اللغوي للصيغةِ))[4]،وهي إشارة إلى دور "سياق الموقف" في تحديد المعنى، فقد استطاع أن يلفت الانتباه إلى أهمية المقام والاستجابة التي يستدعيها من المستمع ، وقد وضَّح ذلك من خلال تجربته المشهورة"تجربة جاك وجيل" التي تفصح بشكلٍ مباشرٍ عن أهمية وقيمة السياق غير اللغوي في الإنتاج الكلام.

وقد أكد Leech وذلك بصدد الحديث عن النظرية السلوكية عند بلومفيلد حين صرح بأن المعنى عنده هو الموقف ورد الفعل أو الاستجابة يقول قد ناقش بلومفيلد في هذا الموقف أفكارا مترابطة هي:[5]

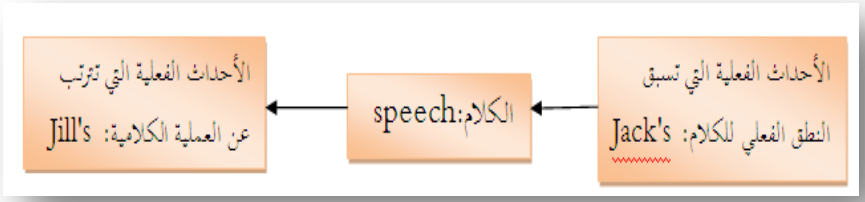

[1] حيدر غضبان محس الجبوري ودوهان محمد دوهان الجبوري، (**سياق الحال– بين لسانيات الجملة والتراث النحوي العربي**)،مجلة جامعة بابل، العلوم الإنسانية ، مج 23، ع4، 2015، ص1757.

[2] Leonarad Bloomfield, Language, Brinted in the united state of America,1963,p140.

نقلا عن عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص272.

[3]Leonarad Bloomfield, Language,p139.

[4] أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص61.

[5] Leech Geoffrey: semanticspelican books , London,1976 ;p62.

نقلا عن عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص275.

هنا ربط **بلومفيلد** دراسة"المعنى"بـ"موقف المتكلم" الذي ينطق فيه "شكلا لغويا"، والمقصود بـ"الشكل اللغوي"، "والموقف الذي ينطقه المتكلم"، و"رد الفعل"، الذي يستدعي قوة السامع، كما حدد"الاستعمال اللغوي" من خلال"الموقف"، ففسره تفسيرا سلوكيا محضا، بأنه تتابع من"المثير والاستجابة".

ج-"برونسلارمالينوفسكي"(1884-1942) إنَّ البداية الحقيقة لهذه النظرية ترتبط بجهود **Brouislaw.Malinoviski** من خلال الاهتمام بسياق الحال"المقام"، حيث ربط اللغة بالطابع الاجتماعي، وذكر أن الكلام المنطوق يكون له معنى فقط لو رأيناه في السياق الذي يستخدم فيه فهو عالم أنثروبولوجيابولندي، درس الأنثربوبولوجيا الوصفية الاقتصادية في مدرسة لندن منذ 1972م، و((قد نشأ اهتمام "**مالينوفسكي**" باللغة من خلال قيامه ببحث ميداني في الثقافة البدائية ، إلى سكان جزر تروبر ياند Trobriand Islands-في جنوبي الباسفيك-، وعانى أثناء عمله من صعوبات في ترجمته النصوص، وأخفق في الوصول إلى الترجمات المرضية لها، ووجد أنها لا يمكن أن تؤدي معنى ، إلا إذا عرفنا الحال التي كان عليها المتكلم حين نطق بها، أي فشل في إقامة ترجمة مرضية للنّصوص التي سجّلها لصاحب زورق يفاخر شخصا آخر، فقد سجّل على سبيل المثال عبارة"لصاحب زورق طويل خفيف ضيق يقاد بمجداف ما ترجمته: نحن-نجري-أمام-خشب أنفسنا-نحن نحول -يجري بنصب-خشب))[1]، حيث علق على تلك الترجمة بقوله:((إن هذا القول معنى فقط إذا وضعنا الجملة في السياق الذي استعملت فيه أصلا؛ إذ سيكون واضحا أن الخشبة مثلا تشير إلى مجداف الزّورق، ويجب ألا تعامل اللغات الحية معاملة اللغات الميتة، مقطوعة عن سياق حالتها، بل يجب أن يُنظر إليها كما يستخدمها الناس في الصيد والزراعة ، وفي صيد السمك..))[2].

وقد أسَّس "**مالينوفسكي**"تصوراته في المقام الأول على ملاحظته للطريقة التي توافق فيها اللغة الناس مع نشاطاتهم وأعمالهم اليومية، وبالتالي كانت جزءا لا يمكن فصله عنه بسهولة.

د- فيرث G/Fieth " 1960/1880م:

أحدُ أعلامِ مدرسة لندن، والتي عُرِفت بما يسمى"**المنهج السياقي**"، والكلمة عند أصحاب هذا المنهج تكتسبُ معناها من طريق استعمالها، ويعد "فيرثُ" زعيم المنهج، ومن أهم ما قدمه إلى المنهج هو تأكيدُهُ أنَّ

[1] أف.ألر.بلمر، **علم الدلالة**، ص61..

- محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، "**ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث**"، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، ع18، 1393هـ/2014م ، ص3.

- M.A.K. Haliday, The Notion of"Context"in language Education, p3

[2] أف.ألر.بلمر، **علم الدلالة**، ص61،

((**المعنى وظيفة السياق**))[1]، وأن ((**معنى الكلمةِ لا يمكنُ الكشفُ عنه إلا من خلالِ استعمال الكلمة في سياقاتٍ مختلفةٍ**))[2]، ويقول أيضا: ((أن منهجي في دراسة المعنى اللغوي أنه يجب التحرر من فكرة الازدواجية في اللغة : العقل والجسم، اللغة والفكر والكلمة والفكرة، المعبر والمعبر عنه، العبارة والمضمون، فهذه تعريفات لا ضرورة لها في رأيي، حيث تكون مضايقة ويجب إهمالها))[3] .

فسياق الموقف والمقام عند **فيرث**، يعنى مجموعة من العناصر والملابسات التي تتضح وقت الكلام الفعلي، هذه الظروف أو الملابسات تتمثل في:[4]

1- شخصية المتكلم والسامع وتكوينهما الثقافي وشخصيات، وكذا من يشهد الكلام من غيرهم، إن وجدوا، وبيان مدى علاقتهم بالسلوك اللغوي، وهل يقتصر دورهم على مجرد الشهود؟والنصوص التي تصدر عنهم.

3- الأشياء وثيقة الصلة بالموقف: وهي العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة البالغة والسلوك اللغوي لمن يشارك في الموقف الكلامي، نحو مكان الكلام وزمانه، والوضع السياسي.

4- أثر الحدث الكلامي في المشاركين: كالإقناع، أو الألم، أو الضحك.

4-المظاهر المرتبطة بالمشاركين، والمتكلمين والسامعين، من ملامحهم الظاهرة وصفاتهم.

5-كلام المشاركين: الحدث الكلامي الصادر عنهم.

6-الحدث غير الكلامي عندهم: ويقصد به أفعالهم وسلوكهم في أثناء الكلام.

وعليه فالموقف عند "فيرث" هو الذي يحدد العلاقة بين المتكلم والمستمع ويجعل المتكلم يختار الأسلوب الملائم الذي يخاطب به متلقي الخطاب؛ أن الوصول إلى معنى أيّ نصٍّ لغويٍّ يستلزم ما يلي: [5]

أ- أن يحلل النص اللغوي على مستويات اللغوية المختلفة: الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية.

ب- أن يعتمد كل تحليل لغوي على المقام "سياق الحال".

ج- وجوب تحديد بيئة الكلام المدروس.

د- أن يتبين نوع الوظيفة الكلامية.

هـ-ستيفن أولمان(Stephen Ullman)(1914م-1976م): إذا كان الفضلُ يَرجعُ إلى مدرسة فيرث في محاولتِها تأطيرَ السياقِ، ضمن نظريةٍ دلاليةٍ مُتكاملةِ الجوانبِ، فإنَّ الفضل يعودُ لـ"**ستيفن أولمان**"، في أنه سعى

[1]M.A.K. Haliday, The Notion of"Context"in language Education, p5.

[2] أحمد مختار عمر،**علم الدلالة**، ص68.

[3] John Firth, papers in linguistic, oxford University Press,1964, p227.

[4]Ibid;p182.

[5]Ibid, p192-194.

إلى استعمالِ هذه النظريةِ في حقل الكشفِ عن المعنى، فيقول:((نظرية السياقِ-إذا طبقتْ بحكمةٍ-تُمثلُ حجرَ الأساس في علم المعنى))، وما قدمَ له من مقدماتٍ نظريةٍ أدى به إلى نتائجَ باهرةٍ، فالتطبيقُ المحكمُ والحكيمُ لنظرية السياقِ يؤدي بنا إلى تحديد معاني الكلمات، فيقول:((كلُّ كلماتِنا تقريبا تحتاجُ على الأقلِّ إلى بعضِ الإيضاحِ المستمدِّ من السياق الحقيقيّ، سواءٌ أكان هذا السياقُ لفظيا أم غيرَ لفظي))[1].

ويقول أيضا في **سياقُ الموقفِ**: ((السياقُ وحدَهُ هو الذي يُوضِّحُ لنا ما إذا كانتِ الكلمةُ ينبغي أنْ تُؤخذَ على أنَّها تعبيرٌ موضوعيٌّ صِرْفٌ أو أنَّها قُصِدَ بها-أساسا-التعبيرُ عن العواطفِ والانفعالاتِ وإلى إثارةِ هذه العواطفِ والانفعالاتِ))[2]، فالسياق وحده أداةُ تعيين حدودِ ومجالِ الكلمةِ في أيِّ موقفٍ معينٍ ،ككلمة(إنجليزي) التي يتسع مجال استعمالها باعتبارها مصطلحا لغويا عامًّا أكثر منه مصطلحا قوميا في مقابل **(إيرلندي)**، **و(اسكندري)**.

مما فات ، يمكن القول بأنَّ **أوَّلمان** منح السَّياق صلاحية واسعة النَّطاق ليقوم بدورٍ كبير في تقصي الدلالة، خاصةً وأنه يؤكد في كل مرةٍ على ذلك بقوله: (((السياق وحده)، قاصدا السياق الحقيقي بنوعيه اللفظي وغير اللفظي، ليختم دراسته عن السياق بنتيجةٍ مفادها أن نظرية السياق-إذا طُبقت بحكمة تمثل حجر الأساس في علم المعنى، وقد أفادت بالفعل إلى الحصول على مجموعة من النتائج الباهرة في هذا الشأن، إنها مثلا قد أحدثت ثورةً في طُرُق التحليل الأدبي، ومكَّنت الدَّراسة التاريخية للمعنى من الاستناد إلى أُسُسٍ حديثة أكثر ثباتا، كما أنَّها قَدَّمت لنا وسائل فنية حديثة لتحديد معاني الكلمات (...)، وفوق هذا كله؛ قد وضعت لنا نظريةُ السِّياق مقاييس لشرحِ الكلمات وتوضيحها))[3].

ي-نعوم تشومسكي(ولد1928م): صاحبُ نظريةِ النحو التوليديّ التي تُعدُّ من أشهرِ النَّظرياتِ اللغويةِ الآن، وقدْ استطاعت نظريتهُ ((أنْ تقدِّمَ تفسيراتٍ علميةً لظواهرِ لغويةٍ تخصُّ الدلالة، وتستندُ هذه النَّظريةُ على آليةِ توليدِ جُملٍ صحيحةٍ اعتمادا على كفايةِ المتكلمِ"الكاتب" اللغويّ ويعني ذلك توفرَ قواعد تنظيميةٍ ذِهنيةٍ في عقل متكلمِ اللغةِ تتيحُ له ما شاءَ من الجُملِ ضمن سياقٍ معينٍ، وقد انطلق**"تشومسكي"**للتدليلِ على وجودِ هذه الكفايةِ[*]، من

---

[1] ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص61.

[2] نفسه، ص58.

[3] نفسه ص نفسها.

[*] **الكفاية**: يقصد بالمصطلح الكفايةcompetence في الدراسات اللسانية التمكن من اللغة والقدرة على استعمالها، وقد ارتبط هذا المصطلح باللساني المعروف "نعوم تشومسكي"Noam chomsky ضمن ثنائيته المشهورة"الكفاية والأداء" ويبدو الفرق بين المصطلحين في أن الأول يطلق على القدرة الكامنة في ذهن متكلم للغة على إنتاج عدد غير محدود من جمل اللغة، وفهمها، وهذا من خلال(القواعد الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية)، أما الثاني الأداءperformance فهو التحقق الفعلي للكفاية عند التخاطب باللغة(محمد محمد يونس علي، **تحليل الخطاب وتجاوز المعنى"نحو بناء نظرية المسالك والغايات**، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437هـ/2016م، ص29-30.

تعلُّمِ اللغةِ عند الطفلِ، بحيثُ ألْفى الطفلُ يُنتجُ جُملا لم يسبق له أنْ سمعها من قبلُ بناءً على القواعدِ الكائنةِ ضمن كفايته* اللغويةِ))[1].

وعلى كل حال؛ فإن نظرية تشومسكي قد قامت على مبدأين أساسين هما:

1-إن كل لغة تتكون من مجموعة محدودة من الأصوات ومع ذلك فهي تتيح أو تولد عددا غير محدود من الجمل يقول تشومسكي: ((إن كل اللغات الطبيعية في شكلها المنطوق أو المكتوب هي لغات بهذا المعنى ، ذلك المعنى الذي يقضي بأن كل لغة تشتمل على عدد محدود من الفونيمات والحروف في أبجديتها وكل جملة في حقيقتها هي سلسلة من هذه الفونيمات أو الحروف ومع ذلك فإنها –أي الفونيمات أو الحروف-تولد جملا لا نهاية لها))[2].

2-القدرة على اللغة وامتلاكها والتصرف فيها هي أهم ما يميز الإنسان عن الحيوان والقدرةcompetence عند "تشومسكي" هي جزء من المكونات البيولوجية للإنسان وهو يقصد بها قدرة الإنسان واستعداده على صياغة ما بخاطره من أفكار ومعان في قوالب أسلوبية تظهر على هيئة أصوات كلامية تمثل ما يسمى بالبنية السطحية Surface structure، وهي بمعنى عام معرفة المتكلم باللغة the speakers knowledge of language ويقترن بهذه القدرة ما يسمى الأداء performance وهو مقدرة الإنسان على استخدام اللغة the speakers use of language[3]، وعليه فالكفاءة"القدرة"competence هي لغة بالقوة بينما الأداءperformance لغة بالفعل.

❖ **عند العرب المحدثين:**

أما اللغويُّون العربُ المحدثونَ فقد اهتموا بدراسة سياق الحال مستفيدين من جهود العلماءِ الغربيين التنظيريةِ، ومحاولين التأصيلَ لهذا التَّنظيرَ من تُراثهمُ اللغويّ والأدبيّ، من أمثلة هؤلاء:

أ-تمام حسان: الذي نظر إلى السياق غير اللغوي، من الناحية توالي الأحداثِ التي صاحبتِ الأداءَ اللغويَّ، وكانت ذاتَ علاقةٍ بالاتصالِ، والسياقُ من هذه الناحيةِ يسمى"سياقَ الموقفِ"، والذي يُستدلُ عليه من القرائنِ المقاميةِ[4]، كما تحدث **تمام حسان** عن الفرق الواضح بين **المقام والموقف**، فالمقام عام، والموقف خاص، فهو يشمل:((مقام الدعاء والصلاة وتقيد المواعيد وأرقام التلفون في المفكرة، ونحوها هو ما يعوزها الطابع الاجتماعي الواضح، حتى إن هذه المواقف لتصلح أن تسمى مواقف فردية لا مقامات اجتماعية))، ومثال ذلك:((أن تقود

---

[1] منقور عبد جليل، **علم الدلالة"أصوله ومباحثه في التراث العربي-دراسة-"**، ص99.

[2] Chomsky Noam; syntactic structures Mouton and Co.the hague 1957:p13.

نقلا عن عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص291.

[3] Chomsky Noam: ianguag and mind in perveen a dams: language in thinking,p329.

نقلا عن عبد النعيم خليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص293.

[4] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص243.

ـــــــــــ، **مناهج البحث في اللغة**،ص163.

سيارتك بنفسك، ثم تجد أمامك شخصا آخر يقود سيارة فلا يلتزم بها قواعد المرور، ويسبب لك شيئا من الارتباك، فإذا بك تصبّ سيلا من الاحتجاجات والشتائم المسموعة بالنسبة إليك أنت فقط...، فهذا موقف فردي لا يتوافر له عناصر المقام الاجتماعي))[1].

وما يمكن أن نتوصل إليه أن "**تمام حسان**" أجاد إلى حد ما في توظيف أداة السياق وتفعيلها على العربية تنظيرا وتطبيقا، وتأثره بزعيم المدرسة الاجتماعية "**فيرث**" كان واضحا وملموسا من خلال التماسه الطرق الموصلة إلى المعنى وذلك بانتهاج وسائل تحليلية تتمحور حول الدراسات اللغوية المختلفة.

ب– "محمد حماسة عبد المطلب": تحدث عن سياقِ الموقفِ أو المقامِ، مؤكدا أهمية الظَّرفِ الخارجيّ المرافقِ للسياقِ اللغويّ في تحديد معنى هذا السياقِ، يقول:((دلالةُ السياقِ تجعلُ الجملةَ ذات الهيئةِ التركيبيةِ الواحدةِ بمُفرداتِها نفسِها إذا قيلت بنصِّها في مواقفِ مختلفةٍ، تختلفُ باختلافِ السياقِ الذي ترِدُ فيه مهما كانت بساطةُ هذه الجُملةِ وسذاجتُها))[2].

ج–"**ميشال زكريا**":وقف على الظواهرِ السياقية انطلاقا من المنَّهجيةِ الألسنيةِ التوليديةِ والتحويليةِ التي تعتمدُ على ثُنائيةِ الكفايةِ اللغويةِ والأداءِ الكلاميّ مُميزا بينهما، فالكفايةُ اللغويةُ:هي المعرفةُ الضمنيةُ باللغةِ، أما الأداء الكلاميَّ، فهو الاستعمالُ الآنيُّ للغةِ ضمن سياقٍ معينٍ يُنظرُ إليه من خلالِ أُصُوليةِ جُملةٌ تكونُ غيرَ أُصُوليةٍ بمقدارِ انحرافِها عن قواعدِ اللغةِ[3]. فالسياق غير اللغوي: هو الذي يكشف عن المعاني، ويفصح عن مدلولات الألفاظ، ويبلغ من معانيها النهاية والغاية، فلا تستطيع أن تخفي من معانيها شيئا.

د–"منقور عبد الجليل":تحدث عن السياق الحال، بمعرضِ حديثه عن النِّظامِ اللغويّ، مشيرا إلى أنَّ النِّظامَ اللغويَّ، إذ يقول:((نظامٌ متشابكُ العلاقاتِ بيْنَ وحداتهِ، ومفتوحٌ دوْما على التجديدِ والتَّغييرِ في بنْياتهِ المعْجميةِ والتركيبيةِ، حتى غدا تحديدُ دلالةِ الكلمةِ يحتاجُ إلى تحديدِ مجموعِ السياقاتِ التي ترِدُ فيها، وهذا ما نادتْ به النَّظريةُ السياقيةُ التي نفتْ عن الصيغةِ اللغويةِ دلالتَها المعجميةَ))[4]، مُنبّها إلى أنَّ المنهجَ الذي تعتمدهُ النَّظريةُ السياقيةُ هو((من المناهجِ الأكثرِ موضوعيةً ومقاربةً للدلالةِ، ذلك أنَّه يُقدمُ نموذجا فعليا لتحديد دلالةِ الصيغ اللغوية))[5]،

---

[1] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص342-343.

[2] محمد عبد المطلب **النحو والدلالة"مدخل لدراسة المعنى النحوي الدلالي"**، ص113.

[3] ينظر:ميشال زكريا، **الألسنية والتوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية"الجملة البسيطة"**، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م، ص7-9.

[4] منقور عبد الجليل، **علم الدلالة**، ص141.

[5]نفسه ص نفسها.

والسببُ في ذلك-كما يقول-أنَّ((السياقَ يَحملُ حقائقَ إضافيةٍ تُشاركُ الدلالةَ المعجميةَ للكلمةِ في تحديدِ الدلالةِ العامةِ التي قصدها(...)وتبعا لذلك فإنَّ دلالةَ الكلمةِ تتعددُ بتعددِ السياقاتِ وتنوُّعِها، أي:تبعا لتَوَزّعِهَا اللغوي))[1]، مُذكّرا بالتطوُّرِ الحاصلِ في مفهومِ السياقِ، إذ يقول((إذْ لم يعد يقتصرُ على الجانبِ اللغويّ في إيضاح دلالةِ الصيغةِ اللغويةِ، وإنما وُجدت جوانبُ أخرى قد تنْحسِمُ معها الدَّلالةَ المقصودةَ للكلمةِ، كالوضعِ والمقامِ الذي يحدثُ فيه التَّواصلُ أو الملامحُ الفيزيولوجيةُ النفسيةُ للمتكلمِ التي تُصاحِبُهُ))[2].

ثانيا- السياق غير اللغوي عند البلاغيين:

1- تعريف السياق غير اللغوي عند البلاغيين:

شكّل **السياق غير اللغوي** " المحور الرئيس لدى البلاغيين، فهو الجوهر الذي انبنت على أساسه البلاغة العربية؛ فلما كانت مؤسسة على الإبلاغ القائم على الاستعمال الدقيق للغة في مختلف المقامات، ظهر هذا المجال الذي يبحث فيه أصحابه في الأساليب الخاصة في استعمال اللغة، وتصنيفها بحسب تمكنها في التعبير عن المقاصد؛ تعبيرا قد لا يقف عند حدود الإفهام؛ فقد يروم الإمتاع أو الإقناع.

وقد تبلورت مفاهيم"**السياق غير اللغوي**"عند البلاغيين انطلاقا من فطنتهم إلى أن اللغة ظاهرة اجتماعية، وأنها شديدة الارتباط بثقافة الشعب الذي يتكلمها، وأن هذه الثقافة في جملتها يمكن تحليلها بواسطة حصر أنواع المواقف الاجتماعية التي يسمون كلا منها"مقاما"؛ وفي ذلك يقول **تمام حسان**:((وكان من رأي البلاغيين أن"لكل مقام مقالا"؛ لأن صورة "**المقال**" تختلف في نظر البلاغيين بحسب"**المقام**"، وما إذا كان يتطلب هذه الكلمة أو تلك، وهذا الأسلوب أو ذاك من أساليب الحقيقة أو المجاز والإخبار أو الاستفهام وهلم جرا، ومن عباراتهم الشهيرة في هذا الصدد قولهم"لكل كلمة مع صاحبتها مقام))[3]. ليغدو"المقام"الأساس الذي قامت عليه البلاغة العربية باعتبار أنه لا تشكيل لمختلف أشكال الكلام من غير الأخذ بعين الاعتبار معطيات الحال، ومنه قد نتساءل ونقول: **هل هناك فرق بينهما؟أم هما مترادفان؟** فإذا تأمّلنا المصطلحين(**المقام" والحال**)، وحاولنا استنباط مفاهيمهما، فإننا نلاحظ أن البلاغيين قد استخدموهما استخداما دقيقا منذ البداية، نستهل ذلك مع **بشر بن المعتمر** حينما قال:((المعنى ليس يشْرُفُ بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يتَّضح بأن يكون من معاني

[1] السابق، ص142-143.

[2] منقور عبد الجليل، **علم الدلالة**، ص142-143.

[3] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص337.

العامة، وإنما مدارُ الشَّرَف على الصواب وإحرازِ المنفعة، مع موافقة **الحال**، وما يجب لكل **مقامٍ** من المقال))[1]، ويقول أيضا :((قال بعض جهابذة ونقاد المعاني: المعاني القائمة في صدور الناس المتصورة في أذهانهم، والمتخلجة في نفوسهم، والمتصلة بخواطرهم، والحادثة عن فكرهم، مستورة خفية، وبعيدة وحشية، ومحجوبة مكنونة، وموجودة في معنى معدودة(...)، وإنما يحيي تلك المعاني ذكرهم لها، وإخبارهم عنها، واستعمالهم إياها(...)، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح، وكانت الإشارة أبين وأنور، كان أنفع وأنجع)[2]، نجد في هذا القول أنه استخدم ؛ "مصطلح تداولي بالطرح المعاصر "إحراز"المنفعة" فكان دقيقا في استعماله، وقد ذكر **الجاحظ** مصطلحي"**الحال**" و"**المقام**" ضمن مفاهيم معيّنة، يقول في شرحه ل"**آلة البلاغة**":((ومن عِلْمِ حَقِّ المعنى أن يكون الاسمُ له طِبْقا، وتلك **الحالُ** له وَفْقا، ويكون الاسم له لا فاضلا ولا مفضولا، ولا مقصِّرا ولا مشتركا ولا مضمّنا، ويكون مع ذلك ذاكرا لما عقَدَ عليه أوَّلَ كلامه، ويكونَ تصفُّحه لمصادِرِه، في وزن تصفُّحه لموارده، ويكون لفْظُه مُونِقا، ولهَوْل تلك **المقامات** معاوِدا))[3].

نلاحظ من قول الجاحظ أن"**المقام**" عنده عام ثابت بخصوصياته؛ والتي تشمل أربعة أركان أساسية؛ المتكلم والمتلقي؛ ويُشتَرط فيهما شروط معينة تجعلهما في النهاية نموذجين، والموضوع وطبيعة اللغة المستعملة.

أما "**الحال**" فمُتجدِّدة بحسب ما يطرأ على المقام المعين بكل مكوناته بالإضافة إلى الزمان والمكان الذي يجري فيه الكلام، يقول **الجاحظ**:((فإن ابتُلِيتَ بمقامٍ لا بدَّ لك فيه من الإطالة، فقَدِّمْ إحكام البلوغ في طلب السلامة من الخطَل قبل التقدّمِ في إحكام البلوغ في شَرف التَّجويد، وإيَّاك أن تعدلَ بالسَّلامة شيئا؛ فإنَّ قليلا كافيا خير من كثير غيرِ شاف، ويقال إنّهم لم يَرَوْا خطيبا قطّ بلديًّا وهو في أول تكلفه لتلك المقامات كان مُستقلا مستصلَفا أيامَ رياضته كلِّها إلى أن يتوقح وتستجيبَ له المعاني، ويتمكنَ من الألفاظ إلا شيب بن شيبة؛ فإنه كان قد ابتدأ بحلاوةٍ ورشاقة وسهولة وعُذوبة، فلم يزل يزدادُ منها حتى صار في كلِّ موقفٍ يُبلِّغُ بقليل الكلام ما لا يبلُغُه الخطباء المصاقع بكثيره، قالوا ولما مات شيب بن شيبة أتاهم صالح المرّيّ في بعض من أتاهم للتعزية فقال"رحمةُ الله على أديب الملوك، وجليس الفقراء، وأخي المساكين))[1].

ثم إننا نلاحظ أن **الجاحظ** يستعمل"**الموقف**"الذي نعتقد أنَّه يريد به مفهوم"**الحال**"، وندرك هذا أكثر معه حينما أكد أنه:((لا خيرَ في كلامٍ لا يدلُّ على معناك، ولا يشير إلى مَغْزَاك، وإلى العَمُود الذي إليه قصدت،

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص136.
[2] نفسه، ج1، ص75.
[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص92-93.

والغرض الذي إليه نزعت، قال: فقيل له: فإن ملَّ السامعُ الإطالةَ التي ذكرْتَ أنها حقُّ ذلك الموقف؟ إذا أعطيت كل مقام حقَّه، وقمت بالذي يجب من سياسة ذلك الموقِف؟ قال:إذا أعطيتَ كل مقامٍ حقَّه، وقمتَ بالذي يجبُ من سياسة ذلك المقام، وأرضيتَ من يعرف حقوقَ الكلام فلا تهتمَّ لما فاتكَ من رضا الحاسد والعدُوّ، فإنَّه لا يرضيهما شيء، وأما الجاهلُ فلستَ منه وليس منك، ورِضَا جميعِ النَّاسِ شيءٌ لا تنالُه))[2].

وفي ذلك توضيح **لـ"المقام"**–بكل مكوناته–حيث تكون مقتضياته واضحة ودقيقة لا تستدعي التصرف ؛ أي له حَقٌّ واضح متداول؛ فمقام الشكر–مثلا–يباين مقام الهجاء أو الأمر أو غير ذلك، والقول في كل هذه الأغراض يتطلّب كلاما مخصوصا فإن راعيناه فحتى وإن كنا في مقام الإطالة وأطلنا فتلك هي البلاغة، فهذا لا يؤثر إن كنَّا في "موقف"فيه المتلقي جاهلا، أو لا يريد الاستماع.

وفي رحاب هذا التوضيح قد نُفرّق بين تداعيات المصطلحين(**المقام والحال**)كما رآها "**الجاحظ**" وغيره مما ذكره "**العسكري**"، حيث أشار إلى أن موضوعات:((الإحماد والإذمام والثناء والتقَّريظ، والذمّ والاستصغار والعدلُ والتوبيخ، وسبيلُ ذلك أن تُشْبِع الكلامَ فيه، ويُمدُّ القول حسبَ ما يَقْتَضِيه آثار المكتوب إليه في الإحسان والإساءة والاجتهاد والتقصير(...)، وسبيلُ ما يُكْتَبُ في بابِ الشكر ألَّا يقع فيه إسهابٌ، فإن إسهابَ التابع في الشكر، إذا رجع إلى خصوصية، نَوْعُ من الإبرام* والتثقيل؛ ولا يَحْسن منه أن يستعملَ الإكثار من الثناء والدعاء أيضا، فإن ذلك فِعْلُ الأبَاعد الذين لم تتقدَّم لهم وسائلُ من الخدمة...))[3] ، فمقامات كل الموضوعات المذكورة في هذا القول تقوم على خصوصيات معينة بإشباع الكلام فيها أو الإيجاز، لكن قد تكون في **"حال"** يَملُّ فيها السامع، أو لا يريد ذلك، مما قد يدفعنا إلى التصرف بما يمكننا من موافقة هذا الموقف.

كما أوضح **"السكاكي"** في هذه المناسبة أن التعرض لخواص تراكيب الكلام بحسب مقتضيات أحوالها موقوف على التعرض لتراكيبه ضرورة، واتضح له أن أصل كلام العرب ينتظم ضمن قسمي"الخبر" و"الطلب"، فـ"**الخبر**"((يشمل الكلام الذي يحتمل الصدق والكذب، أم "الطلب" فهو عكس الخبر فلا يحتمل ذلك))[4]، فمقتضيات الأحوال ضمن هذا التصور تقتضي استعمال الألفاظ التي تعبر بدقة عن القصد المراد إخبارا أو إنشاء.

---

[1] نفسه، ص112-113.

[2] نفسه، ص116.

*أبرمه: أمله.

[3] العسكري، **الصناعتين**، ص156-157.

[4] ينظر: السكاكي،**المفتاح** ، ج1، ص164-165.

أما"**المقام**" فإنه إذا تأملنا الأقوال السابقة فإنه سيظهر لنا أيضا ذلك التدخل في استعمالاته لدى البلاغيين المتأخرين، فيُطلق مرات ليدل على "**صفة حالية**"، فيقول: ((لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين "مقام الشكاية" و"مقام التهنئة" يباين "مقام التعزية"و"مقام المدح" يباين "مقام الذم"و"مقام الترغيب" يباين "مقام الترهيب" و"مقام الجد" في جميع ذلك يباين "مقام الهزل"، وكذا مقام الكلام ابتداء يغاير مقام الكلام بناء على الاستخبار والإنكار، ومقام البناء على السؤال يغاير مقام البناء على الإنكار، جميع ذلك معلوم لكل لبيب، وكذا مقام الكلام مع الذكي يغاير مقام الكلام مع الغبي، ولكل من ذلك مقتضى غير مقتضى الآخر))[1]؛ ولا شك أن المقام الذي يعنيه هنا مقام "المتكلم"، وأن أساليب الكلام تتبع أغراض المتكلم و"مقاصده" وأحواله"؛ وفي هذا يتجلى التوجه التداولي في بلاغة السكاكي؛ إذ يرى أنه من الضرورة مناسبة الكلام **للمقام وقصد المتكلم** وحاجاته، مما يعكس الجانب النفعي في الخطاب.

وفي حديثه عن المقامات يربط بين المقام وبناء الكلام وتركيبه (الاستخبار والإنكار..)، ثم يربط مقامه بالمستوى الذهني والتفكيري للمتلقي والسامع، وهذه المقامات مصنفة بحسب:[2]

-**المقاصد**: التشكير، الشكلية...إلخ.

-**المخاطب**: بناء الكلام على استخبار أو إنكار الكلام مع الذكي أو الغبي.

-**سياق المقال**: مقام الكلمة مع الكلمة، وذلك في قوله: ثم إذا شرعت في الكلام فلكل كلمة مع صاحبتها مقام ولكل حد ينتهي إليه الكلام مقام.

ويتضح من ذلك أن "المتكلم" ينسج خطابه وفق حضور "السامع" في ذهنه ووفق حالته التي استشعرها واستشفها بفطنته، قبل توجيه الخطاب إليه، ولكنه إذا أخطأ في تقديره لحالة السامع، ومقامه، فإنه يخطئ في تحقيق الفائدة عنده، لذا فإنه ينبغي عليه أن يتعرف على طبائع الناس أو السامعين، وميولهم وأحوالهم النفسية والثقافية، ليتمكن بمعرفته تلك من تشخيص الحالة التي أمامه، ومن ثم يبث إليها الخطاب بما يتوافق معها؛ أي أن يمتلك كفاءة تداولية تحوله لجعل كلامه **مطابقا لمقتضى الحال**، فهو يرى أن ((وارتفاع شأن الكلام في باب الحسن والقبول وانحطاطه في ذلك بحسب مصادفة الكلام لما يليق به وهو الذي نسميه مقتضى الحال، فإن كان مقتضى الحال وإطلاق الحكم فحسن الكلام تحريده عن مؤكدات الحكم. وإن كان مقتضى الحال بخلاف ذلك فحسن الكلام تحليه بشيء من ذلك بحسب المقتضى ضعفا وقوة))[3]، وبقوله هذا يرى أنه لابد على "المتكلم" أن يكون له

[1] السابق، ص168.

[2] ينظر: نفسه، ص168.

[3] نفسه ص نفسها.

كفاءة تداولية تسمح له وتعينه على معرفة ما يناسب المقام وأحوال "السامع" ومتطلباته من كلام، لكي يلقى كلامه القبول والرضا من قبل هذا السامع، وبالتالي نجاحه في خطابه.كما نجد عند **السكاكي** مقولة الشهيرة "**مراعاة الكلام لمقتضى الحال**"، التي تشمل عنده أحوالا أربعة هي: حال "المتكلم" وحال "السامع"، والبناء الداخلي (أو الصياغة اللغوية، والمقام الخارجي، وهو يؤكد على ذلك من خلال تحليلاته لأحوال الإسناد الخبري وأغراضه، فيقول: ((أما الحالة التي تقتضي طي ذكر المسند إليه فهي إذا كان السامع مستحضرا له عارفا منك القصد إليه عند ذكر المسند والترك راجع، إما لضيق المقام(**المقام الخارجي**)، وإما للاحتراز عن العبث بناء على الظاهر(**البناء الداخلي**)، وإما للتخييل أن في تركه تعويلا على شهادة العقل وفي ذكره تعويلا على شهادة اللفظ من حيث الظاهر وكم بين الشهادتين(**حال السامع**)، وإما لإيهام أن تركه تطهيرا للسان عنه أو تطهيرا له عن لسانك، وإما للقصد على عدم التصريح ليكون لك سبيل على الإنكار إن مست إليه حاجة(**حال المتكلم**)))[1]، وقد يتجاوز **السكاكي** مجرد "مراعاة الحال" عند الإنتاج الأدبي، إلى أخذها في الاعتبار عند الحكم على الكلام أو على صاحبه، وأن "المتكلم" بقدر ما يوفق في تطبيق الكلام على ما يقتضي الحال ذكره، يكون الحكم له بالحذق والأستاذية، لذا فهو يشدد على ضرورة تزود المتكلم بمعرفة هذه الأحوال، ومتطلباتها، كي يصادف قوله ما يختلج في نفسه من مشاعر وأحاسيس ودلالات، من ثم تجد **قبولا** عند "السامع" ، لما تحمله من صدق في التعبير، وتوافق في الأداء، وهو ما أجمله السكاكي من "**أحوال ومقتضيات**"، وفصله على مدار أربعة فنون تمثل "**علم المعاني**":

–الفن الأول في تفصيل اعتبارات الإسناد الخبري.

–الفن الثاني في تفصيل اعتبارات المسند إليه.

–الفن الثالث في تفصيل اعتبارات المسند.

–لالفن الرابع في تفصيل اعتبارات الفصل والوصل والإيجاز والإطناب))[2]، وهذا ما ذهب إليه **الخطيب القزويني**، فيقول:((فإن مقامات الكلام متفاوتة، "فمقام التنكير" يباين "مقام التعريف"، و"مقام الإطلاق" يباين "مقام التقييد"، و"مقام التقديم" يباين "مقام التأخير"، و"مقام الذكر" يباين "مقام الحذف"، و"مقام القصر" يباين "مقام خلافة"، و"مقام الفصل" يباين "مقام الوصل"،و"مقام الإيجاز" يباين "مقام الإطناب والمساواة".))[3]، ومن هنا نكتشف التبعية بين تداعيات المصطلحين؛ ((لأن التغاير بين الحال والمقام إنَّما هو بحسب الاعتبار، وهو أنه يتوهم في الحال، كونه زمانا لورود الكلام فيه وفي المقام كونه محلا له.))[4].

---

[1] السابق، ص176.

[2] نفسه، ص169.

[3] القزويني، **الإيضاح** ، ج1، ص41-43.

[4] سعد الدين التفتازاني، **مختصر المعاني**، دار الفكر، دب، ط1، 1411هـ، ص15-16.

ومنه تتجلى العلاقة بين محل الكلام"**المقام**"، والموقف"**الحال**" الذي يجري فيه، وفي هذا السياق أيضا يتّضح التقارب بين المصطلحين"**الحال** و**المقام**"، ف"التغاير بينهما اعتباري، فإن الأمر الداعي"مقام"باعتبار توهم كونه زمانا له، وأيضا المقام يعتب فيه إضافته إلى المقتضى؛ فيقال مقام التأكيد والإطلاق والحذف والإثبات، والحال يضاف إلى المقتضى فيقال حال الإنكار وحال خلو الذهن، وغير ذلك، فعند تفاوت المقامات يختلف مقتضيات المقام ضرورة أن الاعتبار اللائق بهذا المقام غير الاعتبار اللائق بذلك، واختلافها عين اختلاف مقتضيات الأحوال"[1]، فالزمان يعني"الأداء" الفعلي للمقام، وهنا نؤدي الكلام على ما تستدعيه الحال التي تقنضي مقتضيات تتنزل في الكلام.

أما القزويني فنجده يفرَّق بين "**الحال والمقام**"، وبين" **مقتضى الحال**"، على اعتبار أن" الحال والمقام" يقصد بهما السبب الدّاعي للكلام، أو الموقف الذي يصدر منه الكلام، أما" مقتضى الحال"فقد عبر عنه بأنه الاعتبار المناسب، والاعتبار المناسب تعبير يحتمل التأويل؛ لأن **التفتازاني** حين استعمل هذه العبارة وظفها لتفريق بين"المقام والحال"، إذ ذكر أنه لا فرق بين الحال والمقام إلا باعتبار المناسب، فيقول((والمراد بالاعتبار المناسب الأمر الذي اعتبره المتكلم مناسبا بحسب السليقة أو بحسب تتبع تراكيب البلغاء، يقال اعتبرت الشيء، إذا نظرت إليه وراعيت حاله، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب، للحال والمقام))[2]، ومن خلال ما قيل من الأقوال السابقة، فإننا نؤكد الفرق بين المصطلحين، ونريد أن نوضِّح ذلك أكثر انطلاقا من التركيب الذي قد نركبه إذا ما استأنسنا من جديد، بمقولة **ابن المعتمر** السابقة حينما قال ولكل "حالة: من ذلك"مقاما"، حيث يذكر كيف أن الأحوال تختلف بحسب مقاماتها، **فالسياق الحال:** هو الأمر الداعي إلى الكلام مكيف بكيفية مخصوصة مناسبة، وهذا من خلال ثلاثة أصناف:حال خلو الذهن، وحال التردد، وحال الإنكار.[3]

---

[1] ينظر: السابق، ص17-21.

[2] سعد الدين التفتازاني، **مختصر المعاني** ، ص17.

[3] ينظر: أمل عبد الجبار كريم الشرع، "**السياق في البلاغة العربية القديمة تداوليا**"، مجلة جامعة بابل/ العلوم الإنسانية، مج23، ع 1، 2015م، ص16.

نوضح ذلك أكثر من خلال المخطط الآتي:[1]

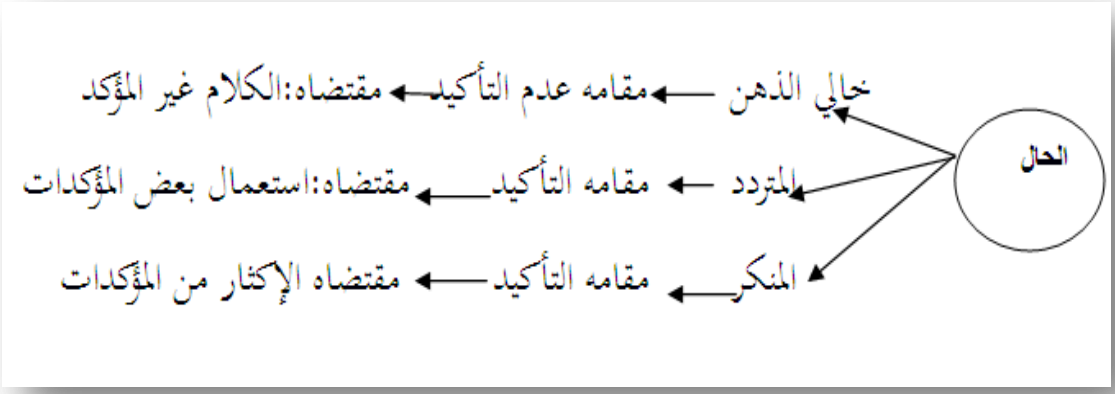

وقد تأكد لنا من تفسيرات **ابن المعتمر والسكاكي** أن سر تنوع الأحوال مرده إلى "المتلقي" بدرجة أولى؛ إذ تتنوع المقتضيات بحسب طبيعة المخاطَب.

ومنه **نستخلص** أن مفهوم"السياق غير اللغوي لا يقف عند النمط التعبيري الذي قد يقتضيه"المقام؛ بل يرتهن بالسلوك التعبيري نفسه الذي قد يحصل أثناء الأداء اللغوي في الموقف المعيَّن؛ قد نوضح ذلك من التفريق الذي قد نلاحظه بين "ما يجب أن "المقال، الموقف النموذجي"و"ما يقال فعلا"(الحال التي يجري فيها الكلام)، لذلك نجد الإنسان في بعض الأحيان يقول حينما أكون في مقام كذا يجب أن أقول كذا وكذا، لكن ما إن يقع في ذلك المقام حتى يقول كلاما آخر قد يختلف تماما عما خططا له مسبقا، ونعتقد أن السبب الأهم في ذلك يعود إلى طبيعة المتلقي والموقف الذي يحدث فيه الاتصال بصفة عامة.

2- السياق غير اللغوي عند البلاغيين عناصره ومكوناته:

تجسدت عناصر السياق غير اللغوي عند البلاغيين في كثير من النصوص التي ساقوها من كتبهم، فقد اهتمَّوا بالمتكلم، والمخاطب، ومجال الحديث، وأثر الكلام والحركة الجسمية المصاحبة للحدث الكلامي، وغير ذلك من العناصر المصاحبة للكلام، والدور الفعَّال لكل عنصر من العناصر السابقة في تجلية المعنى الدلالي، وبما أنَّ فهم أيِّ نصٍ لغويٍّ يتوقف على إدراك ما يكتنفه من ظروف وملابسات، فإن مراعاة هذه الظروف والملابسات ضروري في فهم النص.

[1] سامية بن يامنة، **سياق الحال في الفعل الكلامي**، ص84.

أ-المتكلم [*] **وشروطه:**

يمثل المتكلم حجر الزاوية في ربط حبال الاتصال بغيره، ثم بمايمارسه من سلطة على المتلقي يحول في أحسن الأحوال من منفعل بدلالة الخطاب أو فحواه، على متفاعل يبادله الكلام ويجاذبه أطراف الحديث، ومن ثم رأى **الجاحظ** أن البلاغة والبيان يرتبط أكثر ما يرتبط بذلك المتكلم، أي أن يكون واعيا لقصده، محيطا بطرق التعبير عنه وفق أنظمة اللغة مجال التداول، وفي ذلك يقول "**الجاحظ**":((وإنما عنى العتابي إفهامكَ العربَ حاجتك على مجاري كلام العربِ الفصحاء، وأصحابُ هذه اللغة لا يفقهون قول القائل منَّا:"مكرهٌ أخاكَ لا بطل"و"إذا عزَّ أخاكَ فُهنْ"، ومن لم يفهم هذا لم يفهم قولهم: ذهبتُ إلى أبو زيد ورأيت أبي عمرو، ومتى وجد النحويُّون أعرابيا يفهم هذا وأشباهَه بَهْرجُوه ولم يسمعوا منه))[1]، وهذا ما يعني المثالية على مستوى الأداء الكلامي، فمن الواجب أن لا ينحرف المتكلم الذي يعتقد الجاحظ أنه أهم من السامع —من حيث كان هو الصانع لحدث التواصل، ولا يخرج عما تعارف عليه أبناء اللغة التي يحدث في داخلها التواصل؛ أي أن تكون كما يقول "**طه عبد الرحمن**":((ينبغي أن تكون أداة النقل معلومة للناقل وللمنقول إليه وأن تكون مضبوطة وثابتة وأمينة))[2]، **أمَّا** صاحب " **الصناعتين**" فقد اعتبر المرسل القطب الأول في العملية التبليغية، فاستوجب فيه مجموعة من الشروط التي تعد من البلاغة، وجاءت مبثوثة في مواضع متنوعة في كتابهما، وقد تجلت أكثر في قوله: ((أول آلة البلاغة اجتماع آلة البلاغة، وذلك أن يكون الخطيبُ رابطَ الجأش، ساكن الجوارح، قليلَ اللحظ، متخيِّرِ اللفظ، لا يكلم سيدَ الأمة بكلام الأمة ولا الملوك بكلام السُّوقة، ويكونَ في قُواه فضْلُ التصرُّف في كلِّ طبقة، ولا يدقق المعاني كل التدقيق، ولا ينقح الألفاظ كل التنقيح، ويصفيها كل التصفية، ويهذِّبها كل التهذيب، ولا يفعل ذلك حتى يصادف حكيما، وفيلسوفا عظيما))[3].

من خلال هذا القول يتبين لنا أنَّ للمتكلم شروطا نوجزها فيما يأتي:

-رباطة الجأش "الاستعداد":

يعدّ عاملا مهمًّا عند البلاغيين خاصة عند "**الجاحظ**" فهو يعده عاملا أساسيا لنجاح المتكلم في خطابه، إذ يقول:((قيل لـ"عبد الملك بن مروان": عجل عليك الشيب يا أمير المؤمنين! قال: وكيف لا يعجل عليّ، وأنا

---

[*] ومن مصطلحاته"**المتكلم**" لدى الجرجاني: **المخبر** ، **المؤلف**، **الناظم**، **المنشئ**، **القائل**، **وواضع اللغة**، **المخاطِب**، **الكاتب**، **القارئ**، ينظر: ثقبايث حامدة، **قضايا التداولية في كتابات دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني**، ص64.

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص162-162.

[2] طه عبد الرحمن، **في أصول الحوار وتجديد علم الكلام**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب-الرباط، ط2، 2000م، ص39.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص92، والعسكري، **الصناعتين**، ص20-32.

أعرض عقلي على النَّاس في كلّ جمعة مرة أو مرتين))[1]، لذلك لابد من الخطيب أن يكون على استعداد كامل قبل إلقاء الخطاب، وينعكس ذلك من خلال مقدرته على الارتجال، الذي يمثل-حسب **الجاحظ**- شرطا للإبانة والإفصاح، ولهذا نجده يفضل خطباء العرب على خطباء العجم، ولك لاقتدارهم على الارتجال، وهذه من أبرز سمات خطابتهم، بل هي علامة دالة-في نظره-على تفوقهم، يقول((وكل معنى للعجم، فإنَّما هو عن طول فكرة وعن اجتهاد رأي، وطول خلوة، وعن مشاورة ومعونة، وعن طول التَّفكر ودراسة الكتب وحكاية الثاني علم الأول، وزيادة الثالث في علم الثاني، حتَّى اجتمعت ثمار تلك الفكرة عند آخرهم، وكلَّ شيء للعرب فإنَّما هو بديهة وارتجال، وكأنه إلهام، وليست هناك معاناة ولا مكابدة، ولا إجالة فكر، ولا استعانة))[2].

ثم يوضح معنى الارتجال العربي قائلا: ((وإنما هو أن يصرف وهمه إلى الكلام، وإلى رجز يوم الخصام، أو حين يمتح على رأس بئر أو يحدو ببعير، أو عند المقارعة أو المناقلة، أو عند صراع أو في حرب، فما هو إلا أن يصرف وهمه إلى جملة المذهب، وإلى العمود الذي إليه يقصد، فتأتيه المعاني إرسالا، وتنثال عليه الألفاظ انثيالا))[3]، ليخلص في الأخير إلى أن ((الكلام الجيّد عندهم أظهر وأكثر، وهم عليه أقدر، وله أقهر، وكلّ واحد في نفسه أنطق ومكانه من البيان أرفع، وخطباؤهم للكلام أوجد، والكلام عليهم أسهل، وهو عليهم أيسر من أن يفتقروا إلى تحفظ، ويحتاجوا إلى تدارس، وليس هم كمن حفظ علم غيره، واحتذى على كلام من كان قبله))[4].

وعموما نلاحظ أن **الجاحظ** ركز على عنصر مهم ملازم للبلاغة العربية، ألا وهو **الارتجال** الذي يبرز في الإيهام بما يريد أن يصل إليه الخطيب لإنجاح خطابه.

ولعلَّ تركيز **الجاحظ** على **الارتجال** مرتبط بجانب نفسي آخر هو رباطة الجأش وسكون الجوارح، والذي يكون ضمن مرحلة إنتاج الكلام، فلا تصيب "تجد" المتكلم الذي يمتلك هذه الصفة الحيرة والدهشة التي تؤدي إلى استغلاق الكلام وصعوبة القول و يُورِثان الحُبْسَةَ والحَصَر[5]، وهذا ما يؤكد **الجاحظ** بقوله((وأعيب عندهم من دقة الصوت وضيق مخرجه، وضعف قوته، وأن يعتري الخطيب البهر والارتعاش والرَّعد والعرق[6]، هذه العوارض النَّفسية تفشل نجاعة الخطاب وتؤدي بصاحبه إلى الهلاك، لأجل ذلك شدّد **الجاحظ** في هذا السياق على مسألة

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج1، ص135.

[2] نفسه، ج3، ص28.

[3] نفسه ص نفسها.

[4] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ج3، ص28.

[5] ينظر: العسكري، **الصناعتين**، ص21.

[6] الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج1، ص133.

الثقة بالنفس بالنسبة للخطيب حتى لا يتسرب إليه الخوف والارتباك الذي تصاحبه عوارض خطيرة كالبهر والعرق؛ لأنَّ((الثقة تنفي عن قلبه كلَّ خاطر، يورث اللَّجلجة والنَّحنحة، والانقطاع والبهر والعرق))[1]، وبناء عليه تعدّ الثقة بالنفس ورباطة الجأش عند "**الجاحظ**" من الكفاية النفسية الضرورية بالنسبة للمتكلم(الخطيب)، وذلك في مرحلة إنتاج الخطاب؛ أي قبل إنجاز الخطاب.

وهذا ما ذهب إليه "**أبو هلال العسكري**" في ذلك إذ يقول:((وعلامةُ سكونِ نفسِ الخطيب وربَاطَةِ جَأْشِه هدوءه في كلامِه، وتمهُّلُه في مَنْطِقِه))[2]، فلا بد للخطيب أن يتوافر له الارتياح النفسي الذي يمكنه من التلفظ السليم والواعي بالأفعال الكلامية.

فـ"**العسكري**" بهذا التفسير يُتبع ما ذكره "**بشر بن المعتمر**" في صحيفته، حينما نصح المتصل بأن لا يقدم رسالته إلا وحالته النفسية مواتية لذلك، إذ قال((خُذْ من نفسِك ساعة نشاطِك، وفراغِ بالك، وإجابتِها إياك، فإنَّ قليل تلك الساعةِ أكرَمُ جوهرا وأشرَفُ حسبا، وأحسن في الأسماع، وأحلى في الصدور))[3]، فالحالة النفسية الهادئة هي التي تحدد منفعة الخطاب؛ أي التأثير في السامع، حتى تكون أحسن في الأسماع، وبشر بن المعتمر في هذا القول، يلتفت لفتة ذكية للشرط السيكولوجي عن طول الممارسة والدربة، حتى ارتفعت إلى اليقين العقلي والعملي، وأضحت آية ضرورية لكل إبداع يراد له أن يكون في ذرّة الاختراع.

- **تخير اللفظ**: وهو انتقاء لفظة دون أخرى للتعبير عن المعنى المراد، أو إبدال مفردة بغيرها حتى يتحقق التئام الكلام؛ إذ يقول" **العسكري**" في ذلك:((تخيُّر الألفاظِ، وإبدالُ بعضها من بعض يُوجِبُ التئامَ الكلام؛ وهو من أحْسَنِ نعوته وأَزْيَنِ صفاتِه، فإن أمكن ذلك منظوما من حروفٍ سهلةِ المخارج كان أحسنَ له وأدعى للقلوب إليه))[4] ، والملاءمة هنا تعني مناسبة الكلمة للمعنى المعبّر عنه من جهة، ولغيرها حينما تدخل في تركيب معين من جهة أخرى، وقد أكد "**العسكري**" في غير موضع تأكيدا واضحا على أن يدقق المتكلم في انتقاء الألفاظ المنوطة بالمعنى المقصود، لأنها أساس البلاغة، لكن هذا الأمر ليس بالأمر الهيّن، ويقول أيضا :((فمدارُ البلاغة على تخيُّرِ اللفظ، وتخيُّرُه أصعبُ من جَمعِه وتأليفه))[5]، وإنما كان اختيار اللفظ المناسب من أصعب المراحل؛ لأن به يتحقق التلاؤم والترابط بين أجزاء الكلام من جهة، وتتضح دلالته المقصودة من جهة أخرى.

---

[1] السابق، ص134.

[2] العسكري، **الصناعتين**، ص22.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج1، ص135.

[4] العسكري، **الصناعتين**، ص141.

[5] نفسه، ص23.

ومنه ندرك أن صاحب **الصناعتين** يرى أنَّ أساس الفعل الكلامي في أي اتصال يعود للاختيار الذي يعد أساس نجاح الرسائل الإبلاغية مهما تنوّعت تجلياتها؛ ويعد هذا من الآليات التي تكشف عنها التداولية، يقول:((ومن الدليل على أنَّ مدارَ البلاغة على تحسين اللفظ أنَّ الخُطَبَ الرائِعة، والأشعارَ الرائِقة، ما عُمِلتْ لإفهام المعاني فقط؛ لأنَّ الرديء من الألفاظِ يقومُ مَقامَ الجيّدةِ منها في الإفهام، وإنما يَدُلُّ حُسْنُ الكلامِ وإحكامُ صَنْعَتِهِ، وَرَوْنَقُ ألفاظِه، وجودةُ مَطالِعِه، وحُسْنُ مَقَاطِعه، وبَدِيعُ مَباديه، وغريبُ مَبَانيِه على فَضْلِ قائِله وفهْمِ مُنْشئه))[1]، وكل هذه الصفات مرتبطة بصواب المعنى المعبّر عنه؛ لأن المتصل مهما أجاد فلا بدَّ أن يكون منطلقا من معنى مقبول في أي شكل من أشكال الاتصال اللغوي، يقول:((ولهذا تألَّق الكاتبُ في الرسالة، والخطيبُ في الخُطْبَة، والشاعرُ في القصيدة، يُبَالِغُونُ في تَحْويدِها، ويَغْلُونَ في ترتيبها؛ ليدُلُّوا على بَرَاعَتِهم، وحِذْقِهِم بصِنَاعتِهِمْ؛ ولو كان الأمُر في المعاني لَطَرَحُوا أكثر ذلك فرَبِحوا كذا كثيرا، وأسقطُوا عن أنفسهم تعبا طويلا))[2]، ومن القول السابق نلاحظ أن "**العسكري**" على أساس الاختيار يفرّق بين الكلام الفني الذي يجهد له الأديب ويكد، والكلام العادي الذي لا يحتاج إلى التأمّل أكثر، ولكن هذا لا يعني التعقيد والغلو في الاختيار، فيقول:((الكلامَ إذا كان لفظُه حُلْوا عَذْبا، وسَلِسَا سَهْلا، ومعناه وسَطا، دخل في جُمْلة الجيّد، وجَرَى مع الرائِع النادر.

كما نلاحظ إصرار كل من "**الجاحظ**" و "**العسكري**" على هذه المعطيات، لذا تنوعت أحكامهما في معالجة هذه القضايا، فيقول "**العسكري**" :((والكلامُ إذا كان لفظُه غثًّا، ومعرضه رثًّا، كان مردودا ولو احتوى على أجَلِّ معنًى وأنْبَله، وأرْفَعِه وأفْضَلِه، كقوله:

لَمَّـــا أطَعْنـــاكُمْ في سُـــخْطِ خَالِقِنـــا لا شـــكَّ ســـلَّ علينَـــا ســـيفَ نِقْمَتِـــهِ))[3].

فالآليات التداولية تتنافى مع اللفظ الغث غير المناسب، والمعرض المردود ركّز على ما يحقق القبولية لدى المتلقي، ويدفع عنه المستكره غير المقبول، أي فلا يجري الكلام على طريقة واحدة؛ بل تتعدّد أشكاله وأنماطه التعبيرية، وقد أبرز البلاغيون ذلك، وبيَّنوا أن هناك"كلام السوقة"، و"كلام البدو"، و"كلام الحضرة"، و"كلام الحكَّام" وغيرها من الأصناف الكلامية التي تتنوَّع بحسب طبقات المتلقين، وكفاءاتهم التداولية، باعتبار((أن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس، كما يفهَمُ السُّوقي رِطانَة السوقيّ))[4] وأيضا((لا ينبغي أن يكون اللفظُ عامّيّا وساقطا سُوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلِّم بدويا أعرابيًّا(...)

[1] السابق، ص58.

[2] نفسه، ص59.

[3] نفسه، ص67.

[4] الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج1، ص144.

وكلامُ الناس في طبقاتٍ كما أنَّ النَّاس أنفسَهم في طبقات))[1]،ولذلك تنوَّعت صفات الكلام فيقول الجاحظ:((فمن الكلام الجَزلُ والسَّخيف، والمليحُ والحسن، والقبيح، والسَّمجُ، والخفيفُ والثقيل؛ وكلُّه عربيّ))[2]، فالجاحظ يؤكد على أن الكلام يتنوع حسب أحوال الناس وطبقاتهم، وذلك من حيث الأسلوب وطبيعة المفردات المستعملة والخصائص الصوتية من خفة وثقل، ويقول أيضا ((أن سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعاني، وقد يُحتاج إلى السَّخيف في بعض المواضع))[3]، وكل ذلك مرتبط بالمتكلِّم؛ فلا بد أن ينوَّع في أنماط أقواله بحسب نوعية مخاطبيه، وعلى هذا الأساس كانت البلاغة درجات بحيث تستدعي من المتكلم التنويع في أصناف الكلام بحسب طبيعة المخاطَب والمقام الذي ينشأ فيه الكلام. ويقول **العسكري أيضا** :((والشعرُ كلامٌ منسوجٌ ولفظٌ منظوم، وأحْسَنُه ما تلاءَمَ نَسْجُه، ولم يَسْخُفْ، وحَسُن لفظُه ولم يهْجُن، ولم يُسْتَعْمَل فيه الغليظُ من الكلام فيكون جلْفا بغيضا، ولا السُّوقيُّ من الألفاظِ فيكون مُهلْهَلا دُونا))[4]، ومعظم هذه النعوت المتعلقة بتخيّر اللفظ أشار إليها العلماء قبل أبي هلال وبعده، ونخصُّ بالذكر ما ورد في صحيفة بشر بن المعتمر الذي كان يركّز على ضرورة((أن يكون لفظك رشـــــيقا عـــــذبا فخمـــــا ســـــهلا))[5]، ويمكـــــن أن نوضّـــــح ذل في الشـــــكل الآتي:[6]

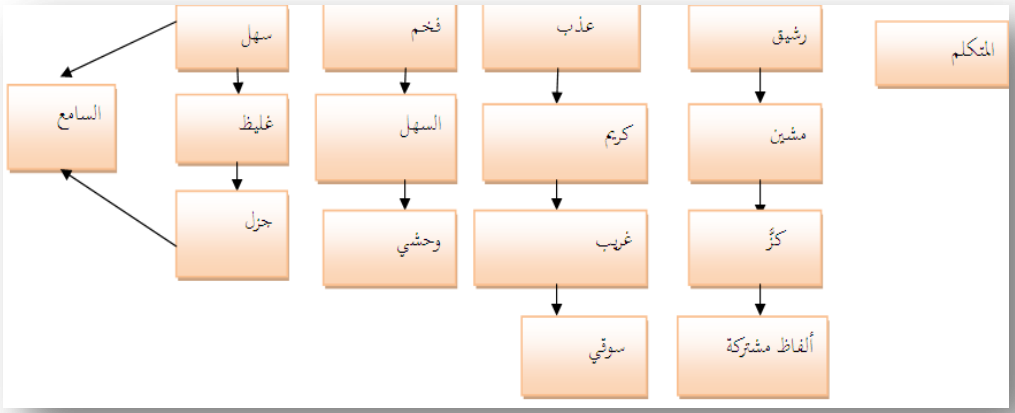

[1] السابق، ص144.

[2] نفسه ص نفسها.

[3] نفسه، ج1، ص145.

[4] العسكري، **الصناعتين**، ص60.

[5] الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج1، ص135.

[6] سامية بن يمينة، **الاتصال اللساني وآلياته التداولية في الصناعتين لأبي هلال العسكري**، مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة، مشروع العلوم اللغوية والاتصال، من إشراف: أحمد عزوز، جامعة وهران، 2007م، ص103.

إن المبدأ العام والإطار النظري الذي طرح فيه العسكري آراءه التي تخص اللفظ المتخير كان ماثلا عند "**الجاحظ**" أيضا، والذي قدَّم الكثير من الآراء التي تخدم ذلك، وما كان يقصده هو العلاقات التي ينظمها المحور الإفرادي؛ أي إفهام المتكلم وذلك باختيار الألفاظ وهو محور البيان؛ أي إيراد المعنى الواحد بطرق مختلفة.

ومن بين العلماء الذين أشاروا أيضا إلى قضية التدقيق في اللفظ بمراعاة الصفات التي تضمن له الحسن والقبول، "**ابن رشيق القيرواني**" فيقول:((اللفظ أغلى من المعنى ثمنا، وأعظم قيمة، وأعز مطلبا، فإن المعاني موجودة في طباع النَّاس(...)وجودة الألفاظ، وحسن السبك، وصحة التأليف))[1] ، فهو بذلك يركز على اللفظ، وقدّره أكثر من المعاني؛ لأنها ماثلة في طباع النَّاس ومتداولة بينهم، ويستطيع أي فرد أن يعرفها، ولكن الشأن ههنا يكون في كيفية انتقاء الألفاظ التي تعبر عن المعنى المعيّن، وهو مطلب أساسي في العمل الأدبي الذي يقتضي جودة اللفظ، وحسن سبكه وتأليفه.

أما "**ابن سنان الخفاجي**"، فانطلق من اللفظ لكي يحدد سرّ الفصاحة في الكلام، يقول:((إنَّ الفصاحة على ما قدمنا نعت الألفاظ إذا وُجدت على شروط عدّة؛ ومتى تكاملت تلك الشروط فلا مزية على فصاحة تلك الألفاظ وبحسب الموجود منها تأخذ القسط من الوصف، وبوجود أضدادها تستحق الذم))[2]، ونشير ههنا إلى أنه بيّن المقاييس المقبولة، والتي تضمن لها ما يسمى بالفصاحة، وقد حددها في ثمانية أشياء نجمعها في المخطط الآتي:[3]

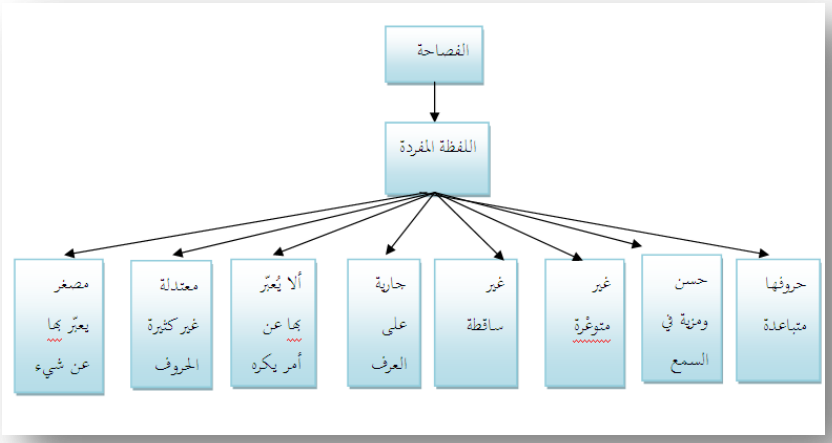

[1] رشيق القيرواني، **العمدة**، ج1، ص127.

[2] ابن سنان الخفاجي ، **سر الفصاحة**، 63.

[3] سامية بن يمينة، **الاتصال اللساني وآلياته التداولية في الصناعتين لأبي هلال العسكري**، ص104.

وقد ذكر بعض الدارسين أن هذه المقاييس فضفاضة تجاوزت المعهود من شروط الفصاحة في المفرد، وكانت موضع انتقاد قديما وحديثا، فإذا كان بعض هذه الشروط متفقا عليه، ويقوم على ضوابط لغوية دقيقة، فإن بعضها الآخر نسبي يمكن أن يختلف في تقدير الناس.

وركز أيضا على هذه القضية "**ابن الأثير**" يقوله:((اعلم أنه يحتاج صاحب هذه الصناعة في تأليفه إلى ثلاثة أشياء؛ الأول منها: اختيار الألفاظ المفردة، وحكم ذلك حكم اللآلئ المبددة، فإنها تُتخير وتُنقى قبل النظم، الثاني: نظم كل كلمة مع أختها المشاكلة لها؛ لئلا يجيء الكلام قلقا نافرا عن مواضعه، وحكم ذلك حكم العقد المنظوم في اقتران كل لؤلؤة منها بأختها المشاكلة لها، الثالث"الغرض المقصود من ذلك الكلام على اختلاف أنواعه، وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم))[1]، فالعقد يستمدّ جماله الأوّلي من اللؤلؤة حينما تنتقي بدقة لتنتظم مع غيرها انطلاقا من علاقات معيّنة، وكذلك الشأن في اللفظة المختارة بدقة؛ فهي أيضا تدخل في التأليف بحسب ما يقتضيه التناسب بين المفردات في التراكيب من جهة، وما يقتضيه المقام من جهة أخرى، فيقول:((وحكم ذلك حكم الموضع الذي يوضع فيه العقد المنظوم، فتارة يجعل إكليلا على الرأس، وتارة يجعل قلادة في العنق، وتارة يجعل شنقا في الأذن، ولكل موضع من هذه المواضع هيئة من الحسن تخصّه))[2]، وأي إخلال في موضع من المواضع التي يقتضيها كلّ عقد سيؤدي إلى افتقاد خاصية الجمالية، والأمر نفسه في الكلام الذي لا بد أن يلائم المعنى المقصود.

–حسن التصرف:حث كل من "**الجاحظ**" و"**العسكري**" على المتكلم أن يكون متمكنا من جميع أضرب الكلام وفي ذلك يقول الجاحظ:((وأجودُ الشّعر ما رأيتَه متلاحم الأجزاء، سهلَ المخارج، فتعلمُ بذلك أنه قد أُفرغ إفراغا واحدًا، فهو يُجرى على اللسان كما يُجرى الدَّهان))[3]، هنا يتوجب على المتكلم تحرّي التلاحم والتلاؤم في كلامه، وكذا الشاعر في شعره، بانتقاء الألفاظ الفصيحة، التي لا يستثقلها اللسان، ولا يقع بينها وبين ما يجاورها تنافر فيظهر البيت أو الشعر كأنه كلمة واحدة، أي أنَّ الألفاظ تكون متسقة مع بعضها البعض، وهذا ما ذهب إليه "**أبو هلال العسكري**"؛ إذ يقول :((وهو أن يكونَ صانعُ الكلام قادرا على جميع ضروبه، متمكنا فنونه، لا يعْتَاصُ عليه قِسم من جميع أقسامه، فإن كان شاعرا تصرَّف في وجوه الشعر؛ مديحِه وهجائِه ومراثِيه، وصفاتِه ومفاخِره وغيرِ ذلك من أصنافه(...) وكذلك الكاتبِ ربّما تقدَّم في ضَرْبٍ من الكتابة، وتأَخَّر في غيره، وسهُل

[1] ابن الأثير، **المثل السائر**، ج1، ص149.

[2] نفسه، ص149.-150.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص67.

عليه نوعٌ منها وعَسُر نوعٌ آخر))[1]، ولكي يشرح ذلك ذكر أمثلة لذلك؛ إذ بيّن أنه:((لاختلافِ قُوى الناس في الشعر وفنونه ما قيل:كان امرؤ القيس أشعر الناس إذا رَكِب، والنابغةُ إذا رهب، وزهيرٌ إذا رَغِب، والأعشى إذا طَرِب))[2]، فـ"**أبو هلال العسكري**" يثبت أن الشعراء تفاوتوا في نظمهم كلٌّ حسب موضعه، ليبقى لديه فيقول:((المقدَّمُ في صنعة الكلام هو المستولي عليه من جميع جهاته، المتمكِّنُ من جميع أنواعه))[3]، فالمرسل المتمكن هو المتقن لأشكال الاتصال مهما تنوعت، والأبلغُ من هذه المنزلة يقول:((أن يكونَ في قوة صائغ الكلام أن يأتي مرَّةً بالجَزْل، وأخرى بالسهل؛ فيَلين إذا شاء، ويشتدُّ إذا أراد))[4]، فالصانع الكلام البليغ هو الذي يستطيع أن ينوع في لغة رسالته، فأتي في الموضوع الواحد بالجزل أو السهل أو المعقد، وكل هذه المعطيات لا تتم إلا بالتجربة والمعرفة الواعية باللغة ومقتضياتها عبر أشكال الاتصال، يقول "**أبو هلال العسكري**" في ذلك:((قال الحسن بن سهل لكاتبه الحرّاني: ما منزلة الكاتب في قوله وفعله؟ فقال: أن يكون مطبوعا محتنِكا بالتجربة، عالما بحَلال الكتابِ والسنة وحرامهما، وبالدهور في تَدولها وتصرّفها، وبالملوك في سيرها وأيامها، مع بَراعة اللفظ وحسن التنسيق، وتأليف الأوصال، بمشاكلة الاستعارة، وشرْح المعنى؛ حتى ينصب صورَها؛ وبمقاطع الكلام، ومعرفة الفصْل مِن الوصل؛ فإذا كان ذلك كذلك فهو كاتب مجيد))[5].

فالمتصل البليغ من تمتع بالكفاءة التي تمكنه من التحكم في بناء أفعاله الكلامية، بحسب ما يقتضيه الموضوع من جهة، والموقف الاتصالي من جهة أخرى.

-مراعاة المتلقي:

ويقصد به المشاركون في عملية الاتصال، إذ يطلب من المتكلم أن يراعي الطبقة التي يلقي إليها خطابه، أي أن المتلقِّين ليسوا على مستوى واحد؛ بل الناس طبقات، ولذا يقول **الجاحظ**: ((لا ينبغي أن يكون اللفظُ عامّيّا وساقطا سُوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلِّم بدويا أعرابيًّا(...) وكلامُ الناس في طبقاتٍ كما أنَّ النَّاس أنفسَهم في طبقات))[6]، هنا يدعو الجاحظ إلى وجوب تخير الألفاظ المناسبة، فلقد ربط الجاحظ بين تخير اللفظ وأحوال الناس، فكل طبقة من الناس لها ألفاظها الخاصة، فالبدو لهم ألفاظهم وعامة الناس

[1] العسكري، **الصناعتين**، ص23.
[2] نفسه ص نفسها.
[3] نفسه، ص23-24.
[4] نفسه، ص24.
[5] العسكري، **الصناعتين**، ص440.
[6] نفسه، ج1،ص144.

لهم ألفاظهم الخاصة بهم، ولهذا فعلى المتكلم أن يراعي هذه الفوارق، ف:((لا يكلمُ سيدَ الأمَّةِ بكلام الأمة، ولا الملوكَ بكلام السُّوقة؛ لأن ذلك جهلٌ بالمقامات، وما يصلحُ في كلِّ واحدٍ منهما من الكلام، وأحْسَنَ الذي قال لكلِّ مقامٍ مقال))[1].

فالكلام لا يُنتج إلا في إطار مقام معين، وفق طبقة المتلقين؛ إذ ليسوا على درجة واحدة من حيث المعرفة والثقافة والهيبة، والغاية من هذه المراعاة هي: **إحراز المنفعة من المخاطب وتجنب غضبه**، وفي هذا الصدد حذَّر صاحب الصناعتين الخطيب من أن يستعمل الكلمات الغريبة؛ ((لأنَّ الغريبَ لم يكثر في الكلام إلا أفْسده، وفيه دلالةُ الاستِكْراهِ والتكلُّف))[2]، والغاية من مراعاة المقام في نظر العسكري ترتكز في أساسها على تحقيق الإبلاغ وإحراز المنفعة من الخطاب اللغوي، لذلك كان من((الواجب أن تقسَّمَ طبقاتُ الكلام على طبقاتِ النَّاس، فيُخاطَب السُّوقِي بكلام السُّوقة، والبدويُّ بكلام البَدْوِ، ولا يتجاوَزُ به عما يعرفُه إلى ما يعرفه، فتذهبَ فائدةُ الكلام، وتعدم منفعةُ الخطاب))[3]، فمعرفة هذه الطبقات هي التي تجعل المتكلِّم يكيِّف كلامه بحسب طبيعة المتلقي.

– الدقة في المعاني:

فالمعاني التي يعبِّر عنها المتكلّم أنماط، تتنوّع بحسب طبيعة الموضوع المعبَّر عنه، ولذا لا بد للمخاطِب أن يصيب المعنى الذي يلائم المقصد الذي يبتغيه، وأن يمتلك القدرة التي تمكنه من التعبير عن مراده بما يقتضيه هذا القصد، وفي ذلك يقول **ابن سنان**:((ومن وَضْع الألفاظ المعروفة للمدح بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض في موضعها أن لا تعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم ولا في الذم موضع الجد ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه))[4]، ولكن يجب مع هذه الألفاظ أن:((يكونَ معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت))[5]، فمهما تنوَّعت هذه الأنماط يجب أن تتَّسم بالوضوح حتى يتمكن منها المخاطَب، ولما كانت المعاني غير محدَّدة تنوَّعت أنماط التعبير عنها؛ ولكن كل نوع حدَّد له البلاغيون نمطا كلاميا مضبوطا، نوضح ذلك من خلال "**العسكري**"، فذكر أنَّ من شروط

[1] العسكري، **الصناعتين**، ص27.
[2] نفسه، ص3.
[3] نفسه، ص29.
[4] ابن سنان الخفاجي ، **سر الفصاحة**، ص161.
[5] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص136.

البلاغة: ((أن يكونَ المعنى مفهوما واللفظُ مقبولا))[1]، فالمعنى هو أساس الاتصال فلا يمكن أن نتصوّر لفظا من دونه، فالألفاظ أجساد والمعاني أرواح.

ويقول أيضا:((لا خير فيما أُجِيدَ لفظُه إذا سَخُفَ معناه، ولا غرابةِ المعنَى إلا إذا شَرُفَ لفظُه مع وضوحِ المغْزَى، وظهورِ المقصِد))[2]، فلا بد من الإجادة في اللفظ والمعنى معا بحسب المواصفات الحسنة التي تسهم في تحقيق البلاغة، لذا وجدنا العسكري في معظم حلقاته مصنَّفه لا يذكر اللفظ أو صفاته إلا ويربطه بالمعنى، فصناعة الكلام تقتضي وضوح المعنى أولا في نفس المتكلم، ثم تخير الألفاظ التي تعبّر عنه، وقد لا حظنا "**العسكري**" في هذا الأساس يطلب من المتكلم تحري اللفظ والمعنى الشريفين، والابتعاد عمَّا يدنسهما، يقول:((ومَنْ أراَغَ مَعْنًى كريما فلْيَلتَمِسْ له لفظا كريما؛ فإنَّ حقَّ المعنى الشريف اللفظُ الشريف، ومِنْ حقهما أن يصونَهُمَا عمَّا يدنّسُهما ويُفْسِدهما ويهجنهما، فتصير بهما إلى حدٍّ تكون فيه أسوأ حالاً منك قبل أنْ تَلْتَمِسَ منازلَ البلاغة))[3]، وضمن هذه القضية حاول أن ينصح المرسل بما يساعده على عدم الوقوع في الزلل والخطأ؛ إذ قال:((كن في ثلاث منازل؛ فأوَّلُ الثلاثِ أن يكون لفظُك شريفا عذبا، وفخْما سهْلا، ويكونَ معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، فإن كانت هذه لا تُوَاتيك ولا تَسْنَحُ لك عِنْد أوَّلِ خاطر، وتَجِد اللفظةَ لم تَقَعْ موقعهَا، ولم تصِلْ إلى مركزها(...)، فلا تُكْرِهْهَا على اغتصابِ الأماكن، والنزولِ في غير أوْطانِها، فإنك إن لم تتعاطَ قَريضَ الشعر المنظوم، ولم تتكلَّفْ اختيارَ الكلام المنثور، لم يَعْبك بذلك أحد، وإن تكلَّفتَه ولم تكن حاذقا مطبوعا، ولا مُحْكِما لشأنِك بصيرا، عابك من أنْت أقلُّ عَيْبا منه، وزرَى عليك مَنْ هُوَ دونك))[4]، **فـ"الجاحظ" و "العسكري"** ضمن هذه المنزلة يطلب من المتكلم إن لم تكن له الكفاءة المتنوعة والكافية التي تمكنه من صناعة الكلام في سهولة ويسر أن لا يتكلف في إنجاز رسالته الكلامية حتى لا يعيبه من هو أقل شأن منه.

أما المنزلة الثانية فيوصيه بالتريث حتى تسمح له نفسه بصناعة الكلام؛((فإن ابتُلِيتَ بتكلَّف القول، وتَعَاطِي الصناعة، ولم تَسْمحَ لك الطبيعةُ في أوَّلِ وهْلة، وتَعَصَّي عليكَ بعد إجالة الفِكرة، ودَعْهُ سَحَابةَ يَوْمِك ولا تَضْجَرْ، وأمْهِله سَوادَ ليلتك، وعاوِدْه عند نَشَاطك؛ فإنَّك لا تعدم الإجابةَ والمِوَاتاة))[5]، فنشاط الإنسان ليس في درجة واحدة فقد يحضره بقوة في فترة ما، وقد يغيب عنه في أخرى، والإقبال على إنتاج الكلام يكون أكثر مع

[1] العسكري، **الصناعتين** ، ص10.

[2] نفسه، ص60.

[3] نفسه، ص134.

[4] العسكري، الصناعتين، ، ص134-135، والجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص136، نقلا عن الصحيفة بشر بن معتمر.

[5] العسكري، الصناعتين، ص135.

الرغبة، لذلك نصَّ أبو هلال في ((المنزلة الثالثة أن تتحوَّلَ من هذه الصناعة إلى أشْهَى الصناعاتِ إليك، وأخفَّها عليك؛ فإنك لم تشتهِهَا إلَّا وبينكما نَسَب، والشيء لا يَحِنُّ إلا إلى ما شَاكَلَه، وإن كانت المشاكلةُ قد تكونُ في طبقاتٍ فإنَّ النَّفوسَ لا تجودُ بمكنونها، ولا تسمح بمَخْزُونِها مع الرهبة، كما تجودُ مع الرَّغْبة والمحبَّة))[1]، ومنه نلاحظ أن أبا هلال قد اهتم باللفظ والمعنى معا، فبهما يتحقق الكلام الجيد والمقبول، لذا ألفناه يطلب الصواب والوضوح فيهما في إنجاز أي رسالة إبلاغية، وهذا ما يعكس الشمولية البلاغية لديه، وهذا ما كان بمثابة خيط خفي، وليدقق أكثر في قضية المعنى بيَّن أنَّ((المعاني على ضربين؛ ضَرْبٌ يبتدعه صاحب الصناعةِ من غيرِ أن يكونَ له إمامٌ يَقْتَدِي به فيه؛ أو رسومٌ قائمة في أمثلة مماثلةٍ يَعْمَلُ عليها، وهذا الضربُ ربَّما يَقَعُ عليه عند الخطوات الحادثةَ، ويَتَنَبَّه له عند الأمور النازلةِ الطارئة، والآخرُ ما يحتذيه على مثالِ تقدّم ورَسْمٍ فرَطٍ))[2]، ولكن مهما تعددت أشكال الابتداع أو الاتباع فإنها تبقى مرتبطة بما هو مقبول في اللغة المعينة، لذا ينبغي الإصابة في جميع ذلك، ويتوخى فيه الصورة المقبولة والعبارة الحسنة والجيدة.

– **حسن الابتداء:** وهو ما دعا إليه صاحب **الصناعتين** في بابه العاشر الذي وسمه بـ"في ذكر مبادئ الكلام ومقاطعه، والقول في حسن الخروج والفصل والوصل وما يجري مجرى ذلك" الباث إلى أن يحسن الابتداء في اتصاله، وذلك بحسب المناسبة التي تقتضيها الرسالة الإبلاغية، يقول: ((قال بعض الكتَّاب: أحسنوا معاشر الكتَّاب الابتداءات فإنهنَّ دلائل البيان، وقالوا: ينبغي للشاعر أن يحترِز في أشعاره، ومُفْتَتَح أقواله؛ مما يُتَطيّر منه، ويُسْتجْفى من الكلام كالمخاطبة بالبكاء، ووصف إقفار الدِّيار، وتشتيت الألّاف، ونعي الشباب، وذمّ الزمان؛ ولاسيما في القصائد التي تتضمن المدائح والتهاني، ويستعمل ذلك في المراثي، ووصف الخطوب الحادثة؛ فإنَّ الكلام إذا كان مؤسسا على هذا المثال تطيَّر منه سامعه))[3]، فمصدر جلب المتلقي لكل مرسل هو حسن الابتداء الذي يقتضي الملاءمة مع الموضوع في الرسالة الإبلاغية، فهو يوصي الكتَّاب والخطباء والشعراء كذلك بأن يبدؤوا كلامهم بما لا ينفّر المتلقين؛ لأن((وارتفاع شأن الكلام في الحسن والقبول بمطابقته للاعتبار المناسب، وانحطاطه بعدم مطابقته له))[4]، وقد أثر "أبو هلال" على نفسه التدليل على صحة رأيه بمجموعة من الأمثلة، تنوعت بين النثر والشعر، تبرز حسن الابتداءات وفضلها، وكذا قبحها في الإبلاغ فمن أجود ابتداءات العرب مطلع معلقة امرئ القيس؛ ((قد بكى امرؤ القيس واسْتَبكى، ووقَف واستوقف، وذكَر الحبيبَ والمنزل في نصف بيت، وهو

[1] السابق، ص135.
[2] نفسه، ص69.
[3] نفسه، ص431.
[4] القزويني، **الإيضاح** ، ح1، ص43.

قوله" قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرى حَبيبٍ ومَنْزِلِ"، فهو من أجود الابتداءات))[1]، فالشاعر أحسن المطلع؛ إذ عبَّر عن حالته النَّفسية من الفراق، واستطاع أن يوصل هذا الشعور من دون أن يبكي حاله، أو يتسبَّب في تطيّر السامع له، لذا كان أحسن من ينشئ الكلام ذلك الذي يتدبَّر ويراجع مبدأ كلامه؛ فقد((سئل بعضهم عن أحذق الشعراء، فقال: مَنْ يتفقد الابتداء والمقطع))[2]، فأوَّل ما يقع في السمع وحتى في القراءة مبدأ الكلام، لذا يقتضي توظيف الألفاظ والمعاني التي تجذب المرسل إليه للتلقي أكثر، ((و إذا كان الابتداء حَسنا بديعا، ومليحا رشيقا، كان داعيةً إلى الاستماع لما يجيء بعده من الكلام؛ ولهذا المعنى يقول الله عز وجل:ألم، وحم، وطس، و طسم، وكهيعص؛ فيقرع أسماعهم بشيء بديع ليس لهم بمثله عهد ليكون ذلك داعية لهم إلى الاستماع لما بعده(...)، ولهذا جعل أكثر الابتداءات ب"الحمد لله"؛ لأنَّ النفوس تتشوق للثناء على الله فهو داعية إلى الاستماع))[3]، هذه مجمل الشروط والتقنيات التي استوجبها أبو هلال في صانع الكلام(المرسل)الذي ينبغيَ عليه إبلاغ المعاني إلى قلب السامع بصورة مقبولة ومعرض حسن.

صفوة القول

من خلال هذه النماذج تبين لنا حرص علماء البلاغة على إنجاح التواصل بين الطرفين وكذا حسن استعمال اللغة، إذ أن نباهة المتكلم وحسن تصرفه في اللغة–الاستعمال–هو ما يرتقي به إلى بناء التواصل المراد، فالمتكلم لا دخل له في ألفاظ اللغة، لأنه من اختصاص واضع اللغة، وإنما دوره يتأتى من خلال إظهاره مهاراته أثناء وقوع اللغة بين يديه "الكفاية التخاطبية"–مستوى الاستعمال" ليتفنن بها ومن خلالها، بجعلها مؤطرة بسياق التواصل وقابلة للتعبير عن آرائه ((وإذا كانت اللغة تسهم في عملية التخاطب بتزويد المتخاطبين بالمادة اللغوية الخام، فإن الكفاية اللغوية للمخاطب–المتكلم–كفيلة بالقيام بتركيب الرسالة المبلَّغة تركيبا سليما، لأداء مهمة الإبلاغ والإفادة إحداثا وإفهاما، وتكفل كفايته التخاطبية بنجاحه في استخدام المقولات اللغوية استخداما مناسبا للسياقات المختلفة ومعينا على تحصيل غاية التفاهم بينه وبين مخاطبيه))[4].

ومن المتكلم ننتقل إلى العنصر الثاني في العملية الخطابية؛ أعني المخاطب"السامع"الذي يعد طرفا مهمًّا في العملية التواصلية، فنجد علماء البلاغة يوردون جملة من أوصاف المخاطب التي تعكس دوره وتأثيره على مسار العملية التواصلية وها ما سنوضحه فيما يلي:

---

[1] العسكري، **الصناعتين**، ص433.

[2] نفسه، ص434.

[3] نفسه، ص437.

[4] محمد محمد يونس علي، **المعنى وظلال المعنى**، ص152.

ب–السامع[*] وشروطه:

السامع عند البلاغيين هو الهدف بالنسبة للمرسل باعتبار أن الاتصال لا يقوم إلا في اتجاه متلقٍ تقتضيه العملية الإبلاغية، وقد ركزت البلاغة العربية عليه، ويتضح ذلك أكثر من خلال البحوث التي دارت حول مقتضى الحال، وهذا ما وجدناه عند الجاحظ و العسكري، والسكاكي...

فنجد كل من "**الجاحظ**" و "**أبو هلال العسكري**" أعطى أهمية كبيرة للسامع، وفي ذلك يقول **الجاحظ**:((وقال عبدُ الله بن مسعود رضي الله عنه:"حَدِّث النَّاسَ ما حَدَجُوك بأبصارهم، وَذِنُوا لك بأسماعهم، "ولحظوك بأبصارهم"، وإذا رأيت منهم فترةً فأمْسِكْ))[1]، فالمتلقي هو الذي يفرض على المتكلم أوقات الكلام، وأوقات التوقف، ويفرض عليه كيفية الكلام وأسلوبه.

وللسامع شروطها وهي:

– حسن الاستماع: أي توفر حسن السمع، أو آلية السمع فهي الكفيلة بإدراك المعنى الدقيق الذي يقتضيه الاتصال اللغوي، وحسن الاستماع يعدّ من مؤطرات البلاغة، إذ يقول العسكري:((يقول "ابن المقفع":البلاغةُ اسم لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة؛ منها ما يكونُ في السكوتِ، ومنها ما يكونُ في الاستماع))[2]، فحاسة السمع تلعب دورا جوهريا في فهم المعنى والوقوف على مقاصده؛ لذلك وجدنا أبا هلال يحلل القول السابق، ويبين أنَّ((المخاطَب إذا لم يُحْسِن الاستماعَ لم يَقِفْ على المعنى المؤدّى إليه الخطاب، والاستماعُ الحسنُ عَوْنٌ للبليغ على إفهام المعنى))[3]، فالاستماع الحسن كفيل للمخاطب بأن يقف على الإفادة التي يريدها المتكلم، وهنا يقول:((حَسْبُكَ من حظ البلاغة ألَّا يؤتَى السامع من سوء إفهام الناطق، ولا يُؤْتَى الناطقُ من سوء فهم السامع))[4]، فهذا القول يعكس تلك العلاقة بين ركني العملية الاتصالية باعتبار أن نشاطهما معا من ركائز البلاغة، فهي تتجسد إذا ما أحسن الناطق إنشاء رسالته وإلقائها عبر"آلة البيان" من جهة، وأن لا يُفاجئ المخاطب أو الناطق بسوء فهم السامع الذي قد يتسبب عدم الاستماع من جهة أخرى، ويجب أن نشير ههنا إلى أنَّ أبا هلال كان دقيقا في كلماته فقال"الاستماع" ولم يقل" السمع" لأنه مهارة أساسية للفرد فيقول:((ولولا القائلَ

[*]للتفصيل أكثر بخصوص "**السامع**": ينظر: محمد عبد المطلب، **قضايا الحداثة عند عبد الجرجاني** ، ص234.

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص104.

[2] العسكري، **الصناعتين**، ص14.

[3]نفسه، ص16.

[4]نفسه ص نفسها.

يُؤَدِّي ما سَمِع لما كان في طاقَتِه أن يقولَ؛ وإنما يَنْطِقُ الطِّفْلُ بعد استماعه من البالغين))[1]، فالطفل يتعلم مهارة الاستماع قبل أن يتعلم مهارة النطق والكتابة وغيرها من المهارات، ومنه نلاحظ أن الاستماع يتعلق في أساسه بالفهم(فإنَّ احتياجَ المبدع إلى المتلقي لا يقلّ عن احتياج المتلقي إلى المبدع، (...) إذ إنَّ إقبال المتلقي على المبدع لفهمه واستيعابه ومجاذبته فكريا))[2]، فالملكة تتبين قيمة الرسالة اللغوية، وهذه الفعالية تتسع أبعادها حينما يصبح المتلقي بعد فهم الرسالة وإدراكها مرسلا، فهو لا يكتفي بمجرد الفهم؛ بل ينتقل إلى محاولة التعرف العقلية والوجدانية من خلال معايشة تجربة النص الأدبي بما فيه من أحاسيس وأفكار ومواقف واتجاهات، حتى يعرف طريقة التفكير والتصوير،والتعبير، وهذا المرتبط بالصورة الخارجية [3]، وبهذا لا ينحصر دور المتلقي في السماع فحسب؛ بل يتأسس أكثر على الاستماع الذي يجعله مرسلا إليه في الوقت نفسه؛ ولأن انتباه السامع دليل على قدر من الاحترام للمتكلم، والتقدير لقيمة ما يلقيه إليه، وفي العادة أن يتوثب لما يسمع، وإن كانت البهائم.

كما يرى **الجاحظ**:((إذا أحسَّست شيئا من أسباب القانص، أحَدَّتْ نظَرها، واستَفرغتْ قواها في الاسترواح، وجمعَتْ بالَها للتسمُّع- كان الإنسانُ العاقلُ أولى بالتثبت، وأحَقَّ بالتعرُّف))[4] ، ولأجل هذه الغاية التي يجري إليها الخطاب، ولمركزية السامع بالنسبة للعملية التخاطبية برمتها، يلجأ المتكلم لاستعمال بعض الحيل اللسانية، وبعض الطرائق في التعبير، ليست من لب الحديث في شيء، وإنما هي وسائط لغوية لاختبار مدى ارتباط السامع ((بما يقول، ومدى تركيزه، مع ما يلقى إليه، من باب: أتفهمني؟هل أنت معي؟ رأيك برأيك... مما يعكس الوظيفة الانتباهيةla fonction phatique))[5]، التي لا تقل أهمية عن الوظيفة الإنشائية والمرجعية، وغيرهما من الوظائف ومن غير العجب أن نجد مثيلا فيما ذكره الجاحظ، من كلام أبي عباد، إلى جانب الاعتداد بالملامح، حيث يقول:((إذا أنكر القائلُ عيْنَي المستمع فليْستفهمْه عن مُنْتَهى حديثه، وعن السبب الذي أجرى ذلك القولَ له: فإنْ وجدَه قد أخلص له الاستماعَ أتمَّ له الحديث، وإن كان لاهيا عنه حَرَمه حُسنَ الحديث ونفْعَ المؤانسة، وعرَّفه بفسولة الاستماع، والتقصير في حقِّ المحدِّث))[6]، على أن لا يكون ذلك ناتجا عن إهدار حق مماثل للمستمع، وحينئذ يؤتى المتكلم من قبل نفسه، ويسيء من الجهة التي قدر فيها الإحسان، ومما يستوجب عليه

---

[1] السابق، ص196.

[2] محمد عبد المطلب، **البلاغة والأسلوبية**، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994م، ص157.

[3] ينظر:عبد السلام المسدي، **الأسلوبية والأسلوب**، الدار العربية للكتاب، التونسية للطباعة وفنون الرسم، ط3، 1982م،ص70-73.

[4] الجاحظ،**البيان والتبيين**، ج2، ص42.

[5] نواري سعودي أبو زيد، **ممارسات في النقد واللسانيات**، بيت الحكمة، الجزائر،ط1، 2012م، ص38.

[6] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج2، ص41.

معرفته أن الإثقال مدعاة للإملال، وأن الإطالة على السامع باعثة على تشتت انتباهه، وتوزع اهتمامه، لاسيما إذا رافق ذلك الرتابة وعدم إشراك السامع، وللقدرات البشرية على اختلافها منتهى لا بد من أن تقف عنده، ولأجل ذلك قال **الجاحظ**:تعقيبا على كلام إياس-حينما عيب عليه كثرة الكلام فقال:فتسمعون صوابا أم خطأ؟، فقالوا: لا، بل صوابا، قال((" فالزِّيادة من الخير خبر"، وليس كمن قال للكلام غايةٌ، ولنشاط السَّامعين نهاية، وما فَضَل عن قدْر الاحتمال ودعا إلى الاستثقال والمِلاَل، فذلك الفاضل هو الهَذَر، وهو الخَطَل، وهو الإسهاب الذي سمِعتَ الحكماء يَعيبُونه))[1]، ((ومن عادة العرب الإيجاز، أو التعبير عن المراد بأقل قدر، ومن أجل ذلك روي عن عمر رضي الله عنه أنه قال من كثر كلامه كثر سقطه، ومن كثر سقطه قل حياؤه))[2].

ثم إن **الجاحظ** لم ينظر في هذا السياق لغيره فحسب، بل إنه جرى على تلك السبيل التي سن، والكيفية التي أجرى عليها الحديث فيه، حينما قال:((وإنْ كثُر عددُ ورقِه، أنَّ ذلك ليس مما يُمِلُّ ويُعتَدُّ عليَّ فيه بالإطالة؛ لأنَّه وإن كان كتابا واحدا، فإنه كتب كثيرةٌ، وكلُّ مصحَف منها فهو أمٌّ على حِدَة(...)فهو-أي المتلقي للخطاب-أبدا مستفيدٌ ومستَطْرِف، وبعضُه-أي بعض الكتاب-يكون جَماماً لبعض، ولا يزالُ نشاطُه زائدا، ومتى خرج منْ آي القرآن صارَ إلى الأَثر، ومتى خرج من أثر صار إلى خبر، ثم يخرج من الخبر إلى شعر، ومن الشعر إلى نوادر، ومن النوادر إلى حكم عقليَّة ومقاييس سِداد، ثم لا يترك هذا الباب، ولعلَّه أن يكون أثقَلَ، والملالُ إليه أسرع، حتَّى يفضِيَ به إلى مزحٍ وفكاهة، وإلى سُخْفٍ وخُرافة...))[3].

ونوضح ذلك بالمخطط الآتي:[4]

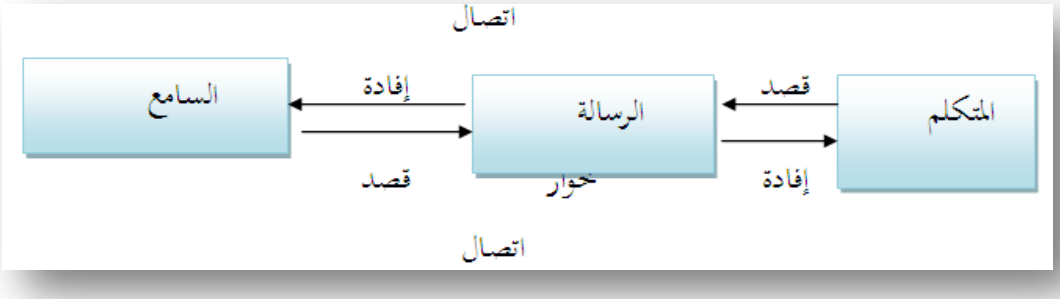

فالمستمع على إثر سماعه واستماعه تتحقق تلك الاستجابة التي تجني"الإفادة"بالمصطلح تداولي، وهذه العملية تتكرر مع المرسل أيضا[1].

[1] السابق، ج1، ص99.

[2] نواري سعودي أبو زيد ، **ممارسات في النقد واللسانيات**، ص39.

[3] الجاحظ، **الحيوان**، ج1، ص94.

[4] سامية بن يمينة، **الاتصال اللساني وآلياته التداولية في الصناعتين لأبي هلال العسكري**، ص125.

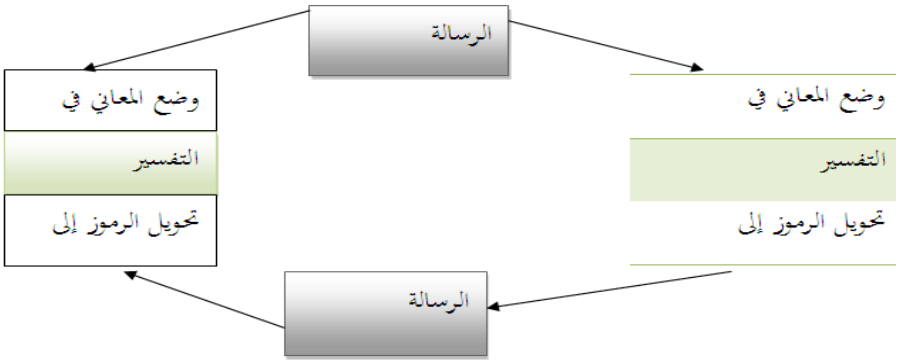

– **القدرة على فهم*** **محتوى الرسالة**: ويتعلق هذا الشرط بضرورة امتلاك المتلقي القدرة التي تمكنه من الوقوف على فهم المعنى الذي يريده المتكلم، وتبقى مؤسسة على ما هو متداول في البيئة اللغوية المعيّنة، ((و السمعُ يتشوَّق للصواب الرائع(...)، والفَهْمُ يأنَس من الكلام بالمعروف، ويسكُنُ إلى المألوف، ويَصْغَى إلى الصواب، ويَهْرُبُ من المحال، وينقبض عن الوَخِم، ويتأخّر عن الخافِي الغلِيظ، ولا يقبلُ الكلام المضطرب إلا الفهمُ المضطرب، والرويَّةُ الفاسدة))[2]، وقد ربط "أبو هلال" هذه المعرفة بأمور البيئة الاجتماعية التي ينتمي إليها المستمع، لذا لاحظناه يقدِّم بعض الأمثلة التي تدل على ما سمَّاه بـ"**البديهة الحسنة**"؛ إذ يقول:((فمن البديهة الحسنةِ ما أخبرنا به أبو أحمد(...)قال دخل المأمونُ ديوانَ الخراج فمرَّ بغلامٍ جميلٍ على أُذنِه قَلَم فأَعْجَبَه ما رأى من حُسْنِه، فقال: مَنْ أنتَ يا غلام؟فقال: يا أمير المؤمنين الناشئ في دَوْلَتِك، وخرّيج أدَبِك والمتقلِّب في نعمتك، الحسن بن رجاء، فقال المأمون: بالإحسانِ في البديهة تفَاضَلَت العقول، ثم أمر أن يُرْفَع عن مرتبة الديوان ويُعْطَى مائةَ ألف درهم))[3]، وهي على صلة كما نرى بالكفاءة التي تجعل المتلقي يحسن الردّ انطلاقا من الحال الذي يكون فيه، وهي من الآليات التداولية باعتبار أن الفعل الكلامي في المثال المذكور ينجرّ عن فعل تأثيري تقتضيه العملية الاتصالية ككل، كما يقول عبد القاهر الجرجاني في ذلك: ((واعلم أنه ليس إذا لم تُمكِن معرفةُ الكل، وجب ترْكُ النَّظر في الكل، وأن تعرفَ العلَّة والسببَ فيما يُمكنك معرفةُ ذلك فيه وإن قلَّ فتجعلُه شاهدا فيما لم تعْرِفْ، أحْرى من أن تسدَّ باب المعرفة على نفسك وتأخذها عن الفهم والتفهُّم، وتعوِّدَها الكسلَ والهُوَيْنَا))[1] ، فهنا أشار "**عبد القاهر الجرجاني**" إلى خاصية الفهم والتفهم لدى السامع، وهذا يكون من إخلال امتلاكه لكفاءة **تأويلية إدراكية**، ويكون ذلك من خلال إعادة تفكيكه للمعنى وإعادة بنائه بالاستناد إلى عمليات ذهنية واستدلال قصد التأويل المناسب بحسب المقام،

---

[1] السابق، ص120.

* من مصطلحات **الفهم** التي أسندها عبد القاهر الجرجاني لدى المخاطب: العقل التروي، الضمير، الفكر، البصيرة، الذهن، البديهة..

[2] العسكري، **الصناعتين**، ص57.

[3] نفسه، ص40.

وذلك فيما ينتجه له عقله وذقه بمعرفة مضمرات نظم المتكلم، وهنا تظهر كفاءته في حسن التأويل، فيقول الجرجاني في باب **اللفظ والنظم** مشيدا بأهمية المعرفة الخلفية لدى السامع*: ((واعلم أنه لا يصادف القولُ هذا الباب موقعا من السامع ولا يجِدُ لديه قَبولا، حتى يكون من أهل **الذَّوق والمعرِفة**، وحتى يكون ممن تحدِّثُه نفسه بأنَّ لما يُومئُ إليه من الحُسن واللُّطْف أصلا، وحتى يختلف الحالُ عليه عند تأمَّل الكلام، فيجد الأرْيحيَّةَ تارة، ويَعْرَى منها أخرى، وحتى إذا عَجّبتَهُ عَجِب، وإذا نَبَّهتَهُ لموضع المزية انتبه))[2] ، فقد كان حديث عبد القاهر عن المخاطَب مرتبطا بنوع معيّن، فهو مخاطب ذو كفاءة لا تقل عن كفاءة المتكلم، وهو ما يظهر من حديثه عن الذوق والمعرفة لدى المخاطب والتي تسمح له بالتفاعل مع السياق التخاطبي.

ومن **وجوه المثالية** والمواصفات وشروط المتلقي **عدم تعمد عرقلة الحوارية أو السيرورة التخاطبية**؛ لأن ذلك لا يفهم إلا على أنه تعجيل بقطعها وإنهائها، واستثقالا للمتكلم أو لما :((كأن يتظاهر السامع بعدم الفهم، أو أن يحمل كلام السامع على محامل مخالفة للقصدية لديه وهي أساسية كما مر، نظير ما نقل الجاحظ من الحوار الذي دار بين خالد بن الوليد وبين عبد المسيح بن عمرو بن قيس بن حيان الغساني حينما أراد فتح الحيرة، وهو حوار كاد ينتهي لولا حلم الرجلين، يقول الجاحظ : وقال خالد بن الوليد لأهل الحِيرة:أخرِجوا إلى رَجلاً من عقلائكم أسْأله عن بعض الأمور، فأخرجوا إليه عبد المسيح بن عمرو بن قيس حيان الغساني، فقال له خالد: مِن أين أقصَى أثرِك؟ قال:(المسيح): من صُلب أبي، قال:فمن أينَ خرجت؟، قال: من بطن أمِّي، قال: فغلام أنت؟ قال:على الأرض، قال:ففيم أنت؟ قال:في ثيابي، قال:ما سنُّك؟ قال: عَظمٌ، قال:أتعقِل، لا عَقَلتَ؟ قال:إي والله وأُقيِّد(...)فما كان للحوار أن ينتهي إلا ما يوحي بالسأم الممزوج بالحيرة لدى المتكلم، ترجمه خالد بن وليد بقوله: قال: ما تزيدني مسألتك إلا غُمَّى"أي التباسا"، فيجيب الرجل إجابة جلت مقاصده، التي لولاها لكان الوضع بعد ذلك مختلفا: قال:ما أجبتُك إلا عن مسألتك.

فدور المخاطِب في التواصل، وهو موجه لشكل الخطاب، ولنوع الفعل الكلامي، ذلك أنه معنيٌّ بالخطاب، وعليه تقع وظيفة تحليله، وإظهار استجابة معينة قد تكون قبولا لما يُلقى عليه، أو رفضا بحسب نوع الفعل والعلاقة بالمرسل[3].

---

[1] الجرجاني، **الدلائل** ، ص292.

[2] نفسه، ص291.

[3] لطف حاتم عبد الصاحب الزامليّ، **الكلامُ عملا"مقاربة تداولية"**، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج السادس عشر، ع 1، 2013م، ص57.

نخلص مما سبق إلى:

إن علماء البلاغة يتعاملون مع **السامع الحاذق**، الذي يدرك خفايا النظم ودقائق القول بمعرفته (السامع) لمعاني متعددة وكيفية تمثلها، فكفاءة المخاطب لا تقل عن كفاءة المتكلم، في ذلك يقول "**الجرجاني**": ((دقائقُ وخفَايا لا إلى حِدٍّ ونهاية، وأنها خفايا تكتم أنْفُسَها جَهْدَها حتى لا يُتَنَبَّهَ لأكثرها، ولا يُعْلَم أنها هي، وحتى لا تزال ترى العالِمِ يَعْرِض له السَّهو فيه، وحتى إنه ليَقْصِدُ إلى الصواب، فيقع في أثناء كلامه ما يُوهِمُ الخطأ كُلُّ ذلك لشدة الخَفاء وفَرْط الغموضِ))[1] ، لذا فإن الحكم على المخاطّب أنه طرف فعال في عملية تواصل هو حكم صائب، وهو أيضا مؤثر، من جهة أنه يقوم بعمليات ذهنية لا تقل أهمية عن نظيرتها لدى المتكلم، فهو **ينصت، ويقرأ، ثم يفهم، ويستنتج، فيربط ثم يؤوِّل**.

3- ملابسات الكلام (الخطاب) وصفاته:

إن الكلام البليغ موقوف على ما يناسبه من مصطلحات وألفاظ، وإنَّ لكل حديث موضعا يُستعمل فيه، وحيزا يؤدي فيه وظيفته، والأنماط اللغوية تختلف باختلاف الموضوعات التي تدور حولها وتعبر عنها، من أدبية أو سياسية أو اجتماعية وغيرها.

فقد فطنت البلاغة والنقد العربيان إلى هذا العنصر المهم من عناصر المقام، فربطت الأسلوب بالرسالة المراد إبلاغها، وفي ذلك يشير "**ابن الأثير**" إلى ارتباط الألفاظ المفردة التي ينتقيها المتكلّم بالغرض أو الموضوع، فيقول: ((الألفاظ تنقسم في الاستعمال إلى جزلة ورقيقة، ولكل منهما موضع يحسن استعماله فيه، فالجزل منها يستعمل في وصف مواقف الحروب، وفي قوارع التهديد والتخويف، وأشباه ذلك، وأما الرقيق منها فإنه يستعمل في وصف الأشواق، وذكر أيام البعاد، وفي استجلاب المودات، وملاينات الاستعطاف، وأشباه ذلك))[2].

وقد نقل "**الجاحظ**" أن ((الإيجاز هو البلاغة، فأما الخطب بين السماطين، وفي إصلاح ذات البين؛ فالإكثار في غير خطل، والإطالة في غير إملال...والسنة في خطبة النكاح أن يطيل الخاطب، ويقصّر المجيب...))[3] ويقول أيضا :((قال لي "المفضّل بن محمد الضبيّ": قلت لأعرابي منَّا: ما البلاغة؟قال لي: الإيجاز في غير عجزٍ، والإطناب في غير خَطلٍ، قال ابن الأعرابي: فقلتُ للمفضَّل: ما الإيجاز عندك؟قال:حذفُ الفضولِ،

[1] الجرجاني، **الدلائل** ، ص285.

[2] ابن الأثير، **المثل السائر**،ج1، ص185.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص116.

وتقريبُ البعيدِ)) [1]، و وقال أيضا ((ولو أن قائلا قال لبعضنا: ما الإيجاز؟ لظننتُ أنه يقول الاختصار، والإيجاز ليس يُعنَى به قلّةُ عددِ الحروفِ واللفظ(...)وإنَّما ينبغي له أن يحذف بقدرِ ما لا يكون سببا لإغلاقه ولا يردّد، وهو يكتفي في الإفهام بشطره)) [2].

كما أشار "**العسكري**" أنها تتنوع بحسب الأحوال والمواضيع والأجناس، ولذلك وضع مجموعة من الخصائص العامة والخاصة بكل جنس، وقد لاحظناه يذكر الوضوح وعدم التوعّر أحيانا، ويستحسن الغموض أحيانا أخرى، لكنه ظل يؤكد دائما على حسن التأليف، وجودة التركيب، وحسن الرصف، ((و أجودُ الكلام ما يكونُ جَزْلًا سَهْلا، لا يَنْغَلِقُ معناه، ولا يسْتَبْهِمُ مُغْزَاهُ، ولا يكونُ مكدودا مستَكْرَها، ومتوعِّرا متقعِّرا، ويكون بريئا من الغَثَاثَةِ، عاريا من الرَّثَاثَةِ، والكلامُ إذا كان لفظُه غَثًّا، ومعرضه رثًّا كان مردودا، ولو احتوى على أجَلِّ معنًى وأنْبَله، وأرْفَعِه وأفْضَلِه))[3]، وفي الوقت نفسه بيَّن أنه مما يتأسس عليه الكلام البليغ((أن يكون الاسمُ يحيطُ بمعناك؛ ويُجَلِّي عن مَغْزَاكَ، وتُخْرِجُه من الشركة، ولا تستَعِين عليه بطُولِ الفِكْرَة، ويكونَ سليما من التكلُّف، بعيدا عن سوء الصَّنْعَةِ، بريًّا من التعقيد، غَنِيًّا من التأمُّل))[4]، وحذر من التكلُّف؛ وهو((طلبُ الشيء بصعوبة للجهلِ بطرائق طلبه بالسهولة، فالكلامُ إذا جُمِعَ وطُلب بتعب وجهد، تُنُولِتْ ألفاظُه من بُعْدٍ فهو متكلِّف، مثالُه قولُ بعضهم في دعائه:"اللهم ربَّنَا وإلهنا، صلَّ على محمد نبيّنا، ومَنْ أرادَ بنا سُوءًا فأَحِطْ ذلك السُّوءَ به، وأَرسخه فيه كرسوخِ السَّجِّيل، على أصحابِ الفيل، وانصُرْنا على كلِّ باغٍ وحَسُودٍ كما انتصرْتَ لِنَاقَةِ ثَمُود"))[5].

فمن الأقوال السابقة يتضح أن الرسالة لا تبنى إلا بالاعتماد على صفات تدخلها ضمن الكلام المقبول والبليغ، أي تقصير في إحداهما يؤثر سلبا فيها، فمثلا ((ولا يستعِينُ عليه "المرسل"بطوُلِ الفِكْرَةِ؛ هذا لأنَّ الكلامَ إذا انقطعت أجزاؤه، ولم تتَّصِلْ فصولُه، ذهب رَوْنَقُه وغاض مَاؤُه، وإنما يَرُوق الكلامُ إذا جرى جَرَيانَ السيل، وانصبَّ انصبابَ القَطْر))[6]، فهو يركز ههنا على الجودة في تركيب أجزاء الرسالة؛ لأن تركيب الكلام لا يقلُّ شأنا عن الشكل، فهو في حقيقة أمره المخبر لذاك المظهر، وعليهما يتكامل البناء نصا وروحا وقلبا وقالبا، ولهذا ((ولا يكون الكلامُ بليغًا؛ حتَّى يَعْرَى من العَيْب، ويتضمَّن الجزالةَ والسهولةَ، وجودةَ الصنعة(...)، ومِثالُ ذلك ما كتب

[1] السابق،ج1، ص97.
[2] الجاحظ، **الحيوان**، ج1، ص91.
[3] العسكري، **الصناعتين**، ص67.
[4] نفسه، ص42.
[5] نفسه، ص44.
[6] نفسه، ص43.

بعضُهم إلى أخٍ له: أما بعدُ فإنَّ المرءَ ليسرُّه دَرْكُ ما لم يكن ليفوتَه، و يسوءُه فَوْتُ ما لم يكن ليدرِكَه، فليكُنْ سرورُك فيما قدّمتَ من خير، وأسفُك على ما فاتك من برٍّ))[1].

4-الزمان والمكان:

فمفهوم السياق يبقى غير محدّد من غير تقييده بزمان ومكان معينين، فقد توجد مجموعة لا متناهية من السياقات الممكنة التي يستطيع أحدنا أن يكون له فيها أوضاع مخصوصة؛ أعني حالة سياق واقعي، ويتحدد السياق الواقعي* بفترة من الزمان والمكان بحيث تتحقق النشاطات المشتركة لكل من المتكلم والمخاطب، والتي تستوفي خواص"الآن" وال"هنا" من الوجهة المنطقية والفيزيائية المعرفية، والسياق قد يتغير من لحظة إلى أخرى ويجب أن يؤثّر هذا المتغير أو أن يحدث أثره على الموضوعات في الأحوال المتعاقبة من السياق، وأبرزها حال الحصول في الوجود))[2]،ثم إن ما هو صالح لهذا الزمان أو المكان قد لا يكون في زمان ومكان آخرين، وفي هذا السياق يذكر"**ابن سنان الخفاجي**"أنَّ مواضعات الكلام تختلف بحسب الأغراض، و((تتغير بحسب الأزمنة والدول، فإن العادة القديمة قد هجرت ورفضت، واستجدَّ الناس عادة بعد عادة، حتى إنَّ الذي يُستعمل اليوم في الكتب غير ما كان يستعمل في أيام أبي إسحاق الصابي، مع قرب زمانه منا، وإذا كان الأمر على هذا جاريا فليس يصح لنا أن نضع رسوما نوجب اقتفاءها؛ لأنا نحن في هذا الزمان قد غيرنا الرسم المتقدم لمن قبلنا، وكذلك ربما جرى الأمر فيما بعدنا))[3].

5-السياق النفسي

هي الحالة النفسية للمخاطِب، سواء أكان هذا المخاطِب حقيقا، له وجود مادي ملموس، أم مخاطبا متخيلا أو مفترضا، يشبه-إلى حدِّ ما- ما يسمى عند أصحاب نظرية التلقي"القارئ الضمني".

ومن الذين أشاروا إلى السياق النفسي "مراعاة الحالة النفسية والانفعالية للمخاطب" **الجاحظ**" ضمن سياقات عديدة، نذكر منها تحديده لمواصفات الخطاب المؤثر الذي يتجلى فيما((حبَّب إلى النفوس، واتَّصل بالأذهان، والتحم بالعقول، وهشّت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب))[4]، وبذلك تغدو مراعاة الجانب النَّفسي والانفعالي شرطا ضروريا لكلّ خطاب بلاغي يروم فيه المتكلم أن تكون له((الأعناق إليه أميل، والعقول عنه أفهم،

[1] السابق، ص42.

[2] سامية بن يامنة، **سياق الحال في الفعل الكلامي"مقاربة تداولية"**، ص34.

[3] ابن سنان الخفاجي، **سر الفصاحة**، ص256-257.

[4] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص8.

والنُّفوس إليه أسرع))[1] ، وتلك هي الغاية التي يريد المتكلم أن يصل إليها لإنجاح العملية التواصلية؛ أعني ثني الأعناق واستمالة النُّفوس والعقول، ولهذا السبب حثَّ **الجاحظ** على ضرورة مراعاة حال المخاطب النَّفسي والانفعالي ضمن مسار تواصلي ناجح.

أوَّل شيء يجب على المتكلم فعله-حسب **الجاحظ**- هو معرفته بمقدرةالمخاطب على التحمَّل، من خلال النظر في طاقته النفسية، وتجنب كلَّ ما يؤدي إلى مله واستثقاله((لأن للكلام غاية، ولنشاط السامعين نهاية، وما فضل عن قدر الاحتمال ، ودعا إلى الاستثقال والملال، فذلك الفاضل هو الهذر، وهو الخطل، وهو الإسهاب الذي سمعت الحكماء يعيبونه))[2]، وبناء عليه، فنجاح صاحب الخطاب في تحقيق غاياته وأهدافه مرتبط باستحضاره الجانب النفسي للمخاطب، حتى تحصل الاستمالة والتأثير.

وهنا ينبه "**الجاحظ**" إلى ضرورة أن يضع الخطيب في حسبانه خصوصية المخاطب العربي الذي يخاطبه، فهو ينتمي إلى أمة عريقة معروفة بتمجيدها للبيان والفصاحة تحبّ((البيان والطلاقة والتَّحبير والتخلّص والرَّشاقة))[3]، وتكره ((السَّلاطة والهذر، والتكلّف والإسهاب، والإكثار و(...) الفضول في البلاغة؛ لأن ذلك يدعو إلى السِّلاطة، والسَّلاطة،تدعو إلى البذاء))[4]، هذا يعني حتمية تكييف الخطاب وفق الحالة النفسية والانفعالية للمخاطب فهو الضامن الرئيس لإقباله على الخطاب من خلال المحافظة على نشاطه.

كما يؤكد "**الجاحظ**" على المتكلم أن يعرف كيف يستحوذ على عاطفة مخاطبه، حيث يقول((المعاني إذا كسيت الألفاظ الكريمة، وألبست الأوصاف الرفيعة، تحوَّلت في العيون عن مقادير صورها، وأربت على حقائق أقدارها، بقدر ما زيَّنت، وحسب ما زخرفت، فقد صارت الألفاظ في معاني المعرض، وصارت المعاني في معنى الجواري، والقلب ضعيف، وسلطان الهوى قوي، ومدخل خدع الشيطان خفيّ))[5]، وهذا يتجلى من خلال المحسنات البديعية والصور البيانية، التي ينسجها المتكلم بغرض تقوية معانيه، والتدليل على مراده، فيكون لها أثر كبير على السامع؛ إذ تهتزّ وتوقظ فكره وذهنه، وتجعله مشدودا نحو الخطاب.

ومن الذين أشاروا إلى السياق النفسي نجد **ابن طباطبا**(ت322هـ)، إذ أنَّه وجَّه الشعراء في افتتاحية مطلع القصيدة أنْ يحترزوا ممّا يتطيّر منه السّامع، أو يكرهه، فيقول في ذلك:((ويَنْبَغي للشَّاعِرِ أَن يَحْتَرِزَ أَن أشعارِه

[1] السابق، ج1، ص7.
[2] نفسه، ج1، ص99.
[3] نفسه، ص191.
[4] نفسه، ص نفسها.
[5] نفسه، ج1،ص254.

ومُفْتَتَحِ أقوالهِ مِمَّا يُتَطَيَّرُ بِهِ أَو يُسْتَجْفَى من الكلامِ والمخَاطباتِ كذِكْرِ البُكاءِ، ووَصفَ إقْفَارِ الَّديار وتَشَتُّتِ الأُلاَّف، ونَعْيِ الشَّبابِ، وذم الزَمان، لَاسيَّما فِي القَصَائد الَّتِي تُضَمَّنُ المِدائحَ أَو التَّهاني، ويَسْتْعملْ هَذِه المِعاني فِي المرَائي، ووَصِفِ الخُطوب الحَادِثة، فَإِن الكَلام إذا كانَ مؤسّساً على هَذَا المِثَال تَطَيَّر مِنْهُ سامِعُهُ))[1]، ومن مقولاته في مراعاة الحالة النفسية، قوله:((ولْيَجتَنِب التشَّبيبَ بِامْرَأَة يُوافقُ اسمُها [اسمَ] بعض نِساءِ المِمدُوح من أمَهِ، أَو قرابتهِ أَو غَيْرِهما. وَكَذَلِكَ مَا يَتَّصِلُ بِهِ سَبَبُهُ، أَو يَتَعلَّقُ بِهِ وَهْمُهُ))[2]، أي أنَّه يجب على الشاعر أنْ يبتعد عن كل ما يُنغّص الحالة النفسية للسّامع حتى ولو لم يكن المعنى المراد موجّها للمخاطَب، بل لابد أنْ يبتعد عن كلِّ ما يوهم أنَّه قد يحدث شكا أو وهما للسَّامع بأنَّه المقصود بالخطاب.

ومن الذين أدركوا ذلك أيضا، وتخصصوا في الحديث عن المعنى البلاغي من زاوية نفسية، **ابن رشيق القيرواني**(ت 463 هـ) ففي كتابه **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، يسوغ لنا فقرة يُقمّن فيها السياق النفسي وعلاقته بالمعنى البلاغي، فيقول:((والفطن الحاذق يختار للأوقات ما يشاكلها، وينظر في أحوال المخاطبين؛ فيقصد محابّهم، ويميل إلى شهواتهم وإن خالفت شهوته، ويتفقد ما يكرهون سماعه فيجتنب ذكره.. ألا ترى أن بعض الملوك قال لأحد الشعراء وقد أورد بيتاً ذكر فيه: " لو خلَّد أحد بكرم لكنت مخلداً بكرمك " وقال كلاما نحو هذا، فقال الملك: إن الموت حق، وإن لنا منه نصيباً، غير أن الملوك تكره ذكر ما ينكد عيشها، وينغص لذتها، فلا تأتنا بشيء مما نكره ذكره))[3]، ومن قول "ابن رشيق القيرواني"، يمكن استنباط قوانين السياق في علاقته بالمعنى البلاغي كالتالي:

أ-**اختيار الوقت المناسب للكلام**:أي مراعاة الحالة النفسية للسَّامع، فإنْ كان في حالة انبساط أطلق الشاعر العنان للسانه، وإنْ كان في حالة غضب كفّ عن الشعر.

ب-**مراعاة أحوال المتخاطبين**: وذلك بالقصد إلى ما يحبّونه ويطربون به، حتى ولو كان الذي يحبّونه لا يتفق مع ميولات ورغبات الشّاعر.

ج-**الاستعلام عن كلِّ ما يكرهه السامع**: وذلك بالابتعاد عن كلَّ ما يعكِّر صفوه وودّه.

فلقد تناول **ابن رشيق القيرواني** المقام من زاوية نقدية حيث ربطه بالمناسبة، كما أشار إلى عنصر الذاتية التي تعتبر من المفاهيم المتجذرة في النقد العربي.

---

[1] أحمد بن إبراهيم طباطبا، **عيار الشعر**، ص204.

[2] نفسه، ص206.

[3] ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه**، ج1، ص223.

يتلخّص مما سبق أن مراعاة الحالة النفسية بالنسبة **لابن طباطبا و ابن رشيق القيرواني** كانت في مراعاة تجنّب ما يتطيّر به السامع، وقد لُخصت في قوانين ابن رشيق.

كما نجد "**حازم القرطاجني**" أنه أتى بما لم يأت به الأوائل من تفصيل مراعاة السياق النفسي، ويبدو أنَّ "**القرطاجني**" قد بنى كتابه"**منهاج البلغاء وسراج الأدباء**" على مراعاة السياق النفسي في كثير من الأبواب التي أدرجها في كتابه، وجعل السياق النَّفسي هو الحَكَمُ الفصل على المعاني البليغة وغير البليغة، بل إنَّ قراءة متأنية دقيقة في كتابه تكشف أن للقرطاجني الشأن في ذلك فهو يرى أنَّ المعنى البلاغي يُحتكمُ فيه السياق النفسي، حيث يقول:((يجب على من أراد جودة التّرف في المعاني وحسنَ المذهب في اجتلابها والحذقَ بتأليف بعضها إلى بعض أنْ يُعْرفَ أنْ يعرف أنْ للشعراء أغراضاً أوَّل هي الباعثة على الشعر، وهي أمور تحدث عنها تأثُّرات وانفعالات للنُّفوس، لكون تلك الأمور ممَّا يُناسبها ويبسطها أو ينافرها ويقبضها أو لاجتماع البسط والقبض والمناسبة والمنافرة في الأمر من وجهين، فالأمر قد"يبسط"النَّفس ويُؤْنِسُها بالمسرّة والرَّجاء ويقبضها بالكآبةِ والخوف، وقد يبسطها أيضا بالاستغراب لما يقع فيه من اتفاق بديع، وقد يقبضها ويوحِشها بصيرورة الأمر من مبدإ سارّ إلى مآل غير سارّ، وغذا ارتيح للأمر من جهة واكترث له من جهة على نحو ما جرى مجرى ذلك كانت أقوالاً شاجية))[1] **فالقرطاجني** يُبيّن أنَّ الجودة في تصرّف المعاني والمذهب الحسن في اجتلابها والبراعة في ضمِّ المعاني بعضها إلى بعض، يتوقّف على تأثّرات وانفعالات النَّفس من حيث البسط أو القبض ومردّ البسط إمَّا إلى المسرّة والرّجاء، أو الاستغراب من بديع المعنى أو الحديث عن أمر سار، أمَّا القبض فمردّه إلى الكآبة والخوف أو الانتقال في الحديث من أمر سارٍ إلى أمر غير سار، وممَّا لا خلاف فيه هذه أمور نفسية.

ثم ما أعجبَ "**القرطاجني**" وهو يحللُ نفسيا كيف تُسرُّ النَّفس وكيف تُقبض، وتحليله النَّفسي هذا بيان لأثر السياق النَّفسي في الكلام، فما أعجبه إذ سَمّى ما يسرُّ النَّفس ارتياحا، وما يقبض النّفس ارتماضا، ثم ما أعرفه بكوامن النَّفس حين بيَّن أنَّ الارتياح يكون للمعاني الرقيقة التي تخرج في حالة نفسية يكون الشاعر راضيًا فيها، ومن ذلك غرض المدح، فيقول أيضا :((والارتياحُ للأمر السارّ إذا كان صادرا عن قاصد لذلك أرضى فحرّك إلى المدح))[2]، أمَّا الارتماض فيكون للمعاني العنيفة التي تخرج في حالة نفسية يكون الشاعر فيها غاضبا ومن ذلك غرض الذم، فيقول:((والارتماض للأمر الضارّ إذا كان صادرا عن قاصدٍ لذلك أغضب فحرّك إلى الذِّم))[3]،

[1] أبو الحسن حازم القرطاجني، **منهاج البلغاء وسراج الأُدباء**، ص11.

[2] نفسه، ص نفسها.

[3] نفسه ص نفسها.

فالقرطاجني حين يُبيَّن أنْ كل ما يسرّ النَّفس من المعاني غير مقصودة، إنَّما مقياس إسراره للنَّفس من جهة ما يناسب هذه النَّفس، أمَّا ما يقبضها من المعاني غير المقصودة من جهة ما ينفّرها ويضرّها، فيقول:((وتُحرّك الأمور غير المقصودة أيضاً، من جهة ما تناسب النَّفس وتسرّها ومن جهة ما تنافرها وتضرها، إلى نزاع إليها، أو نزوع عنها وحمدٍ وذمٍ أيضا))[1].

نخلص مما سبق إلى أن المعنى البلاغي مرتبطا بالسياق النفسي، إذا كان المتكلم يراعي الحالة النفسية للمخاطب، فتصبح الحالة النفسية مقاما يصدر الكلام بمراعاتها، فالمغمور في حالة الحزن لا ينبغي أن نظهر حال الطرب في حضرته، إذ المقام يقتضي مراعاة حالته النفسية بمواساته والعكس كذلك.

6-السياق الثقافي:

اهتم البلاغيون بالسياق الثقافي، وذلك من خلال تحديد المحيط الثقافي أو الاجتماعي الذي يمكن أن تستخدم فيه الكلمة، ورائدهم في هذا الأمر هو **الجاحظ**، حيث وجد له كلام قريب مما قال به اللغويون المحدثون ففي باب"اختيار الألفاظ وصوغ الكلام"، يقول: وأرى أن ألفِظ بألفاظ المتكلمين ما دُمتُ خائضا في صناعة الكلام مع خواص أهل الكلام، فإن ذلك أفهمُ لهم عني وأخفُّ لمؤنتهمْ عليّ، ولكل صناعةٍ ألفاظٌ قد حَصلت لأهلها بعدَ امتحان سواها، فلم تلزَق بصناعتهم إلا بعدَ أن كانتْ مُشاكَلا بينها وبين تلك الصناعة، وقبيح بالمتكلم أن يفتقر إلى ألفاظِ المتكلمين في خُطبةٍ أو رسالة، أو في مخاطبة العوام والتجار، أو في مخاطبةِ أهله وعبْدِهِ وأمته أو في حديثه إذا تحدثَ أو خبره إذا أخبر، وكذلك فإنه من الخطأ أن يجلب ألفاظ الأعراب وألفاظ العوامِ، وهو في صناعة الكلام داخل، ولكل مقامٍ مقال ولكل صناعة شكل))[2]، فالسياق الذي ترد فيه الكلمة هو الذي يحدد معناها، والسياق الثقافي كسياق علم الكلام يجعل للألفاظ دلالات خاصة، يجب على من يخوض في هذا العلم أن يلم بها؛ لأنه قد حظيت ألفاظ باهتمام طوائف من الناس فاستخدموها في علومهم، وعرفوا بها.

ويقول في موضع آخر:((خُطوة طوائف من الألفاظ لدى طوائف من الناس، ولكلِّ قومٍ ألفاظٌ حظيتْ عِندَهم، وكذلك كلُّ بليغٍ في الأرض وصاحب كلامٍ منثور، وكلُّ شاعرٍ في الأرض وصاحب كلامٍ موزون، فلا بد من أن يكون قد لهجَ وألف ألفاظا بأعيانها ليديرها في كلامه، وإن كان واسعَ العلمِ غزيرَ المعاني كثيرَ اللفظ))[3]، ويقول أيضا:((إن الإعرابَ يفسد نوادر المولدين، كما أنَّ اللحن يُفسِد كلام الأعراب))[4].

---

[1] السابق، ص11.

[2] الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص368-369.

[3] نفسه، ج3، ص366.

[4] نفسه، ج1، ص282.

والتقط **ابن وهب** أذيال الفكرة من **الجاحظ**؛ فأطال في الكلام على ارتباط اللغة بأوضاع أهلها وأعصارهم وصناعتهم((أن للمتكلمين من أهل اللغة أوضاعا ليست في كلام غيرهم، مثل: الكيفية، والكمية، والمائية(...)، فمتى كان المتكلم غيرهم كان المتكلّم بذلك مخطئا، ومن الصواب بعيدا، ومتى خرج عليها في خطابهم كان في الصناعة مقصرا، وكذلك للمتقدمين من الفلاسفة والمنطقيين أوضاع متى استعملت مع متكلمي أهل الدهر وأهل هذه اللغة كان المستعمل لها ظالما، وأشبه من كلام العامَّة بكلام الخاصَّة، والحاضرة بغريب أهل البادية، (...) وأشباه ذلك مما إذا خاطبنا بهم متكلمينا أوردنا على أسماعهم ما لا يفهمونه إلا بعد أن نفسّره، وكان ذلك عيّا وسوء عبارة ووضعا للأشياء في غير مواضعها))[1].

وقد لاحظ بعض البلاغيين العرب أن مراعاة المستوى الفكري والعقلي وحال المخاطب هي من سمات الأسلوب القرآني، و أشار **ابن وهب** إلى ذلك، وبيّن تنوع خطاب الذكر الحكيم بحسب مقام المخاطب وحاله، فقال عن أسلوبي الإيجاز والإطناب: ((فأمَّا المواضع التي ينبغي أن يستعمل كل واحد منهما فيها؛ فإنَّ الإيجاز ينبغي أن يُستعمل في مخاطبة الخاصَّة، وذوي الأفهام الثاقبة الذين يجترئون بيسير القول عن كثيره، وبمجمله عن تفسيره، وأمَّا الإطالة ففي مخاطبة العوام، ومن ليس من ذوي الأفهام، ومن لا يكتفي من القول بيسيره، ولا يتفق ذهنه إلا بتكريره؛ ولهذا استعمل الله-عزّ وجلّ-في مواضع من كتابه تكرير القصص، وتصريف القول، ليفهم من بعُد فهمه، ويعلم من قصُر علمه، واستعمل في موضع آخر الإيجاز والاختصار لذوي العقول والأبصار))[2].

ومن الذين بيَّنوا أهمية السياق الثقافي في فهم المعنى البلاغي **عبد القاهر الجرجاني**من خلال حديثه عن الاستعارة التي هي: ((صورة "trop" تعتمد على علاقة القياس بين الأشياء، والتي تتولد عن تقاطع مدلولين، "أو أكثر لها سيمات"، مشتركة داخل مفردة واحدة أو عبارة واحدة(aubeexalée)(Rimbaud)"الفخر المقدس"يتضمن في آن معا سيمات ذات منحى بسيكولوجي وسيمات خاصة بفكرة الضياء، يتم تعريف الاستعارة غالبا كاستبدال للمفردات، لكن إذا أمكن الحديث عن استبدال دوال، فإنه لا يوجد في المقابل تقاطع في المدلولات، في العبارة(Aflanc de coteau du village bivouaquent des champs fournis de mimosas)(Char)"في خاصرة هضبة القرية ترابط حقول ممتلئة بالميموازا"، يمكننا القول دون الحكم مسبقا على صيغة تشكيل الصورة بأن(bivwak) تعرض دوالا أكثر توقعا مثل /selat/"تنتشر" أو

[1] أبو حسن ابن وهب، **البرهان في وجوه البيان**،تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1389هـ/1969م، ص195-196.

[2] نفسه، ص154-155.

/floris/"تزهر"، لكن بعض سمات(bivouaquent) فقط هي التي تم تحيينا من قبل السياق(السمات التي تتعلق بالحياة العسكرية ثم تحجيمها إلى أدنى مستوى)، كما يتم عرض الاستعارة كمقارنة ضمنية أيضا تؤول من خلال إعادة وحدات المقارنة في ذهن القارئ إلى مدلول ثالث ناتج عن تفاعل وحدات المقارنة الأولى، ويضيف(I.A Richards)بأن الاستعارة تتشكل ليس فقط من سمات مشتركة، ولكن أيضا من تأثير السمات المزاحة عليها: في المثال الذي أخذه(Char)يحول الاختلاف بين (bivouaquent)و (s'étalent) أو (fleurissent)دون التطابق الكامل للمداولات، ويوجد توترا يضمن للاستعارة بعض فاعليتها، بعض الأسلوبيين المعاصرين لا يحتفظون من الاستعارة إلا بمبدأ المقارنة: (المشابهة تربط مفردة استعريت بالمفردة التي عوضت بها)))[1].

لذا نجد "**الجرجاني**" يقسم **الاستعارة** من حيث روافد تشكلها، لا من حيث تقسيمها بحسب تركيبها من طرفي المشبَّه والمشبَّه به إلى : " استعارة قريبة من حقيقة، واستعارة شبيهة بالقريبة للحقيقة، وضرب ثالث وهو الأجلُّ والصميم الخالص، وهو الاستعارة المأخوذ وجه الشبه فيها من الصورة العقلية"، فأمَّا الاستعارة القريبة من الحقيقة، فرافد تشكّلها هو المجانسة في وجه الشبه بين المشبه والمشبه به وذلك بما يكون حاصلا في الواقع، فالذهن في هذا الضرب من الاستعارة يُشكّل صورا بيانية يعتمد فيها الجمع بين المشبه والمشبه به بما يراه حاصلا في الواقع من تجانسهما في وجه الشبه، ومثالها يقول **الجرجاني**:(ومن الاستعارة القريبة قولهم"أثْرَى فلانٌ من المجد"،و" أفلس من المروءة، وكقوله:

إنْ كـان أعْنَاهـا السـلُوُّ، فـإنَّنى أَمْسَـيْتُ مـن كَبِـدى ومِنْهـا مُعْـدِمَا

وذلك أن حقيقة "الإثراء من الشيء"، كثرته عندك، ووصفُ الرجل بأنَّه كثير المجْد، أو قليل المروءةَ،كوصف بأنَّه كثير العلم أو قليل المعرفة، في كونه حقيقة، وكذلك إذا قلت"أثْرى من الشوق"أو"الوجْد"أو" الحُزْن"))[2]، أما الضرب الثاني، وهو الاستعارة الشبيهة بالقريبة من الحقيقة، ففيها يكون وجه الشبه بين المشبه والمشبه به يكادان يتجانسان، بما يكاد أنَّ يكون ملاحظا في الواقع، ومثالها يقول **الجرجاني**:((ضربٌ ثانٍ يُشبه هذا الضرب الذي مضى، وإنَّ لم يكن إياه، وذلك أنْ يكون المشبه مأخوذا من صفةٍ هي موجودة في كل واحدٍ من المستعَار والمستعارِ منه على حقيقة، وذلك قولك:"رأيت شمسا"، تريد إنسانا يتهلَّل وجهه كالشمس(...) وذلك أنَّ الشبه

[1]Georges Mounin,Dictionnaire de la Linguistique,p213-214.

[2] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص60، وينظر:

-Joseph Grady "Superschemas" and the grammar of metaphorical mappings, Cognitive Linguistics Research, Mouton de Gruyter, Berlin/New York, 2008,p345-357.

مُراعًى في التلألؤ، وهو كما تعلم موجودٌ في نفس الإنسان المتهلل؛ لأنْ روْنقَ الوجه الحسن من حيث حسٍّ البصر، مجانسٌ لضوء الأجسام النيِّرة))[1]، أما الضرب الثالث فسمَّاه الجرجاني الصميم الخالص، ومعنى ذلك أنَّ صاحبه يشكل صورا بيانية راقية رائعة، يكون وجه الشبه فيها بين المشبه والمشبه به لا مجانسة فيه بينهما، وإنما يعتمد صاحب هذه الصورة على ثقافته وذكائه وفطانته في الجمع بين مشبهين لا جناس بينهما، يقول **الجرجاني**:((ضرب ثالثٌ وهو الصَّميم الخالص من "الاستعارة "، وحدُّه أنَّ يكون الشبَهُ مأخوذا من الصُّورة العقلية(...) واعلم أنَّ هذا الضرب هو المنزلةُ التي تبلغ عندها الاستعارة غاية شرفها، ويتسع لها كيف شاءت المجال في تفنُّنها وتصرُّفها، وههنا تَخْلُص لطيفةً روحانيةً، فلا يَبْصُرها إلا ذوو الأذهان الصافية، والعقول النَّافذة، والطباع السليمة والنُّفوس المستعدَّة؛ لأن تعي الحكمةَ، وتعرف فصْل الخطاب))[2]، ويمثل الجرجاني لذلك بتشبيه البيان والحجة "بالنور" مشاهدٌ محسوس بالبصر، فهما(الحجة والبيان) شيئان يُحسَان بقبول العقل لترتيباتهما المنطقية، ولكن إذا قبل العقل الحجة واطمأن لها القلب، صار القلب يرى الحقيقة كما يرى البصر النور، يقول الجرجاني:((وذلك كاستعارة "النُّور" للبيان والحجة الكاشفة عن الحق، المزِلة للشكِّ النافية للرَّيب، كما جاء في التنزيل: ﴿**وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُولَٰئِكَهُمُالْمُفْلِحُونَ**﴾[الأعراف:157] وكاستعارة "الصراط" للدِّين في قوله تعالى:﴿**اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ** ﴾[الفاتحة:6]، فأنَّك لا تَشُكُّ في أنه ليس بين"النّور" والحجة ما بين"طيران الطائر" و"جرى الفرس" من الاشتراك في عموم الجنس؛ لأنَّ"النّور" صفة من صفات الأجسام محسوسةٌ والحجة كلام = وكذا ليس بينهما ما بين "الرجل" و"الأسد" من الاشتراك في طبيعةٍ معلومةٍ تكون في الحيوان كالشجاعة، فليس الشبه الحاصل من "النور"في البيان والحجة ونحوهما، إلا أنَّ القلب إذا وردت عليه الحجَّة صار في حالة شبيهة بحال البصر إذا صادف النَّور، ووُجِهت طلائعُه نحوه، وجال في مصارفه وانتشر،(...) وهذا كما تعلم شبَّةٌ لستَ تحصل منه على جنس ولا على طبيعة وغريزة، ولا على هيئة وصورة تدخل في الخِلقة، وإنما هو صورة عقلية))[3] ، ثم بعد بيان الجرجاني حقيقة هذه الاستعارة المأخوذ وجه شبهها من الصورة العقلية، يُبيّن بأنَّ هذه الصورة العقلية التي تعتبر أساس وجه الشبه في هذا الضرب، تتشكل من مسالك ثلاثة، وهذه المسالك الثلاثة هي الروافد المشكلة لهذه الاستعارة، فلذا ما يجيء من الصور البيانية بسببها لا يُفهم معناه مالم يُعرف السياق الذي تشكلت فيه.

---

[1] الجرجاني، **أسرار البلاغة**، ص62-63.

[2] نفسه، ص66.

[3] نفسه، ص65، وينظر:

-Lynne Cameron, A discourse approach to metaphor: Explaining systematic metaphors for literacy processes in a school discourse community, Cognitive Linguistics Research , Ronald W. Langacker: Language in the Context of Use , Berlin/New York, 2008 ,P323-334

واللافت للانتباه أنَّ هذه المسالك المعرفية سبيلها، إمَّا الحواس، أو العقل، وكما هو معروف عند علماء المنطق أنَّ المعرفة المدركة بالحواس تُسمّى المعرفة الضرورية، والمعرفة المدركة بالعقل تُسمّى المعرفة النَّظرية، والمعرفة الضرورية أكثر صدقا وثباتا من المعرفة النَّظرية لاشتراك البشر في الجمع على الحكم فيها بسبب اتحاد الحواس، يقول الجرجاني:((ولها هاهنا أساليبُ كثيرة ومسالك دقيقة مختلفةٌ، والقول الذي يجرى مجْرى القانون والقسمةِ فيها، إلا أنَّ ما يجب أن تعلم في معنى التقسيم لها أنَّها على أصول:أحدهما:أنَّ يؤخذ الشَّبه من الأشياء المشاهدة والمدرَكة بالحواسّ على الجملة للمعاني المعقولة، والثاني: أنَّ يؤخذ الشَّبه من الأشياء المحسوسة لمثلها، إلا أنَّ الشَّبه مع ذلك عقليٌّ، والأصل الثالث: أنَّ يُؤخذ الشبه من المعقول للمعقول))[1] ، ثم لا يفوت التنبيه من قول الجرجاني هذا، من أنَّ هذه المعرفة المدركة بالحواس والعقل، أنَّ هذه المعرفة هي الواقع المشاهد، والمقصود بقول الجرجاني:"الأشياء المشاهدة"، الواقع بعينه، فالأشياء تكون مشاهدة إلا إذا كان لها وجود في الأعيان.

وبهذا يتَّضح جليا ما قررته الدراسة سابقا، من أن المقصود بالسياق الثقافي، هو المعرفة التي تشكل روافدها من البيئة، أو العادات، أو التقاليد، أو كل ما يمكن أن يتعلمه المتكلم، وسبل هذا التَّشكل هو ما أسمته الدراسة الوسائل الفكرية، أو سبل تشكل الروافد التثقيفية، هي الفطانة، والحذاقة، وسرعة التعلم.

ومما أبدع فيه **الجرجاني** في بيانه للسياق الثقافي، بيانه أنَّ المعنى البلاغي الذي تتشكل بوساطته الصورة البيانية يكون من علة، وهذه العلة تلازم عادة أو طبعا، فيتولدّ معنى مشهورا من تلازم هذه العلة لهذا الطبع أو العادة ومثال ذلك علة قتل الملك لأعدائه، فالملك يعلل لنفسه قتل أعدائه؛ لأن العادة والطبع اقتضى أنَّ أعداءه ينافسونه في ملكه ومكانته، يقول **الجرجاني**:((أنَّ يكون للمعنى من المعاني والفعلِ من الأفعال علةٌ مشهورة من طريق العادات والطباع(...)، فالذي يتعارفه النَّاس أنَّ الرجل إذا قتل أعاديه فلإرادته هلاكَهم، وأنَّ يدفع مضارَّهم عن نفسه، وليسلَمُ مُلكه ويصفُوَ من منازَعاتهم، وقد ادّعى المتنبي كما ترى أن العِلَّةَ في قتل الممدوح لأعدائه غير ذلك))[2]، وهذا إبداع أوّلي من شرح "**الجرجاني**"، أما الإبداع الثاني من شرح الجرجاني، فهو أنَّ المعنى البلاغي تزداد الصورة به جمالا، إذا استنبط الشاعر من طريق العادة أو الطبع علّة أخرى تخالف علة المشهورة، فيتولّد من ذلك معنى آخر أكثر جمالا من المعنى الأول، ومثال ذلك المثال السابق نفسه، فإذا اقتضت العادة أنَّ تسوغ للملك قتل أعداءه لعلة منافستهم إيَّاه، فإنَّ المتنبي استنبط من نفس ما اقتضته العادة بتسويغ قتل الملك لأعدائه، ولكن لا لعلة منافستهم إيّاه، بل لأن الملك قتل أعداءه؛ لأنه ملك لا يوجد من يضاهيه في الكرم، ولمكانته ومبالغته في

[1] الجرجاني، **أسرار البلاغة** ، ص66.
[2] نفسه، ص296.

الكرم، رأى أنَّ إعطاءهم المغانم من الحرب لا يليق بمكانته في كرمه، فالمعطى لهم شيء قليل لا يتناسب مع مكانة الكرم لهذا الملك، فذلك قتل أعداءه كي لا يُخيب رجاءهم، يقول **الجرجاني**:((أنَّ يكون للمعنى من المعاني والفعلِ من الأفعال علةٌ مشهورة من طريق العادات والطباع))[1].

7-الحركات الجسمية والإيماءات المصاحبة للكلام:

تعد الإشارات والحركات الجسمية المصاحبة للغة من المسائل التي نالت حظا وافرا من الدرس عند علماء اللغة، فهي تمثل جانبا مهما من جوانب التواصل بين الأفراد، وهي أيضا عضيد هام للغة لا يمكن إغفالها؛ بل أنها تعدُّ في بعض الظروف والأحوال الوسيلة الوحيدة للتواصل، فهي تفيد في فهم العملية اللغوية ذاتها، وفضلا عن ذلك فإنها تفيد في فهم الظواهر الخاصة بمجتمع ما؛ فالحركات الجسمية تنطوي على علامات وأمارات تكشف للسامع عن ملامح المتكلم من حيث جنسه، ومستواه الثقافي والمهني وطبقته الاجتماعية، فهي تعكس الأنماط الخاصة لجماعة معينة.

والحركات الجسمية والإيماءات المصاحبة للكلام ذات أثر بالغ في فَهْم المعنى المقصود؛ إذ إن الحدث التواصلي يقوم إضافة إلى طرفي الاتصال من متكلم ومخاطَب على الحركات الجسمية لهذين الطرفين، كما أنها تُسهم في إنتاج الكلام وفهمه، بل إن الحدث التواصلي قد يقتصر عليها وحدها، ويظهر من خلال ما جاء في كتابي"البيان والتبيين" و"الحيوان" من نصوص عن الحركات الجسمية إسهاب **"الجاحظ"** في الحديث عنها بدقة وتفصيل تتقاطع مع معطيات علم الحركة الجسمية الحديث، ويعتبر الجاحظ أوّل من تنبه لظاهرة الإشارات الجسمية من القدماء، لما لها أهمية في فهم الكلام، حيث يقول في بيان دور الإشارة:((وعلى قدر وضوح الدلالة وصواب الإشارة، وحسن الاختصاص ودقة المدخل يكون إظهار المعنى، وكلما كانت الدلالة أوضح وأفصح وكانت الإشارة أبين وأنور كان أنفع وأنجح))[2]، وهذا من خلال حديثه عن أنواع الدلالات المختلفة فيجملها قائلا: ((وجميع أصناف الدلالات على المعاني من لفظ وغير لفظ، خمسة أشياء لا تنقص ولا تزيد: أولها اللفظ ثم الإشارة ثم العقد ثم الخطُّ، ثم الحال التي تسمى نِصْبَة، والنِصْبَة هي الحال الدالة، التي تقوم مقام تلك الأصناف، ولا تقصِّر عن تلك الدلالات، ولكلّ واجدٍ من هذه الخمسة صورةٌ بائنةٌ من صورة صاحبتها، وحليةٌ مخالفةٌ لحلية أُختها، وهي التي تكشف لك عن أعيان المعاني في الجملة، ثم عن حقائقها في التفسير، وعن أجناسها وأقدارها،

[1] السابق، ص296.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص75.

وعن خاصِّها وعامِّها وعن طبقاتها في السارّ والضارّ، وعمَّا يكون لغوا بَهْرَجا وساقطا مُطَّرحا))[1]، يظهر الجاحظ من خلال هذا التحديد مدركا تمام الإدراك لماهية تصنيف الدلالات والعلامات، سواء الدلالات اللفظية منها أم غير اللفظية، والتي تساهم في تحقيق المعنى والمفاهمة بين المرسل والمستقبل، كما أنه واعٍ تمام الوعي للفرق الدقيق بينها، وأنَّها مختلفة ومقسمة وإن كان الغرض واحدا، وهي:

أ–اللفظ:يعدّ اللفظ من أهم وسائل البيان عند الجاحظ، وقوامه الأساسي هو الصوت، وفي هذا يقول:((والصوت آلة اللفظ والجوهر الذي يقوم به التقطيع وبه يوجد التأليف))[2]، ففي منظور الجاحظ يُعتبر الصوت ركيزة أساسية لكل لفظ، فهي وجها لعملة واحدة، فبالصوت يكون اللفظ، وباللفظ يكون الصوت، أي أنه أوَّل الوسائل التي يلجأ الإنسان إليها للتعبير عن نفسه، وأسرعها وأكثرها استخداما، فقد حظيت هذه الوسيلة باهتمام الجاحظ في مؤلفاته، ويظهر أن اللسان عند الجاحظ قد ارتبط بالوضوح، وعلى قدر بيانه يكون أَحْمَدَ، فإذا استطاع اللسان أن يجعل المعنى في القلب أشدَّ بيانا، كان أكثر حَمْدا، حيثُ يقول:((لأن مدار الأمر على البيان والتبيُّين، وعلى الإفهام والتَّفهُّم، وكلما كان اللسانُ أبْيَنَ كان أحمدَ، كما أنه كلما كان القلبُ أشدّ استبانةً كان أحمد))[3].

ب–الإشارة: تُعَدُّ الإشارة عند الجاحظ إحدى وسائل البيان التي أولاها اهتماما كبيرا، فحينما عدد أصناف الدلالة الخمسة، جعلها في المرتبة الثانية بعد اللفظ، وليس أدلّ على أهمية الإشارة عند الجاحظ: من قوله: ((ولو جهد جميع أهل البلاغة أن يخبروا من دونهم عن هذه المعاني، بكلام وجيز–يغني عن التفسير باللسان ، والإشارة باليد والرأس–لما قدروا عليه))[4]، يؤكِّد أن بيان المعنى لا يكون إلا إذا تخلل الكلام وصاحبه إشارات اليدين والرأس، لما تؤديه من دور إيجابي أثناء الحدث الكلامي وفوات المنفعة في حال الاستغناء عنها.

لم تتوقف أهمية الإشارة للفظ أثناء الكلام عند الجاحظ على كونها شريكة اللفظ، وأنه لا يُكتفي باللفظ دونها، بل تعداها إلى أنها قد تنوب عن اللفظ، وتغني عن الخط، يقول:((والإشارة واللفظ شريكان، ونِعْمَ العونُ هي له، ونعم الترجمانُ هي عنه، وما أكثرَ ما تنوب عن اللفظِ وما تُغْني عن الخطِّ))[5]، أو أنها قد تأتي وحدها وتغني عن اللفظ، فقد تستخدم عوضا عن الكلام عندما تكون المسافة بين المتكلم والمخاطَب لا تسمح بإيصال الصوت أو

[1] السابق ، ج1، ص76.
[2] نفسه،ج1، ص84.
[3] نفسه، ج1، ص11.
[4] ينظر: نفسه، ج1، ص77.
[5] نفسه، ج1، ص78.

عدم سماع الصوت بسبب وجود الضجيج، فالإشارة مرتبطة ومدعمة للفظ ومكملة له، فهي تزيد من كمال الخطاب ومن جودة التبليغ والتفاهم، كما أن المتكلم في بعض الحالات يلجأ إلى الإشارة في خطابه كي يستغني عن الشرح والكلام والتفصيل، وكما يقال: اللبيب بالإشارة يفهم.

وقد بيَّن "**الجاحظ**" تقدُّم الإشارة على الصوت، يقول:((هذا ومبلغُ الإشارة أبعدُ مِن مبلغ الصَّوت، فهذا أيضا باب تتقدَّم فيه الإشارةُ الصوتَ))[1]، فدور الإشارة كأداة تواصل تبرز عندما يعجز الصوت عن بلوغ المخاطَبين لبعد المسافة بينهما، أوْ لكثرة الأصوات واختلاطها على السامع، يقول:(ولم يقف الجاحظ عند هذا الحدّ بل بيَّن أهمية الإشارة في كونها تشكل ثلثي البيان كما بيَّن كيفية استخدام الإشارة، يقول:((والمتكلم قد يشير برأسه ويده على أقسام كلامه وتقطيعه، ففرَّقوا ضروب الحركات على ضروب الألفاظ وضروب المعاني، ولو قُبِضَت يدُه ومُنِعَ حركةَ رأسه، لذهب ثلثا كلامه))[2]، ومن خلال هذه الإشارات يظهر أنَّ "الجاحظ" كان على وعي بأهمية الدلالة والمعنى، ومن بين هذه الأصناف يبرز صنفان يناسبان تماما موضوع السياق، وهما:الإشارة والنصبة، لما لهما من علاقات وطيدة بالمقام، ((فأما الإشارة فباليد وبالرأس وبالعين والحاجب والمنكب))[3]، وهي من أدوات البيان التي يستعين بها المتكلم لزيادة الدلالة على معنى قد يقصر عنه الكلام، أو تغني هي عنه، من تمام دلالتها أو كمالها في التعبير عما قد يعبر به عنه مع قصور محقق، أو محتمل ، وأما علاقتها باللفظ فهي عونه وترجمانه وكثيرا ما تنوب عنها، لذا يقال رب إشارة أبلغُ من عبارة.

و يذكر الجاحظ عددا من الشواهد على إغناء الإشارة عن اللفظ من مثل قول الشاعر في دلالات الإشارة:[4]

العينُ* تُبدي الذي في نفسِ صاحبها ... من المحبة أو بُغضٍ إذا كانا

والعينُ تنطق والأفواهُ صامتةٌ ... حتى ترى من ضمير القلب تبيانا

[1] السابق، ج1، ص79.

[2] نفسه، ج3، ص119.

[3] نفسه، ج1،، ص77.

[4] نفسه، ج1، ص79.

*وتعتبر **العين** أهم وسيلة من وسائل الاتصال غير اللفظي، ومن أهم تصنيفات للوظائف التي يؤديها النظر:

– إرسال المعلومات مثل النظرة التحذيرية.

– الحصول على المعلومات التي تفيد فهم السلوك الاتصالي للطرف الآخر والحصول على تغذية راجعة حول مدى تجاذب الطرف الآخر مع السلوك الاتصال للفرد. مزايتي مريم، **التداولية"(نشأة المفاهيم والتصورات)"**، مجلة إشكالات: دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست ، الجزائر ، العدد الثامن/ديسمبر، 2015م، ص270-271.

ولا يتوقف الأمر على لغة العيون، بل هناك إشارات أخرى كإيماءات الوجه مثل الابتسامة، والضحك، والتكشير والغضب...فمنها ما تكون بطريقة عفوية لا إرادية، ومنها ما تكون إرادية تحمل دلالات متفق عليها، ويلخص الباحثون جملة من الوظائف يمكن أن تقوم بها الإشارات والحركات الجسمية:[1]

-تحقيق وتدعيم المعاني والدلالات التي يقصدها المتكلم.

-إكمال القصور وجبر العجز اللذين قد يشعر بهما المتكلم تجاه لغته الأم أو اللغة الأجنبية التي لا يعرفها حق المعرفة عندما ينتقل إلى مجتمع آخر.

-النيابة عن الكلمات في بعض المواقف التي يلجأ خلالها المتكلم إلى استبدال الكلام بالإشارة في حالة الخجل والاضطراب أو عندما يتعمد إخفاء ما يريد قوله.

-التعبير عن ضلال المعاني التي يريدها المتكلم أو ما سماه الجاحظ "معنى خاص الخاص".

ومن هنا قد تبلغ الإشارة مالا يبلغه اللفظ وهي حين تكون مصاحبة للحدث الكلامي توضحه أكثر، وتؤكده وتنوب عنه إذا عجز عن إفهام السامع.

لذا يؤكد الجاحظ قيمة الإشارة حيث يقول:((وحُسنُ الإشارة باليد والرأس، ومن تمام حسن البيان باللسان))[2]، لذا يتبين أن الإشارة أصبحت جزءا من اللفظ، أو عوضا عنه، فهي إذًا من جزئيات هيئة المتكلم من خلال حركات جسمه، يديه وعينيه... التي تُعدّ بدورها عنصر من عناصر سياق الموقف.

ج- **العقد**: أما العقد فهو من أصناف البيان الخمسة، فهو:((ضرب من الحساب يكون بأصابع اليدين، يقال له حساب باليد، وقد ورد في الحديث أنه : عقد التسعين))[3] ،كما قال الجاحظ:((وأما القول في العقد، وهو الحسابُ دونَ اللّفظ والخطّ، فالدَّليلُ على فضيلته، وعِظَم قدْر الانتفاع به، قوله تعالى:﴿ **فَالِقُ الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ۚ ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ** ﴾[4] [الأنعام:96]، فالعقد* -إذن- هو أحد أقسام الدلالات، والذي يكون حسابا عبر الأصابع، وهو ضرب آخر من ضروب الدلالة على المعنى، ومن الصور التي يمكن من خلالها الاستعانة بالعقد؛ لإيصال الرسالة.

---

[1] مزايتي مريم، **التداولية"(نشأة المفاهيم والتصورات)"**، ص271.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين** ،ج1، ص79.

[3] نفسه، ج1 ، ص76.

[4] نفسه، ج1، ص80.

* ويضيف كذلك حول **العقد الذي معانيه الحساب** قائلا:(والحساب يشمل على معان كثيرة ومنافع جليلة، ولولا معرفة العباد بمعنى الحساب في الدنيا لما فهموا عن الله عز وجل معنى الحساب في الآخرة وفي عدم اللفظ وفساد، والجهل بالعقد فساد جل النعم وفقدان جمهور المنافع واختلال كل ما جعله الله عز وجل لنا قواما، ومصلحة ونظاما : ينظر: الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص80).

د–الخط: يخص الصنف الرابع من الدلالة الخط، حيث يوضح الجاحظ ذلك بقوله، ((فأما الخط، فمما ذكر الله عز وجل في كتابه من فضيلة الخط والإنعام بمنافع الكتاب، قوله لنبيه عليه الصلاة و السلام:﴿**اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**﴾[العلق: 3] :((ولذلك قالوا: القلم أحدُ اللسانين، كما قالوا: قلة العيال أحد اليسارين، وقالوا: القلم أبقى أثرا واللسان أكثر هذرا))[1]، فنظرا لأهمية الكتابة والخط في حفظ العلوم ومدى دوره في نقل المعرفة عبر الزمان والمكانة هامة بين العلامات والدلالات، وفي هذا الشأن يقول الجاحظ:((وليس بين الحروف المجموعة والمصورة من الصوت المقطع في الهواء، وبيْن الحروف المجموعة والمصورة من السواد في القرطاس فرق، واللسان يصنع في جوبة الفم وهوائه))[2]، فهذا مفهوم عام من اللغة بين التصويت والكتابة؛ أي بين الحرف والصوت، فالصوت إيصالي والحرف إيصالي في الجوهر، ولكن الحرف ليس صوتا، فالأول وسيلة مكتوبة والثاني وسيلة منطوقة.

هـ–النِّصْبة:

وآخر نوع من أنواع الدلالات، هو النِّصبة، يقول:((النصبة فهي الحال الناطقة بغير اللفظ والمشيرة بغير اليد وذلك ظاهر في خلق السماوات، والأرض وفي كل صامت وناطق(...) فالصامت ناطق من جهة الدلالة، والعجماء معربة من جهة البرهان))[3]، وتذليلا لما سبق يردف الجاحظ قائلا((لذا قال "الفضل بن أيان"سل الأرض فقل من شق أنهارك، وغرس أشجارك، وجنى ثمارك؟فإن لم تجبكَ حوارا أجابتكَ اعتبارا)[4]، ويضيف كذلك قائلا:((ومتى دلّ الشيء على معنى فقد أخبر عنه وإن كان صامتا، وأشار إليه وإن كان ساكنا، وهذا القول شائع في جميع اللغات، ومتفق عليه مع إفراط الاختلافات))[5]، ذلك أن الدلالات دالة بحالها فالسحاب دال على المطر ورياح الجنوب دالة على الغيث.

فهذه الأصناف تدل على الأشياء التي تدخل طرفا بين المتكلم، فالسامع يفهم إشارة طرف العين أو الحاجب، فاللفظ والإشارة تنوب في الدلالة على المعنى، لتحقيق محصول الكلام، أما العَقْد فهو يشكل الأعداد بالأنامل، وهي صورة الحساب، والخط صورة اللفظ والحساب، والنِّصبة هي الحال تدل على المرء بغير عبارة ولا إشارة.

---

[1] الجاحظ، البيان والتبيين، ج1، ص79.

[2] الجاحظ، **الحيوان**، ج1، ص70.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين** ، ج1، ص81.

[4] نفسه، ص81.

[5] نفسه، ج1، ص81-82.

وعليه نستنتج أنه لا بد من مراعاة حركات الأشخاص وإيماءاتهم، فتفسيرها بعيدا عن الموقف الذي وُجِدَ فيه يُعيبه ويجعله منتقصا، فالمقام له دور في تحديد المعنى المقصود، فالحركات الجسمية تؤدي معاني وفقا لأنماط اجتماعية وطبقية وبيئية وحضارية؛ إذ تعدُّ الحركات الجسمية نظاما اتصاليا متمما للغة، ومُعينا للمتكلم على التعبير عما يريده من أفكار وحاجات إلى المخاطبين؛ بل إن هذه الحركات قد تكون في ظروف معينة بديلا عن اللغة عندما تستدعي الظروف ذلك.

خلاصة الفصل:

وقد خلصت في هذا الفصل إلى مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

1- إن مصطلح السياق غير اللغوي عند الغربيين قائمٌ على الصحة الكلامية من جهة أولى، والصحة الخارجية انطلاقا من مطابقة الكلام الصحيح للموقف الخارجي الذي يقال فيه من جهة الثانية، أمَّا مفهوم"سياق الحال" لدى البلاغيين فيتجاوز حدود الصحة اللغوية والخارجية ليرتبط أكثر بالقيم الجمالية والفنية التي تعطي الكلام رونقا وجاذبية، فهو عندهم عنصر من المنظومة البلاغية، في حين هو عند الغربيين لازم للصحة الكلامية.

2- مما سبق نستنتج أن مصطلح السياق غير اللغوي هو نفسه المقام والحال، وكل منهما مرتبط بالسامع والمتكلم والخطاب، وعليه فإنَّ المقامات والأحوال عند علماء البلاغة تعدّدت فيها زوايا النَّظر لدى علماء البلاغة، فالمتفحّص في كتب البلاغة يجد مقامات متعددة ومتنوعة تحدث عنها، فهناك من تخصص في الحديث عن السياق الثقافي وهناك من تخصص في السياق النفسي.

3-تعددت المصطلحات المتعلقة بـ"سياق الحال" حيث لاحظنا أنَّه تردد مفهومه بين مصطلح: السياق غير اللغوي "، و"سياق الموقف"، و"المقام"، و"الحال" وغير ذلك.

4-تداخل لدى الدارسين- البلاغيين منهم على وجه الخصوص-مفهوم "المقام" و"الحال"، ضمن مفاهيم متنوعة، لكن نستطيع أن نقول إن المصطلح الأول شاع عند المتقدمين، أمَّا الثاني فتردد أكثر عند المتأخرين.

5-"سياق الحال" عند البلاغيين العرب أساس من أساسيات البلاغة العربية، ينطلق من حال المتخاطبين، ليعمّ ملابسات الخطاب ككل.

الفصل الثالث

السياق بين التراث البلاغي العربي ونظرية فيرث

توطئة

أولا– المقام

ثانيا– العلاقات الموقفية والبلاغة العربية

ثالثا–القواعد النظامية ونظرية النظم

رابعا– الجملة الحالية ومعاني النحو

خلاصة الفصل

توطئة:

إنَّ النظرة السابقة التي ألقيناها على تراثنا البلاغي، والتي هدفت إلى تبيان ملامح النظرية السياقية في الدرس اللغوي العربي القديم وبخاصة عند علماء البلاغة، والتي توصلنا من خلالها إلى فكرة السياق التي طرحها الغربيون في دراساتهم الحديثة خلال القرن العشرين لم تكن جديدة تماما، و((إنما كانت استمرارا لجهود الدرس اللغوي، وللعرب والهنود السبق في هذا المجال، ولعل من الإنصاف القول بأن هؤلاء الغربيين قد صاغوا هذه الفكرة في شكل نظرية قابلة للتطبيق على جميع أنواع المعنى من صوتية وصرفية ونحوية واجتماعية ووضعوا لها المعايير والإجراءات مما يجعلها تقف على قدم المساواة مع بقية النظريات التي تتناول المعنى بالتحليل والتفسير))[1] .

من خلال ما سبق فالسياق لم يكن وليد المدارس اللسانية الحديثة؛ فإن جذوره تمتد في أعماق الدراسات اللغوية، و لهذا سنحاول في هذا الفصل أن نبرز معالم هذا الالتقاء بين ما حوته بطون البحوث العربية القديمة "علماء البلاغة"، وما جاء في النظرية السياقية، وذلك من خلال دراسة النقاط الآتية: **المقام، العلاقات الموقفية والبلاغة العربية، القواعد النظامية ونظرية النظم، الجملة الحالية ومعاني النحو**

أولا– المقام:

من أوائل من تحدثوا عن فكرة المقام من البلاغيين "**ابن المقفع**" (ت 145هـ) حين سُئِل عن معنى البلاغة فقال: ((البلاغة اسمٌ جامعٌ لمعانٍ تجري في وجوهٍ كثيرة، فمنها ما يكون في السُّكوت، ومنها ما يكون في الاستماع، ومنها ما يكون في الإشارة، ومنها ما يكون في الاحتجاج، ومنها ما يكون جوابا، ومنها ما يكون ابتداءً، ومنها ما يكون شعرا، ومنها ما يكون سَجْعا وخُطبا، ومنها ما يكون رسائل، فعامّةُ ما يكون من هذه الأبوابِ الوحيُ فيها والإشارةُ إلى المعنى، والإيجازُ هو البلاغة، فأمَّا الخُطَب بين السِّماطَين، وفي إصلاح ذاتِ البَين، فالإكثارُ في غير خَطَل والإطالةُ في غير إملال، وليكن في صدرك كلامك دليلٌ على حاجتك، كما أنَّ خيرَ أبياتِ الشعر البيتُ الذي إذا سمِعْتَ صدْرَه عرَفْتَ قافيته(...)، فقيل له: فإنْ مَلَّ السامعُ الإطالةَ التي ذكَرْتَ أنَّها حقُّ ذلك الموقِف؟ قال: إذا أعطيْتَ كلَّ مَقامٍ حَقَّه، وقمتَ بالذي يجبُ من سياسة ذلك المقام، وأرضيْتَ من يعرف حقوقَ الكلام فلا تهتمَّ لما فاتكَ من رضا الحاسد والعدُوّ))[2]، وقد جاءت هذه الفكرة أيضا على "**لسان**

[1] ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، **دلالة السياق**، ص137.

[2] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص115-116.

بشر بن المعتمر" (ت 210هـ)، فيما رواه عنه "**الجاحظ**" في كتابه البيان والتبيين ، إذ يقول((فكن في ثلاثِ منازل؛ فإن أولَى الثلاث أن يكون لفظُك رشيقا عذْبا وفخْما سهلا، ويكونَ معناك ظاهرا مكشوفا، وقريبا معروفا، إمَّا عند الخاصة إن كنت للخاصَّة قصَدت، وإمَّا عند العامَّة إنْ كنت للعامَّة أردت، والمعنى ليس يشرفُ بأن يكونَ من معاني الخاصَّة، وكذلك ليس يتَّضع بأن يكون من المعاني العامَّة، وإنَّما مَدارُ الشرف على الصواب وإحرازِ المنفعة مع موافَقَة الحال وما يجب لكلّ مَقَامٍ من المقال، وكذلك اللفظ العامّي والخاصّي))[1].

وعلى ذلك فقد أورد "**ابن المقفع**" في هذا النص من عناصر السياق ما يلي:[2]

أ- فكرة المقام وإن كانت هذه الفكرة تعني عنده الموضع الذي سيق من أجله الكلام، فهناك من الموضوعات ما يحتاج إلى إطالة، ومنها ما يحتاج إلى إيجاز، يقول "**الجاحظ**" عن الشق الأول: ((فأمَّا الخُطَب بين السّماطين وفي إصلاح ذاتِ البَين فالإكثارُ في غير خَطَل والإطالةُ في غير إملال، كأنه يقول: فرّقْ بين صدر خطبة النكاح وبين صدْر خُطْبة العيد، وخُطبة الصُّلْح وخُطْبة التّواهُب-قال والسنة في خطبة النكاح أن يطيل الخطاب-))[3]، ويقول أيضا:((هو ما أجاب به أعرابي المفضل الضبي حين سأله عن البلاغة: "الإيجاز في غير عجز، والإطناب في غير خطل))[4]، ويقول في موضع آخر:((وأحسنُ الكلام ما كان قليلهُ يُغْنيك عن كثيره، ومعناه في ظاهرِ لفظه))[5]، أما "**ابن الأثير**" فيقول:(هو زيادة اللفظ على المعنى لفائدة)[6]، فالإطناب هو أمر يقتضيه المعنى ويحتميه، فهو استجابة لمتطلبات مقامية مراعيا بذلك مقتضيات الأحوال، فمقامات الكلام متفاوتة، فهو متعلق في أساسه بالخواص والعوام ذوي المستوى البسيط.

أما **الإيجاز** فقد عرفه "صحار بن عباس العبدي" له عندما سأله معاوية"ما تعدون البلاغة فيكم؟قال: الإيجاز، فسأله معاوية وما الإيجاز؟ قال صحار: أن تجيب فلا تبطئ وتقول فلا تخطئ.[7] ويقول "الجاحظ" في موضع آخر:((قال لي المفضّل بن محمد الضبيّ: قلت لأعرابي منَّا: ما البلاغة؟قال لي: الإيجاز في غير عجزْ، والإطناب في غير خَطلٍ، قال ابن الأعرابي: فقلتُ للمفضَّل: ما الإيجاز عندك؟قال:حذفْ الفضول، وتقريب

---

[1] السابق، ص136.

[2] عبد نعيم الخليل، **نظرية السياق بين القدماء والمحدثين**، ص164

[3] **الجاحظ**، البيان والتبيين، ص116

[4] نفسه، ج1، ص97.

[5] **البيان والتبيين**، نفسه، ج1، ص83.

[6] ضياء الدين بن الأثير ، **دراسات في البلاغة**، تح: عبد الواحد حسن الشيخ، مؤسسة شباب الجامعة ، الاسكندرية، 2002م، ص128.

[7] ينظر: الجاحظ، **الحيوان**،ج1، ص90-91.

البعيد)) [1]، ويقول أيضا((ولو أن قائلا قال لبعضنا: ما الإيجاز؟ لظننتُ أنه يقول الاختصار، والإيجاز ليس يُعنَى به قلَّةُ عددِ الحروفِ واللفظ(...) وإنَّمَا ينبغي له أن يحذف بقدرِ ما لا يكون سببا لإغلاقه ولا يردّد، وهو يكتفي في الإفهام بشطره))[2].

أما "**السكاكي**" فقد عرفه بقوله : (هو أداة المقصود من الكلام بأقل من عبارات متعارف الأوساط)[3]، أي أنه مبني على العرف والعادات والتقاليد.

لذا فقد عرفه علماء البلاغة بقولهم:(أن الألفاظ القليلة فيه يجب أن تفي بالمراد مع الإبانة والإفصاح وتناسقها مع حال المخاطب، مثاله، قوله تعالى:﴿ **خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ**﴾ [سورة الأعراف: 199]، فلقد جمعت الآية على قصرها مكارم الأخلاق جميعا دون إخلال أو حذف ملبس)[4] فـ((هو إيراد معانٍ كثيرة بألفاظ قليلة من غير إخلال بالمعنى، أو أن يحتوي اللفظ على معانٍ متعددة)[5]، فالإيجاز يعدّ المعيار الرئيسي الذي نستطيع على إثره أن نميّز صاحب الصنعة المحمودة من غيرها، وإنما كان له هذا الشأن؛ لأنه يدل على القدرة التي تظهر كفاءة المتكلم من التعبير عن المراد بالكلام القليل.

ب-السكوت والاستماع والإشارة، حيث لا يظهر ذلك إلا من خلال الموقف اللغوي الفعلي الذي يتمثل في سياق الحال بتمامه، وهذه من عناصر ذلك السياق.

ج-السامع حيث يرى أنه من عوامل نجاح الخطيب، ألا يمل السامع بالإطالة، وهو بذلك أخذ في اعتباره هذا العنصر السياقي شرط أن يكون هذا السامع مثاليا مجردا من الحسد والعداوة.

د-ربط البلاغة بالمعنى، وذلك يتفق مع ما نادى به أصحاب النظرية السياقية، حيث انطلقت هذه النظرية من خلال البحث عن المعنى الدلالي.

ولقد تعددت واختلفت مسميات المقام "السياق غير اللغوي" عند القدماء والمحدثين ونجد عند القدماء: (الحال والمقام ، ومقتضى الحال، الحال الشاهدة، ومقتضى الظاهر)، أما عند المحدثين فاستعملوا: (سياق الموقف، سياق الحال، السياق غير اللغوي، السياق المقامي)

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص97.

[2] الجاحظ، **الحيوان** ، ج1، ص91.

[3] عبد المتعال الصعيدي، **بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة**، مكتبة الآداب،ط17، 1426هـ-2005م،ج2، ص324

[4] محمد أحمد قاسم ومحي الدين ديب، **علوم البلاغة "البديع، والبيان والمعاني"**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، ط1، 2003 م، ص357.

[5] رولا سلطان كوافحة ، **تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي"ابن الأثير الحلبي أنموذجا"**، مكتبة الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1435هـ/2014م، ص73.

فحسب منظور النظرية السياقية، نجد ((أن الوحدات الكلامية للغة الطبيعية، ليست مجرد سلسلة أو خيوطا من صيغ الكلمات، فهناك مكوّن لا كلامي يُفْرَضُ دائما وبالضرورة فوق المكوّن الكلامي في كل وحدة كلامية محكية، ويقسم علماء اللغة هذا المكون اللا كلامي إلى مكونين فرعيين، أولهما المكون الفرعي العروضي، وثانيهما المكون الفرعي شبه اللغوي))[1]؛ لأنهم اهتموا في تحديد معناها كأهمية الكلمة في تشكيل التركيب اللغوي، وذلك على اعتبار أنَّ المعنى ليس ((وليد لحظة معينة بما يصاحبها من صوت وصورة ولكنه أيضا حصيلة المواقف الحية التي يمارسها الأشخاص في المجتمع، فالجمل تكسب دلالتها في النهاية من خلال ملابسات الأحداث أي من خلال سياق الحال))[2]، فالسّياقيون يعتبرون الظواهر اللغوية خاضعة لضغوط سياقية واعتبارات غير لغوية، وهذا ما اصطلح عليه **جون فيرث(John Firth)** بالمكون الاجتماعي، نظرا لما له من صلة بخلق الدّلالات وتوجيهها بالتضافر مع المكونات الكلامية "اللغوية" ذات الصلة بالبنى النحوية[3].

ما تجدر الإشارة إليه حسب هذه الحقيقة المنهجية، أن اللغويين العرب قد طرقوا هذه الحقيقة في دراسة المعنى الاجتماعي حين قدَّموا ((فكرتين تعتبران اليوم من أنبل ما وصل إليه علم اللغة الحديث في بحثه عن المعنى الاجتماعي، وأوَّل هاتين الفكرتين فكرة" المقالSpeech event، والثانية فكرة "المقام Context of situation وأنبل من ذلك أنَّ علماء البلاغة، ربطوا بين هاتين الفكرتين بعبارتين شهيرتين أصبحتا شعارا يهتف به كل ناظر في المعنى؛ العبارة الأولى"لكل مقام مقال"، أمَّا الثانية"فلكل كلمة مع صاحبتها مقام"))[4]، فـ((المقولتان تقرّران من الوجهة العلمية مبدأ يصحّ تطبيقه على جميع الاتجاهات والمدارس في العلوم اللسانية خاصة والإنسانية عامة، هذا المبدأ هو وجود علاقة لا يمكن تجاوزها تنظيرا وتحليلا بين المقال وما يكتنفه من ظروف ومواقف وسياق اجتماعي))[5]، وذلك أن البلاغيين حين اعتدّوا بالمعنى على اختلاف صوره في معالجة الظاهرة اللغوية وتفسيرها،

---

[1] جون لاينز، **اللغة والمعنى والسياق**، ص27، و رشيد بلحبيب، **أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى**، مجلة اللسان العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية – جامعة محمد الأول – وجدة – المغرب، دت، ص1.

[2] رشيد بلحبيب، "**أثر العناصر غير اللغوية في صناعة المعنى**"، ص8-9،

[3] ينظر:

-جون لاينز، **اللغة والمعنى والسياق**، ص232 وما بعدها .

-رشيد بلحبيب،' "**أثر العناصر غير اللغوية في صناعة المعنى**، ص1 .

-جبريل محمد عثمان، **نظرية السياق عند فيرث**، "مجلة العلوم الشرعية "، جامعة المرقب، كلية التربية، العدد 2، ص274-275.

[4] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص20.

[5] رشيد بلحبيب،"**أثر العناصر غير اللغوية في صناعة المعنى**"، ص7-8.

وجدوا أنَّ العناصر التي تشكله متنوعة ومتشابكة، وبالتالي لابد من دراسة كل المعطيات اللغوية وغير اللغوية المتعلقة بالنَّص، ولاسيما المضامين والمدلولات التي يولِّدها الاستعمال في سياق معين، وتشمل هذه المعطيات:[1]

– المتكلم والمخاطّب/المتلقي، وكل ما يتعلق بهما من معتقدات ومقاصد وتكوين ثقافي ومعرفي، ومن يشارك في الحدث اللغوي.

– السياق بِبُعْدَيْه؛ الداخلي ممثلا بعناصر المكوّنة وما تشمل عليه من قرائن لفظية ومعنوية، والخارجي بما يكتنفهُ من ظروف مكانية وزمانية وظواهر اجتماعية مرتبطة باللغة، حيث تسهم معطيات السّياق بنوعيه، في تكوين أنماط من التّراكيب تتباين دلالاتها وتتعدّد وفقا لفهم المتلقي لها.

– المعرفة المشتركة بين المتخاطبين وأثر النص الكلامي فيهما.

وعليه فالمكون الاجتماعي وما يقتضيه من مصطلحات "سياق الموقف، السياق اللغوي"، لم يكن وليد المدارس الحديثة وحدها، فحين أشار البلاغيون إلى تأثير دلالة المقال، والمقام الملابس له، على العناصر النحوية والبلاغية من حيث الذكر والحذف، و التقديم والتأخير، أي لم يقتصروا على النَّظر في بنية النص اللغوي، كما لو كان شكلا منعزلا عن العوامل الخارجية التي تلفه وتحيط به، وإنما أخذوا مادتهم اللغوية(...) على أنَّها ضرب من النشاط الإنساني الذي يتفاعل مع محيطه وظروفه، كما فطنوا إلى أنَّ الكلام له وظيفة ومعنى في عملية التواصل الاجتماعي، وأنَّ هذا الوظيفة وذلك المعنى لهما ارتباط وثيق بسياق الحال أو المقام وما فيه من شخوص وأحداث، كانوا بكل ذلك قد أسسوا لفكر لغوي متأخر عنهم بآلاف السنين[2]، فإذا ما نظرنا إلى "المقال" على أنه يمثل"السياق اللغوي"، وإلى "المقام" على أنَّه يمثل "سياق الموقف"، وجدنا ذلك واضحا عند البلاغيين على اعتبار أنَّ هذه الفكرة تمثل لُبَّ دراسة المعنى عندهم[3]، فنجد علماء البلاغة من أمثال "**الجاحظ**" و"**الجرجاني**" و"**السكاكي**" ...إلخ- حسب ما جاء في الفصل الثاني-رأينا منهم كذلك عناية بسياق الحال أو المقام حسب تعبيرهم، هذا المقام الذي يمثل عندهم ((الشّق الاجتماعي من شقي السَّياق العام؛ فمقام الفخر غير مقام المدح، وهما يختلفان عن مقام الدَّعاء أو الاستعطاف أو الهجاء ...، أو غير ذلك وعبارتهم المشهورة "لكل مقام مقال"، تدّلّ على تمييزهم بين شقي السياق، وهذا التمييز ضروري في تحليل المعنى)) [4]. مكوَّن لغوي ومكوّن لا لغوي

[1] ينظر: عبد الحميد السَّيد، **دراسات في اللسانيات العربية "المشاكلة، رؤى تحليلية"**، دار ومكتبة الحامد، عمان-الأردن، ط6، ص2003م، ص119-120.

[2] ينظر: محمد صالح سالم، **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التواصل إلى المعنى**، ص7-8.

[3] نفسه الصفحة نفسها.

[4] طاهر سليمان حمودة، **دراسة المعنى عند الأصوليين**، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، الإسكندرية ، دط، 1997م، ص223.

"خارج عن نطاق اللغة"، وبذلك يتجلى إدراكهم لدور هذا المكوّن الخارجي في توجيهه معْنى اللفظ، وتوليده لمعانٍ تختلف باختلاف السّياقات ومقتضيات الأحوال، وعليه يمكن اعتبار أنَّ مصطلح المكوّن الاجتماعي، إنَّما هو صورة لفظية مستحدثة للفكرة التي حملتها عبارة "لكل مقام مقال"، فعندما يقول "**أبو هلال العسكري**"(400هـ): ((أنَّ الإنسان يُجوزُ أن يَغْتَاظ من نفسه، ولا يجوز أن يغضب عليها، و ذلك أنَّ الغضب إرادة الضّرر للمغضوب عليه، ولا يجوز أن يريد الإنسان الضرر والغيظ يقرب من باب الغم، و أنَّ الغضَب يكون من الصغير إلى الكبير، ومن الكبير إلى الصَّغير والسّخط لا يكون إلاّ من الكبير على الصغير، يقال سخط الأمير على الحاجب ولا يقال سخط الحاجب على الأمير...))[1]، فإنَّ ذلك لا يتعدّى أن يكون اعترافا منه بشرعية مفهوم المكوّن الاجتماعي في تحديد دلالة التركيب اللغوي، فمن خلال المقام الاجتماعي الذي يدور فيه الكلام ويتكوّن من خلال التركيب اللغوي، يتم إدراك التفاوت الدّلالي بين الألفاظ رغم اتحادهما في المعنى العام، وهذا ما يؤكّده أبو هلال العسكري من خلال بيانه الفروقات الدَّلالية فيما بين الغضب، السخط والغيظ، وإن كان معناها العام واحد، ولكن هذه الفروقات لا تتّضح إلاّ بإدراك المواقف الاجتماعية التي تقال فيها[2].

من خلال ما سبق يتضح أن البلاغيين العرب، قد وقفوا على جملة من القوانين الهامة والتي بموجبها تبلور مفهوم السِّياق بكل ما يقتضيه من مصطلحات حديثة "مكون اجتماعي، سياق لغوي، سياق غير لغوي"، كدليل إضافي يعين اللغة على أداء المعنى المقصود[3]؛ لإدراكهم الدَّور الأكثر أهمّية الذي يشغله هذا المفهوم في نظرية المعنى((ومن ثمَّ انطلقت جلّ تحليلاتهم للنص من تصوير الموقف الذي أُطلقَ فيه النَّص أو ارتُجِل فيه، حتىَّ يتيسّر لتلاميذهم الوقوف، على مجمل الملابسات والدَّواعي التي رافقت عملية التعبير وأسهمت في توجيهها واختيار الصيغة الملائمة لها، وتظهر المؤشرات الأولى التي تنبَّه لدور السياق في فهم النصّ، وتحليل الوظائف اللغوية المكونة لنسجه وبنيته))[4].

وعليه يمكن القول ((إن البلاغيين عند اعترافهم بفكرة "المقام" كانوا متقدِّمين ألف سنة تقريبا عل زمانهم؛ لأنَّ هذه الفكرة بوصفها من أسس تحليل المعنى، تُعَدُّ الآن في العالم الغربي من الكشوف التي جاءت نتيجة

---

[1] ينظر: أبو هلال العسكري، **الفروق اللغوية**، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم، القاهرة، دط، دت ، ص130..

[2] ينظر: أحمد حساني، **مباحث في اللسانيات–مبحث صوتي وتركيبي ودلالي**–، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 1434هـ/2013م، ، ص287.

[3] **ينظر**: رشيد بالحبيب، "**أثر العناصر غير اللغوية في صناعة المعنى**"، ص8-9.

[4] صاحب أبو جناح ، **دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها**، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 1419هـ/1998م، ص213.

لمغامرات العقل المعاصر في دِراسة اللغة، ولم يكن **جون فيرث(John Firth)** وهما يَصوغُ مصطلح المكوّن الاجتماعي، يعْلَمُ أنَّه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو يزيد؛ لأن الذين عرفوا هذا المفهوم قبله سجَّلوه في كتبهم تحت مصطلح "المقام"))[1]، ثم تعاملوا بهذا المصطلح وفق طريقة ما كانت لتُمَكِّن من تأسيس نظرية متكاملة المعالم في الدَّرس اللغوي القديم تَضْمَنُ حضوره في مختلف البيئات اللغوية الحديثة[2]، فكانوا ودون دراية منهم، سابقي العلم الحديث في التأسيس والتنظير لمثل هذه الفكرة رغم اختلاف المصطلحات في ذلك.

كما برز المقام عند **عبد القاهر الجرجاني**، في أكثر من موضع، ولاسيما عند إيراده لخبر ما أو قصة ما، فالمقام عنده له أهمية بالغة في نظرية نقل المعنى، و طرق التعبير عنه بما يكفل تحقيق الإفهام، بل إنه في حال إهماله، وعدم الالتفات إليه؛ فإنه قد يقلب المعنى رأسا على عقب[3].

إنَّ سياق الموقف عند **فيرث** هو النوع الثاني من أنواع السياقات، وقد بيَّن تلميذه" **أولمان**"، ببيان الدور الذي يقوم به السياق الذي قال: قد تقوم الكلمة الواحدة في الحالات القصوى مقام النطق الكامل كما في الصيحة "حريق"، وفي هذه الحالة تقوم الحركات الجسمية والتنغيم والموقف جميعه بإمدادنا بالأدلة اللازمة للفهم[4]، فالمعنى السياقي ما يوضحه الحال ، وسياق الحال استعماله يكون استعمال فني، أي باعتبار الأقوال والأشخاص والأفعال، أما المعنى المقامي، معنى يُفهم من الموقف الخارجي الذي قيل فيه الخطاب أو من القرائن الخارجية مثل الزمان والمكان..

عند فهم أي نص لغوي، يتوقف على معرفتنا اللغوية، وتفسيرها للألفاظ ودلالتها اللغوية الظاهرة بينما يتوقف فهمنا لمعنى نص آخر على إدراك ما يكتنفه، من ظروف وملابسات ومراعاة هذه الظروف والملابسات ضرورية في فهم النص، وإن الاكتفاء بالمعنى الحرفي أو ظاهر النص يقودنا إلى تقصير في المعنى، والملابسات والظروف هي "المقام"، ويتكون المقام من مجموعة عناصر تتلخص في:[5]

– شخصية المتكلم والسامع وتكونها الثقافي وشخصية من يشهد الكلام غير المتكلم والسامع، وبيان ما لذلك من علاقة بالسلوك اللغوي، ودورهم يقتصر على الشهود، لم يشاركون من آن لآن بالكلام.

---

[1] محمد صالح سالم، **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التواصل إلى المعنى**، ص27.

[2] ينظر: **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التواصل إلى المعنى**، المرجع نفسه، ص12-13.

[3] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص18.

[4] ينظر: ستيفن أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص45.

[5] محمد داود محمد داود و وإكرام زين العابدين الطيب، **سياق المقام وأثره في توجيه دلالة النص"دراسة تطبيقية في تفسير القرآن الكريم**، "مجلة العلوم والبحوث الإسلامية"، ع6، فبراير2013م، ص4-5.

– العوامل والظواهر الاجتماعية ذات العلاقة باللغة لمن يشارك في الموقف الكلامي كحالة(الجو)، إن كان لها دخل، أو الوضع السياسي، أو مكان الكلام...إلخ، وكل ما يطرأ أثناء الكلام ومن يشهد الموقف الكلامي أيّاً كانت درجة تعلقه.

– مجال الحديث: تختلف الأنماط اللغوية باختلاف الموضوعات التي تدور حولها وتعبر عنها، من أدبية أو سياسية، أو اجتماعية.

– أثر النص الكلامي في المشتركين، كالإقناع.

– الزمان والمكان: معرفة الزمان والمكان اللذين ورد فيهما الحدث اللغوي عنصر مهم للوقوف على الدلالة، فالبلاد العربية، بالرغم من أنها تتحدث لغة مشتركة إلا أنها تختلف في كثير من معاني المفردات عند استعمالها وذلك نحو لفظ"الجامعة"في تونس بمعنى الرابطة أو النقابة العمالية، وبمعنى المحاسب في العراق، ولأهمية المكان لو قال شخص سوداني لشخص آخر وهما خارج ولاية الخرطوم إلى أين تذهب؟ فيجيب إلى الخرطوم فالمقصود الخرطوم العاصمة، وإذا كان في داخل ولاية الخرطوم أي من أم درمان أو من بحري فسيكون المعنى المقصود الخرطوم المحلية وبذلك يتغير المعنى.

– حركات الشخوص وسلوكها والإشارات والإيماءات: وفي هذا المقام ينبغي ألا نهمل حركات وإيماءات الأشخاص وعزل الكلام عن الموقف الحي لكي يحيله إلى شيء مشوه، وهناك الكثير من الأمثلة التي توضح دور المقام في تحديد المعنى المقصود فقد يتحدث المتحدث بكلمة ما بطريقة ما، أو معينة بفهم منها عكس ما ينص عليه المعجم من معانٍ لهذه الكلمة كأن يقول الأستاذ لتلميذه وهو يبتسم، أنت طالب مجتهد، وقد عُرِفَ عن هذا التلميذ بين زملائه بالكسل والخمول.

إذن يشمل المقام مجموعة من العناصر التواصلية؛ من مرسل ومتلقٍ ورسالة، والشروط والملابسات الخارجية الأخرى، بحيث يتسع المقام ليشمل مجموع الشروط الخارجية المحيطة بعملية إنتاج الخطاب شفويا كان أم كتابيا.

إن هذه العناصر الأساسية لسياق الموقف أقرب ما تكون للمقام الذي عند البلاغيين العرب فهو شاملٌ لظروف أداء المقال وقرائنه الحالية، وبين أقدار السامعين، يقول **"الجاحظ"**:((أنه ينبغي للمتكلم أن **يعرف أقدار المعاني** ويوازن بينها وبين **أقدار المستمعين** وبين **أقدار الحالات**، فيجعل لكل طبقة منهم كلاما يخصهم به حتى يُقسِّمَ بالتساوي **أقدار الكلام** على أقدار المعاني ويقسم المعاني على **أقدار المقامات**، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك **الحالات**))[1]، فلنتأمل هذا القول الموجز والدقيق الذي أبرز فيه ابن المعتمر أن الكلام "أقدار"؛ أي درجات

[1] أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص138-139.

متنوّعة وكميات محدّدة، وفي الوقت نفسه مختلفة؛ أي ليست على نمط واحد، وتتحدّد طبيعة هذه الأقدار لدى البلاغيين انطلاقا من مجموعة من المعطيات منها:

-أقدار المعاني: فالمعاني التي يعبّر عنها المتكلّم أنماط، تتنوّع بحسب طبيعة الموضوع المعبّر عنه، ولذا لا بد للمخاطِب أن يصيب المعنى الذي يلائم المقصد الذي يبتغيه، وأن يمتلك القدرة التي تمكنه من التعبير عن مراده بما يقتضيه هذا القصد، وفي ذلك يقول **ابن سنان**:((ومن وَضْع الألفاظ المعروفة للمدح بل يستعمل في جميع الأغراض الألفاظ اللائقة بذلك الغرض في موضعها أن لا تعبر عن المدح بالألفاظ المستعملة في الذم ولا في الذم موضع الجد ألفاظه وفي موضع الهزل ألفاظه))[1]، ولكن يجب مع هذه الألفاظ أن:((يكونَ معناك ظاهرا مكشوفا وقريبا معروفا، إما عند الخاصة إن كنت للخاصة قصدت، وإما عند العامة إن كنت للعامة أردت))[2]، فمهما تنوَّعت هذه الأنماط يجب أن تتسم بالوضوح حتى يتمكن منها المخاطَب.

ولما كانت المعاني غير محدَّدة تنوَّعت أنماط التعبير عنها؛ ولكن كل نوع حدَّد له البلاغيون نمطا كلاميا مضبوطا، قد نوضّح ذلك مع "**العسكري**" الذي يقول:((واعلم أن المعانيَ التي تُنْشَأُ الكُتَبُ فيها من الأمْرِ والنَّهْي سبيلُها أن تُؤَكَّدَ غايةَ التوكيد بجهةِ كيفيةِ نَظْمِ الكلام، لا بجهةِ كَثْرَةِ اللَّفْظِ(...)، وسبيلُ ما يُكْتَبُ به في بابِ الشكر أن لا يقع فيه إسهابٌ؛ فإن إسهابَ التابع في الشكر إذا رجع إلى خصوصية نوعٌ من الإبرام والتثقيل(...) وسبيل ما يكتب به التابع إلى المتبوع في معنى الاستعطاف ومسألة النظراء أن لا يكثر من شكاية الحال ورقتها واستلاء الخصاصة عليها(...)وسبيل ما يكتب به في الاعتذار من شيء أن يتجنب فيه الإطناب والإسهاب إلى إيراد النكت التي يتوهم أنها مقنعة في إزالة الموحدة))[3]، وفي كل ذلك دليل على تنوع أشكال الكلام بحسب طبيعة المعاني التي نريد التعبير عنها.

-أقدار المستمعين: في ذلك إشارة كذلك إلى أن المتلقِّين ليسوا على مستوى واحد؛ بل الناس طبقات، ولذا يقول "**الجاحظ**":((((لا ينبغي أن يكون اللفظُ عامّيّا وساقطا سُوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلِّم بدويا أعرابيًّا(...) وكلامُ الناس في طبقاتٍ كما أنَّ النَّاس أنفسَهم في طبقات))[4]. هنا يدعو الجاحظ إلى وجوب تخير الألفاظ المناسبة، فلقد ربط الجاحظ بين تخير اللفظ وأحوال الناس، فكل طبقة من الناس

[1] ا بن سنان الخفاجي الحلبي، **سر الفصاحة**، ص161.

[2] **الجاحظ، البيان والتبيين**، ج1، ص136.

[3] العسكري، **الصناعتين**، ص157-158.

[4] الجاحظ، **البيان والتبيين**،ج1، ص144.

لها ألفاظها الخاصة، فالبدو لهم ألفاظهم وعامة الناس لهم ألفاظهم الخاصة بهم، ولهذا فعلى المتكلم أن يراعي هذه الفوارق، إذن فمعرفة هذه الأقدار هي التي تجعل المتكلِّم يكيِّف كلامه بحسب طبيعة المتلقي، فطبيعة المتلقي تفرض على المتكلِّم نوعا مضبوطا من الكلام، حيث سينوّع فيه بحسب من يكلِّمه.

-أقدار الكلام: فلا يجري الكلام على طريقة واحدة؛ بل تتعدّد أشكاله وأنماطه التعبيرية، وقد أبرز البلاغيون ذلك، وبيَّنوا أن هناك"كلام السوقة"، و"كلام البدو"، و"كلام الحضرة"، و"كلام الحكَّام" وغيرها من الأصناف الكلامية التي تتنوَّع بحسب طبقات المتلقين، وكفاءاتهم التداولية، باعتبار((أن الوحشيّ من الكلام يفهمه الوحشيّ من الناس، كما يفهَمُ السُّوقي رِطَانَة السوقيّ))[1] وأيضا:((لا ينبغي أن يكون اللفظُ عامّيّا وساقطا سُوقيا، فكذلك لا ينبغي أن يكون غريبا وحشيًّا، إلا أن يكون المتكلِّم بدويا أعرابيًّا(...) وكلامُ الناس في طبقاتٍ كما أنَّ النَّاس أنفسَهم في طبقات))[2]، ولذلك تنوَّعت صفات الكلام فيقول "الجاحظ":((فمن الكلام الجَزلُ والسَّخيف، والمليحُ والحسن، والقبيح، والسَّمجُ، والخفيفُ والثقيل؛ وكلُّه عربيّ))[3]، فالجاحظ يؤكد على أن الكلام يتنوع حسب أحوال الناس وطبقاتهم، وذلك من حيث الأسلوب وطبيعة المفردات المستعملة والخصائص الصوتية من خفة وثقل، ويقول أيضا ((أن سخيفَ الألفاظ مشاكلٌ لسخيف المعاني، وقد يُحتاج إلى السَّخيف في بعض المواضع))[4]، وكل ذلك مرتبط بالمتكلِّم؛ فلا بد أن ينوَّع في أنماط أقواله بحسب نوعية مخاطبيه، وعلى هذا الأساس كانت البلاغة درجات بحيث تستدعي من المتكلم التنويع في أصناف الكلام بحسب طبيعة المخاطَب والمقام الذي ينشأ فيه الكلام، فالسياق هو الذي يعطي المدلولات من جانب، وهو الذي يعطي الشكل التركيبي للعبارة، بحيث يكون هناك تفاعل أكيد بينهما، وكلما أتيح لنا رصد السياقات التي تحيط بعملية الإبداع كلما استطعنا فهم الكثير من العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام، وهو سياق الموقف في الدرس الحديث[5].

أمَّا "**فندريس**" فآمن بفاعلية السياق وأهميته في بعض القضايا الدلالية فأومأ إليه في أكثر من موضع، ومن قبيل ذلك قوله: ((الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها، إنما هو السياق،(...)، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة يعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، وهو أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة

[1] **السابق**، ج1، ص144.

[2] **نفسه** ، ج1، ص144..

[3] نفسه ، ج1، ص144.

[4] نفسه، ج1، ص145.

[5] ينظر: سامية بن يامنة، **سياق الحال، في الفعل الكلامي**، ص72.

"حضورية"))[1]، فدراسة معاني الكلمات تتطلب تحليلا للسياقات والمواقف التي ترد فيها والمعنى الكلمة يتعدد تبعا لتعدد السياقات التي ترد فيها.

ومن هذا التقارب بينهم فسياق الحال أو المقام يرتكز على الوقوف على المعنى وتحديد الكلمات، وإفادة التخصيص، ودفع توهم الحصر، وردِّ المفهوم الخاطئ فهو يضمن سلامة المعنى وتحقق الفائدة.

كما عد الباحث **"عبد الملك مرتاض"** مصطلح مقتضى الحال عند **السكاكي** يكافئ دلاليا في اللسانيات الحديثة مصطلح تداولية اللغة يقول : ((ونلاحظ أن مفهوم "السياق" البلاغي تتنازعه نزعتان اثنتان إحداهما "المرجع" وإحداهما الأخرى" تداولية اللغة" أو ما في حكمه، أو ما يطلق عليه أبو يعقوب يوسف بن أبي بكر محمد بن عليّ السكاكيّ "المتوفي سنة 626هـ" : "مقتضى الحال"))[2]، ففكرة مقتضى الحال والمقام أو السياق عموما، بما يضمنه من صفات للمتكلم وعاداته ومقاصده وإشارته الجسمية، وكذا السامع وصفاته وعاداته ومستواه والزمان والمكان...، ذات أبعاد تداولية بارزة تظهر من خلال إسهامها في تحديد دلالة الفعل الكلامي الإنجازي المباشر وغير المباشر وفهمها، وهو ما أكده **جون أوستن** بقوله: إنَّ مسألة الأغراض والمقاصد في التَّلفظ بالعبارة وما يحتف بها من سياق قرائن الأحوال، هي مسألة لها خطرها وشأنها[3].

فعلى المتكلم أثناء تعبيره عن قصده، مراعاة قرائن الأحوال ومقامات وإصدار كلامه بحسب المقتضى كي يضمن لقصده الوصول، وتحقيق الفائدة لدى السامع؛ لأن السامع يستمد من المقام وقرائن الأحوال لكشف المعنى المقصود من الكلام، وذلك في عملية عكسية يقوم بها، يكون للسياق فيها دور فعال في توجيهه لمقاصد المتكلم من خطابه.

وهذا ما تؤكده اللسانيات التداولية فهذا **"أوستن"** يرى أن ما نستعمله من الألفاظ ينبغي أن نرجع في بيان معانيها ولغاية تأويلها إلى سياق الكلام ومقتضى الحال الذي وقع فيه تبادل التخاطب اللساني أو وروده فيه على وجه مخصوص هذا بالنسبة للمتكلم، أمَّا السامع فينطلق من عكس العملية حيث تكون دلالة المقال على ضوء المقام، كاشفة لقصد القائل المتكلم فكل متكلم باللغة إنَّما يهدف بكلامه إلى التعبير عن قصده مراعيا في ذلك

---

[1] فندريس، **اللغة**، ص231.

[2] عبد الملك مرتاض، **نظرية البلاغة** ، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010م، ص166.

[3] ينظر: جون أوستين، **نظرية أفعال الكلام، العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام**، تر: عبد القادر قنيني، دار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1991م، ص63-65.

مقامات الكلام وسياقاته، فينطلق المتكلم منشئ الخطاب من المعنى إلى المبنى وينطلق المتلقي للخطاب السامع من المبنى إلى المعنى ويرتكز الظرفان ضمان لنجاعة التواصل بينهما على معطيات السياق المقالي والمقامي[1].

ولم يفت "**السكاكي**" تأكيد هذه الفكرة بكل أبعادها حيث نجده في عبارة"لكل مقام مقال" يبين لنا دور السياق بنوعيه وبخاصة مقتضى الحال، في كشف مقاصد المتكلمين وتأطيرها أثناء الإنجاز اللغوي، ولهذا دور السياق في تحقيق الإفادة لدى السامع منطلقا من معطيات علم النحو ليصل إلى المعاني الثانوية ودلالاتها الضمنية.

ويصب هذا في صميم التداولية ويكشف عن أوضاع لسانية مرتبطة بالصياغة اللغوية ومنها ما يرتبط بالمتكلم ومقاصده، ومنها ما يرتبط بالسامع وأحواله والفائدة التي سيجنيها الخطاب، ونجد ذلك عند "**السكاكي**" ، حيث يميز بين مقامات الكلام وتدل في الأغلب على الأغراض والمقاصد التي يساق لها الكلام، يقول إذ: ((لا يخفى عليك أن مقامات الكلام متفاوتة التشكر يباين "مقام الشكاية" و"مقام التهنئة" يباين "مقام التعزية"و"مقام المدح" يباين "مقام الذم" و"مقام الترغيب" يباين "مقام الترهيب" و"مقام الجد" في جميع ذلك يباين "مقام الهزل"))[2]، فالوظيفة التداولية لعلم المعاني تختص ببناء الحدث اللغوي من خلال اختيار التركيب المناسب والمقام، واختيار قوانين النحو الملائمة وتنظيم المحتوى بطريقة التنسيق ضمن عملية الاتصال اللغوي بأعمالها.

كما يتجلى السياق عند "**الجرجاني**" بالاعتماد على ظاهرة اللفظ وحده لاستخلاص المعنى، والدلالة فيه لا تحصل بمعرفة المعاني المعجمية للألفاظ، بل المعنى هو الدلالة الثانية في العموم، يقول "**الجرجاني**": ((:((الكلام إلى ضربين "ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده، وذلك إذا قصدت أن تخبر عن زيد مثلا بالخروج على الحقيقة فقلت "خرج زيد" وبالانطلاق عن عمرو فقلت "عمرو منطلق" وهذا القياس، وضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللفظ وحده ولكن يدلك اللفظ على معناه الذي يقتضيه موضوعه في اللغة، ثم تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض، ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتمثيل))[3].

فيدلنا "**عبد القاهر**" فيما تقدم إلى أن الصور البيانية تشغل اشتغالا دلائليا، حيث نجد علامة أولية هي المعنى الحقيقي "الأولي"، ثم يقضي هذه العلامة الأولية إلى علامة ثانية هي المقصودة من هذه الصورة؛ حيث قد تفطن **عبد القاهر** لهذه العملية في القرن الخامس للهجرة، فالمعاني متشابكة ومفضية لعلامات مجاورة في الصور البيانية، عكس اللفظ الذي يدل في الحقيقة على معناه المباشر، إذ يواصل مفصلا ما تقدم بقوله:((وإذا عرفت

[1] ينظر: جون أوستين، **نظرية أفعال الكلام، العامة "كيف ننجز الأشياء بالكلام**، ص41 وما بعدها.

[2] السكاكي، **المفتاح** ، ج1، ص168.

[3] الجرجاني، **الدلائل** ، ص262-263.

هذه الجملة فهنا عبارة مختصرة، وهي أن تقول "المعنى" و"معنى المعنى" ، تعني بالمفهومَ من ظاهر اللفظ، والذي تصل إليه بواسطة، و"معنى المعنى" أن تعقل من اللَّفظ معنًى ثم يقضى بك ذلك المعنى إلى معنى آخر، كالذي فسَّرت لك))[1]، فعمل الصور البيانية هو نشاط عقلي محض، نربط فيه الدلالة المجازية انطلاقا من الدلالة الحقيقية حتى نكشف المعنى ونستجليه، فلما نكون بصدد اكتشاف نشاط الصور البيانية نجدها تتراوح بين البساطة والتعقيد إلى حد التعتيم، كالمجازات صعبة التصنيف والفهم والتفسير؛ لأن الصور تتداخل فيها بكثافة، كما فصَّل عبد القاهر عمل العناصر البيانية بمقارنتها ببعضها البعض حتى لا تلتبس بل لتحتكم إلى التفسير العقلي، فالدلالة المجاز تختلف في فهمها عن الدلالة الحقيقية، والتي تعتبر سندا لكشف دلالة المجاز.

كما ساق "**عبد القاهر**" أمثلة عديدة حول قضية "**معنى المعنى**" فقال:((مثال ذلك قولهم: "هو طويلُ النَّجاد"، يريدون طويل القامة، "وكثيرُ رَمادِ القِدْر"، يَعنون كثيرَ القرى، وفي المرأة: "نَؤُوم الضُّحَى"، والمراد أنها مُتْرَفةٌ مخدومة لها من يكفيها أمرها، فقد أرادوا في هذا، كله كما ترى معنى ثم لم يذكروه بلفظه الخاص به، ولكنهم توصَّلوا إليه بذكر معنى آخر من شأنه أنْ يَرْدَفَه في الوجود، وأن يكون إذا كان، أفلا ترى أنَّ القامة إذا طالت طال النِّجاد، وإذا كثر القرى كثر رماد القدر؟، وإذا كانت المرأة مُتْرَفةً لها من يكفيها أمرها، رَدِفَ ذلك أن تنام إلى الضحى؟))[2]، فليس لمن لا يفقه العربية في أسلوبها الحقيقي من سبيل إلى المعنى المجازي؛ لأن المجاز يعتمد على دلالات علامات متناصة، علامة أولية هي معنى الحقيقة، ثم يؤدي بنا هذا الفهم الأولي إلى الفهم الثاني الذي هو المقصود من الكلام، أي ما يدل على وجود تفكير دلائلي بلاغي عند عبد القاهر الذي أدرك أن للبيان معنى يختلف عن المعاني في العلوم المجاورة، كما يجب أن يتعامل مع البيان بتوصيف خاص حتى لا يستعصي الاستعمال المجزي عن الفهم، وبذلك يكون الجرجاني قد أعطى للمعنى قيمة في اللغة، وبذلك بالنظر إلى أن اللغة تذوب فيها ثنائية(اللفظ والمعنى)، وهذا ما سعى إلى تكريسه في نظرية "النظم" التي أقامها فيكفيه جهدا أن أعاد للمعنى مكانته في الدرس اللغوي الحديث، أي أن القضية تكمن في تجسيد اللغة حتى تصبح دلالتها تتجاوز ظاهرة اللفظ، وهنا يصبح فهم اللغة في سياقها وما يعنيه مستعملوها بها ألفاظ وتراكيب.

نلمح من هذا كله أنَّ عبد القاهر الجرجاني الذي أسس لنظرية "النظم" يكون قد سبق الغربيين بقرون إلى وضع أسس **النظرية السياقية** أي "في علم الدلالة ومبادئه، ولا تزال نظريته –النظم–هذه مرجعا أساسيا في الدِّراسات اللسانية الحديثة بصفة عامة، والدَّلالية المعاصرة بصفة خاصة.

---

[1] **السابق**، ص263.

[2] **نفسه**، ص66.

ونجد هذه الفكرة تتجسد عند **"فندريس"** ((الذي يعين قيمة الكلمة في كل الحالات التي ناقشناها، إنما هو السياق،(...)، والسياق هو الذي يفرض قيمة واحدة بعينها على الكلمة، بالرغم من المعاني المتنوعة التي في وسعها أن تدل عليها، وهو أيضا هو الذي يخلص الكلمة من الدلالات الماضية التي تدعها الذاكرة تتراكم عليها، وهو الذي يخلق لها قيمة "حضورية"))[1].

ويقول **"بيار غيرو"** في هذا الصدد: فليس للكلمات معنا إنما استعمالات شتى، إن المعنى كما يصلنا في الخطاب، يخضع لعلاقات الكلمة مع غيرها من الكلمات المتواجدة ضمن السياق ذاته[2]، ونبه إلى قوة السياق في إضاءة النَّص بما يحقق القصد عند وجود تعدد دلالي لأحد الألفاظ، وفي الواقع يتم رفع التباس الإشارة متعددة المعنى عن طريق السياق، فالإشارة ضمن الرسالة ليس لها غير معنى واحد.

إنَّ **"السكاكي"** في دراسته لقانوني الخبر* والطلب** في علم المعاني قرر أن **فعل الإخبار** الذي ((يحتمل الصدقَ والكذبَ لذاته، بحيث يصح أن يقال لقائله إنَّه صادقٌ أو كاذبٌ، سمِّي كلاما خبريا، والمراد بالصادق ما طابقت نسبةُ الكلامَ فيه الواقع، وبالكاذب ما لم تطابق نسبة الكلامَ فيه الواقع))[3] ، وله أشكال كثيرة ذكرها البلاغيون، منها التوكيد الذي هو: ((تمكين الشيء في النفس وتقوية أمره، وفائدته إزالة الشكوك وإماطة الشبهات عما أنت بصدَدِه، وهو دقيق المأخذ، كثير الفوائد))[4]، ويكون: إنَّ، والقسم، ونونا التوكيد، ولام الابتداء،. وغيرها.[5]، أو **الطلب** الذي هو الإنشاء ((يعني الابتداء أو الخلق أو الابتداع[6]، وهو نوعان[7]: طلبي وغير طلبي، أما الطلبي فهو:

---

[1] فندريس، **اللغة**، ص231.

[2] ينظر: بيير غيرو، **علم الدلالة**، تر: انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت–باريس، ط1، 1986م، ص49 وما بعدها.

[*] **الخبر**: هي وحدة تامة وفردية للتواصل عبر العلامة، وينتج الخبر مرسل، يتوجه به الى المتلقي، فهو ينتمي إلى كل الأنظمة السيميائية، ذات وظائف التواصل، وهي مجموعة من العلامات تخضع في تعاملها إلى قوانين مضبوطة(، سعيد علوش، **معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة**، ص80).

[**] لاستزادة والتوضيح أكثر بخصوص **الأساليب الطلبية**، ينظر: صبيحة حسن طعيس، **الدلالات التداولية للجملة الطلبية في قصيدة "لا تصالح" – للشاعر أمل دنقل–**، مجلة سياقات "contexts "، العراق، مج 3، ع1، 2018م، ص492.

[3] عبد السلام هارون، **الأساليب في النحو العربي**، دار الجبل، بيرون، ط2، 1979م، ص13، و ناصر هادي ناصر الحلو ، **مفهوم الخبر ودلالته بين اللغويين والنحويين والبلاغيين والأصوليين**، جامعة الكوفة، كلية الفقه، دط، دت، ص9.

[4] يحي بن حمزة العلويّ، **لطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز**، ص94.

[5] ينظر: عبد عزيز عتيق، **علم المعاني** ، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ط1، 1430هـ/2009م، ص55.

[6] ينظر: ابن منظور، **لسان العرب**، ماة(نشأ)، ص4418–4420.

[7] ينظر: الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج3، ص51، وينظر: السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، تح: يوسف الصميلي، المكتبة العصرية، صيدا–بيروت، 1999م، ص70.

ما يستدعي مطلوبا غير حاصل [1] وقت الطلب لامتناع تحصيل الحاصل، وأما غير الطلبي فهو ما لا يستدعي مطلوبا غير حاصل وقت الطلب، وقد أطلق السكاكي على الإنشاء مصطلح الطلب[2]، فجعله قسيما للخبر، ولا فرق بين مصطلح الطلب عند السكاكي، وبين مصطلح الإنشاء عند لاحقيه إلا في التسمية، إذ يقول: ((والطلب إذا تأملت نوعان نوع لا يستدعي في مطلوبه إمكان الحصول ونوع يستدعي فيه إمكان الحصول))[3]، فلقد قسم السكاكي الطلب إلى قسمين كبيرين:[4]

-قسم يكون لطلب حصول في الذهن، ويتمثل في الاستفهام.

2-قسم يكون لطلب حصول في الخارج، ويشمل الأمر والنهي والنداء.

فقسم طلب الحصول في الخارج إلى :[5]

-طلب ثبوت تصور في الخارج. -وطلب انتفاء تصوّر.

وهو يعني الأول الأمر والنداء، ويعني بالثاني النهي، كما قسم نوع الاستفهام إلى أربعة أقسام:[6]

-طلب حصول تصور. —وطلب حصول تصديق.

—وطلب انتفاء تصور -وطلب انتفاء تصديق.

أنهما كل من"الخبري والطلبي" يتضمنا إنجازا لجمل ذات مقاصد وأغراض تواصلية عديدة وتفيد إنجاز أفعال كلامية مباشرة إذا تم فرق أحد شروط إجرائها، هل أصل الاستعمال ومحدد المعنى الذي يضمن سلامة وصول القصد والمعنى للمخاطب/السامع، هو السياق أو المقام بصورة عامة؟، وبذلك فالمقام له دور كبير في تحديد أغراض الخبر والطلب إذا كانت تفيد القصد الحقيق أم لا : فمتى امتنع إجراء هذه الأبواب على الأصل تولد منها ما يناسب المقام[7]، وتنعكس في شكل الخطاب وبنيته، وهذه خلاصة ما توصل إليه **جون أوستن** في دراسة الخبر والإنشاء بفرعيه، وتوصله إلى كون الأفعال المباشرة ذات أبعاد اجتماعية تصدر عن مؤسسة بشرية تحكمها أغراض

---

[1] ينظر: الخطيب القزويني، **الإيضاح في علوم البلاغة**، ج3، ص52، وينظر: عبد السلام هارون ، **الأساليب الإنشائية في النحو العربي**، ص13.

[2] السيد أحمد الهاشمي، **جواهر البلاغة**، ص69. و محمد أحمد قاسم، الدكتور محيي الدين ديب، **علوم البلاغة «البديع والبيان والمعاني»**، المؤسسة الحديثة للكتاب، طرابلس – لبنان، ط1، 2003 م، ص310.

[3] السكاكي، **المفتاح** ، ج1، ص302.

[4] خالد ميلاد، **الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة"دراسة نحوية تداولية"**، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 1421هـ/2001م، ص332.

[5] **نفسه**، ص332.

[6] **نفسه**، ص332-333.

[7] ينظر: السكاكي، **المفتاح** ،ج1، ص416 وما بعدها.

محددة، فالجمل بما تحويه من أفعال تعبِّر عن قصد المتكلمين بها وتضم دلائل ومؤشرات على تلك الأفعال تتباين مدى إنجازاتها المباشرة أثناء استنادها إلى السياق ويلجأ المتلقي للخطاب إلى استدلالات عقلية مرتبة به تمكنه من التأويل الصحيح لقصد المتكلم والفهم الدقيق لمعانيه وأغراضه فهناك معان مضمرة يصعب الكشف عن مقاصدها إلا من خلال التأويل الذي يستند إلى السياق العام الداخلي والخارجي.

وخلاصة القول

إنَّ تعرض البلاغيين العرب للسياق بنوعيه وتحليلهم له في إطار معالجتهم لفكرة (لكل مقام مقال)، وجدوا أنهم سبَّاقون في ذلك الدرس الأوربي بزمن كبير، ولقد كان علماء البلاغة عند إشرافهم بفكرة المقام متقدمين ألف سنة تقريبا على زمانهم؛ لأن الاعتراف بفكرتي المقال والمقام باعتبارهم أساسين متميزين من أسس تحليل المعنى، يعتبر الآن من الكشوف التي جاءت نتيجة لمغامرات العقل المعاصر في دراسة اللغة، وهو ما ساهم في إثراء البلاغة العربية بمظاهر لسانية من خلالها اللغة أثناء الاستعمال مما جعلها تتقاطع مع الدرس اللساني الحديث ألا وهي "التداولية"، في مباحث عديدة.

ثانيا– العلاقات الموقفية والبلاغة العربية:

فالعلاقة الأفقية هي علاقات نظمية، فـ((هي التي تربط بين المفردات في المحور النظمي تختلف باختلاف الألسن، وقد أصبحت هذه النظرية أساسا للصور البلاغية الأكثر تداولا في اللغة الأدبية، فجعل قطبي هذه الثنائية أساسا لمعظم دراساته الأدبية(الشعرية منها والنثرية) لدرجة أنه استعمل المحور النظمي المرادف للمجاز المرسل، والمحور الاستبدالي كمرادف للاستعارة))[1]، ومثال ذلك: قام بواجبه، شجرة باسقة، كتاب قيم، وعلى هذه فالعلاقة بين (قام)و(واجب)أفقية، وكذلك بين(شجرة) و(باسقة)، وبين (كتاب) و(قيم).

فـ((حين قال البلاغيون "لكل مقام مقال" و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام" فقد وقعوا بذلك على عبارتين من جوامع الكلم، تصدقان على المعنى في كل اللغات لا في العربية الفصحى فقط، وتصلحان للتطبيق في إطار كل الثقافات على حد سواء))[2]، ولم يكن **جون فيرث** (**John Firth**) وهو يصوغ مصطلح العلاقات الموقفية (Situational relations) يعلم أنه مسبوق إلى مفهوم هذا المصطلح بألف سنة أو ما فوقها، وذلك أنَّ مفهوم هذا المصطلح إنَّما حملته فكرة المقام منذ زمن "**الجاحظ**" و"**ابن قتيبة**" و"**الجرجاني**" و"**السكاكي**"، فحين قال "**الجاحظ**": ((أنه ينبغي للمتكلم أن **يعرف أقدار المعاني**، ويوازن بينها وبين **أقدار المستمعين** وبين **أقدار الحالات**،

[1] لمسن بلبشير، "**الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة**"، ص17.

[2] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص372.

فيجعل لكل طبقة منهم كلاما يخصهم به حتى يُقسِّمَ بالتساوي **أقدار الكلام** على أقدار المعاني ويقسم المعاني على **أقدار المقامات**، وأقدارَ المستمعين على أقدار تلك **الحالات**))[1].

فكان من خلال عملية التطبيق (المطابقة) هذه يؤسس لنظرية كاملة في الاكتشاف والإبداع ذات صبغة علمية محضة، وذلك أنَّ اكتشاف المعاني والألفاظ اللائقة بها ، وتبليغها إلى المستمع مع اعتبار الظروف النفسية والاجتماعية المحيطة به، وكل الملابسات الخارجية للحدث الكلامي، تقرّبُها وبصفة عجيبة من بعض ما قاله العلماء المحْدَثونَ في مجال اللغويات المعاصرة، ومن هنا كانت الرؤية السياقية حاضرة بقوة في نظرية البيان عند **"الجاحظ"**، وقد اقترنت كما قلنا سابقا بالمكون اللغوي، والسياق الحال الذي أساسه المكون الاجتماعي؛ بحيث لا يفهم بيانه وموقفه من الوجهة اللسانية فقط دون النظر إلى الجانب الاجتماعي والثقافي[2].

وبالتالي لا يمكن اعتبار المطابقة اللغوية"مطابقة الكلام للمستمع ولمقتضى الحال عند الجاحظ"، في مقابل علاقات الموقف بالنص، إلا شكلا لفظيا مختلفا عن هذا المصطلح الحديث في التعبير موحّد في مجال اللغة، وأيضا حين اعتبر **"ابن قتيبة"** "مبدأ مطابقة الكلام لمقتضى الحال" عاملا أساسا من العوامل التي ينبغي للكاتب أن يأخذها بعين الاعتبار؛ لأن بها تتأتى بلاغة الكلام، وبواسطتها تتحقق غاية الإفهام ، بقوله: ((ونستحبُّ له أيضاً"الكتاب" أن يُنَزّل ألفاظه في كتبه فيجعلها على قدر الكاتب والمكتوب إليه، وأن لا يعطيَ خسيس الناس رفيع الكلام، ولا رفيع الناس وضيعَ الكلام؛ فإنّي رأيت الكُتَّاب قد تركوا تفقّد هذا من أنفسهم، وخلَّطُوا فيه(...)، وقال له أيضاً: " واجمع الكثير مما تريد في القليل مما تقول "، فهنا يريد الإيجاز، وهذا ليس بمحمود في كل موضع، ولا بمختار في كل كتاب، بل لكل مقام مقال))[3].

وعندما نظر **"الجرجاني"** في التراكيب اللغوية ودراستها في ارتباطها بالسياقات الكلامية المختلفة والأحوال التي تتعلق بها، ولما لخَّصَ **"السكاكي"** المعاني البلاغية، والتي يقصد بها ((هو تتبع خواص تراكيب الكلام في الإفادة وما يتصل بها من الاستحسان وغيره ليحترز بالوقوف عليها عن الخطأ في تطبيق الكلام على ما يقتضي

---

[1] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص138-139.

[2] ينظر:

-محمد الصغير بنائي، **النظريات اللسانية و البلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين**، ديوان المطبوعات الجامعية بن عكنون/الجزائر، ط12، 1994م، ص159.

- نور الدين بوزناشة، **الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي-دراسة تقابلية مقارنة-**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص: تعليمية اللغة العربية، من إشراف: خليفة بوجادي، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف2، 2016م، ص224.

[3] ابن قتيبة، **أدب الكاتب**، ص18-19.

الحال ذكره))[1]، ((فالمعاني البلاغية هي خواص التراكيب يعني التي يتصرف المتكلم في تأليفها، ويبدأ عند خروج الكلام عن مقتضى الوضع، ويمتد إلى ما لا نهاية له التي يكون للمتكلم يد في إخراجها على تلك الصورة ،، وقد لخص السكاكي المعاني البلاغية في التراكيب الخاصة الآتية:

-علاقة الكلام بالأسلوب.

- علاقة الكلام بالحال.

- علاقة الكلام بالزمان.

- علاقة الكلام بالأشخاص.

-علاقة الكلام بالسياق.

-علاقة الكلام بمقتضى الظاهر.

- الكلمات ببعضها البعض داخل الجملة...))[2].

وهكذا كان هؤلاء وغيرهم يؤسسون للفكرة التي تدور حولها **"النظرية السياقية"** في الوقت الحاضر، وبالتالي تعتبر فكرة "المقام" –في البلاغة العربية– التي قد حدّدت مسبقا ((الأساس الذي يَنْبني عليه الشِّق أو الوجه الاجتماعي من وجوه المعنى الثلاثة (الشق أو الوجه الوظيفي والوجه المعجمي والاجتماعي) وهو الوجه الذي يتمثل فيه العلاقات الموقفية والظروف الاجتماعية التي تسود ساعة أداء "المقال"))[3].

وحين اعتبر البلاغيون مخالفة ظاهر اللفظ معناه طريق البلغاء، إنما استندوا في تحديد المعنى المقصود إلى قرينة المقام وعلاقتها بالمقال؛ لأن البليغ وحده–حسب نظرهم–هو الذي يمكنه أن يدرك العلاقة بين المقام والمقال فيما إذا كان متلقيا، وأن يعقد هذه العلاقة فيما إذا كان متكلما، وعلى أساسها يتحدّد المعنى في هذه الحالة ((فالمقام أنَّ هذا باب الذّم لا من باب المدح ، ونحوه أن تقول ساخرا أو ذاما: "أنت أشعر من المتنبي" و"هو أجود من حاتم" و"أنت أنحى من سيبويه" فحقيقة المعنى مخالفة لظاهر اللفظ، والذي يبين ذلك المقام الذي تقال فيه العبارة))[4]، وبتالي يمكن أن نقول إنَّ كلّ هذه الإسهامات تشترك في البحث عن وسائل للنصوص بسياق الموقف الاتصالي الخاص بها، لتتعدى إسهامات أخرى حيث تشترط ضرورة تعلق المواقف المكونة في مجملها سياق الحال بعضها ببعض؛ لأنه من خلال إدراك العلاقة بين المواقف يتحدّد المعنى المقصود ، وفي ذلك يقول **السكاكي**: إذا

---

[1] السكاكي، **المفتاح** ،ج1، ص161.

[2] محمد الصغير بنائي، **المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة**، دار الحكمة، الجزائر، السداسي الأول، 2001م، ص48.

[3] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص337.

[4] فاضل صالح السامرائي ، **الجملة العربية والمعنى**، دار ابن حزم، ط1، 1421هـ/2000م، ص65-66.

سمع أحدهم قوله تعالى: ﴿**وَإِلَى السَّمَاء كَيْفَ رُفِعَتْ *18 وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ * 91وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ 20**﴾[الغاشية:18 -20]، لم يجد صعوبة في فهم أسباب تعلّق هذه الصور بعضها ببعض، إذا أخذ يفتش في خزانة صوره الذهنية[1]، أي إذا أخذ يبحث عن العلاقات المنطقية التي تربط هذه المواقف بعضها ببعض انطلاقا من المحيط الطبيعي والاجتماعي الذي تألفت فيه.

ويمكن أن نوضح أكثر بالمثال الآتي: "إذا قال أحدهم "السلام عليكم"، وكان ردّ فعل المتلقين هو "الضحك"، فإنَّه وبلا شك أنَّ الذي لم يدرك جميع مواقف المقام ولم يربط بينها، لن يفهم جواب المتلقين؛ لأن هذا الضَّحك هو الرَّد الذي إن لم يناسب المقال فقد ناسب المقام تماما، وذلك لأنَّ الأمر تعلَّق بطالبٍ عُرِف بشيء من الغفلة، وعدم مراعاة المواقف الاجتماعية، فبينما الأستاذ واقف بالمدرج يلقى المحاضرة على ما يقرب من مائتي طالب، يدخل ذلك الطالب المدرج متأخرا بحوالي ربع ساعة ويلقي التَّحية مادًا بها صوته "السلام عليكم"، فينجر الطلبة بالضَّحك وذلك أنهم تعوَّدوا من أستاذهم عدم الرِّضى عن التأخر عن الوقت المحدّد لبدْء المحاضرة، فعجبوا لموقف هذا الطالب في مثل هذه الحالة، وبالتالي فإنَّ ربط المواقف المشكلة لهذا المقام بعضها ببعض هي التي حدّدت جواب المتلقين جواب المتلقين بالدّرجة الأولى، فمن خلال إدراكهم لعناصر المقام الاجتماعي المتعالقة فيما بينهما والتي هي : تعوّد الخجل من التأخر، المتكلّم الذي لم يخجل، الأستاذ الذي صمت عند سماع العبارة"وهذا دليل على عدم رضاه"، الوقار الذي تظاهر به المتكلم، وأخيرا عبارة السلام عليكم نفسها، تمكنوا من أن يجيبوا بجواب إن لم يناسب المقال فقد ناسب المقام[2]، وبالتالي فإنَّ الحركة والإشارة، وتتابع الحوادث ومشاهدة الشخصيات، وإدراك السَّياق بشقيه اللغوي والاجتماعي عن طريق ربط مختلف مواقفه فيما بينها وفيما بين السياق اللغوي بواسطة علاقات موقفية، كل ذلك أدى إلى عقد علاقة وثيقة ومبررة بين"مقال" المتلقين و"موقف" المتكلم[3].

وعليه يمكن أن نقول ((أن العلاقات الموقفية حسب المصطلح الحديث، كانت مِنْ بين القضايا البلاغية التي شغلت بال البلاغيين، واحتلت كُتُبنا من كُتُبِ التراث اللغوي القديم، فكانت بذلك هذه الكتب سبَّاقة لطرح مفاهيم يعتقد في عصرنا الحالي ، أنها من وحي إلهام الحضارة والتطور العلمي الحديث))[4].

---

[1] ينظر: السكاكي، **المفتاح** ، ج1، ص256-257.

[2] ينظر: تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص345-346.

[3] ينظر: محمود السعران، **علم اللغة مقدمة للقارئ العربي**، ص238-256.

[4] نعيمة بن ترابو، **ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب–دراسة من منظور لساني**–، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العرب، من إشراف: عمار شلواي، جامعة محمد خضير –بسكرة، 1431هـ/2010م، ص113.

❖ **العلاقة الداخلية أو الشكلية المتعلقة بالنص(internal/formal relation**:

لقد تمَّت الإشارة في الفصل الأوَّل إلى أنَّ السياق اللغوي عند جون فيرث(John Firth) يطلق عليه عدة تسميات منها:[1]

-**السياق اللفظي**: وذلك لأنه يشمل" النظم اللفظي للكلمة وموقعها من ذلك النظم، أو لأنه يشمل ما يصاحب اللفظ مما يساعد على توضيح المعنى، فهو يراد به السياق اللفظي بما فيه من أصوات وصيغ صرفية ومقاطع ذات نغمة منبورة، وسلاسل فوق المقطعية، وقواعد تركيبية نحوية، وجمل منظومة بعضها إلى بعض بعلاقات متشابكة.

-السياق المقالي: وذلك لأنه يستفيد من عناصر مقالية داخل النص، إذ ينتج هذا النص، عن ترابط الأصوات فيما بينها لتوليد الكلمات، والكلمات فيما بينها لتشكيل الجمل، والجمل فيما بينها لتشكيل النص، وهو سياق لغوي صرف يتأسس على وفق طبيعة التركيب، أو التشكيل، أو المكون النحوي الذي ترد فيه المفردات حيث يعلق بعضها ببعض على وفق الأنظمة، والقواعد، والضوابط.

-**السياق الداخلي** للغة: وذلك لأنه يتطلب وجوب النظر إلى الكلام اللغوي وتحليله على المستويات اللغوية المختلفة الصوتية"الفونولوجية"، والصرفية"المورفولوجية"، والنحوية التركيبية، والمعجمية الدلالية .

– النص المساعد ، ويعرف النص المساعد للكلمة بأنه: مجموعة الكلمات الأخرى المستعملة في نفس العبارة أو الجملة، ولهذا النص المساعد حيث يحيط الكلام تأثير قوى على تفكيرنا في معنى الكلمة، وهذا يكون من خلال **الجملةPhrase**، فقد عرفت الجملة في اللسانيات بعدة تعريفات، توجد على الأقل خمسة أقسام من التعريفات المختلفة لهذا المفهوم الحدسي، نوجزها فيما يلي:[2]

-الجملة هي ملفوظ تام من منظور المعنى.

-هي وحدة لحنية بين وقفتين.

-هي مقطع من سلسلة منطوقة مستقل تركيبيا("شكل لساني مستقل غير مدمج لصالح بناء نحوي ما داخل شكل لساني أكبر"(بلومفيلد نقلا عن ميي)، بعبارة أخرى، فإن الجملة ("مُكوَّن ليس مكوَّنا لمكوَّن أكبر") هي الوحدة الأكبر في الوصف النحوي، إنها لا تدخل في قسم توزيعي، والاستبدال(commutation)ليس له معنى هنا،

[1] ينظر:

-جورج يول، **معرفة اللغة**، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، إسكندرية، 1999م، ص136.

-حلام الجيلالي، **من نظريات التحليل الدلالي في التراث العربي**، ص303.

[2]Georges Mounin,Dictionnaire de la Linguistique,p262.

مع أن هناك بالفعل رابطًا عمليًا (دلاليا، منطقيا) أكيدا بين الجمل: (j'ai déjà eu L'occasion de le dire Non!Il n'en est pas question)"لا! لا مجال لذلك، لقد كانت لدي الفرصة لقول ذلك"، لدينا في هذا الأفق ثلاث جمل متمايزة دون رابط نحوي(ما عدا الاستثناء –الهام نظريا–المنبثق عن الإحالات التي جرت من جملة لأخرى، هنا من خلال البدائل(en,le).

*–الجملة هي وحدة لسانية تتضمن مسندا إليه(sujet)، ومسندا(prédicat).

*–إنها ملفوظ ترتبط كل مكوناته بمسند أو محمول وحيد أو بمسندات متعددة مترابطة(مارتنيه).

تأخذ الكثير من الاستعمالات اللسانية الملفوظ، والجملة على أنهما مفردتان مترادفتان، ولكن من المفيد أن نقابل الجمل(وحدات اللغة) بالملفوظات (وحدات أو أمثلة الكلام).

فالسياق اللغوي تحكمه علاقات وضوابط داخلية، وبموجب هذه العلاقات تبدو اللغة في جملتها في صورة نظام متشابك تتوقف صلاحيتها على تكافل الأنظمة المكوَّنة له.[1]، في ((تحقيق التماسك بين مكونات الجملة الواحدة، على اعتبار أنَّه مقوِّم أساسي من مقوِّمات الجملة، إذ لا يمكن أن تبتنى الجملة دون وجود التَّماسك، وإذا لم يكن في النص تماسك فلن يكون من الممكن تسميته نصًّا))[2].

إلا أنَّ هذا التَّمسك لا يتحقق إلا بتوفّر نوعين من العلاقات الداخلية:

النوع الأوَّل: العلاقات الرّكنية syntagmatic relation: وهي((تتمثل في العلاقات الموجودة بين عناصر البنيةstructure "اللغوية" على مستويات مختلفة منها: (النحوية والصوتية)، وذلك كالعلاقة بين مفردة شكلية وأخرى في جملة ما، أو في تتابع معيَّنcollocation ، أو العلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية، أو العلاقات بين الوحدات الفونولوجية" الصوتية"))[3]، ويشير إلى ذلك **تمام حسان** في شرحه لمفهوم التتابع، وهو من العلاقات الأفقية، إذ يقول: ((ويُفهَم هذا في العلاقات التي تقوم على السطر بين عناصر أنماط الجمل والمركّبات، وبين التابع والمتبوع، والمفسِّر والمفسَّر، والتمييز والمميّز (...)، فالعلاقة في كل موقع من هذه المواقع إنَّما تقوم بين عنصرين من النص أفقيا على السطر، لا رأسيا في الجدول))[4]، ثم يقول: ((أمَّا التتابع فهو المسرح الأصيل لقرينة التضام في السياق))[5].

---

[1] ينظر: روبرت دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء**، تر: تمام حسان، ص86.

[2] سمير شريف استيتية، **اللسانيات المجال ، الوظيفة والمنهج**، ص198.

[3] أحمد مؤمن، **اللسانيات النشأة والتطور**، ص175.

[4] تمام حسان، **البيان في روائع القرآن–دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني–**، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1413هـ/1993م، ص153.

[5] نفسه، ص154.

أما النوع الثاني: فيتمثل في العلاقات الاستبدالية Paradigmatique **أي العلاقات الجدولية،** فهي((تنتمي إلى مجموعة فرعية تتكون من وحدات يمكن أن تؤدي وظيفة نظمية واحدة في موضوع معين من المنطوقة أي أن كل واحدة منها يمكن أن تحل محل أي واحدة من أخواتها في منطوقة معينة-ومثال على ذلك مجموعة مفردات من فصيلة واحدة كالحمضيات مثلا))[1]، ومثال ذلك جلس الطالب على الكرسي، جلس الأستاذ على الكرسي، جلس المدير على الكرسي، فالعلاقة الجدولية فنجدها بين الكلمات التي يصلح استخدامها في نفس الجملة والوحدة، وهي كلمات: الطالب، الأستاذ، المدير.)[2]؛ فهي ((جميع العلاقات التي تربط بين مجموعة الوحدات التي يمكن أن يعوّض بعضها بعضا في بنية لغوية ما على المستوى العمودي؛ وبمعنى آخر هي جميع العلاقات التي تربط بين وحدات النظام، هذا النظام الذي يمثل في هذه الحالة مجموعة المفردات التي نختار منها أيّة مفردة))[3].

أما "**جون ليونز**" فإنَّه يجعله من العلاقات الاندماجيّة على حدّ تعبيره، ((حين قسم علاقات المعنى إلى نوعين، هما: علاقات استبدالية، وعلاقات اندماجية، فالعلاقات الاستبدالية هي العلاقات القائمة بين أعضاء الفصيلة الواحدة، أما العلاقات الاندماجية فهي العلاقات القائمة على نحو أنموذجي))[4]، وبذلك تكون العلاقة بين عنصرّي نظرية الرصف أو عناصرها علاقة اندماجية، على نحو ما نجده بين الصفة والموصوف، وبين المضاف والمضاف إليه، وبين الاسم والفعل...إلخ((فعلى سبيل المثال هناك علاقة استبدالية من نوع خاصّ، قائمة بين الاسمين (أعزب) و(عانس)، بينهما تكون العلاقة بين الصفة(غير متزوج)، والاسمين(رجل) و(امرأة) اندماجية))[5]. ومن أمثلة العلاقات الاندماجية أيضا ما نجده في الصفة rancid زنج التي ترد في سياق مع butter زبدة، وكذلك الصفةaddled فاسد التي ترِدُ في سياقٍ مع eggs بيض ، علما أن الصفة addled فاسد قد ترِدُ في سياقٍ مع brain دماغ على نحو مجازي، وبذلك تكون العلاقة بين الاسمين eggs وbrain علاقة استبدالية.[6]

---

[1] لمسن بلبشير، "**الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة**"، ص17.

[2] محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة**، دار قباء ، القاهرة، 1997م، ص159.

[3] أحمد مومن،**اللسانيات النشأة والتطور**، ص175-177.

[4] جون لا ينز، **اللغة والمعنى والسياق**، ص101.

[5] نفسه، ص101.

[6] ينظر: نفسه، ص102.

ويقدم "**أحمد مختار عمر**"(**Ahmed Mukhtar Omar**) أيضا مثالا على ذلك من خلال ارتباط كلمة (منصهر) مع مجموعة الكلمات: حديد، نحاس، ذهب، فضّة...، إذ يمكننا القول (حديد منصهر) أو (نحاس منصهر)...إلخ، وهذه العلاقة الاستبدالية بين الألفاظ(حديد، نحاس، فضَّة) يسمح بها وجودُ عددٍ من الترابطات على المستوى الشكليّ، وهي الصلابة والثقل والبريق، والبرودة، الأمر الذي يجعل كلمة (منصهر) ترفض التصاحب مع (الجلد)، لعدم اشتراكه في هذه الترابطات الشكلية[1]، ومن جانبٍ آخرَ نجد أن المتكلم عندما يختار في حديثه كلمة ما، يعني ذلك أنَّه استبعد بقيّة الكلمات التي يمكن أن تحلّ محلّها رأسيا، وذلك لأداء هذه الكلمة دون غيرها مضمون ما أراد التعبير عنه، بمعنى أن للسياق دورا مهما في تحديد الألفاظ الثانوية التي قد تتصاحب مع الكلمة الرئيسة، فيقتضي استخدامها بهذا الشكل الذي جاءت عليه[2].

ومن خلال ما تمَّ طرْحُه، يمكن أن نقول إنّ الكتب البلاغية القديمة قد حملت مثل هذه الأفكار حين طرقت الخصائص التركيبية المختلفة للغة العربية عن طريق دراسة ((صور احْتِبَاكِ"التماسك"تركيب السياق في اللغة العربية، وكفاءة طرقها التركيبية ممَّا يبدو في الجهاز الصرفي وفي التعليق النحوي وفي حقل الظواهر الموقعية السياقية؛ لأنَّ كلّ هذه الظّواهر مناط للمعاني الوظيفية))[3].

وسنوضح وجه الشبه بين المباحث في كِلا الدرسين –العربي القديم، والغربي الحديث–، من خلال عقد مقارنة بين العلاقات الرَّكنية ومبدأ التعليق عند القدماء، ثُمَّ بين العلاقات الاستبدالية ومبدأ التخيير في التراث االبلاغي، كما سيأتي:

1–العلاقات الركنية ومبدأ التعليق عند القدماء:فالتعليق((بلاغة–صورة تتمثل في تأخير ظهور جزء أساسي من الملفوظ إلى آخره، ولكن مع الإبقاء على ما يثير الشك في وجوده، ويتم ذلك عموما من خلال قضية أو عدة قضايا تابعة مدرجة، أو من خلال أجوبة متهربة داخل حوار ما تنحو إلى تأخير الجواب الحقيقي:

Phèdre-de l'amour j'ai toutes les *f*ureurs.
Enone-pour qui?.
Phèdre-tu vas ouïr le comble des horreurs.
J'aim…
Enone-Qui?.
Phèdre-Tu connais ce *f*ils de L'Amazan…
Racine

[1] ينظر: أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص74.
[2] ينظر: علي محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى**، ص53.
[3] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص29.

"فيدر–من الحب لدي كل المخاوف.

أينون–لمن؟

فيدر–أحب...من هذا الاسم الحتمي، أرتجف، أرتعش.

أحب...

أينون–من؟

فيدر–تعرف ابن الأمازونية هذا..."

مع وجوب تمييزه عن التكتم، الصورة البلاغية التي يتم فيها تعليق الفكرة دون أن تنتهي عبارتها اللغوية))[1].

كما ينقسم التعليق إلى اسمي وفعلي:

أ–متعلق بالاسم adnominal:فهو ((يحدد treme adnominal وظيفة صفة أو مضاف أو مكمل يتكون من تعديل الاسم أو العبارة الاسمية في بناء مركزية. وهكذا الأحمر في الكتاب الأحمر وبيتر في كتاب بيتر ، أو بيتري في اللاتينية ليبر بتري لها وظيفةadnominal (. لهما وظيفة إضافية.)))[2]، و((في مصطلحات .O Jespersen، تشكل الأفعال فئة adnominal ، لأن الأسماء التي يتم تحليلها كفئة من الدرجة الأولى ، تقوم الأفعال بتعديل الاسم في الجملة الأساسية – the commendic they com led) ليصمت))[3].

ب– متعلق بالفعل adverbial: وقد عرف بعدة تعريفات أهمها:[4]

✓ هو المصطلح ظرف يتألف من تعديل الفعل في بناء داخلي: وهكذا بحذر في بيير يؤدي بحذر أو هذا الصباح في بيير جاء هذا الصباح له وظيفة ظرفية.

✓ نتحدث عن استخدام الظرف لصفة عندما يكون لها قيمة ظرف ولا تميز فقط الاسم الذي ترتبط به نحويًا، ولكن أيضًا التقرير الذي يعبر عنه الفعل ، كما في L 'man مشى إلى الأمام .bitchy بشكل عام، نتحدث أيضًا عن الاستخدامات الظرفية عند استخدام الصفات كدلالة ظرف مع فعل لتقديم العملية التي تعبر عنها "فهي منخفضة بشكل ثابت ، تبكي بصوت عالٍ".

✓ نحن نسمي Locution adverbiales متواليات ثابتة من الكلمات التي ، من أجل المعنى والوظيفة في الجملة ، تعادل الظروف. في كثير من الأحيان ، تكون Locution adverbiales مكملات ظرفية سابقة

[1]Georges Mounin,Dictionnaire de la Linguistique,p313.
[2]Jean Dubois, Dictionnaireed: Linguistque sciences du langage, Messageries ADP,Richardson Montreéal(québec ,Distributeur exclusif au Canada ,pour la premiére édition,1994,p19
[3]Loc-cit.
[4] Ibid, p20.

لم يعد يتم الاستيلاء على عناصرها بشكل منفصل: عشوائيًا ، سيرًا على الأقدام ، فورًا ، بدون مراسم ، في لمح البصر ، تسمى عبارات الظرف أحيانًا بالظرف المركب.

تعد العلاقة **الركنية "الأفقية"** في إطار البحث الدلالي عاملا أساسا من بين العوامل المحدّدة لمعنى سياق لغوي ما؛ وذلك أنَّ هدف هذا البحث الدّلالي هو توضيح طبيعة النظام اللغوي، من خلال دراسة الترابط الذي تحققه هذه العلاقات فيما بين كلمتين أو أكثر في بنية لغوية معينة[1]؛ لأن السياق اللغوي لا يتحقق تركيبه، ولن يتحدَّد معناه، إلا بأن تقع الوحدات الدلالية" اللغوية" ((في مجاورة وحدات أخرى، وإنَّ معاني هذه الوحدات لا يمكن وصفها أو تحديدها إلا بملاحظة الوحدات الأخرى التي تقع مجاورة لها))[2]، وبعد Firth ظهر تلميذه **هاليداي Halliday** الذي قسم العلاقات السياقية Syntagmatic إلى علاقات داخلية تربط العناصرَ اللغوية بعضَها ببعض، وعلاقات خارجية تربط العناصر اللغوية بما تدلّ عليه في الخارج[3]، بمعنى أنَّ الرصف – بحسب النظرية السياقية– من العلاقات الداخلية؛ لأنها تهتم بترابط العناصر اللغوية فيما بينها، وهو ما يندرج أيضا ضمن العلاقات الأفقية بحسب الفكر البنيوي، أو ما يسمى بالمحور الأفقي Synchronic أو المحور التركيبي [4]، كما يسميها بالمر **بالتلاؤمية**، حيث يرى أن العلاقات السياقية يتحكم فيه شيئان:

الأول: العلاقات المعجمية بين الكلمات المتراصفة.

الثاني: كثرة الاستعمال لعدد من الكلمات بشكل متراصف، وهذان العاملان الرئيسان في قصر مفهوم الرصف على ارتباط كلمة ما بكلمة أخرى في سياق واحد أو أكثر من سياق، وليس كل السياقات حيث نصل عندما تتبع الكلمة في علاقاتها السياقية في كل السياقات إلى المفهوم التوزيعي distribution، وهو تناول للكلمة في علاقاتها السياقية في كل السياقات للكشف عن اختلاف دلالتها تبعا لاختلاف توزيعها هذا من ناحية واحتمالية ورودها، بل والتنبؤ بها من ناحية أخرى بمعنى أن استعمال كلمة ما يعطي توقعا لمجيئ كلمة أخرى، استعدادا لتقبلها، وهذا النوع من الرصف يسمى **الرصف** العادي Usual Collocation [5] الموجود بكثرة في أنواع مختلفة من الكلمات، بينما حين يتخلف التنبؤ أو توقع المتراصفة (الثانية) يحدث الرصف غير العادي (البليغ)

[1] ينظر: محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة**، ص143-160.

[2] أحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص68-69.

[3] محمد محمد يونس، **مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب**، ص30..

[4] تمام حسان، **البيان في روائع القرآن–دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني–**،ص147.

[5] ينظر: بالمر، **علم الدلالة** ص88 وما بعدها، وأحمد مختار عمر، **علم الدلالة**، ص77.

Unusual Collocation[1]، الموجود في بعض الأساليب الخاصة، وعند بعض الكتاب المعينين، ولهذا رأى **جون فيرث(John Firth)** أنَّ ((الوحدات اللغوية لا تكتسب قيمة على المستوى النحوي، ولا تكتسب معنى على المستوى الدَّلالي، إلا من خلال علاقاتها بالوحدات اللغوية الأخرى كالعلاقة الموجودة بين الوحدات اللغوية في تتابع مـcollocation والعلاقات التركيبية بين الوحدات النحوية والعلاقات الفونولوجية بين الوحدات الصوتية))[2].

وهذا ما ذهب إليه "**عبد القاهر الجرجاني**" ، حين ((أكد على نَظْمِ الكَلِمِ ووضعها في التركيب الذي يعطيها معنى، وحثّ على قيمة الكلمة في اجتماعها مع غيرها؛ لأنَّ النظم ما هو إلا مجموعة علاقات بين الكلمات، تتماسك فيما بينها لتؤلف سلسلة لغوية تؤدي وظيفة الإبلاغ، وبفساد هذا النظم عند غياب الترتيب وعدم توخي النحو يفسد المعنى وتغيب الدَّلالة))[3]، وذلك يرجع إلى ((أنَّ النحو ليس –مجرّد– قواعد شكلية بل يرتبط به معاني تظهر في العلاقات المختلفة التي ترتبط بها، وتتحدد على ضوئها –هذه العلاقات– معاني الكلام؛ أي أغراض المتكلم التي يأخذ فيها بالحُسبان حال السامع وحاجته))[4]، وفي ذلك يقول: ((فقد اتضح إذن بما لا يدع للشك مجالا أن الألفاظ لا تتفاضل من حيث إنها ألفاظ مجردةٌ، ولا من حيث هي كلمٌ مفردةٌ، وأن الألفاظ تثبت لها الفضيلة وخلافها في ملاءمة معنى اللفظة لمعنى التي تليها أو ما أشبه ذلك، مما لا تعلق له بصريح اللفظ، ومما يشهدُ لذلك أنك ترى الكلمة تروقُك وتؤنسك في موضعٍ، ثم تراها بعينها تثقلُ عليكَ وتوُحشكَ في موضعٍ آخر))[5].إنَّ هذا القول لدليل واضح على أنَّ الجرجاني قد ((فطن إلى أنَّ الأبنية الصَّرفية أو الكلمات المفردة لا تؤدي أيّ معنى، وأنها تحتاج إلى شيء هام لتكون قادرة على جعل المتكلم يفي بمقصوده، يستعمل **"عبد القاهر"** مصطلحي النظم والتعليق ليشير إلى الخيط الذي يربط بين الكلمات المفردة أو أجزاء التراكيب))[6]، حيث يقول ((واعلم أنك إذا رجعتَ إلى نفسك علمتَ علما لا يعترضه الشك، أنْ لا نَظْمَ في الكَلِمَ ولا ترتيبَ،

---

[1] ينظر:

– البركاوي، **دلالة السياق**، ص53.

–أحميد محمود عبد الله احميدات، **دلالة السياق اللغوي في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث**، ص382.

[2] أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور**، ص179.

[3] صالح بلعيد، **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون–الجزائر، دط، 1994م، ص82.

[4] نفسه، ص69.

[5] الجرجاني، **الدلائل** ، ص46.

[6] كريم زكي حسام الدَّين، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، ص231.

حتى يُعلَّق بعضها ببعض ، ويُبْنَى بعضها على بعض، وتُجْعَل هذه بسببٍ من تلك، هذا ما لا يجهله عاقل ولا يخفى على أحد من النَّاس))[1]، ومن خلال هذا القول يتضح لنا أنَّ الجرجاني يَعْمَدُ في بيان مفهوم النَّظم إلى مصطلح التعليق، الذي يُقْصَدُ به بيان ارتباط عناصر الكلام بعضها ببعض؛ أي الوقوف على شبكة العلاقات الداخلية في النّص بالإفادة من نظرية العامل التي تحدّد مدى انتظام العناصر في التركيب اللغوي فيتحقق بذلك ربط آخر الكلام بأوَّله[2].

وعليه يمكن أنْ نقول، بأنَّ الجرجاني قدْ تناول مفهوم العلاقات الأفقية تحت مصطلح **التعليق**، ولعل مفهوم هذا المصطلح هو ما عبَّر عنه رواد المدرسة الإنجليزية، بقولهم: **الرَّصف/تتابعCollocation**((يشير إلى الترابط المعهود لوحدة معجمية مع وحدات أخرى: (un arbre mort)"شجرة ميتة"(nain un arbre)"شجرة قصيرة"(un arbre excotique)"شجرة مجلوبة"، إلخ...إنه يستعمل من أجل تعريف عملية اكتشاف-على الأقل جزئية-الدلالة(J.R.firth meaning by **Collocation**)التي تعود إلى تطبيق تقنية توزيعية على الدلالة، هذه العملية يمكن أن ترى على أنها تمظهر معتدل للفرضية التي تعود إلى ميي(Meillet)ثم إلى فيجينشتاين(wittgenstein) والتي بمقتضاها لا يكون لكلمة معنى، ولكن استخدامات فقط))[3].

ومن هنا يُعْتَبَرُ اهتمام الدِّراسات اللغوية بقضية العلاقات الكامنة بين الكلمات في نسقِ الجملة، من أهم ما قدمه "**عبد القاهر الجرجاني**"، حيث تبين ممّا سبق أنَّ مناط التعليق ليس سوى إنشاء العلاقات بين المعاني النحوية، كعلاقة الإسناد والتعدية والتوكيد والظرفية والمعية والحال والتمييز والاستثناء والإضافة والتبعية، وهذا ما يدفعنا إلى القول بأنَّ نقطة البدء في النَّظم –وفقا **لعبد القاهر الجرجاني–** هي مفهوم التعليق/العلاقات الرَّكنية/النَّظم[4]، حيث يقول: معلوم أنَّ ليس سوى النَّظم سوى تعليق الكلم بعضها ببعض، (...) والكلم ثلاث، اسم ، وفعل، وحرف، وللتعليق فيما بينها طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام نعَلُّق اسم باسم، وتعَلُّق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما[5]، بعد بيانه لهذه الأقسام، يَذْكُرُ أحد عشر جانبا لتعلّق اسم باسم(فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبرا عنه أو حالا منه أو تابعا له صفة أو توكيدا أو عطف بيان أو بدلا، أو عطفا بحرف، أو عن طريق

[1] الجرجاني، **الدلائل**، ص50.

[2] ينظر: عبد الحميد السيد، **دراسات في اللسانيات العربية**، ص128وما بعدها.

[3] Georges Mounin,Dictionnaire de la Linguistique,p71.

[4] ينظر: تامر سلوم، **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**، دار الحوار ، اللاذقية، سورية ، ط1، 1983م، ص123.

[5] ينظر: الجرجاني، **الدلائل** ، ص55-466.

الإضافة...إلخ)، وعشرة جوانب لتعلق اسم بالفعل(وأمَّا تعلق الاسم بالفعل: فبأن يكون فاعلا له أو مفعولا ...)، ويُبيّن أنَّ الحرف في تعلقه يكون ثلاثة أضرب: فقد يتوسط بين الفعل والاسم كحرف الجرَّ، و واو المعية، وإلا الاستثنائية، وقد يكون بين كلمتين لإدخال الثاني في عمل العامل الأوَّل وهو العطف، وقد يكون التعلَّق بمجموع الجملة، كتعلَّق النفي والاستفهام والشرط والجزاء، أي، أدت معناها الوظيفي وهو التعليق[1].

إنَّ هذه الجوانب التي ذكرها"**الجرجاني**" تمثل كل أبواب النحو، وبناء عليها، عُدَّ التعليق هو الفكرة المركزية في النحو العربي، وذلك أنَّه يحدّد بواسطة القرائن، والمعاني السياقية، ويفسر العلاقات بينها على صورة أوفى، وأكثر نفعا في التحليل اللغوي لهذه المعاني الوظيفية...[2]، وما علاقة الإسناد بين المسند والمسند إليه، وعلاقة التعدية بين الفعل والمفعول به، وعلاقة السَّببية بين الفعل والمفعول لأجله-على سبيل المثال-إلا دليل قاطع على ذلك[3] ، وذلك أنها : تشكل بتفاعلها مع سياق"السياق اللغوي" ، أو أنظمة خاصة من الكلمات قوة فاعلة تعطي للأجزاء دلالات أو فاعليات خاصة، وكلما أمعنا في هذا التصور ضربنا في أعماق النقد الأدبي في إطاره القديم (...) لهذا السبب اعْتُبِرَ التعليق أَهَمَّ جانب تنطوي عليه فكرة العلاقات الرَّكنية بالمفهوم الحديث، على اعتبار أنَّه بمثابة حركة خلقٍ مستمرة في اللغة؛ ترجع إلى موقع الكلمة من السياق وعلاقتها به، ومن ثمَّ ألغى عبد القاهر الجرجاني، كلَّ الإمكانات الأخرى التي يحتملها السياق" السياق اللغوي"، وأدخل بعضها في هذه الفكرة(...)؛ لأنه رَأى بأنْ لا نَظْمَ في الكَلِمِ ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض، وأنَّ الاهتمام بهذا الموضوع يكفل توضيح الخصائص الكامنة في العبارة الأدبية...[4]، ودليل ذلك قوله:((واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علما لا يعترضه الشك، أنه لا نظم في الكلم ولا ترتيب، حتى يعلق بعضها ببعضٍ، ويبني بعضها على بعضٍ، وتجعل هذا بسببٍ من تلك وهذا مالا يجهله عاقل ولا يخفى على أحدٍ من الناس(...) وإذا كان كذلك فَحري بِنَا أن ننظر إلى التَّعليق فيها والبناء وجَعْلِ الواحدة منها بسبب من صاحبتها ما معناهُ وما محصوله؟، وإذا نظرنا في ذلك علمنا أن لا محصول لها غيرُ أن تَعْمِد إلى اسم فتجعله فاعلا لفعل أو مفعولا، أو تَعْمِد إلى اسمين فيجعل أحدهما خبرا عن الآخر، أو تُتْبِع الاسمَ اسما على يكون أن يكون الثاني صفة للأوَّل أو تأكيدا له أو بدلا منه...))[5]، ويذهب "**الجرجاني**" في موضع آخر من دلائله، إلى اعتبار أن تعالق الوحدات اللغوية فيما بينها هو الذي يضمن فصاحتها انطلاقا من

---

[1] ينظر:

-ممدوح عبد الرحمن الرَّمالي، **العربية والوظائف النحوية-دراسة في اتساع النظام والأساليب-**، دار المعرفة الجامعية، الأزرايطة، مصر،1996م، ص181وما بعدها وص215 -218.

-الجرجاني، **الدلائل**، ص55-56.

[2] ممدوح عبد الرحمن الرَّمالي، **العربية والوظائف النحوية-دراسة في اتساع النظام والأساليب-** ،ص218-220.

[3] نفسه، ص193-196.

[4] ينظر: تامر سلوم، **نظرية اللغة والجمال في النقد العربي**، ص122-123.

[5] الجرجاني، **الدلائل**، ص55.

السياق اللغوي والتركيب الذي قيلت فيه[1]، فيقول: ((وجملة الأمر أنا لا نوجب"**الفصاحة** للفظة مقطوعة ومرفوعة من الكلام الذي هي فيه، ولكنا نوجبها لها موصولة بغيرها، ومعلقا معناها بمعنى ما يليها، فإذا قلنا في لفظة﴿**اشْتَعَلَ**﴾من قوله تعالى:﴿**وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا** ﴾[مريم:4]أنها في أعلى رتبة من الفصاحة، لم توجب تلك"الفصاحة"لها وحدها، ولكنها موصولا بها "الرأس معرفا بالألف واللام ومقرونا إليها"الشيب"منكرا منصوبا))[2]، إلا أنَّ ما تجدر الإشارة من خلال مضمون هذا القول، أنَّ "**الجاحظ**" ذهب إلى ما ذهب إليه الجرجاني حين اعتبر المطابقة بين الكلمة والكلمة من بين المطابقات التي تفصح عن معنى الكلام، وتَضْمَنُ بيانَهُ، وبالتالي يتحقق الفهم والإفهام، إذ يقول: ((البيان اسمٌ جامعٌ لكل شيء كشفَ لك قِناعَ المعنى، وهتَك الحِجَاب دونَ الضمير، حتَّى يُفْضِيَ السَّامعُ إلى حقيقته، ويَهجُم على محصولِهِ كائنا ما كان ذلك البيانُ، ومن أيِّ كان الدَّليل؛ لأنَّ مَدارَ الأمرِ والغايةَ التي إليها يجري القائل والسامع، إنما هو الفَهْمُ والإفهام، فبأيِّ شيءٍ بلغْتَ الإفهامَ وأوضحتَ عن المعنى، فذلك هو البيانُ في ذلك الموضع))[3]، ومن الأشياء التي يُبْلَغُ بها الإفهام، ويُفْصَحُ بها عن المعنى، المطابقة التي تتم بين الكلمة والكلمة داخل الجملة أو التركيب،وليس المقصود بهذه المطابقة على مستوى إسناد الكلمة إلى أختها وتعليقها بما يجاورها من الكلمات في نسق التأليف؛ أي يفهم من كلام الجاحظ أنَّ البيان يحمل بعدا إجرائيا تداوليا يتمثل في الإفهام، يعني إفهام السامع وإقناعه[4].

فالكلمة((هي وحدة دالة تجريبية للنحو التقليدي، توافق بشكل سيء معيار الفصل الوظيفي (uble-) ليست كلمة)، ومعايير التحديد التنغيمي (الكثير من "الكلمات" الموصولة السابقة enclitiques) والموصولة اللاحقة proclitiques) موصولة بكلمة منبورة مجاورة: في الفرنسية "الكلمة الصوتية" أو المجموعة النبرية هي أحيانا من خمس أو ست"كلمات" أو أكثر: (je ne le lui dirai pas)"لن أقوله له)، في الواقع الكلمة موصولة تجريبيا —في الوعي اللساني لغير الأميين —بشكلها المكتوب: إنها الوحدة المحدودة ببياضين، علامة تنقيط وبياض أو العكس، الكلمة ليست حقيقة لسانية عامة))[5]، انطلاقا مما جاء به الجاحظ من مفهوم المطابقة بين الكلمة والكلمة على مستوى التأليف، وبناء على ما قام به **الجرجاني** من اعتناء بجانب الصياغة، واقتراحه لها أربع مراحل هي: النظم والبناء والتركيب والتعليق[6] ، يجد الناظر في المظان اللغوية القديمة((أنَّها كانت دراية واسعة بمفهوم

---

[1] ينظر:محمد سالم صالح، **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التواصل إلى المعنى**، ص7.

[2] الجرجاني، **الدلائل** ، ص402-403.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج1، ص76.

[4] ينظر:

-محمد الصغير بنائي، **النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين**، ص167.

-نور الدين بوزناشة، **الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي-دراسة تقابلية مقارنة-**، ص211.

[5]Georges Mounin, Dictionnqire de la Linguistique,p222-223.

[6] ينظر: روبرت دي بوجراند، **النص والخطاب والإجراء** ، ص5.

العلاقات الرَّكنية، هذا المفهوم الذي اعتُبِرَ فيما بعد وبآلاف السّنين، من أهم ما أسِّست له تنظيرات المدرسة الإنجليزية في الدّرس اللغوي الحديث، معتقِدة بذلك أنَّه لم يُسْبَق إلى مثل الذي جاءت به من قبل أو ربما دون اعتراف منها بأسبقية التراث اللغوي العربي إلى طرح مثل هذه المفاهيم والأفكار، وإن كانت المصطلحات اللغوية القديمة باتفاق مدلولاتها مع المصطلحات اللغوية الحديثة-رغم اختلاف الدَّوال فيما بينها-من أبلغ المقولات تأكيدا على تلك الأسبقية ومن أوضح الأدلة إثباتا لها[1].

2-العلاقات الاستبدالية ومبدأ التخيير:

عرف التخيير Sélection بعدة تعريفات نوجزها فيما يأتي:

أ-((في مصطلحية جاكبسون، يقابل محور الاختيار محور التأليف، ويوافق مفهوم العلاقة الإبدالية"الاختيار من المفردات البدائل يقتضي إمكانية استبدال مفردة بأخرى، مكافئة للأولى في طابع ومختلفة عنها في طابع آخر، في الواقع، الاختيار والاستبدال هما وجهان لنفس العملة".

مفهوم الاختيار خاص بالمنظومة حيث تنظم كل المكونات اللسانية(الفونولوجية، والمورفولوجية، التركيبية، المعجمية)، في أقسام، أو أقسام فرعية متمايزة حسب مختلف سمات التشابه التي توحدها))[2].

ب-و((في النحو التوليدي، قاعدة الاختيار هي قاعدة للتصنيف الفرعي التركيبي الذي يخصص علاقات الاختيار لصنف معجمي، توجد علاقة اختيار"حين يفرض عنصر من صنفA...، والذي لديه داخل محطيه عنصر ينتمي إلى الصنف B...، وإذا كان هو ذاته منتميا إلى صنف فرعي a يفرض أن ينتمي العنصر الثاني إلى صنف فرعيb، وإلا كانت الجملة غير نحوية"(Ruwet).

ففي صنف الأفعال، بعضها (مثلا: manger"أكل") يطلب فاعلا متميزا بسمة اختيار[-مجرد]وأخرى(مثلا: e*ff*rayer"أخاف") يطلب موضوعا متميزا بالسمة[+حي]))[3].

ف((النحو التوليدي يجب عليه أن يأخذ في الاعتبار هذه الوقائع بشكل أو بآخر، وهذا من أجل إقصاء-أو السماح للنحو بتفسير-الجمل المنزاحة مثل: (La *f*ascination mange desharicots)"الإعجاب بأكل الفاصوليا" أو (Les ouvriers e*ff*rayent le bâtiment)"العمال يخيفون البناية"، لكن هذه الظواهر تطرح مشكلات لا تحظى معالجتها بإجماع بين التوليديين: إجمالا، المسألة هي معرفة ما إذا كان سمات

[1] ينظر: مهدي أسعد عرار، **جدل اللفظ والمعنى -دراسة في علم الدلالة العربي-**، درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، من إشراف د/نهاد الموسى، جامعة الأردنية، 1995م، ص35 وما بعدها.

[2]. Georges Mounin,Dictionnaire de la Linguistique.p292-293.

[3]Ibid,p293.

الاختيار من طبيعة تركيبية أو دلالية ، من جهة أخرى، البعض يرفضون إعطاء هذه الظواهر وضعية لسانية خالصة، ومبررهم هو أن سمات الاختيار لا تعبر عن قيود تركيبية أو دلالية، ولكنها مرتبطة مباشرة ببعض الطبائع المتعلقة بالوضعية خارج-لسانية (تضمينات الملفوظ حسب المصطلحية الجديدة)، والتي تمثل الشروط الضرورية لتفسير ملفوظ ما))[1].

فمبدأ التخيير لطالم ارتكز **"جون فيرث"** (**John Firth**) في أبحاثه على أنَّ عالمَ اللغة الذي يريد أن يصل إلى المعنى الدقيق للحدث اللغوي أو الكلامي، عليه أن ((يبدأ أوَّلا بالكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية المكوَّنة له، من أصغر وحدة صوتية وهي الفونيم "الصَّوت"إلى أكبر الوحدات اللغوية مثل: الكلمة أو الجملة ، وهذا التحليل يقوم عنده على أركان ثلاثة:

*إن كل تحليل لغوي لابد أن يعتمد على المقامConfext situation، مع ملاحظة ما يتصل بهذا المقام من علاقات أو ظروف وملابسات، وقت الكلام الفعلي(...).

*ضرورة تحديد بيئة الكلام؛ لأن هذا التحديد يضمن عدم الخلط، بين لغة وأخرى، أو بين لهجة وأخرى، لأن هذا الاختلاف، يترتب عليه بالضرورة، تحديد البيئة الاجتماعية أو الثقافية، التي تحيط باللغة المراد دراستها(...).

*يجب تحليل الكلام إلى عناصره ووحداته المكونة له والكشف عما بينهما من علاقات داخلية، لكي نصل إلى المعنى الذي يتصل أيضا بمستويات Levels التحليل المختلفة: الصوتية والفونولوجية والمورفولوجية والنحوية، مع ملاحظة أن هذه المسويات، ترتبط فيما بينها برباط وثيق لكي نصل في النهاية عبر كل مرحلة أو مستوى إلى المعنى اللغوي للكلام))[2]، ثم بعد ذلك يأتي الكشف عن العلاقات بين الوحدات اللغوية على المستوى العمودي، وهذه العلاقات التي يسعى **"فيرث"** للكشف عليها، خاضعة لجملة من الاعتبارات اللغوية وغير اللغوية وهذا ما أكده علماء العرب في أكثر من موضع، فهم يرون بأنَّ المتكلم إذا ما أراد تكوين جملة لغوية، عليه أن يقوم بعملتين متكاملتين يجري في الأولى اختيار من مخزونه اللغوي، وفي الثانية يركّب ما اختاره، بحيث يتلاءم هذا الاختيار مع المقام الذي يدور فيه الكلامُ ويتواءَمُ بين الدلالات المعجمية للمفردات حين تدخل في علاقات نحوية ودلالية داخل التركيب، والكفل بذلك قواعد الاختيار الكامنة في الذِّهن التي يمتلكها صاحب اللغة بطريقة عفوية،

[1] op-cit, p 293.

[2] حلمي خليل، **الدراسات في اللسانيات التطبيقية**، دار المعرفة الجامعية، جامعة الإسكندرية/جمهورية مصر العربية، دط، 2014م، ص32-33.

تجعله قادرا على استخدام لغته استخداما صحيحا...إذ لا يسوّغ كسر قانون الاختيار بين مفردات إلا فهم المخاطب.[1].

وهذه ((الاختيارات الأسلوبية لا تحكمها ظواهر اللغة الخاصة فحسب، بل تحكمها كذلك محدّدات المقام، نعْني بها الخصائص التي تحدّد الظرف الاجتماعي الذي سيق في إطاره الكلام؛ لأن القيمة الفنّية تبرز من تلاحم عناصر النص وتماسكها ونظمها))[2]، فالكلمات ((يمكن أن تحمل غموضا لا حصر له عندما تكون خارج السياق أما إذا استخدمت في سياق معين فإنها تفقد غموضها حيث يمكن تحديد الجملة التي ننطق بها من بين الجمل اللامتناهية العدد ذات التركيب النحوي السليم))[3].

وبما أنَّ مصير اختيار مفردات اللغة في تركيب ما متعلّق بالمعطيات الظرفية والملابسات الخارجية التي تسود ساعة حدوث العملية الكلامية، نجد "**الجاحظ**" يدعو إلى((وجوب تحري الموضوع المتحدّث عنه باختيار ما يلائمه من الألفاظ –وفق ما يقتضيه المقام أي مطابقة الكلام لمقتضى الحال–))[4]، وفي ذلك يقول: ((لكل ضرب من الحديث ضرب من اللفظ ولكل نوع من المعاني نوع من الأسماء فالسخيف للسخيف والخفيف للخفيف، والجزل للجزل والإفصاح في موضعِ الإفصاح، والكناية في موضع الكناية، والاسترسال في موضع الاسترسال))[5]، وبتصفحنا أوراق المدرسة الإنجليزية، وجدنا فكرة الاختيار مطروحة في دفاترها عن طريق مفهوم اصْطُلح عليه بالعلاقات الاستبدالية أو العلاقات الجدولية paradigatic relatins ضمن الأنظمة اللغوية، وهي العلاقات التي تتخذها الكلمة مع كلمات أخرى يمكن أن تحلَّ محلها داخل الجملة، أو هي الكلمات التي يصلح استخدامها في الموقع نفسه، نحو: جلس الطالب على الكرسي/جلس الأستاذ على الكرسي/جلس المدير على الكرسي؛ فالعلاقات الجدولية في هذه الجمل، تتضح بين الطالب والمدير والأستاذ، لكونه تصلح في الموقع نفسه[6].

وحسب هذه النظرية –السياقية–فإنَّ المتكلم عندما يلفظ جملة معينة من بين الجمل غير المتناهية، التي تتوفر عليها لغته –المتراكمة في مخزونه اللغوي، يكون قد أخضعها لخيارات متعددة، هذه الاختيارات مبنية على تعالقات دلالية محددة[7]، و((ذلك باختيار الجمل المناسبة للمقام، لقوانين النحو، ولتنظيم المحتوى بطريقة منطقية مترابطة تتّسق مع عملية الاتصال في مجموعها))[8]، إلا أن هذا الاختيار على المستوى العمودي، لا يكون عشوائيا، بل خاضعا لمقاييس محدَّدة، تفرضها جملة من الاعتبارات اللغوية وغير اللغوية.

---

[1] ينظر: ممدوح عبد الرحمن الرمالي، **العربية والوظائف النحوية**،ص 204- 205.

[2] ينظر: رشيد بلحبيب، **أثر العناصر غير اللغوية في صناعة المعنى**، ص2.

[3] نفسه، ص9.

[4] عبد العزيز عتيق، **في تاريخ البلاغة العربية**،دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت، ص77.

[5] الجاحظ، **الحيوان**، ج3، ص39.

[6] ينظر: محمود فهمي حجازي، **مدخل إلى علم اللغة**، ص159-160.

[7] ينظر: أحمد مومن، **اللسانياتالنشأة والتطور**، ص185.

[8] رشيد بلحبيب، **العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى**، ص4.

وفي المقابل، نجد الإمام "**عبد القاهر الجرجاني**" يطرح تلك الأفكار فيقول: ((قد عُلِمَ أنَّ المعارضَ للكلام، معارِضٌ له من الجهة التي منها يوصف بأنَّه فصيح وبليغ ومتخيَّر اللفظ، جَيّد السَّبْك، ونحو ذلك من الأوصاف التي نسبوها إلى اللفظ، وإذا كان هذا هكذا، فحري بِنَا أن ننظر فيما إذا أُتِيَ به كان معارِضا ما هو؟ أهو أن يجئ بلَفْظٍ فيضعه مكان لفظٍ آخر نحو: أن يقول بدل "أسد"، "ليث" وبدل "بَعُدَ"، "نَأَى"، ومكان "قَرُبَ" "دنا"، أم ذلك ما لا يذهب إليه عاقل، ولا يقُولُهُ من به طِرْقٌ؟ كيف؟، ولو كان ذلك معارضةً لكان الناس لا يَفْصِلون بين الترجمة والمعارضة، ولكان كل من فسَّر كلاما معارضا له))[1]، **فعبد القاهر الجرجاني**من خلال قوله هذا-يؤكد على فكرة اختيار الألفاظ-خاصة ذات المعنى الواحد والمختلفة في الشكل "المترادفات"-وذلك أن لها دورا في تحديد بلاغة الكلام وتبيان المعنى، فـ((الفكرة في النظم، هي حسن المعنى القائم على حسن المبنى؛ لأننا لا نستحسن تجانس الكلم إلا إذا كان موقع معانيها من العقل مقبولا أي اختيار الألفاظ تفصح عن المعاني؛ لأن الألفاظ أوعية للمعاني، والألفاظ المصبوبة في هذه الأوعية، لابدّ أن تختار الأنماط المتكافئة لها، وتكون على قدر المعاني))[2]، المختارة من أجلها و((قد مثَل لنا عبد القاهر بالآية الكريمة- التي يقول فيها تعالى- ﴿**واشْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا**﴾[سورة مريم:4]، نجد "الرأس" فاعلا ل"اشتعل" و"شيبا" منصوبا على التمييز، ومجيء الاستعارة عن طريق الإسناد والسرّ في بلاغة هذا النظم أو هذه الاستعارة هنا هو الشمول، وأنه شاع في الرأس كلّه، وأخذ من أجل تعريف" الرأس" بالألف واللام، وإفادة الإضافة من غير إضافة ، ولو قيل "اشتعل رأس" فصرّح بالإضافة لذهب بَعْضُ الحسن، "فعبد القاهر الجرجاني" يراعي ما يقتضيه اللفظ من الاستعارة أو الحقيقة والمجاز، كما يراعي أحوال التأليف بين الجمل، وما يتعلّق بها من أحوال حتى تكون أجزاء الكلم متلائمة ، آخذة بعضها بأعناق بعض، لإفادة عملية التوصيل))[3]، ويُوكِلُ مهمة النظم إلى توخي معاني النحو وتآخيها على حسب الأغراض التي يُصاغُ فيها الكلام، فلا يكفي العلم بالنحو ومقتضياته، بل إضافة إلى ذلك وجوب مطابقته لمقتضى الحال، وفي ذلك يقول: ((فليس الفضُل للعلم بأن "الواو" للجمع، و"الفاء" للتعقيب بغير تراخٍ، و"ثم" له بشرط التراخي، و"إنَّ" لكذا، و"إذا" لِكذا، و"لكن"؛ لأنْ يتأتَّى لك إذا نظمت شعرا، وألَّفت رسالة أن تُحسن التخيُّر، وأن تعرف لكلٍّ من ذلك موضعَه))[4]، فليس الأمر كله بأن تعلم مواضع النحو ومراتبه، وإنما الأمر أن تعلم وتحسن اختيار المفردات، وبذلك يتحقق الأمر كله والذي هو جوهر النظم ولبّه، وقد عبر "**الجاحظ**" عما جاءت به النظرية السياقية فيما يسمى بالمحور الاستبدالي أو العمود، "بمحور التخيير" وهو مصطلح مرادف عنده لعبارة"الألفاظ المتخيرة"؛ أي تخير الألفاظ للمعاني، وكل السياقات التي وردت فيها هذه العبارات، يقصد بها العمودي

[1] الجرجاني، **الدلائل** ، ص259.

[2] صالح بلعيد، **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ص205.

[3] نفسه ص نفسها، والجرجاني، **الدلائل** ، ص100-101، وص402-403.

[4] صالح بلعيد، **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني** ، ص250.

Paradigatic للكلمات داخل الجملة، أي جزالة اللفظ وحسن اختياره حتى يكون مناسبا للمقام وكذلك مراعاة تجانس بين الحروف في الكلمة الواحدة، وبين الألفاظ في الوحدة الكلامية[1].

وقد رأى" **الجاحظ**" بذلك أنَّ الشأن كل الشأن، عائد للفظ وحسن تخيُّره، فالمعاني مطروحة في الطرقات يعرفها الجميع، وإنما الأمر كله، عائد إلى قائمة الوزن وتخير اللفظ فمتى خرج اللفظ من سماحة الاستكراه، وسلم من فساد التكلّف، كان جديرا بموقعه وبانتفاع المستمع به، فحفظ في النفوس وتداولته الألسن[2]، وفي ذلك يقول: ((ومتى كان اللفظ أيضا كريما في نفسه متخيَّرا من جنسه وكان سليما من الفُضول بريئا من التعقيد، جُبِّبَ إلى النُّفوس، واتصل بالأذهان، والتحَمَ بالعقول، وهشَّت إليه الأسماع، وارتاحت له القلوب، وجفَّ على ألسُن الرُّواة وشاع في الآفاق ذِكرُه وعظُم في النَّاس خَطَره، وصار ذلك مادَّةَ للعالِم الرئيس، ورياضة للمتعلّم الريِّض))[3]، فاختيار الألفاظ من جملة المترادفات والمتضادات، وضرورة يقتضيها نظم الكلام، وها هو "**ابن قتيبة**" يؤكد على ذلك، ويساهم هو الآخر في إرساء هذه الفكرة في الدرس العربي القديم، إذ يعرف البلاغة بأنها: ((تخيّر اللفظ في حسن إفهام))[4]، يتضح من هذه التعريف أن "**ابن قتيبة**"، ((يدعو إلى أن يؤتى بالألفاظ المستحسنة في الآذان، المقبولة عند الأذهان ، رغبة في سرعة استجابة المستمعين؛ أي الإشارة تظل عامة تشمل مجموع الألفاظ، لكنها توضح المراد هو الانتقاء للأقصر من الصّيغ، وللأكثر تداولا من بين المترادفات والمتقاربات في المواضع المطروقة))[5].

إذًا لقد اجتمعت كل هذه الآراء، لتثبت أن مبدأ **عملية الاختيار**، من ضروريات العملية اللغوية، هذا المبدأ الذي نظّر له–فيما بعد–الدرس اللغوي الحديث، وقال به لسانيو لمدرسة الإنجليزية فيما يسمى بالعلاقات الاستبدالية أو الجدولية.

---

[1] نور الدين بوزناشة، **الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي–دراسة تقابلية مقارنة–**، ص219.

–محمد الصغير بنائي، **النظريات اللسانية والبلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين**، ص124.

[2] ينظر:الجرجاني، **الدلائل** ، ص46 وما بعدها.

[3] الجاحظ، **البيان والتبيين**، ج2، ص8.

[4] ابن قتيبة، **عيون الأخبار**، دار الكتب العلمية –بيروت، دط، 1418 هـ، مج2، ص187.

[5] فايز الداية، **علم الدلالة العربي**، ص39.

ثالثا–القواعد النظامية ونظرية النظم:Systmic Grammar

النظم رؤية لغوية عربية إسلامية أظهرها لنا العلامة **عبد القاهر الجرجاني** في القرن الخامس الهجري، أما القواعد النظامية، فرؤية لغوية غربية لندنية برزت إلى الوجود في العقود الأخيرة.

لقد انصب عمل البلاغيين العرب قديما، على دراسة اللغة بوصفها ظاهرة إنسانية اجتماعية، وقالوا بضرورة توافر شرطين حتى تتم العملية التواصلية، وهما : مبدأ الإفادة، ومبدأ الغرض[1]، ومن الشروط التي تحصل بها الإفادة لدى السّامع، ثبوت معنى دلالي عام للجملة، وأن تكتمل النسبة الكلامية للجملة، فتحصل للسامع فائدة من الكلام يكتفي بها، وأن تكون عناصر العبارة معينة ودالة، أمَّا إذا انتقى أحد هذه الشروط، فإنَّ الجملة تفقد أهم مقومات صحتها، وهي حصول الفائدة لدى السامع، ولا يصح عندئذ تسميتها بالجملة ولا بالكلام، إضافة إلى ذلك، فقد اتفق نحاة العربية، فيما يخص ثبوت المعنى الدَّلالي العام للجملة، على أنَّ الجملة لا تسمى جملة ولا كلاما، حتى يكون لها معنى يفهمه السامع، وإلا كانت لغوا، وهذا الفهم للمعنى لا يخضع لفهم قواعد النحو واصطلاحات النحاة[2].

وقد سعى بذلك البلاغيون لدراسة اللغة و ملابسات الخطاب من متكلم ومستمع، ورسالة، وذلك أنَّ هذا كلَّه هو غاية البلاغة، فقالوا: ((لكل بنية تركيبية–إذن– معناها ومقصدها وغايتها التداولية، ولكل صيغةٍ لفظيةٍ وظيفةٌ إبلاغيةٌو توجيها لملابسات الخطاب وأغراضه، ومن أهم تلك الملابسات والأغراض مراعاة حال السامع والفائدة التي يجنيها من الخطاب))[3].

وهذا ما يؤكده "**عبد القاهر الجرجاني**" في قوله: ((أمَّا قولنا: المنطلق زيدٌ، والفرق بينه وبين زيدٌ المنطلق، فالقول في ذلك ، أنك وإن كنت ترى في الظاهر أنهما سواءٌ من حيث كان الغرضُ في الحالين إثباتَ انطلاق قد سبق العلم به لزيد، فليس الأمر كذلك، بل بين الكلامين فصلٌ ظاهرٌ، وبيانُه: أنك إذا قلت: زيد المنطلق، فأنت في حديث انطلاق قد كان وعرف السامع كَونَه إلا أنَّه لم يعلم أمِنْ زيدٍ أكان أم من عمرو؟ فإذا قلت: زيد المنطلقُ أزلتَ عنه الشك وجعلته يقطع بأنَّه كان من زيدٍ بعد أن كان يرى ذلك على سبيل الجَوَاز، وليس كذلك إذا قدَّمت "المنطلق " فقلت: المنطلقُ زيد: بل يكون المعنى حينئذ على أنك رأيتَ إنسانا ينطلق بالبعد منك فلم تُثْبِتْهُ، ولم تعلم أزيدٌ هو أم عمروٌ، فقال لك صاحبك: المنطلق زيدٌ؛ أي هذا الشخص الذي تراه من بُعْدٍ هو زيدٌ))[4].

---

[1] ينظر: صالح بلعيد، **التركيب النحوية وسياقاتها عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ص41-42.

[2] ينظر: صحراوي، **التداولية عند العلماء العرب**، ص186-189.

[3] نفسه ، ص192.

[4] الجرجاني، **الدلائل** ، ص186.

فالملاحظ ((أنَّ الفائدة التي يجنيها السَّامع من كلتا العبارتين مختلفة، لذلك عمل علماء العربية على ربط الكلام بالسّياق سواء اللغوي أو غير اللغوي، وبناء على هذا الربط يتحدَّدُ شكل الكلام وتتحقق بلاغته وفقا لنظرية النظم، هذه النظرية التي نجد لها نظيرا في الدَّرس اللغوي الحديث، وخاصة عند أساتذة المدرسة الإنجليزية"**جون فيرث John Firth**، وذلك أنَّ جلّ مبادئها تعدّ من أسس أطروحات النظرية السياقية الحديثة-نظرية القواعد النظامية بالتحديد-وسنحاول خلال هذا الطَّرح العلمي استعراض نقاط الالتقاء بين الدَّرسين القديم والحديث، دون أن ندَّعي بأننا سنعقد مقارنة بالمعنى العلمي، وإنما غاية ما نصبو إليه هو إثبات أنَّ المعرفة إنسانية وأنَّ توارد الأفكار واردٌ، لكي نتمكن من البرهنة على خلود الفكر البشري، وذلك حتى لا تقع في مطبِّ من حاول الإقرار بأنَّ الغربيين قد اطلعوا على تراثنا اللغوي العربي بغض النَّظر عن صحة الفكرة أو خطئها))[1].

إنَّ من بين الأطروحات التي جاءت بها النَّظرية السياقية، أطروحة"**القواعد النظامية**"، والتي تعرَّف بأنَّها: مجموعة القواعد التي تُعنى بطبيعة الاختيارات المتعدِّدة التي يستخدمها المتكلم، إذ يتخير من بين عدَّة تراكيب متساوية بشكل تقريبي في دلالتها تركيبا واحدا يريده هو ويكون أقرب إلى الموقف"السياق غير اللغوي"[2]، أي أنَّ المتكلم من بين عدّة جمل واحتمالات يختار تركيبا واحدًا يكون مراعيا فيه لجملة من الاعتبارات هي التي تعتمد عليها نظرية القواعد النظامية في عملية التحليل، وهي:

-الشكل: ويعرف بأنه((تنظيم أجزاء اللغة تنظيما له معنى، ويشمل قواعد النحو والمفردات))[3]، وهذا ما قصده "**الجرجاني**" لما قال بضرورة توخي معاني النحو عند عملية تركيب الكلام أو إنتاج الجمل، ويتضح ذلك أيضا في مصطلح التعليق، الذي أراد به "الجرجاني" التلازم بين الكلمات حسب مقتضى خاص، وليس بهذا فقط يكتمل النَّظم-أي يتعلق المفردات بعضها ببعض، وبتوخي معاني النَّحو بل((فلابدّ من مراتب متصوّرة في الذهن، موافقة لمألوف العرب في كلامهم، كما يحصل عن طريق تناسق الكلمات في التركيب، بدْءا من ترتيب المعاني في النفس: فعل+فاعل+فضلات، إلى ترتيب الكلمات في النطق؛ لأنَّ اللفظ تبع للمعنى في النظم، والألفاظ أوعية المعاني؛ فإنها لا محالة تتبع المعاني في موقعها ومعانيها، ولو خلت من معانيها تصبح مجرّد أصوات))[4]لا دلالة لها.

---

[1] نعيمة بن ترابو، **ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب-دراسة من منظور لساني**-،ص124.

[2] ينظر: سمير شريف استيته، **اللسانيات ، المجال والوظيفة والمنهج**، ص201وما بعدها.

[3] كريم زكي الدين، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، ص48.

[4] صالح بلعيد، **نظرية النَّظم**، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، دط، 2004م، ص127.

وقد قالت النظرية السِّياقية بتلك الأفكار، لكن القواعد النظامية ((تُعْنى بطبيعة الاختيارات المتعددة التي يستخدمها الشخص شعوريا أو لا شعوريا، عندما يلفظ جملة معينة من بين الجمل غير المتناهية التي تتوفر عليها لغته، وحسب هذه النظرية فإنَّ جميع الاختيارات مبنية على تعالقات دلالية محددة))[1].

أمَّا الأساس الثاني الذي تعتمد عليه هذه النظرية في عملية التحليل فهو:

–المادة: ويقصد بها ((الجانب الصوتي والكتابة))[2]؛ أي الجانب المنطوق والمكتوب معا، فهي الواسطة التي تنتقل بها اللغة في فضاء المتلقي، وقد مثَّل "**عبد القاهر الجرجاني**"، لهذه الفكرة في التراث اللغوي العربي بكلمتي "ضربَ، ورَبَضَ، فرغم اتحادهما في الأصوات، إلا أنهما مختلفان في الدلالة بالنظر للسياق والموقف الذي تقالان فيه، فضربَ محمد أخاه، تخالف ربضَ الكلب: ((فكلمة" ربض" خارج النظم لا تفرق عن "ضرب"، لكن **ربض الكلب**، يخالف **ضرب محمد أخاه** فبالتركيب يحصل استحسان الكلمة وقبولها أو رفضها، والكلمة في السياق تتعلق بما جاورها، فلا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلّق بعضها ببعض وعلى بعض ويبنى بعضها على بعض ويجعل هذا بسبب من ذلك))[3]، وفي ذلك يقول "**عبد القاهر الجرجاني**"، في نظم الحروف ((هو تواليها في النطق ، وليس نظمُها بمقتضى عن معنى، ولا النَّاظمُ لها بمُقْتَفٍ في ذلك رسْمًا من العقل اقتضى أن يتحرَّى في نظمها لها ما تحرَّاهُ، فلو أنَّ واضعَ كان قد قال:"رَبِضَ"مكان"ضرب" لما كان في ذلك ما يؤدّي إلى فساد، وأمَّا "نَظْمُ الكلِم فليس الأمر فيه كذلك، لأنك تقتفي في نظْمها آثارَ المعاني، وتُرَتِّبُها على حسب تَرَتُّبِ المعاني في النفس، فهو إذن نظْمٌ يُعتبر فيه حال المنْظُوم بعضه مع بعض، وليس هو النَّظم الذي معناه ضَمُّ الشيء إلى الشيء كيف جاء واتَّفق، ولذلك كان عندهم نظير للنَّسْج والتأليفِ والصِّياغة والبناءِ(...)وما أشبه ذلك، مما يُوجب اعتبارَ الأجزاءَ بعضِها مع بعض، حتى يكون لكلٍّ حيث وُضِع، عِلَّةٌ تقتضي كونَهُ هناك، وحتى لو وُضِع في مكانٍ غيره لم يصلُح))[4].

ويظهر هنا مرة أخرى، أنَّ مفهوم النظم الذي أراد به"**الجرجاني**"، هو تعلق المفردات بعضها ببعض في التركيب، فالنظم عنده هو نظير للتأليف والتنظيم والترتيب والجودة ومن ذلك صُنِّفَ **النظم** في علوم البلاغة، باعتباره يسعى إلى رصف الكلمات وترتيبها وبيان جودتها التي تكمن في حسن التخيّر ومعرفة الموقع المناسب، وهذا ما عبَّرت عنه النظرية النظامية بالنسقية التي تلتئم بين الكلمات التي تمثل كل واحدة منها موقعا في الجملة[5].

---

[1] أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور**، ص185.

[2] ينظر: كريم زكي الدين ، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، ص48.

[3] ينظر: صالح بلعيد، **نظرية النظم**، ص128.

[4] الجرجاني، **الدلائل** ، ص49.

[5] ينظر: سمير شريف استيتة، **اللسانيات المجال والوظيفة والمجال**، ص204.

وبعد "**المادة**" يأتي العنصر الثالث الذي اعتمدته النظرية النظامية في عملية التحليل ألا وهو: **السياق**: ويقصدبه ((العلاقات بين الشكل والمواقف))[1]؛ أي أنَّ يسجل منظور العلاقة بين الشكل اللغوي"منطوقا أو مكتوبا"، والمحيط الخارجي"جملة المواقف، فربط السِّياق اللغوي بالوظائف الدَّلالية التي يؤديها، ((وهذا يعني أن السياق أكثر من مجرد سلسلة sequence كلامية، إنها سلسلة تفرضها المواقع التي تشغلها هذه الكلمات والوظائف العلائقية فيما بينها، وهذا يعني أنَّ السِّياق بناء ذهني في المقام الأول، ومنطوق في المقام الثاني))[2]، لكنه خاضع قبل ذلك للموقف الخارجي، الذي يعتبر العامل الأساس في بنائه ذهنيا وإحداثه لغويا.

وحسب مفهوم هذه الفكرة اعتبر "**عبد القاهر الجرجاني**": ((اللغة هي المنطق والعقل والمعاني المتصورة في الذهن، بل هي العلاقات القائمة بين المتكلم والمخاطب في ذهن كل واحد منهما "اصطلاح/عرف"، والنظم – إذن–يقوم على الروية والتفكير))[3]، وبالإضافة إلى السياق اللغوي، وبحسب مفهوم نظرية القواعد النظامية، ف((يشْتَرِط علماء العربية السياق الاجتماعي، لغرض إبانة الكلام وفهمه، وذلك بربطه بالموقف الذي قيل فيه.

وهذا المذهب هو ما يطابق مذهب"**جون فيرثJohn Firth** حين اعتبر اللغة نشاطًا معنويًا في سياق اجتماعي، لكونها جزءا من المسار الاجتماعي؛ أي أنها عبارة عن شكل من أشكال الحياة الإنسانية))[4]، وبما أنَّ استعمال اللغة هو الوسيلة الوحيدة التي تساعد على فهم المعاني المتعدّدة، فإنَّ "**فيرث"Firth** ((قام بدراسة مكونات اللغة وفق مكونات اجتماعية بحتة، وذلك بالتركيز على العلاقات المختلفة التي تربط اللغة بالمجتمع))[5]، وبما أنَّ استعمال اللغة يكون وفقا لقواعد وقوانين نحوية، فإنَّا نستدل على ذلك بما سمي نظرية القواعد النظامية بـ"التحقيق النحويRealization، ويُقصدُ به: الطريقة التي يتم بها إدراك المعاني النحوية، حيث أنَّ ((كل فاعل يسمى فاعلا بشرطين متلازمين:

أوَّلهما: كون الفعل مستندا إلى اسم، وبذلك يعتبر "المحاضِرُ" فاعلا في جملة: تأخّر المحاضِرُ عن الموعد، ويكون "الرجل" فاعلا في جملة: مات الرَّجل في حادث سيَّارة، نعم لم يقم الرَّجل بفعل الموت حتى يكون فاعلا له، لكن

[1] كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، ص48.

[2] سمير شريف استيتة ، **اللسانيات المجال والوظيفة والمجال**، ص204.-205.

[3] صالح بلعيد، **نظرية النظم**، ص139.

[4] أحمد مومن، **اللسانيات النشأة والتطور**، ص173-174.

[5] نفسه، ص175.

الموت أُسْنِدَ إليه، فكان فاعلا بالمعنى النحوي، ثانيهما: تعميم المفهوم على كل ما ينطبق عليه الحد، وبهذا التعميم نستطيع أن نعرف كل فاعل، وبتعميم مفهوم المفعولية نستطيع أن نميز كل مفعول وهكذا دواليك))[1].

وفي لغتنا العربية يُفَرِّق العلماء ((بين "الفاعل الحقيقي والمجازي ويسمى الفاعل، والفاعل النحوي : "تحرّك الشَّجرُ" فاعل مرفوع، ولكن ليس الشجر الذي تحرّك؛ لأنه ليست لديه القدرة على تحريك نفسه، فالشجر فاعل مجازي نحوي، وهو مفعول به في حقيقة الأمر؛ لأنه لابد له من شيء يحرِّكه: حرّك الهواء الشَّجر))[2]، و((أنَّ الفاعل -قد يكون-عمدة أي لا يمكن الاستغناء عنه فإذا لم يكن ظاهرا فهو مقدر نحو: حضرت النساء /الشمس تشرق))[3].

و**ثانيهما** : تعميم المفهوم على كل ما ينطبق عليه الحدّ، إذ((بهذا التعميم نستطيع أن نعرف كل فاعل، وبتعميم مفهوم المفعولية نستطيع أن نميّز كل مفعول، وهكذا دواليك، وبهذا الشرط ينتقل الذهن من المفهوم المحدّد لمصطلح ما، إلى ما يمكن أن يطبّق عليه من الكلام، فيعرف أنَّ هذه الكلمة فاعل، وأن تلك مفعول(...) غير أنَّ المتكلم لا تعنيه المعاني النحوية في كثير أو قليل، بخاصة إذا لم يكن متخصصا أو معنيا بها، فكيف يتكلم المتكلم، وتقع المعاني النحوية في موقعها الصحيح دون أن يقصد ذلك؟، إنَّ الذي يحدث هو أنَّ نظام اللغة المستكن في الذِّهن في نماذج سياقية يعمل على تطويع هذه النماذج للمقامات والمواقف المختلفة))[4]، ومثال ذلك يقال عمَّن يكتب، فهو يكتب انطلاقا من لغة ورثها عن سابقيه، وهذه العملية تعتبر استحواذا لفظيا و سمة خاصة شبه شعورية[5]، ونتيجة لهذه العملية، سواء على مستوى الكلام أو الكتابة، يحدث الانتقال من المقام إلى السياق اللغوي الذي يظهر فيه اختيار الكلمات وتطويعها للنظام النحوي والصوتي، على نحو ما هو مبيّن في المخطط الآتي:[6]

---

[1] سمير شريف استيتيه، **اللسانيات المجال والوظيفة والمجال**، ص203-204.

[2] صالح بلعيد، **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ص116.

[3] نفسه ص نفسها.

[4] سمير شريف استيتيه، **اللسانيات المجال والوظيفة والمجال**، ص204.

[5] ينظر: رشيد بلحبيب، **أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى**، ص8.

[6] سمير شريف استيتية، **اللسانيات المجال والوظيفة والمجال**، ص204.

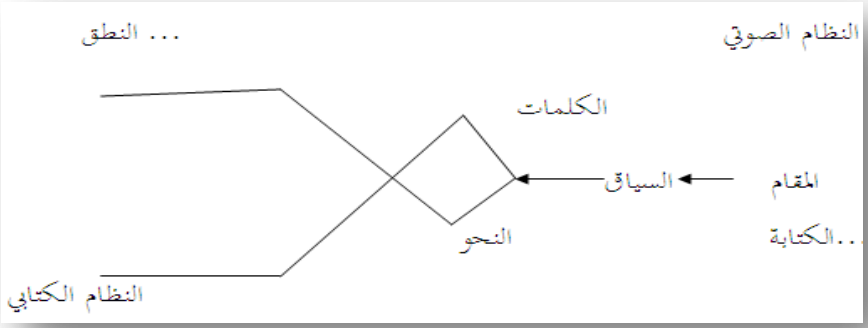

وبعرضنا لأطروحة الدراسات اللغوية العربية من خلال عصر **الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ، وإنجازه العظيم المتمثل في كتاب دلائل الإعجاز في "علم المعاني"، إذ "كانت نظرية النَّظم التي احتواها هذا الإنجاز العظيم، محاولة رائدة في دراسة أحوال بنية العبارة والوظيفة البلاغية التي يرتبط بها الكلام، وذلك انطلاقا من توخي المعاني مضافا إليها مراعاة الملابسات الخارجية المحيطة بالحدث اللغوي، ومطابقته لمقتضى الحال، لنصل بعد ذلك إلى مبدأ آخر طرحته نظرية القواعد النظامية، وهو مبدأ"**السياق والوظيفة**"، وذلك أنَّ السياق يمثل حقلا من العلاقات اللغوية وغير اللغوية، الداخلية والخارجية، ومن ثم حاول "**فيرث**"**Firth** إثبات أن المعنى وظيفة السياق..."[1]، فالسِّياق متضمن داخل المنطوق بطريقة ما، كما أنَّ الكلمة لا معنى لها خارج السياق الذي ترد فيه، وحتى اختلافات دلالتها ترجع بالدَّرجة الأولى لهذا المكون الخارجي"[2].

ونوضح ذلك بالمثال الآتي:[3]

إنَّ جملة: **زيد يهنئ عمرا**، تشمل أمرين اثنين:

أولهما: موقع كل كلمة من كلمات الجملة، فموقع الأولى هو الابتداء، وموقع الكلمات الثانية هو الخبر الفعلي، وموقع الكلمة الثالثة هو المفعولية.

أمَّا الأمر الثاني الذي نلحظه في هذه الجملة، فهو العلاقة بين هذه الكلمات التي تملأ هذه المواقع، فلولا وجود المبتدأ ما وجد الخبر ، ولولا وجود هذا الأخير ما وجد الأوَّل، والمفعول ما كان ليتصوَّر وجوده دون وجود أمرين هما: الفعل المتعدي وفاعله.

[1] ينظر: محمد صالح سالم، **أصول النظرية السياقية الحديثة عند علماء العربية ودور هذه النظرية في التواصل إلى المعنى**، ص3.

[2] ينظر: نفسه، ص3-4.

[3] ينظر: سمير شريف استيتة، **اللسانيات المجال والوظيفة والمجال**، ص205.

وفي ضوء وجود هذين الأمرين نتصور وجود السلسلة الكلامية التي تؤدي إلى وجود السِّياق، والقصد من وجود السِّياق أصلا هو إحداث وظيفة تركيبية دلالية وذلك أنَّ القصد من السياق الذي تمثله جملة: "زيدٌ يهنئ عمرا" هو الفاعلية، ولكن الفاعلية مختلفة تماما عن وظيفة الفاعلية التي تؤديها جملة: يهنئ زيدٌ عمرا، فمعنى الجملة الأولى: هو زيد-لا أقصد غيره-يهنئ عمرا، أي أنَّ فاعل التهنئة هو محل القصد في حين أنَّ حدث التهنئة هو محل القصد في جملة "يهنئ زيدٌ عمرا.

وبعودتنا للدرس القديم، وبخاصة البلاغيين((نجد هذه الفكرة متجلّية المعالم، سواء تعلَّق الأمر بعلاقة الكلمات بعضها ببعض من حيث المواقع التي تشغلها، أو تعلَّق باختيار هذه الكلمات انطلاقا من مواقعها وعلاقاتها بباقي المواقع الأخرى التي تساهم في إجلاء قيمتها النحوية من جهة، وقيمتها الدَّلالية من جهة أخرى، حيث يصرّ علماء اللغة على فكرة اختيار المفردة المناسبة للسياق، والأخذ بعين الاعتبار علاقتها بباقي الوحدات اللغوية الأخرى وذلك من أجل أن تتحقق الغاية من الكلام بأدائه للمعنى المقصود، كما أنَّ الاختيار لا يكون على مستوى الكلمات والمفردات ، ولا حتى المعاني فقط، بل يكون حتى في توخي معاني النحو))[1].

فهذا "**عبد القاهر الجرجاني**" يقسم الجملة إلى جملة الفعل والفاعل، وجملة المبتدأ والخبر، حيث ينتبه إلى أنَّ نظام اللغة العربية يحافظ على ترتيب خاص بالنسبة لأجزاء الكلام، إذ لا يمكن تغيير مكونات الجملة تقديما وتأخيرا، إلا حين يسمح النظام اللغوي بذلك، وحين يكون السياق الكلامي محدّدا لطبيعة ذلك التغيير، وبالتالي فإنَّ اختيار نمط معين من أنماط الكلام نفسه، يترتب عليه تحديد المعنى المراد بدقة متناهية، وذلك أن مجرد تغيير بسيط كالتقديم والتأخير، أو الحذف قد يؤدي إلى تغيير الدلالة كليا[2]، وفي ذلك يقول : ((إذا قلت أجاءك رجل؟فأنت تريد أن تسأله: هل كان مجيء من أحد من الرَّجال إليه؟فإنَ قدمت الاسم فقلت: أرجل جاءك؟فأنت تسأله عن جنس من جاءه أرجل هو أم امرأة...))[3].

ويفسِّر رواد نظرية القواعد النظامية سبب هذه المفاضلة في عملية الاختيار، ((وهو أن المرء يختار من هذه النماذج والأنماط المتعددة والموحّدة في المعنى العام ما يناسب مقام الكلام، ولكن ذلك يتم بإحدى الطريقتين، فقد يكون اختياره منها بوعي تام، وقد يكون اختياره بغير وعي إن صحّ الوصف؛ أي أن يتم ذلك بصورة شبه آلية، فعندما يرصف المتكلم كلامه، قاصدا كل كلمة بما ترِدُ عليه، يكون اختياره واعيا، وعندما ينطلق الإنسان في

[1] نعيمة بن ترابو، **ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب-دراسة من منظور لساني**-، ص130.

[2] ينظر: صالح بلعيد، **التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ص138 وما بعدها.

[3] الجرجاني، **الدلائل** ،ص142..

حديثه، كما هو شأن النَّاس في معظم شؤون حياتهم، يكون اختياره حدثا لغويا يعكس الجوهر المستكن في بنيته الذهنية، فيكون شبه آلي))[1].

أمَّا فيما يخص علاقة الكلمات بعضها ببعض من حيث المواقع التي تشغلها، فقد عَبَّر عبد القاهر الجرجاني عن ذلك بقوله: لا يتصور أن يتعلق بمعاني الكلم إفرادا ومجرّدة من معاني النَّحو، فلا يقوم في وهم ولا يصح في عقل أن يتفكر متفكر في معنى اسم من غير أن يريد إعمال فعل وجعله فاعلا له، أو مفعولا من أن يريد جعله مبتدأ أو خبرا أو صفة أو حالا أو ما شاكل ذلك[2].

كما نجد "**عبد القاهر الجرجاني**" ((يعرض لمفهوم تعليق الكلم بمعنى ارتباط كلمات التركيب بمركزه الذي يتمثل في الفعل وفاعله بعلاقات أو أسباب معينة، فالكلمة بعد أن تأخذ موقعها في الجملة ترتبط من حيث المعنى بمركزها ومركز الجملة، أو بؤرتها في الفعل، وفاعله الذي يعتبر جزءا منه، وما يأتي من كلمات بعد ذلك ترتبط بهذا المركز))[3]، فـ((مفردات المعجم تقع في طوائف، لكل طائِفة منها طابعها الذي يطبع أسماءها، وأفعالها بصيغة خاصة تجمعها تحت ظل معنوي واحد، فمن الأفعال ما يتطلب فاعلا عاقلا، نحو قرأ وخطب وأرشد، ومنها ما يتطلب فاعلا مهاجما، نحو: هزم و اغتال، افترس، ومنها ما يتطلب فاعلا حيا، وإن كان دون تخصيص نحو أكل، شبع وشرب وصاح إلخ، ولقد تسند فعلا من هذه الأفعال إلى من هو له فتقول مثلا: فهم التلميذ الدّرس، عندئذ تتحقق المناسبة المعجمية التي يتطلبها التضام بين عناصر الجملة، أمَّا إذا قلت : قرأ الحجر دم النَّحلة، فلا الحجر يقرأ، ولا هو يقرأ الدَّم، ولا الدَّم مما يخضع للقراءة، ولا النحلة من ذوات الدَّماء، وهكذا تنعدم علاقة التضام بين مفردات الجملة))[4]، لأنَّها تشترط-مفردات الجملة-حتى تنتج علاقة بينها وحتى تحقق الغرض التواصلي، أن يربط بينها رابط عقلي يتقبله العرف والمنطق، فينتج من جرَّاء ذلك الاتحاد، مجموعة من القواعد النحوية ، إلا أنَّ الذي يتحقق هو معنى واحد، لا معان متعدّدة كما يُتَوَهَّمُ، ودليل ذلك قول "الجرجاني": ((وجاء أنك إذا قلت : ضرب زيد عمرا يوم الجمعة ضربا شديدا تأديبا له، فإنك تحصل من مجموع هذه الكلم على مفهوم واحد لا عدة معان كما يتوهمّه النَّاس، وذلك أنك لم تأتِ بهذه الكلم تفيد أنفس معانيها، وإنَّما كان الأمر كذلك، فينبغي لنا أن ننظر في المفعولية من عمرو، وكان يوم الجمعة زمانا للضرب وكون الضرب ضربا شديدا، وكون التأديب علة

[1] سمير شريف استيته، **اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج**، ص203.

[2] ينظر: الجرجاني، **الدلائل** ، ص55وص466 وما بعدها.

[3] كريم زكي حسام الدين ، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، ص233-234.

[4] تمام حسان، **الخلاصة النحوية**، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/2000م، ص81.

للضرب))[1]،فـ((ينبغي لنا أن ننظر في المفعولين من عمرو، وكون يوم الجمعة زمانا للضرب، وكون الضرب ضربا شديدا، وكون التأديب علة للضرب، أيتصوّر فيها أن تفرد عن المعنى الأول الذي هو أصل الفائدة، وهو إسناد الضرب إلى زيد، وإثبات الضَّرب له، حتى يعقل كون عمرو مفعولا به، وكون يوم الجمعة مفعولا فيه، وكون ضربا شديدا مصدرا، وكون التأديب مفعولا له، من غير أن يخطر ببالك كون زيد فاعلا للضرب، (...) وثبت أنَّ المفهوم من مجموع الكلم هو معنى واحد لا عدة معان وهو إثباتك زيدا فاعلا ضربا لعمرو وفي وقت كذا، وعلى صفة كذا، ولغرض كذا، ولهذا المعنى تقول: أنَّه كلام واحد.

إن ما ذكره **"عبد القاهر الجرجاني"** يمثل صورة من صور التحليل الذي يعرفه الدرس اللساني الحديث، ويمكن أن نوضحه كما جاء على لسان عبد القاهر كما يأتي:[2]

-زيد: الفاعل، وهو الشخص الذي أوقع الضرب على عمرو.

-عمرا: المفعول وهو الشخص الذي تلقى الضرب من زيد.

-الضرب: الحدث، وهو الذي أوقعه زيد على عمرو.

-يوم الجمعة: الزمن الذي وقع فيه الحدث.

-ضربا شديدا: توكيد للحدث، وبيان نوعه.

-تأديبا له: السبب الذي من أجله وقع الحدث.

والمخطط الآتي، يوضح كيفية تضافر هذه العلاقات في تحقيق التركيب من جهة، وفي بيان دلالته من جهة أخرى[3]:

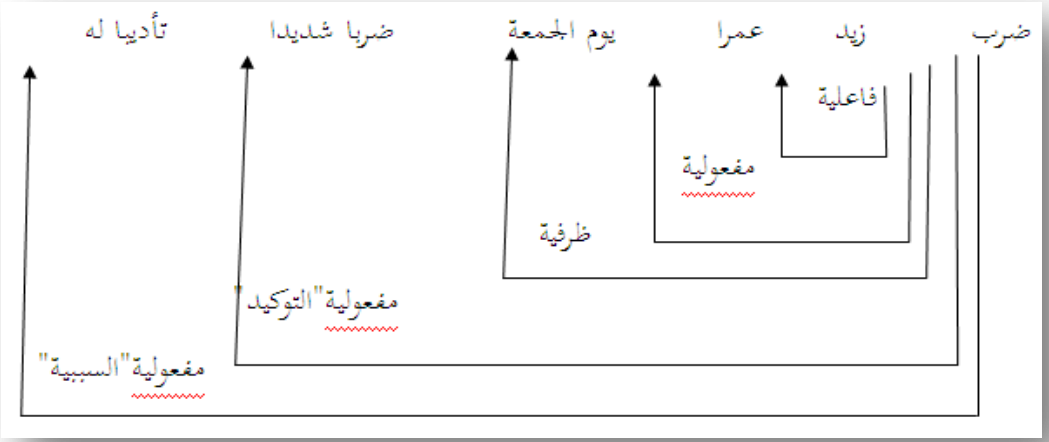

[1] الجرجاني، **الدلائل**، ص265.

[2] كريم زكي حسام الدين، **أصول تراثية في اللسانيات الحديثة**، ص234-235.

[3] نفسه، ص235.

بناءً على ما قيل، نجد أن "**عبد القاهر الجرجاني**"-خاصة-، ((لقد ركَّز بشكل عميق على ما للنظم من مزية في أيّ تركيب من التراكيب وخصّ دلائله بعلم المعاني القائم على مراعاة الموقف وملاحظة الصلة التي تحدث بين معنى التركيب والمقام الذي يأتي له، وأنَّ أيّ تغيير في التشكيل اللغوي للكلام يؤدي إلى تغيير في معناه، وكانت فكرة السياق وهو يتحدث عن النظم أساسية في الأنماط التي بحثها وعرضها بالتطبيق، وذلك ما يكشف ربط الفصاحة بالبلاغة وربط ذلك بالنظم وكلاهما يرميان إلى الإبانة عن المعنى؛ لأن علم المعاني يبحث في مطابقة الكلام لمقتضى الحال وبه يتحقق مبدأ "لكل مقام مقال"))[1]، وأيضا: قد ركز على ما للنظم من مزية في إحداث التراكيب من جهة، وما للمقام من دور في ذلك من جهة أخرى و بالتالي كانت فكرة السِّياق والقواعد النظامية وهو يتحدَّث عن الأنماط الأساسية للتراكيب النحوية التي بحثها، المنطلق الرّئيس الذي انطلق منه لوضع دعائم نظريته اللغوية التي اصطلح عليها علماء اللغة المحدثون باسم "نظرية النظم"[2].

وكان بمقدور نظرية النظم أن تسبق بعض النظريات اللغوية الغربية الحديثة لو التفت إليها النحاة ممن أتوا بعد الجرجاني وأولوها العناية التي تستحق وحاولوا دراستها وتطبيقها على الأبواب النحوية، ومن أوائل من دعوا إلى فكرة النظم "**إبراهيم مصطفى**"؛ إذ رأى في النظم مخرجا للنحو العربي من قيود النحاة الصارمة، وتخلصا له من عبودية أواخر الكلم، وتحديدا له في الشكل وفي المعنى، ومما قاله: ((وجاء بعد ذلك بآماد الشيخ "**عبد القاهر الجرجاني**"، ورسم في كتابه دلائل الإعجاز طريقا جديدا للبحث النحوي، تجاوز أواخر الكلم وعلامات الإعراب وبيّن أن للكلام "نظما"، وأن رعاية هذا النظم واتباع قوانينه هي السبيل إلى الإبانة والإفهام، وأنه إذا عدل بالكلام عن سنن هذا النظم لم يكن مُفْهِمًا معناه ولا دالا على ما يراد منه، وضرب المثل لذلك بالمطلع المشهور، وهو:

قِفا نبكِ من ذكرى حبيب ومنزل

لو خُولِف فيه"النظم" وعُدِل به عن سننه وقواعده، فقيل:

نبكِ قفا حبيب من ومنزل ذكرى

لكان لغوا من الكلام وعبثا، ثم بيَّن أن هذا النظم يشمل ما في الكلام من تقديم وتأخير، وتعريف وتنكير، وفصل ووصل، وعدول عن اسم إلى فعل، أو عن صيغة إلى أخرى، وغير هذا من سائر أحوال الكلمة إذا أُلِّفت

[1] صالح بلعيد، **التراكيب النحوية سياقاتها المختلفة عند الإمام عبد القاهر الجرجاني**، ص196.

[2] ينظر: نفسه ص نفسها.

مع غيرها لتُفهم))[1]، ونظرية النظم النحوية عند "**الجرجاني**" ليست جامدة جافة، ولا هي مسكوكة؛ بل هي نظرية تقوم على معرفة مواطن الجمال ومكامن الإبداع والبلاغة واختيارها، وهي أيضا دعوة صارخة إلى دراسة النحو على منهاج جديد يقوم على أساس الذوق وحسن التخيير بدلا من ذلك المنهاج التقليدي الذي يوجه العناية إلى الإعراب وبيان الأوجه الممكنة من الناحية الإعرابية التي قد تفسد المعنى وتشوهه.

ومن أهم الإضافات التي تطرق إليها "**الجرجاني**" في نظرية النظم، هي القضاء على ثنائية اللفظ، والمعنى يذهب "**الجرجاني**" إلى أنَّه من العبث ومن سوء الفهم والتقدير أن نعتبر أن كل من اللفظ والمعنى عالما مستقل بذاته، وأن نرجع الجزية والفضيلة لأمها دون الآخر، أو حتى أن نعتبر إحداهما سابقا في الوجود على الآخر، ويؤكد أن اللفظ ليس هو الذي حسن جرسه وتلاءمت حروفه، وإنَّما هو الذي استطاع في الموضع أو الموقف الذي جاء فيه أن يكون أقدر من غيره في الدلالة على المراد منه[2].

نجد نظرة "**عبد القاهر الجرجاني**" إلى اللغة في نظرية النظم تستند أساسا على التفريق بين استعمال اللغة بقصد الإشارة وبين استعمالها للتعبير عن الانفصال، فاللفظة المفردة لا تدل على معنى محدد، وإنما تدل على معنى مجرد، وإنما تؤدي اللفظة معنى محددا إذا استخدمت في سياق، فالسياق وحده هو القادر على أن يمنح اللفظة هذه الدلالة المحددة، وهو كذلك القادر على أن يمنحها القدرة على الحركة والعمل؛ فإنَّ الذي يحدد كلمة المفردة والذي يحكم عليها بالصلاح أو الفساد هو السياق الذي وردت فيه، وهذا ما كانت تدعو به النظرية السياقية، والمدارس اللسانية كما رفض الجرجاني أن يعتمد على جملة القواعد الجافة التي تتحكم باللغة، فالنحو عنده ليس ضبط لأواخر الكلمات ولا يقف عند أمر الصحة أو الخطأ، وإنَّما يجاوز ذلك إلى تحليل الجودة والرداءة في الكلام، وعدم القدرة على التواصل وتوصيل الدلالة المراد منها))[3]. لقد تجاوز الجرجاني النحو الجاف الذي يجعل من اللغة نظامًا تتحكم فيه الإشارات والقواعد؛ بل جعل أركانه بحيث تبقى النظرة الكلية تجمعه روابط الوحدة العضوية ويبرز فيه التناسق العام بجميع جهاته.

وما من شك في أن ذلك المنهاج التقليدي الذي اتبعه النحاة المتقدمون قد خدم النحو خدمة جليلة لا مجال للمزايدة عليها، ولا التقليل من قيمتها، فهي خدمة اكسبته تقعيدا وضبطا يستلزم الحكم أن جهدهم الكبير هذا كان يمكن أن يكمل بأفكار الجرجاني أو بشيء منها، ولا تقف قيمة هذه النظرية عند تجديد النحو،

[1] إبراهيم مصطفى، **إحياء النحو**، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 2012م، ص25

[2] ينظر: محمد زكي العشماوي، **قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث**، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1979م، ص302 وما بعدها.

[3] عامر فائل محمد بلحاف وناصر عمر مبارك التميمي، **من مظاهر الالتقاء بين فكر عبد القاهر الجرجاني وبعض المبادئ اللغوية لمدرسة لندن– دراسة تحليلة–**،مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع2، ديسمبر 2012م، ص16.

والاعتماد على الحس والذوق وحسن التخيير، بل إن من الباحثين من يرى أن هذه النظرية قد أسهمت أيضا في المعنى الوظيفي داخل التركيب وأشارت منذ زمن إلى السياق، ومن هؤلاء **تمام حسان** الذي يرى أن ((بدراسة النظم، وما يتصل به من بناء وتركيب وتعليق من أكبر الجهود التي بذلتها الثقافة العربية قيمة في سبيل إيضاح المعنى الوظيفي في السياق أو التركيب))[1]، إن عناية النحو وفق هذه الرؤية لم تعد مقصورة على حركات أواخر الكلم، ولم يعد النحو ذلك القالب الجامد الذي يعطي اللفظ مزيد عناية ودونها المعنى لقد أضحى النحو بفكر الجرجاني بناء وترتيبا وتعلقا ومعنى وسياقا.

رابعا– الجملة الحالية ومعاني النحو.

أ–الصيغة الحالية:

سوف نركز في هذا الجانب على الجملة* الحالية من منظور الصناعة النحوية ومن منظور الفصل والوصل باختصار.

1- منظور الصناعة النحوية:

كان منطلق الجرجاني في دراسة الجملة الحالية هو الاقتران بالواو كان طبيعيا أن يقسمها إلى قسمين ، مقرونة بالواو، وغير مقرونة بها، وقد مثَّل للأول بقولك: أتاني وعليه ثوب ديباج، ورأيته وعلى كتفه سيف، ولقيت الأمير والجند حواليه، وجاءني زيد وهو متقلد سيفه، ومثل للثاني بقولك: جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه، وأتاني عمرو يقود فرسه، ثم انتقل إلى الحديث عن الكيفية التي يمكن منها التمييز بين القسمين، معترفا في البدء في ذلك، لكنه لم يلبث أن ذهب يعرض معطيات الصناعة النحوية المتصلة بالجملة الحالية، سواء أكانت جملة اسمية أم جملة فعلية[2].

–**الحال جملة اسمية:** ذكر الجرجاني أن مجيء الحال **جملة اسمية**، يمكن إجماله في الحالات الآتية:

أ–إذا كانت الحال جملة اسميَّة فالغالب عليها أن تجيء مقرونة بالواو، كقولك: جاءني زيد وعمرو أمامه، وأتاني وسيفه على كتفه[3]، ولم يُشر هنا إلى أنها إذا كانت تحمل معنى التوكيد امتنع اقترانها بالواو، لكنه فعل ذلك في

---

[1] تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**، ص18.

*للتفصيل أكثر في **الجملة**: ينظر: مودر الجوهر، "**الجملة العربية قديما وحديثا–تحديد ودراسة–**"، "منشورات مخبر تحليل الخطاب"، دار الأمل، تيزي وزو، ع1، 2006م، ص205 وما بعدها.

[2] ينظر: الجرجاني، **الدلائل** ، ص202، وحمود راشد أنين، "**الجملة الحالية في–دلائل الإعجاز–**"، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة حلب/سوريا، ، 2016م، ص152.

[3] ينظر: الجرجاني، **الدلائل**، ص202.

موطن آخر، حين كان يتكلم على الفصل والوصل، إذ ذكر أن من الجمل ما تتّصل بنفسها بالتي قبلها، وتستغني بربط معناها عن حرف عطف يربطها، وهي كل جملة كانت مؤكّدة للتي قبلها ومبيّنة لها، كقوله تعالى: ﴿**ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾[البقرة: 2]؛ ذلك الكتاب لا ريب فيه"، فقوله(("لا ريب فيه" بيان وتوكيد وتحقيق لقوله: "ذلك الكتاب"، وزيادةُ تثبيتٍ له، وبمنزلة أن تقول: ((هو ذلك الكتاب، هو ذلك الكتاب))، فتعيده مرةً ثانيةً لتُثبتَه، وليس يُثبت الخبرَ غيرُ الخبر، ولا شيء يتميزُ به عنه فيحتاجَ إلى ضامّ يضمُّه إليه، وعاطفٍ يعطفُه عليه))[1].

ب-إذا كانت الحال جملة اسميّة، مبتدؤها ضمير منفصل وجب أن تقترن بالواو، كقولك: جاءني زيد وهو راكب، ورأيت زيدا وهو جالس، مبيّنا أنه لا يجوز لك أن تترك الواو، فتقول: جاءني زيد هو راكب، ورأيت زيدا هو جالس...[2]

ج-إذا كان الحال جملة اسمية، خبرها ظرفا؛ أي: خبرها شبه جملة متقدم على مبتدأ، فالغالب عليها أن تجيء بغير الواو، كقولك: عليه سيف، وفي يده سوط[3].

-**الحال جملة فعلية:** تحدث الجرجاني عن مجيء الحال **جملة فعلية**، ويمكن إجمال حديثه في الحالات الآتية:[4]

أ-يرى الجرجاني أنه إذا كانت الحال جملة فعلية، فعلها مضارع مثبت امتنع اقترانها بالواو، كقولك جاءني زيد يسعى غلامه بين يديه، وكذلك قولك : جاءني زيد يسرع، ثم يأتي بشواهد من القرآن الكريم، كقوله عز وجل: ﴿**ولا تَمْنُن تَسْتَكْثِر**﴾ [المدثر:6]، وقوله تعالى: ﴿**وسَيُجنَّبُها الأتْقَى، الذي يُؤتى مالَه يتزكَّى**﴾ [الليل:17-18].

ب-إذا كانت الحال جملة فعلية، فعلها مضارع منفي جاز الاقتران بالواو وعدمه، كما يشير إلى أن مجيء المضارع المنفي حالا مقرونا بالواو كثير في الكلام، كقولك: جعلت أمشي وما أدري أين أضع رجلي، وجعل يقول ولا يدري.

ج-إذا كانت الحال جملة فعلية، فعلها ماضٍ جاز الاقتران بالواو وعدمه، شريطة أن يكون مقرونا ب"قد"ظاهرة أو مقدرة، لكنَّه لم يشر إلى أن يشترط أن تحوي الجملة ضميرا عائدا، وأنه إن خلت منه وجبت الواو و"قد" معا، ثم يبين أن مجيئها بالواو كثير شائع، كقولك : أتاني وقد جهده السير.

---

[1] السابق، ص227.

[2] ينظر: نفسه، ص202.

[3] ينظر: نفسه، ص202-203.

[4] ينظر: نفسه، ص204-209.

وبعد هذا البيان الذي عرضه الجرجاني للمواطن التي تأتي فيها الجملة الحالية مقرونة بالواو أو ممتنعة من الاقتران بها، يعرض موضعين يرى أنه يحسن مجيء الجملة حالية فيهما، مبيّنا السبب وراء هذا الحسن، وهذان الموضعان هما:[1]

*-أن تأتي الجملة حالا بغير واو، ويحسن ذلك من أجل أن أدخل عليها الحرف المشّبه بالفعل "كأن".

*-أن تأتي الجملة حالا بعقب مفرد، فيلطف مكانها، ولو أردت أن تجعلها حالا من غير أن يتقدمها ذلك المفرد لم يحسن.

2-منظور الوصل والفصل[*]:(خصائص الواو التركيبية)

لقد حظي مبحث (الفصلDisjonction والوصلConjonction)[**] بالواو خاصة، بعناية فائقة لم يحظ به غيره من مباحث الدرس البلاغي، حتى عده بعض المهتمين بالدراسات البلاغية مفهوماً للبلاغة.. ولعل سر هذه العناية أن هذا الباب يتناول دراسة الأسلوب دراسة شاملة.. وأعني بالدراسة الشاملة: تلك التي لا تقف على حد دراسة الكلمة أو الجملة منفردة، بمعنى تفرض خطية الخطاب وجود سلسلة متتابعة من الكلمات والجمل، تربط بينها وسائل وأدوات لغوية، نذكر من بينها الوصل، الذي أسهمت فيه أدوات العطف بأنواعها، في تحقيق ربط أجزاء النص، سنتناول في هذا العنصر((الواو في سياقها التركيبي، أي دلالتها في إطار الجملة، والواو كباقي الأدوات التي تفيد دلالات معينة، لا في ذاتها، ولكن في سياق التركيب اللغوي، وذلك كأدوات النفي والاستفهام، والشرط، والعطف..، وهذا الضرب من الوحدات يشبه العلامات في أنه ليس بذي دلالة ذاتية، فإذا انفصل عن السياق- انعدمت دلالته، وهذا يعني أنه ذو دلالة تركيبية)).[2]

فالوصل Liaisonهو: ((معالجة نطقية تقوم بتفادي التقاء صائتين من خلال التلفظ أمام الصائت الاستهلالي لكلمة ما بالصامت الختامي للكلمة السابقة الذي لا ينطق عادة: (les enfants)"الأطفال" ، [lezãfã]~(les femmes)"النساء" [le fam]، (bien entendu)"مفهوم"[bjɛ̃ãtãdy]

---

[1] **ينظر**: نفسه، ص210-211، ومحمود راشد أنين، "**الجملة الحالية في-دلائل الإعجاز-**"، ص158-159.

[*] للاستزادة والتفصيل في **الوصل والفصل**، ينظر:

-الهواري بلقندوز، (**تداولية الفصل والوصل في الخطاب القرآني-مقربة لسانية نصية-**)، مجلة الأطراس، منشورات كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سعيدة، ص28وما بعدها.

[**] **الفصل والوصل روابط وأنواع:**

-ربط خطي يقوم على الجمع بين جملة سابقة وأخرى تلحقها، فيفيد مجرد الترتيب في الذكر، مثل الواو في العربية.

-ربط خطي يقوم على الجمع كذلك، ولكنه يدخل معنى آخر يتعين به نوع العلاقة بين الجملة والأخرى، مثل: "الفاء" و"ثم" و" أو" وغيرها في العربية، حيث تربط وتعبر عن علاقة منطقية بين العنصرين المربوطين(ينظر: ليندة قيّاس، وعبد الوهاب شعلان، لسانيات النص النظرية والتطبيق مقامات الهمداني أنموذجا، ص 110).

[2] أحمد محمد عبد الراضي، **الواو في العربية بين الصوت والدلالة**، القاهرة، دط، 1418هـ/1997م، ص77.

~(bien sûr)"بالتأكيد" [bjɛ̃syr]))[1] و((يُطلق عليه أيضا ((الإدخال بين صوتين صوتيين لعنصر ساكن داعم (ساكن أو انزلاقي) الاتصال. في الفرنسية ، يؤدي الارتباط الإلزامي عند ضم كلمتين في عبارات معينة (Art + N)؛ Adj + N ، (Adv. + Adj إلى نطق حرف ساكن كامن موروث من حالة سابقة للغة ، ويتم الحفاظ عليه في التهجئة : سعيد جدا ، صديق ، إلخ. الاتصال بالحرف الساكن الذي سيكون صامتًا في الكلمة المعزولة (صديقة سابقة) ، يُعرف الاتصال a كتسلسل في العديد من اللغات ، في سياق .sandhi على مدار العشرين عامًا الماضية ، كان الاتصال موضوعًا للتحقيقات والعمل الرسمي في علم الأصوات التوليدي وعلم الأصوات متعدد الخطوط))[2].

أما **الفصل**: **Démarcation** فهو ((علامة على الحدين الاستهلالي والنهائي للدوال، العناصر التي تملأ وظيفة فصلية هي عموما من طبيعية صوتية أو عروضية، من بين الأولى، الأكثر تواترا في الفرنسية هو غياب الربط أو (h) المهتوت (الذي ليس له في الواقع أي علاقة بالهت (aspiration) مثلما هو في (un heaume) "خوذة" [æom]، (un hêtre)"شجر زان" [æɛtre]، الخ، في الألمانية يعتبر حضور انفجاري(occlusif) مهتوت بقوة مثل[p] و[t] دائما علامة على بداية كلمة، فهو من بين العناصر العروضية ذات الوظيفية الفصلية نسجل خصوصا النبرة التي يكون حضورها علامة نظامية على بداية أو نهاية الوحدة النبرية في اللغات ذات النبرية الثابتة، وعلى التمفصلات الأكثر أهمية للملفوظ في اللغات ذات النبرة الحرة))[3]، فـ((تُعد مفردات الترسيم عنصرًا فينكيًا يحدد حدود وحدة الدلالة أو الكلمة أو المورفيم ، في البداية أو في النهاية. يمكن لعب هذا الدور من خلال اللكنة ، في اللغات التي تكون فيها اللهجة ثابتة في بداية الكلمة أو في نهايتها وليس لها قيمة مميزة. وهكذا ، في اللغة التشيكية ، يتم وضع لهجة الكلمة دائمًا على المقطع الأولي. في سنغال البداية))[4].

أخذ الحديث عن الوصل بالواو بين الجمل لدى البلاغيين حيزاً كبيراً من الاهتمام، وأدرجوا تفاصيل الحديث عن ذلك تحت باب (الفصل والوصل)، وإنما كان مبعث اهتمامهم بهذا الباب هو البحث في تلاحم المعاني وتحديد صلات بعضها ببعض، وكيف صاغ أن تلتقي هذه بتلك؟ وما نوع الصلات؟ وما درجتها؟ وهل تحدد الخيط الرفيع الغائر في ضمير المقاطع والكلام فجمع أوله وآخره؟ وهل انخرط في هذا الخيط حبات من جنس واحد، أم من أجناس متشابهة أم

[1]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique,p204.
[2]Jean Dubois, Dictionnaireed: Linguistque sciences du langage, p284.
[3]Geoerges Mounin: Dictionnaire de la linguistique .p99.
[4]Jean Dubois, Dictionnaireed: Linguistque sciences du langage,p433.

كانت تسقط فيه حبات من أجناس متباعدة؟ وهل وقع هذا البعيد في سياقه موقع القريب المأنوس فقبله السياق وتشربه النص وتمكن فيه؟ أم أنه ظل فيه غريباً ناشزاً ينبو في مكانه وتستثقله النفوس ويتنافر به النظم أو يتشارد به الكلام؟[1]

كما كان مبعث اهتمامهم به ما تفرد به هذا الفن دون سائر فنون البلاغة من: ((أن أحداً لا يكمل فيه إلا كمل في سائر فنونها))[2]، وكذا ما عبر عنه شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر بقوله: ((واعلم أنه ما مِنْ علمٍ من علوم البلاغة أنت تقول فيه: (إنه خَفِيٌّ غامضٌ ودقيق صعب)، إلا وعِلمُ هذا الباب أغمضُ وأخْفَى وأدقُّ وأصعبُ))[3] ، وعبر عنه "**الخطيب القزويني**" بقوله: إنه باب ((عظيم الخطر صعب المسلك دقيق المأخذ لا يعرفه على وجهه ولا يحيط علماً بكنهه إلا من أوتي في فهم كلام العرب طبعاً سليماً ورُزق في إدراك أسراره ذوقاً صحيحاً))[4]، ونقفها معه في كمال الانقطاع بلا إيهام، ولهذا عيب على أبي تمام قوله: [5]

لا والـــذي هـــو عـــالم أن النـــوى صـــــبر وأن أبا الحســـــين كـــــريم.

إذ لا مناسبة بين كرم أبي الحسين ومرارة النوى، ولا تعلق لأحدهما بالآخر .

ولكمال الانقطاع بلا إيهام؛ لاختلاف الجملتين خبرا وإنشاءً، لفظا ومعنى، يقول: ((وأما كمال الانقطاع فيكون لأمر يرجع إلى الإسناد أو طرفيه، فالأول: أن تختلف الجملتان خبرا وإنشاء لفظا ومعنىً، كقولهم: لا تَدْنُ مِن الأسدِ يأْكُلك، وهل تُصلحُ لي كذا أدفعُ إليك الأجرة، وبالرفع فيهما، وقول الشاعر: وقال رائدهم أرسوا...))[6].

وقد حمل البلاغيون رواية الرفع في: (((نزاولها) على القطع، والاستئناف، وجعل الجملة خبرا لمبتدأ محذوف، والتقدير: فإنا نزاولها، وبهذه الرواية استدل النحاة على جواز رفع جواب الشرط على هذا التقدير، وعللوا له بأن الغرض-في البيت-تعليل الأمر بالإرساء بالمزاولة، فكأنه قيل: لماذا أمرت بالإرساء؟ فقال : نزاولها، أي لنزاول أمر الحرب، ولو جزم لانعكس ذلك، فصير الإرساء علة للمزاولة؛ لأن الشرط علة في الجزاء؛ لأن سبب له، وتقدير الكلام عليه: إن وقع الإرساء نزاولها، وقد رُدَّ كون الفصل هنا على هذا التقدير لكمال الانقطاع، وقيل بل هو لشبه كمال الاتصال؛ وذلك لتضمن جملة(أرسلوا) سؤالا مقدرا عن سبب هذا الأمر، فجاءت جملة: (نزاولها) بمثابة الجواب عن هذا السؤال، وذكر العصام أنه لا تزاحم بين كمال الانقطاع وشبه كمال الاتصال، فيجوز حمل

---

[1] ينظر: محمد محمد أبو موسى، **دلالات التراكيب-دراسة بلاغية-**، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ/1987م، ص 268.

[2] القزويني، **الإيضاح** ، ج3، ص97.

[3] الجرجاني، **الدلائل** ، ص 231.

[4] القزويني، **الإيضاح** ، ج3، ص97.

[5] نفسه، ص180.

[6] نفسه، ج3، ص105.

الفصل على أيٍّ منهما.))[1]، وكما يستشهد بآية كريمة :﴿ **إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُونَ** ﴾ [البقرة:6]، للفصل لفقدان الجامع بين الجملتين، يقول متأثرا بكلام السكاكي رحمه الله: ((الثاني- أي من كمال الانقطاع بلا إيهام-ألا يكون بين الجملتين جامع كما سيأتي))[2]، ثم أجَّل الحديث عن الجامع إلى أن فرغ من مواضع الفصل والوصل، ثم تحدث عنه مبينا أنه يكون باعتبار المسند والمسند إليه جميعا في الجملتين، وليس باعتبارهما أو اعتبار واحد منهما كما ذهب السكاكي، ثم مثل للفصل لفقدان الجامع بالآية الكريمة، وإليك نصه: ((والجامع بين الجملتين يجب أن يكون باعتبار المسند إليه في هذه والمسند إليه في هذه، وباعتبار المسند في هذه والمسند في هذه جميعًا، كقولك يشعر زيد ويكتب، ويعطي ويمنع، وقولك: زيد شاعر وعمرو كاتب، وزيد طويل وعمرو قصي، إذا كان بينهما مناسبة كأن يكونا أخوين أو نظيرين، بخلاف قولنا: زيد شاعر وعمرو كاتب إذا لم يكن بينهما مناسبة، وقولنا: زيد شاعر، وعمرو طويل، كان بينهما مناسبة أو لا، وعليه قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُون**﴾ [البقرة: 6] ، فقطع عما قبله؛ لأنه كلام في شأن الذين كفروا، وما قبله كلام في شأن القرآن))[3].

والواقع أن المناسبة بين هذه الآية وآيات قبلها موجودة وقائمة؛ لأن ما قبلها مباشرة حديث عن المتقين- وإن كان قد ورد تبعا للحديث عن القرآن- وهذه حديث عن الكافرين، فبينهما تضاد، ثم إن كان الداعي إلى الفصل هنا هو فقدان الجامع بين الكلامين؛ لأن الأول منها حديث في شأن القرآن، والثاني حديث في شأن الذين كفروا-كما يقول الخطيب رحمه الله- فلماذا فصل بين الكلامين في قوله تعالى في سورة يونس:﴿ **إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ آيَاتِنَا غَافِلُونَ 7 أُولَئِكَ مَأْوَاهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ 8إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ**﴾ [يونس:7-9]، والأول منهما حديث مباشر في شأن الكافرين، والثاني حديث مباشر في شأن المؤمنين، ولم يرد الحديث عن أيٍّ منهما استطرد من الحديث عن شأن آخر؟ فلماذا لم يعطف الثاني منهما على الأول؟، وللإجابة عن هذا نقول: إن من يتأمل آياتِ القرآن في الحديث عن الفريقين، يجد أن منها ما جاء بغير الواو-وهو الأكثر- ومنها ما جاء بالواو- وهو الأقل- سواء تقدم الحديث عن المؤمنين، كما في آيات البقرة، ولقمان، والنمل، أو

---

[1] ينظر:

-عبد القادر بن عمر البغدادي، **خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب**، تح: محمد نبيل طريفي/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، 1998م، بيروت، ج9، ص90-91.

-صلاح حبيب سليمان، "**وقفة مع الخطيب القزويني في بعض شواهد الإيضاح(شواهد الفصاحة وعلم المعاني)**"، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، ع الخامس والثلاثون، أكتوبر 2013م، ص62-63.

[2] القزويني، **الإيضاح** ، ج3، ص107.

[3] نفسه، ج3، ص133.

تأخر كما في آيات يونس، فما جاء منه بالواو كانت الواو-كما يرى د/محمد محمد أبو موسى- استئنافية عاطفة مضمون كلام على مضمون كلام آخر[1]، بمعنى أن الكلام معها يكون من باب عطف القصة على القصة، وما جاء منه بغير الواو كان الفصل فيه-والله أعلم- لشبه كمال الاتصال، بحيث تنزل الجملة الثانية منزلة الجواب لسؤال مقدر تحمله الأولى، وتقديره: هذا عن حال هذا الفريق، وجزائه، فماذا عن حال وجزاء الفريق الآخر؟ ويؤيدني في ذلك مجيء الجملة الثانية فيما جاء، بدون الواو مصدَّرةً ب"إنَّ" في كثير من المواضع، وهذا يتفق مع ما تعارف عليه البلاغيون في طريقة صياغة الكلام مع الاستئناف البياني، أو شبه كمال الاتصال، وضرورة تأكيد الكلام فيه لتنزيل غير السائل منزلة السائل، وهكذا إذا جاءت الواو كانت هي الجامعة لأطراف الكلام، الرابطة لأجزائه بعضها ببعض، وإذا لم تأتِ الواو كانت هناك مناسبة داخلية بين الجمل أغنت عن مجيئها، وهذه المناسبة هي شبه كمال الاتصال.

والسؤال: لماذا جاء بعض هذه الآيات بالواو، وجاء بعضها بدونها؟ أو لماذا جاء بعض هذه الآيات موصولا، وجاء بعضها مفصولا؟، وفي الإجابة عن هذا السؤال نقول: إن ما جاء بالواو كان القصد فيه- والله أعلم- إلى سرد الأحداث، وعطف القصة على القصة، والإشعار بأن الكلام الثاني مغاير للكلام الأول، مستقل عنه، وأنه كلام جديد بالنسبة له، دون تنبيه أو إثارة للمخاطب، أو جملة على التساؤل، وما جاء بدون الواو كان القصد فيه إلى إثارة المخاطب، ولفته، وإيقاظه-وكما يقول "**السكاكيَ** "رحمَهَ الله عن شبه كمال الاتصال- لتنبيه السامع على موقعه، وتكثير المعنى بتقليل اللفظ بتقدير السؤال وحذف العطف، مع الإشارة إلى أن الكلام الثاني مرتبط بما قبله، وتابع له، وإن كان في اللفظ مبتدأ جديدا.[2].

والحق أن الإمام "عبد القاهر"، و البلاغيين من بعده، أفاضوا في بيان ما تعلق بهذا الباب، وأبرزوا جهداً وقدراً لا يستهان به في الوقوف – ما وسع الجهد – على أسرار التراكيب بين الجمل المشتملة على واو العطف، وفي بيان أثرها في النفس، وفي تدبر أعطاف الجملة والجمل، وفي معاني السياقات وتلمس المناسبات فيما بينها وتحديد صلاتها بعضها ببعض وكيف ساغ أن تلتقي هذه بتلك.. كما أبرزوا جهداً مماثلاً في وضع القواعد والأصول وتقريبها إلى الأذهان، وإسقاطها على أصدق الحديث وخير الهدي وأفصح الكلام وأحسن القول، وحسبنا أن نقف للتدليل على صدق هذا فيما قاله "عبد القاهر" – وفيما أسماه البلاغيون بعده بـ (شبه كمال

[1] ينظر: محمد محمد أبو موسى، **دلالات التركيب**، ص335.

[2] ينظر: السكاكي،ال **مفتاح** ، ج1، ص352.

الانقطاع)، إذ يقول: "فأمر العطف إذْن موضوعٌ على أنك تعطف تارة جملةً على جملة، وتَعْمِدُ أخرى إلى جملتين أو جُمَل فتعطفُ بعضاً على بعض، ثم تعطف مجموع هذي على مجموع تلك[1].

فكان حديثه في هذا العنصر ممهّدا لذلك بالحديث عن مفهوم"الخبر" لا مصطلحه، موضحا أنه ينقسم إلى قسمين، الأول: خبر هو جزء من الجملة، لا تتم الفائدة من دونه، وهو المسند في الجملتين الاسمية والفعلية، فهو الخبر في الأولى؛ أي: "منطلق" في قولك: زيد منطلق، والفعل في الثانية؛ أي : "خرج" في قولك: خرج زيد، وكل واحد من هذين جزء من الجملة، وهو الأصل في الفائدة، والثاني: هو خبر ليس بجزء من الجملة، ولكنه زيادة في خبر آخر سابق له، وهو الحال، كقولك: جاءني زيدٌ راكبا؛ لأنها خبر تثبت بها المعنى لصاحبها، كما تثبته بالخبر للمبتدأ، وبالفعل للفاعل، إلا أن الفرق أنك جئت بها لتزيد معنى في إخبارك عن"زيد" بالمجيء، وهو أن تجعله بهذه الهيئة في مجيئه؛ أي: بدأت، فأثبت المجيء، ثم وصلت به الركوب، ثم يأتي بالقاعدة، وهي: أن الجملة الحالية المجرّدة من الواو يراد منها أن تكون جزءا متصلا بالجملة السابقة لها، وكأنها جملة واحدة، فإذا قلت: جاءني زيد يسرع، كان بمنزلة قولك: جاءني زيد مسرعا، في أنك تثبت مجيئا فيه إسراع، فتصل أحد المعنيين بالآخر، ونجعل الكلام خبرا واحدا.

والجملة الحالية المقرونة بالواو يراد منها أن تكون منفصلة عن الجملة السابقة لها، فإذا قلت: جاءني زيد وغلامه يسعى بين يديه، ورأيت زيدا وسيفه على كتفه، كان المعنى على أنك بدأت فأثبت المجيء والرؤية، ثم استأنفت خبرا، وابتدأت ثانيا لسعي الغلام بين يديه ولكون السيف على كتفه، ولما كان المعنى على إثبات الاستئناف احتيج إلى ما يربط الجملة الثانية بالأولى، فجيء بالواو، مشيرا إلى أنها مماثلة لواو العطف في قولك: زيد منطلق وعمرو ذاهب، وللفاء الواقعة في جواب الشرط، في نحو: إن تأتني فأنت مكرم، فكل منهما تربط ما بعدها بما قبلها، وتسميتنا لها واو الحال لا يخرجها عن كونها مجتلبة لضم جملة إلى جملة، ونظيرها في هذا الفاء في جواب الشرط؛ فإنها وإن لم تكن عاطفة، فإن ذلك لا يخرجها عن أن تكون بمنزلة العاطفة في أنها جاءت لتربط جملة ليس من شأنها أن ترتبط بنفسها، فجملة"يسرع"، في نحو: جاءني زيد يسرع، بمنزلة جملة "أشكرك"، في قولك: إن تعطني أشكرك"، وبالمقابل فإن جملة "وهو راكب"، في نحو: جاءني زيد وهو راكب، بمنزلة جملة"فأنت مكرم"، في قولك: إن تأتني فأنت مكرم"[2].

[1] ينظر: الجرجاني، **الدلائل** ،ص 244- 245..

[2] ينظر: نفسه، ص212-215.

ثم يتوقف ليبين السبب الذي أوجب اقتران الجملة الحالية بالواو في قولك: جاءني زيد وهو يسرع أو وهو مسرع، ومنع اقترانها بها في وقولك: جاءني زيد يسرع، وهو أن المعنى في قولك: جاءني زيد وهو يسرع، على استئناف إثبات للسرعة؛ لأننا أمام جملتين مستقلّتين، ولا يمكن ضمَّهما في جملة واحدة، بينما كان معنى السرعة متصلا بالمجيء، في قولك: جاءني زيد يسرع، وكأننا أمام جملة واحدة[1].

وبناء على ما تقدم يصل إلى نتيجة مفادها أنه ينبغي اقتران الجملة الاسمية الواقعة حالا بالواو، وما جاء خلاف ذلك احتاج إلى تأويل، فقولهم: كلمته فوه إلى فِيّ، جاء مجردا من الواو؛ لأن المعنى: كلمته مشافها له، وكذلك قولهم: رجع عوده على بدئه؛ لأن المعنى: رجع ذاهبا في طريقه الذي جاء فيه، وأما قوله: وجدته حاضراه الجود والكرم، فالذي يسوّغه أن تقديم الخبر الذي هو "حاضراه"يجعله كان قال: وجدته حاضرا عنده الجود والكرم، مبيَّنا أن **الحمل على المعنى** وتنزيل الشيء منزلة غيره كثير في كلامهم، وممثلا لذلك بأنهم قد أجازوا للجملة الإنشائية في قولك: "زيد اضربه" أن تكون في موضع الخبر؛ لأن المعنى على النصب؛ أي: اضرب زيدا، وأنهم وضعوا الجملة الاسمية موضع الفعلية، كما في قوله تعالى: ﴿**أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنتُمْ صَامِتُونَ**﴾[الأعراف: 193]؛ لأن الأصل –في غير القرآن– المعادلة أن تكون الثانية كالأولى، نحو: أدعوتموهم أم صمتم، ويستدل على صحة ما ذهب إليه بأن مجيء الجملة الاسمية حالا بغير الواو قليل، وأن ما ورد منه يمكن أن يحمل على تقدير الواو، مشبّها إيّاه بالفعل الماضي الذي يتصدر الجملة الحالية على تقدير "قد"[2].

والأمر لم يكن كذلك على عهد أسلافنا سواء ممن سبقوا عبد القاهر أم لحقوه – عليهم جميعاً من الله سحائب الرحمة والرضوان – ولا فهموا هذا من جواب الفارسي عندما سئل عن البلاغة، فقال فيما أورده الجاحظ (ت 255 هـ)في كتابه (البيان والتبيين) هي: ((معرفة الفصل من الوصل))[3].

وهذا "**ابن أبي الأصبع**"(ت 654 هـ) الذي يمثِّل واسطة عقد بين السكاكي والخطيب يؤثر السير على هدى الأسلاف، فيعقد في كتابه (تحرير التحبير) باباً يسميه (براعة التخلص)، ويصرح بأنه الذي يعرف عند القدماء – يقصد أبا علي الفارسي ومن نحا نحوه – باسم (الفصل والوصل)، ويعرفه بأنه ((امتزاج آخر ما يقدمه الشاعر على المدح من نسب أو فخر أو وصف أو أدب أو زهد أو مجون أو غير ذلك، بأول بيت من المدح، وقد يقع ذلك في بيتين متجاورين وقد يقع في بيت واحد، وهذه وإن لم تكن طريقة المتقدمين في غالب أشعارهم فإن

[1] ينظر: السابق، ص215-216.

محمود راشد أنين، "**الجملة الحالية في–دلائل الإعجاز–**"، ص161.

[2] ينظر: الجرجاني، **الدلائل** ، ص216-219.

[3] الجاحظ ، **البيان والتبيين**، ج1، ص88.

المتأخرين قد لهِجوا بها وأكثروا منها، وهي لعمري من المحاسن، وهذا الباب قديم وهو من أجل أبواب المحاسن، ويسمى معرفة الفصل من الوصل))[1].

وما سبق ذكره لا يعني سوى التأكيدِ على حقيقة أن ما صنعه "**أبو هلال العسكري**" حين أفرد فصلاً للحديث عن مقاطع الكلام والقول في الفصل والوصل، وصدَّره بعبارة الفارسي السالفة الذكر، حاشداً فيه كما هائلاً من أقوال أرباب البيان وسدنة اللغة تُجمع كلها على خطره وعلو شأنه، ومؤكداً على ضرورة وأهمية الوقوف على معرفة مقاطع الكلام ورعاية الوقف على المعاني التامة ووضع الفصول والوصول في مواضعها عند الكتابة، حتى لا يختلط الأمر على القارئ أو السامع فتتصل في ذهنه المعاني المتقطعة أو تنقطع المعاني الموصولة .. وكذا ما صنعه "**أبو العباس السفاح**"(ت 136 هـ) حين كان يوصي كاتبه قائلاً:

((قِف عندَ مقاطع الكلام وحدودِه وإياك أن تخلِط المرعى بالهَمَل، ومن حِلية البلاغة المعرفةُ بمواضع الفصل والوصل(...)، وما صنعه الصحابي الجليل أكثم بن صيفي رضي الله عنه حين كان يوصي كُتَّابه – إذا كاتبوا ملوك الجاهلية – فيقول: افصلوا بين كل معنى منقض وصلوا إذا كان الكلام معجوناً بعضه ببعض))[2].. كانوا يعُون ما يقولون ولم يدر بخلد أحدهم ما استقر عليه علماء البلاغة فيما بعد على النحو الذي ارتأينا، كما كانوا يتوسعون – على ما مر بنا – في إطلاق مصطلح (الفصل والوصل) على كثير من المباحث التي تدرس اليوم بعيداً عن علم المعاني مثل (حسن الخروج) و(براعة التخلص) و(الاستطراد) و(الاقتضاب) و(الوقف والابتداء) في الكتابة والقراءة .. وأيضاً كانوا يطلقون (الفصل والوصل) على تفقد مقاطع الكلام ومعرفة بداياته ونهاياته، ليقف المتكلم حيث يجب الوقوف إذا انقضى المعنى –كما كان يقول "إذا مدحت رجلاً وهجوت آخر، فاجعل بين القولين فصلاً حتى يعرف المدح من الهجاء" –حيث يجب الوصل ليدل في القول على تعلق المعاني وشدة اتصالها، وفي الكتابة على اختلاف المعاني وتباين الأغراض، وكذلك يصنع الكاتب بوضع الفصول .. ولم يشاؤوا أن يحَجِّروا واسعاً، وإنما الذي وقع منهم ذلك هم أهل البلاغة بدءًا من الإمام عبد القاهر نفسه حين قصر باب (الفصل والوصل) – على ما سبق بيانه – على الواو.

هكذا ندرك من خلال هذه الصور التي عرض لها هذا البحث والتي سنح بتحليلها والوقوف على بعض أسرارها، الوقت والجهد – وهي غيض من فيض وقليل من كثير – مدى ما تحققه المعانقة بحق، من نهاية البلاغة وكمال الإعجاز، ومن غاية الاختصار وجمال الإيجاز.. وكيف عُدَّ كل وقف استلزمته واقتضته بمثابة الآية، وأن لو جعلت دلالة كل وقف منها على حدة لكان في ذلك من التطويل والإطناب ما لا يخفى.

[1] عبد العظيم بن الواحد بن ظافر بن أبي الإصبع ، **تحرير التحبير**،تح: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، دط، دت، ص 433.

[2] العسكري،**الصناعتين**، ص438-440.

تحدث لغويو مدرسة لندن عن مفهوم لغوي للجملة، وفي ذلك يقول بالمر: ((يمثل السياق في نظر" فيرث"، أداة من أدوات البحث اللغوي بالطريقة نفسها التي يستعمل بها النظام النحوي مثلا، وهو لا يتصور علما للدلالة دون الإحاطة بالسياق، ف ((دراسة السياق تكون من خلال مجموعة الوظائف اللغوية–الصوتية والمورفولوجية والنحوية والمعجمية والدلالية–، فيدرس المعنى على المستويات جميعها، ويجب أن ترتبط بسياق الحال، ولقد أعطى فيرث اهتماما كبيرا للسياق، وعدَّه الأساس لعلم الدلالة))[1] ، ومن أجل الوصول إلى المعنى الكلي وبيانه يقترح "**فيرث**" تشقيق المعنى إلى سلسلة من الوظائف الأساسية، وكل وظيفة تحدد بحسب فائدة الصيغ اللغوية وعلاقتها بسياق الكلام، وكما تنبه **فيرث** إلى أهمية الوظائف و"السياقات" في تحليل السياق اللغوي، والكشف عن المعاني الدقيقة؛ فلكل سياق منها وظيفته الخاصة ومرتبط بغيره من السياقات[2] فعلى اللغوي أن يقوم باستخلاص البيانات تدريجيا عن طريق توجيه الجملة إلى مستوياتها، ويبدأ هذا التوجيه بالدلالة الصوتية والصرفية والنحوية والمعجمية إلى الاجتماعية، ومجموع هذه الدلالات يوضح خصائص هذا الحدث الكلامي، ويكشف عن معناه ويؤدي إلى فهمه، فلا يمكن تحديد "المعنى" إلا بتضافر الجوانب جميعها، كلّ هذا يجعل علم الدلالة دراسة تلتقي فيها العلوم اللغوية[3]، والأشكال التالية توضح ذلك:[4]

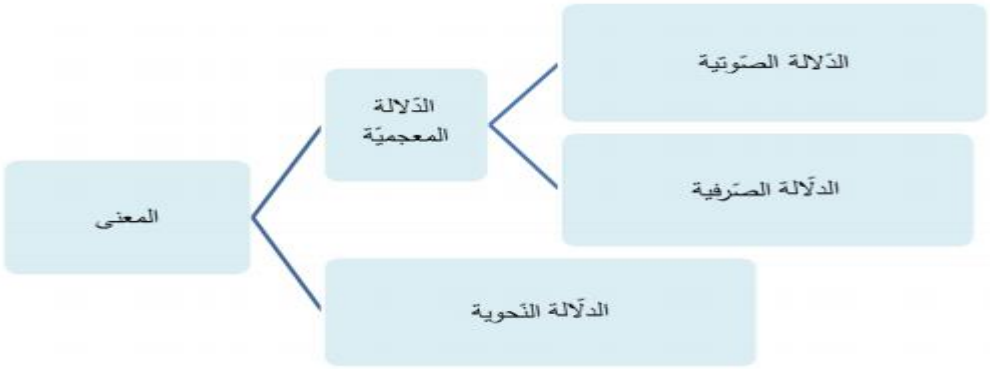

[1] محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، (**ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث**)، ص6

1- M.A.K. Haliday , The Notion of "Context" in language Education, p5.

[2] ينظر:

–احميد محمود عبد الله احميدات وآخرون، (**دلالة السياق اللغوي في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث–شعر محمود درويش أنموذجا–**)، ص381.

– سالم سليمان الخمّاش، **المعجم العربي وعلم الدلالة**، ص47وما بعدها.

[3] ينظر: نادية معاتقي، **إسهام الدّارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدَّلالة** ، ص23.

[4] نفسه، ص24–25.

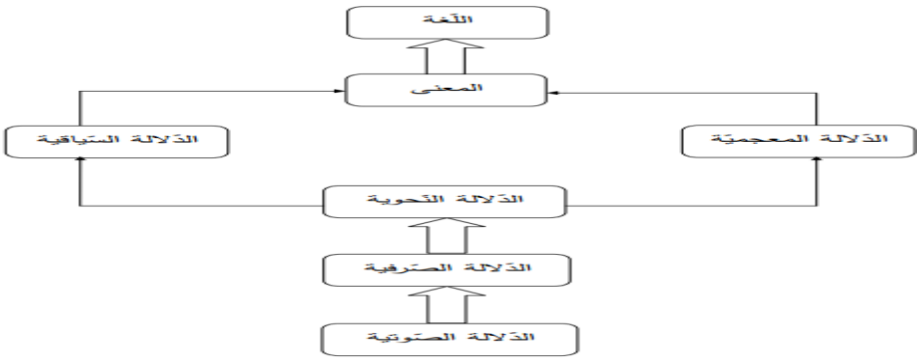

وكما يؤكد على وجوب النظر إلى المعنى على أنه مركب من العلاقات السياقية والأصوات...إلى غاية الدلالة، وكل منها يوجه عناصره الخاصة به في التركيب في سياقه المناسب، وهكذا تتعاون فروع الألسنية كلها في أداء المعنى[1] ، ويستعير "فيرث" لتوضيح هذه النقطة((تشبيه الطيف الشمسي الذي يتحلل فيه الضوء إلى أقواله الموجبة المتعددة كذلك تحلل اللسانيات المعنى إلى (طيف للبيانات المتخصصة)، وهكذا فكل أنواع الوصف اللغوي لـ"فيرث": علم الصوت والقواعد...الخ، وسياق الحالة، وبيانات المعنى، فوصف المعنى بموجب سياق الحالة ليس سوى أحد الأساليب التي يعالج اللساني بها اللغة، وليس مختلفا مبدئيا عن الطريق التي يؤدي بها اللساني عمله))[2]، ((وأيضا من الأمثلة التي ضربها فيرث في شرح وجهة نظره الجملة الإنجليزيةsay when (قل متى) التي تتعدد دلالتها بتعدّد السّياقات الممكن ورودها فيها وبمصاحباتها الصوتية))[3].

ويرى "فيرث" أيضا أن المعنى أو الوظيفة في السياق يمكن تفسيرها بشكل مقبول في ذلك السياق، وكل حديث أو جزء منه يكون ذا معنى فقط إذا أمكن استعماله بشكل ملائم في بعض السياقات الواقعية أو العملية وواجب اللغوي الذي يفهم لغة معينة أن يحدد مستويات مختلفة لمكونات بشكل مقبول، الأصواتية، والنحوية والصرفية والمعجمية والدلالية، وعليه أن يبين أن أي حديث لكي يكون تام المعنى يجب أن يكون مقبولا على كل المستويات[4] ويمكن أن نوضح كيفية"تحليل" الجمل انطلاقا من نظرية "فيرث" السياقية عن طريق "تحليل"بعض الجمل البسيطة، مثل: نام الولد، الولد النائم، نومتُ الولد، الولد الكبير، وعند "تحليلها" علينا أن نلتزم ببعض الخطوات التي تقودنا إلى توضيح المعنى الكلي وبيانه.

فنلاحظ أن كلمة"نام" مثلا لها وظيفة صوتية ناجمة من تركيبها من الحروف الثلاثة"ن ا م"مما يجعلها ذات دلالة مختلفة عن غيرها من الكلمات مثل: (دام، ناب، قام)، وكذلك كلمة"الولد" (البلد، الخلد...) ، وإن كانت

---

[1] ينظر:

- احميد محمود عبد الله احميدات وآخرون، (**دلالة السياق اللغوي في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث–شعر محمود درويش أنموذجا–**)، ص377.

-غنيمة تومي، (**السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث**)، ص2- 3، M.A.K. Haliday, The Notion of "Context" in - language Education, p5.

[2] بالمر،**علم الدلالة**، ص64.

[3] غنيمة تومي **السياق اللغوي في الدرس اللساني الحديث**) ، ص2.

[4] ينظر: نفسه، ص3

تشترك معها ببعض الحروف، فاختلاف معنى هذه الكلمات يعود إلى تمييز كل منها عن الأخرى في بعض الأصوات.

وعندما ننظر إلى الجانب المعجمي نجد لهذه الكلمة معنى مختلفا عن مقابلاتها الاستبدالية مثل(نام، قام، دام) لهذا يختلف استعمالها عن استعمال هذه الكلمات؛ لأنها تؤدي وظيفة معجمية مختلفة لذا يمكننا أن نقول: (ولد نحيل) مثلا، لكن لا يمكن أن نقول: (بلد نحيل)(جليد ومنصهر..)[1]، ولهذه الكلمة أيضا معنى صرفي ينبع من صيغتها(اسم أو فعل) وتتم معرفته من تتبع السياقات التي ترد فيها، وكون الكلمة اسما أو فعلا يمثل جزءا من معناها، وكذلك إسنادها إلى الضمائر، وتثبيتها وجمعها وغير ذلك من الخصائص الصرفية يكشف عن المعنى الصرفي للكلمة، أما معناها النحوي، فيحدده بيان موقعها في الجملة وعلاقتها مع غيرها من الكلمات، ففي جملة (نام الولدُ) قامت بوظيفة الفاعلية وفي جملة (نومّتُ الولدَ) قامت بوظيفة المفعولية وجملة(رأيتُ الولدَ نائما) قامت بوظيفة الحالية.[2]

ونفعل مثل هذا مع بقية أجزاء الجملة، وعندما ننتهي من تحليل أجزائها إلى مستوياتها اللغوية المختلفة(صوتية ، معجمية ، صرفية ، نحوية)، نأتي إلى الجانب الاجتماعي المتمثل بسياق الحال عند أصحاب هذه المدرسة وعند ملاحظة الظروف والملابسات التي تحيط بالجملة يمكن أن ندرك معناها الاجتماعي، فجملة (الولد الكبير) قد يراد بها الإخبار، وقد يراد بها الزجر، أو التحقير أو التعظيم.

وبعد أن نراعي في تحليلنا اللغوي هذه الجوانب جميعها اللغوية، والسياقية نتوصل إلى المعنى الكلي للجملة، وهو معنى مركب يجمل كل مستوى من المستويات السابقة جزءا منه فقط[3].

ب– معاني النحو والصيغة النحوية:

فمضى القول في أنَّ نظرية عبد القاهر الجرجاني"النظم"قائمة على مراعاة النحو ومعرفة مناهجه، ومضت الإشارة إلى قوله:((اعلم أن ليس النظم إلا أن تضع كلامك الوضع الذي يقتضيه علم النحو، وتعمل على قوانينه، وأصوله، وتعرف مناهجه التي نُهجت فلا تزيغ عنها، وتحفظ الرسوم التي رُسمت لك فلا تخل بشيء منها))[4].

إنَّ النظم عند "**الجرجاني**"كلام"؛ أي أنَّه مجموعة من الألفاظ بيد أنَّ هذه الألفاظ يجب أن تخضع لقوانين علم النحو وأصوله، وفق المناهج التي اختطها النحاة، وبهذا يكون"النظم" عنده مرتكزا إلى مراعاة النحو، ومعتمدا

---

[1] ينظر: سالم سليمان الخمَّاش، **المعجم وعلم الدَّلالة**، ص48.

[2] ينظر: نفسه، ص49.

[3] ينظر:

-تمام حسان، **اللغة العربية معناها ومبناها**،ص 337وما بعدها.

-سالم سليمان الخمَّاش، **المعجم وعلم الدلالة**،ص50.

[4] الجرجاني، **الدلائل** ، ص81.

على معرفة مناهجه، وعدم الزيغ عنها، وقد مضى عبد القاهر يؤكد هذه الفكرة في أكثر من مكان وموضع، ومن ذلك قوله: ((فلا ترى كلاما قد وُصِف بصحَّةِ نَظْمٍ أو فساده، أو وُصف بمزيَّةٍ وفضلٍ فيه، إلا وأنت تجد مرجعَ تلك الصحة، وذلك الفساد، وتلك المزية، وذلك الفضل إلى معاني النحوِ وأحكامه، ووجدته يدخل في أصل من أصوله، ويتَّصِل بباب من أبوابه))[1].

ومعاني النحو التي أشار إليها "**عبد القاهر الجرجاني**" هنا ليست الإعراب؛ لأن العلم بالإعراب مشترك بين العرب كلهم، وليس مما يستنبط بالفكر، ويستعان عليه بالروية، بل هي نمط من التحليل يتطلب استيعابا عاما للنص، وفهما لمعانيه، وربطا للأحكام النحوية بالمرمى والأفكار، وتجاوزا للعناية المقصورة على حركات أواخر الكلم، لقد تحدث عبد القاهر الجرجاني عن"معاني النحو"باعتبارها وسائل لفهم الأسلوب، لا باعتبارها هدفا مقصودا لذاته، والحق أن الجرجاني تجاوز مرحلة النظر في أحكام النحو باعتبارها قوانين مجردة إلى مرحلة النظر في هذه الأحكام باعتبارها أدوات لتحليل النص الأدبي وفهم الأسلوب، وتظهر "معاني النحو" في دلائل الإعجاز مقترنة بفكرة التعلّق؛ تعلَّق الكلم بعضها ببعض، وجعل بعضها بسبب من بعض، ولهذا التعلق ثلاث طرق، وهي:[2]

أ-تعلق الاسم بالاسم من بعض، كأن يكون خبرا عنه، أو حالا منه، أو تابعا له.

ب-تعلق الاسم بالفعل، كأن يكون فاعلا له أو مفعولا.

ج-تعلق الحرف بهما.

فهذه هي الطرق والوجوه في تعلق الكلم بعضها ببعض، وهي معاني النحو وأحكامه، ويظهر منها أن الكلام لا يكون من جزء واحد، وأنه لابد من مسند ومسند إليه، وهما ركنا الجملة الأساسيان، وأنَّه لا يكون كلام من حرف وفعل أصلا، ولا من حرف واسم إلا في النداء، فالنظم عند **عبد القاهر** ليس سوى حكم من النحو نتوخاه وهكذا يظهر مفهوم"معاني النحو" عند **الجرجاني**: تحليلٌ لغوي يعتمد على قواعد النحاة دون أن يخضع لحركات أواخر الكلم خضوعا كاملا، تحليلٌ لغوي هدفه تحقيق الفهم والاستيعاب، لا الاكتفاء بالقوانين المعيارية الشكلية وحفظها وترديدها.

تحدث لغويو مدرسة لندن عن مفهوم"الصيغة النحو"، ورأى بعضهم أنَّ اللغة توفر الإمكانات النحوية المستخدمة بطرق مختلفة متعددة، أكثر من كونها مستخدمة لوظيفة دلالية واحدة، ويُفهم من هذه الرؤية أولا أنَ اللغة يجب أن لا تُستعمل وفق أحكام مختلفة صارمة، بل إنَّ فيها التجدد والتبدل والتغيّر، كما أنَّ الأحكام النحوية تستعمل بطرق مختلفة متعددة، وليس الحكم الواحد منها مقيدا بالضرورة بوظيفة واحدة، يقول

[1] السابق، ص83.

[2] عامر فائل محمد بلحاف وناصر عمر مبارك التميمي، **من مظاهر الالتقاء بين فكر عبد القاهر في النظم وبعض المبادئ اللغوية لمدرسة لندن- دراسة تحليلية**، ص14.

"**أولمان**" لا أجد معنى يمكن أن تتوازن فيه هذه الوظائف المختلفة، الصيغة النحوية فقط هي الثابتة بمقابلتها مع المجموعات اللفظية المحدودة[1].

وهناك من يُطلق على هذه الصيغة مصطلح"التحقق النحوي"، ويرى أنها الطريقة التي نستدل بها على المعاني النحوية، و في ذلك يقول "**عبد القاهر الجرجاني**" ومما يجب ضبطه هنا أيضا: أنَّ الكلام إذا امتنع حمله على ظاهره حتى يدعو إلى تقدير حذف أو إسقاط مذكور، كان على وجهين: أحدهما؛ أن يكون امتناع تركه على ظاهره لأمر يرجع إلى غرض المتكلم، والوجه الثاني؛ أن يكون امتناع ترك الكلام على ظاهره ولزم الحكم بحذف أو زيادة من أجل الكلام نفسه لا من حيث غرض المتكلم به، وذلك مثل أن يكون المحذوف أحد جزأي الجملة[2].

وهكذا يربط "**الجرجاني**" جميع القرائن النحوية من تضام ورتبة ومطابقة بمراعاة السياق اللغوي وسياق المقام، وما يتصل بالموقف من ظروف وبكل ما له علاقة بحال المتكلمين وموضوع الكلام والمخاطبين وما يتصل بمشاعرهم على نحو مثال الخارجي.

[1] ينظر: أولمان، **دور الكلمة في اللغة**، ص51-91.

[2] ينظر: الجرجاني، **الدلائل**، ص155-172.

خلاصة الفصل:

نستنتج من خلال ما سبق"

أن "**جون فيرث" John Firth** وهو يصوغ مصطلحات ومضامين لنظريته، لم يدرك بأنه قد سُبِقَ إلى مثل هذه المضامين ومصطلحاتها بآلاف السِّنين، إذ أنَّ علماء العرب القدامى بصفة عامة وعلماء البلاغة بصفة خاصة، حين قالوا "لكل مقام مقال"، باعتبارهم أنَّ هذا المبدأ الذي تحمله هذه العبارة، يمثل شرطا من شروط تمام آلة البيان والبلاغة، فقد أسسوا لمفهوم المكوّن الاجتماعي والعلاقات الموقفية تحت مصطلح المقام، وذلك إدراكا منهم لدور هذا العنصر الخارجي/غير اللغوي، ولأهميته في الكشف عن المعنى، أيضا، عندما قال أبو عثمان الجاحظ بفكرة النَّظم، ولّمَّا أثبت عبد القاهر الجرجاني دعائم هذه الفكرة–فيما بعد–وفق نظرية لغوية، كان بذلك قد درس التراكيب اللغوية في مستواه النحوي، بالاعتماد على عدَّة مفاهيم، منها مفهوم مبدأين اثنين، يتفقان مع ما جاءت به النظرية السِّياقية، الأوَّل هو"مبدأ النظم" الذي اعْتُبِرَ أساسا من الأسس التي قامت عليها نظرية القواعد النظامية في التنظير لجملة الآراء والتصوَّرات التي جاءت بها، أمَّا الثاني، فهو "مبدأ التعليق"، هذا المبدأ الذي تصدق مقابلته بمصطلح العلاقات الرَّكنية دون الاستدلالية، وذلك أنَّ مفهوم كل من العلاقات الرَّكنية ومبدأ التعليق يعني: ارتباط عناصر الكلام بعضها ببعض عن طريق وسائل معنوية، في حين أنَّ مفهوم العلاقات الاستدلالية يعني : مجموعة الوحدات التي يمكن أن يعوَّض بعضها بعضا في بنية ما على المستوى العمودي، وهذا المفهوم بدوره هو ما نجده حاضرا في التراث البلاغي تحت مصطلح "مبدأ التخيير" الذي يُقْصَدُ به إمكانية خضوع مجموعة من الوحدات اللغوية لموقع نحوي واحد، ولكن يتم اختيار وحدة لغوية دون أخرى، لكونها أكثر مناسبة لأداء المعنى المقصود، وأكثر ملاءمة لطبيعة المقام، وأدقّ تعبيرا عن فحوى موقف سيق من أجله التركيب اللغوي، من جملة المواقف المشكلة لذلك المقام.

الخاتمة

الخاتمة:

مما سبق يتبيّن لنا أنّ قرينة السياق تمتد على مساحة واسعة من الركائز تبدأ باللغة من حيث مبانيها، وعلاقتها النحوية، وتشمل هذة القرينة العناصر غير اللغوية مثل ظروف المتكلم والمخاطَب، وعلى المقام والقرينة الاجتماعية من تقاليد وعادات مما يجعل قرينة السّياق كبرى القرائن؛ فالمقال والمقام هما بمثابة قطبين يكتنفان المعنى بحيث لا يتّضح التذوق إلا في ضوء الاستئناس بقرائنهما.

وقد خلصنا بعد البحث في قضايا هذا الموضوع إلى مجموعة من النتائج، وهي كالآتي:

- إنّ الكلمة لا يمكن أن تعتبر نقطة البدء، بل السياق هو نقطة البدء؛ إذ لا يوجد كيان للتعبير إلا من خلاله وحينئذ من الواجب رصد السياق ثم البحث عن الألفاظ وعلاقاتها فيه ثانيا.
- فإذا كان السياق هو الذي يعطي المدلولات ويحددها، فإنه من جانب آخر يعطي الشكل التركيبي للعبارة بحيث يكون هناك تفاعل أكيد بينهما، وكلما أتيح لنا رصد السياقات التي تحيط بعملية الإنتاج والإبداع استطعنا تفهم الكثير من العلاقات التركيبية بين أجزاء الكلام.
- أدرك العلماء القدامى مفهوم السياق اصطلاحا، وقدَّموا أفكارا وممارسات سياقية متميزة ، كما أنهم ألموا بفكرة السياق وطبقوها تطبيقا دقيقا قبل أن يعرفها غيرهم ، هذا ما أكَّدها البحث اللغوي، وهذا يعني أنهم سبقوا علماء اللغة المعاصرين الذين تُنسب إليهم نظرية السياق بأكثر من ألف سنة.
- لنظرية السياق أهمية كبيرة في الوقوف على الدلالة الكاملة للأحداث اللغوية، فبيان الدلالة التامة لهذه الأحداث يتطلب الوقوف على مستويات اللغة من صوتية وصرفية وقاموسية ونحوية للكلمة مضافا إلى كل ذلك المعنى الاجتماعي الذي يتمثل في سياق الحال أو المقام بمفهومه الواسع والذي يعني كل ما يحيط بالحدث اللغوي من ظروف وملابسات لها علاقة بالكلام المتحدث به.
- ينتظم السياق اللغوي من ثلاثة هي: السياق الصوتي، ويندرج في إطار الفونيم والنبر والتنغيم، والسياق النحوي الذي يقوم بدراسة الظواهر الإعرابية من حيث البناء والإعراب كالتقديم والتأخير والحذف، والمعرفة والتنكير، أمَّا السياق الدلالي فهو الذي يقوم على أساس الاستعمال ووظيفة المعنى في السياق مثلا نظرية الرصف، والدلالة المركزية والدلالة الهامشية.
- ارتبط السياق عند عبد **القاهر الجرجاني** بالنظم أو الهيئات التركيبية وعلاقاتها المختلفة؛ حيث يتجلى فيه البعد السياقي من خلال كيفية تصرّف المتكلم في أحوال نظمه من تقديم وتأخير وحذف.
- يؤدي التقديم والتأخير في الخطابات المختلفة عند الجرجاني كثيرا من الوظائف السياقية؛ إلا أن تحديدها مرهون بالسياق الذي يستدعي اختيار تلك الهيئة دون غيرها من الهيئات.
- تبرز سياقات التقديم والتأخير والحذف والتعريف والتنكير من خلال الوقوف على مقصد المتكلم الذي يحدد الأغراض السياقية للعبارة.

- يتضمن الحذف دلالات وأغراضا سياقية تربط مقصدية المتكلم الذي يسعى بواسطة إضماره لبعض عناصر الجملة إلى وضوح المعنى عند مخاطبه.
- تؤدي الصور البيانية بمختلف أنواعها وظيفة سياقية، وهذا ما لمحناه في تحليلات **الجرجاني** لتلك الصور مثل: التشبيه، والاستعارة، والكناية، فكل صورة لها بعد تأثيري يبرز داخل الخطاب.
- أما الاستعارة فإنها تحمل بعدا سياقيا، وذلك من خلال فكرة الادّعاء التي تحدّث عنها **الجرجاني**، والتي تجعل المخاطب أسير هذه الصورة.
- بينما يبرز بُعد الكناية بواسطة الاستدلال السياقي الذي يجري فيه الانتقال بين ملازمات المعاني، وهذا التصور –في الحقيقة– قريب مما قدمته الدراسات السياقية الحديثة؛ مثل **غرايس** وغيره.
- يتكون سياق الحال أو المقامcontext of situation من مجموعة من العناصر اللغوية وغير اللغوية التي لها صلة بالحدث اللغوي، من أهمها: المتكلم والسامع، وعلاقة كل منها بالآخر والزمان والمكان ومجال الحديث، وبتعبير آخر كل ما يحيط بالحدث اللغوي من ظروف وملابسات يمكن أن ينتظم تحت مفهوم المقام أو سياق الحال.
- أدرك البلاغيون العرب العناصر السياقية، وذلك واضح في حديثهم عن المقام في عبارتهم الشهيرة" لكل مقام مقال"، وإن اختلف مفهوم المقام في كثير من الأحيان عندهم عن مفهومه عند المحدثين.
- برز السياق عند العرب في الدرس البلاغي العربي ممثلا في **الجاحظ** الذي يعد مؤسس معالم هذا الدرس؛ حيث نلمح في كتابيه "البيان والتبيين" و"الحيوان"، أصول النظرية السياقية، و تبرز ملامحها من خلال حديثه عن البلاغة العربية وشروطها، وقد كان **الجاحظ** على وعي بدورها في حياة العرب نظرا لاقترانها بالجانب النفعي، ولهذا أولاها عناية خاصة فحاول رصد عناصرها؛ أعني المتكلم والمخاطب والموضوع، فتحدث ما يلزم المتكلم من مؤهلات وشروط تمكنه من إيصال المعنى والقصد، كما أشار إلى أهمية المخاطب عن طريق رعاية حالته النفسية .
- "السياق غير اللغوي" عند البلاغيين العرب أساس من أساسيات البلاغة العربية، ينطلق من حال المتخاطبين ليعم ملابسات الخطاب ككل، أما عند التداوليين فيستوعب بالإضافة إلى ذلك مستدعيات المكان والزمان وطبيعة القول، وما يمكن أن يحققه من إنجازية معينة.
- إنَّ البلاغيين حين قالوا "لكل مقام مقال"، و"لكل كلمة مع صاحبتها مقام"، وقعوا بذلك على مفهوم المكوّن الاجتماعي، فكانوا بذلك الأسبق من المحدثين إدراكا لمفهوم العلاقات الموقفية.
- فعبد القاهر الجرجاني حينما أسس نظرية النظم، من خلال "مبدأ التعليق" و"مبدأ التخيير"، أوجد مفاهيم هي بالنسبة للعلم الحديث من الكشوف اللغوية التي توصل إليها رواد المدرسة الإنجليزية بفضل المناهج العلمية المتطوّرة.
- إنَّ اعتقاد جون فيرث بأنَّ أحدا لم يسبقه في التنظير لمضامين النظرية السياقية يصدق على صعيدين اثنين:

الأول: هو صعيد المصطلحات، حيث صيغت مضامين النظرية السياقية وفق مصطلحات دقيقة وعبارات مُركَّزة، فيتوهم الدَارس المبتدئ، أنَّه أمام فيض من المعلومات التي لم يُسْبَق التأسيس لها، وهذا مالم يركِّز عليه الدَّرس اللغوي القديم-الدقة في ضبط المصطلح-، فجاءت مصطلحاته، رغم حملها المفاهيم نفسها، وتعبيرها عن المضامين ذاتها، بعيدة عن سمات المصطلحات العلمية الحديثة.

أمَّا الثاني: فهو صعيد منهجية الطَّرْحِ، إذ تتميز النظرية السياقية بمنهجية علمية دقيقة في عرض وتحليل ومناقشة أطروحاتها اللغوية، على خلاف ذلك قام الدرس اللغوي القديم، وذلك أنَّ المنهج السائد خلال تلك الحقبة الزمنية، كان المنهج المعياري، فهو منهج لا يعتمد على مبدأ الكمّ القائم على استحضار أكبر عدد ممكن من الشواهد.

- إن البعد السياقي حاضر في البلاغة العربية في مستويين: مستوى مفهومها"مطابقة الكلام لمقتضى الحال"، ومستوى الإجراء من خلال تلك التغيرات التركيبية الناتجة عن مقصد المتكلم الذي يهدف إلى إقناع المخاطب والتأثير فيه.
- إن السياق اللغوي والخارجي يكمل أحدهما الآخر، فلا يمكن الاستغناء عن أحدهما في فهم معنى النص، فالنص ليس نسيجا لغويا يحمل خصائص جمالية فقط، بل إن اللغة ممتزجة بفكر صاحبها لا تنفك عنه كما إن النص ليس مرآة عاكسة لشخصية مائلة وظروفها الخارجية فقط فهذه الظروف لا تُؤلف بدقة معنى النص.

وأخيرا هذه محاولة متواضعة منا سعينا من خلالها تقديم ما يتعلق بالموضوع، وصدق قول الشاعر أبي البقاء الرندي إذ قال:

لِكُلِّ شيءٍ إذا ما تمَّ نُقْصَانُ ***فَلاَ يُغرَّ بِطِيبِ العَيْشِ إنْسَانُ

والله عزّ وجل أعلى وأعلم.

قائمةالمصادر والمراجع

❖ **القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم.**

أولا–الكتب:

أ–العربية:

1. إبراهيم السامرائي، التطور اللغوي التاريخي، دار الأندلس للطباعة والنشر، ط2، 1401هـ/1981م.

2. إبراهيم أنيس، الأصوات اللغوية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها بمصر، دط، دت.

3. ـــــــــ، دلالة الألفاظ، مكتبة الأنجلو المصرية، ط5، 1984م.

4. إبراهيم فتحي، معجم المصطلحات الأدبية، المؤسسة العربية للناشرين المتحدين، الجمهورية التونسية، ط1،1986م.

5. إبراهيم مصطفى، إحياء النحو، مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة، جمهورية مصر العربية، القاهرة، 2012م.

6. أحمد أحمد بدوي، من بلاغة القرآن، إشراف: داليا محمد إبراهيم، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، مصر، دط، 2005م.

7. أحمد المتوكل، آفاق جديدة في نظرية النحو الوظيفي، دار الهلال العربية، الرباط، ط1، 1993م.

8. ـــــــــ، الوظائف التداولية في اللغة العربية، دار الثقافة–الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1985م.

9. أحمد الوردني، قضية اللفظ والمعنى ونظرية الشعر عند العرب من الأصول إلى القرن السابع الهجري/13م، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط1، 1424هـ/ 2004م.

10. أحمد بن فارس، معجم مقاييس اللغة، تح: عبد السلام محمد هارون، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 1392هـ/1972م.

11. أحمد حساني، مباحث في اللسانيات–مبحث صوتي وتركيبي ودلالي–، منشورات كلية الدراسات الإسلامية والعربية، الإمارات العربية المتحدة، ط2، 1434هـ/2013م.

12. أحمد رضا، معجم متن اللغة"موسوعة لغوية حديثة"،دار مكتبة الحياة، بيروت، 1380هـ/1960م.

13. أحمد كشك، من وظائف الصوت اللغوي، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط2، 1997م.

14. أحمد مختار عمر، البحث اللغوي عند العرب، عالم الكتب، القاهرة، ط6، 1988م.

15. ـــــــــ، دراسة الصوت اللغوي، عالم الكتب، القاهرة، دط، 1418هـ/1997م.– علم الدلالة، عالم الكتب، القاهرة، ط5، 1998م.

16. أحمد مصطفى المراغي، علوم البلاغة(البيان، المعاني البديع)، دن، دط، دت

17. أحمد مطلوب أحمد الناصري الصيادي الرفاعي، أساليب بلاغية، الفصاحة - البلاغة – المعاني، وكالة المطبوعات، الكويت، ط1، 1980.

18. أحمد مؤمن، اللسانيات النشأة والتطور، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون/الجزائر، ط2، 2005م.

19. أحمد نعيم الكراعين، علم الدلالة بين التنظير والتطبيق، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1993م.

20. إدريس مقبول، الأفق التداولي"نظرية المعنى والسياق في الممارسة التراثية العربية"، عالم الكتب الحديث، الأردن، ط1،1432هـ/ 2011م.

21. أرسطو طاليس، الخطابة-الترجمة العربية القديمة-، تح: عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت-لبنان، 1979م.

22. أسعد خلف العوادي، سياق الحال في كتاب سيبويه(دراسة في النحو والدلالة)،تنسيق وفهرسة: مصطفى قرمد، دار مكتبة الحامد للنشر والتوزيع ، المملكة الأردنية/ عمان، ط1، 1432هـ/2011م.

23. آن روبول وجاك موشلر ، التداولية اليوم -علم جديد في التواصل-، تر: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت/لبنان، ط1، 2003م.

24. أوزوالددیکرو وجان ماري سشايفر، القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان، تر: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، دب، طبعة منقحة.

25. بالمر، علم الدلالة، تر: عبد المجيد الماشطة، مكتبة الوطنية، دط، بغداد، 1985م.

26. براجيستراسر، التطور النحوي للغة العربية: تعليق: رمضان عبد التواب، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1982م.

27. بسام بركة، علم الأصوات العام-أصوات اللغة العربية-، مركز الإنماء القومي، بيروت/لبنان، دط، 1988م.

28. بسيوني عبد الفتاح فيود، دراسات بلاغية، مكتبة لسان العرب: مؤسسة المختار، مصر الجديدة، ط1، 1419هـ/1998م.

29. .أبو بكر الباقلاني، إعجاز القرآن، إعجاز القرآن ، تح: السيد أحمد صقر، دار المعارف، مصر، ط5، 1997م

30. بهاء الدين محمد مزيد، تبسيط التداولية، شمس للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2010م.

31. بيير غيرو، علم الدلالة، تر: انطوان أبو زيد، منشورات عويدات، بيروت-باريس، ط1، 1986م.

32. تامر سلوم، نظرية اللغة والجمال في النقد العربي، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سورية ، ط1، 1983م.

33. تمام حسان، اجتهادات لغوية، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 2007م.

34. ـــــــــ، الأصول، عالم الكتب، القاهرة، 1420هـ/2000م.

35. ـــــــــ، البيان في روائع القرآن-دراسة لغوية وأسلوبية للنص القرآني-، عالم الكتب، القاهرة،ط1، 1413هـ/1993م.

36. ـــــــــ، الخلاصة النحوية، عالم الكتب، القاهرة، مصر، ط1، 1420هـ/2000م.

37. ـــــــــ، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، دط، 1994م.

38. ج. فندريس، اللغة، تعريب: عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مطبعة لجنة البيان العربي ، مكتبة الأنجلو المصرية، ، 1950م.

39. ج.ب، براون وج،يول، الخطاب الأدبي، تر: منير التريكي ومحمد لطفي الزليطي، جامعة الملك سعود للنشر العلمي، المملكة العربية السعودية، دط، 1997م.

40. ـــــــــ، تحليل الخطاب، ترجمة: محمد لطفي الزليطي ومنير التريكي، مكتبة الملك فهد الوطنية، جامعة ملك سعود، الرياض، دط، 1418هـ/1997م.

41. جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، تر: مجموعة من الأساتذة والباحثين من الجامعات التونسية، بإشراف: عز الدين المجدوب، مراجعة: خالد ميلاد، دار سيناترا، تونس، دط، 2010م.

42. جان سيرفوني ، الملفوظية، تر: قاسم المقداد، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، دط، 1998م.

43. جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تح: محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل- بيروت، ط3، دت.

44. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تح: فؤاد علي منصور ، دار الكتب العلمية - بيروت، ط1، 1998م.

45. جورج يول، التداولية، تر: قصي العتابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، الرباط، ط1، 1431هـ/2010م.

46. ـــــــــ، معرفة اللغة، تر: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، إسكندرية، 1999م.

47. جون أوستين، نظرية أفعال الكلام، العامة"كيف ننجز الأشياء بالكلام، تر: عبد القادر قنيني، دار البيضاء، إفريقيا الشرق، 1991م.

48. جون لاينز، اللغة والمعنى والسياق، تر: عباس صادق الوهاب، مر: يوئيل عزيز، دار الشؤون الثقافية العامة، العراق-بغداد، ط1، 1987م.

49. الجيلالي دلاش، مدخل إلى اللسانيات التداولية، تح: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992م.

50. حافظ إسماعيل علوي، التداوليات(علم استعمال اللغة)عالم الكتب الحديث، أربد/أردن، ط1،2014م.

51. أبو الحسن أحمد بن طباطبا، عيار الشعر، تح: عبد العزيز بن ناصر المانع،مكتبةالخانجي، القاهرة، دط، دت

52. أبو الحسن بن وهب، البرهان في وجوه البيان، تح: حفني محمد شرف، مكتبة الشباب، مطبعة الرسالة، القاهرة، 1389هـ/1969م.

53. أبو الحسن حازم القرطاجني، منهاج البلغاء وسراج الأُدباء، تح: محمد الحبيب بن الخوجة، الدار العربية للكتاب، تونس، ط3، 2008م.

54. أبو الحسن علي بن عيسى الرماني، الدراسات في اللسانيات التطبيقية، دار المعرفة الجامعية، جامعة لإسكندرية/جمهورية مصر العربية، دط، 2014م.

55. ـــــــــــ، الكلمة-دراسة لغوية معجمية-، دار المعرفة الجامعية، دط، الإسكندرية، 1992م.

56. ـــــــــــ، النكت في إعجاز القرآن، تح: عبد العليم ، مكتبة الجامعية المليّة الإسلامية، دهلى، 1934م.

57. خالد ميلاد، الإنشاء في العربية بين التركيب والدلالة"دراسة نحوية تداولية"، المؤسسة العربية للتوزيع، تونس، ط1، 1421هـ/2001م.

58. خُلود العُموش، الخطاب القرآني-دراسة في العلاقة بين النص والسياق-، عالم الكتب الحديث، إربد والأردن، ط1،1429هـ/ 2008م.

59. خليفة بوجادي، في اللسانيات التداولية مع محاولة تأصيلية في الدرس العربي القديم، بيت الحكمة للنشر والتوزيع، سطيف/الجزائر،، ط1، 2009م.

60. دومينيك مانغونو، المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب، تر: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، الجزائر، ط1، 1428هـ/2008م.

61. فردينان دي سوسير، علم اللغة العام، ترجمة: بوئيل يوسف عزيز ومراجعة: مالك يوسف المطلبي، دار أفاق عربية، بغداد، ط3، 1985م.

62. ذهبية حمو الحاج، لسانيات التلفظ وتداولية الخطاب، دار الأمل للطباعة والنشر والتوزيع، تيزي وزو، ط2، 2012م.

63. ر.هـ. روبنز، موجز تاريخ علم اللغة (في الغرب)، تر: أحمد عوض، عصر المعرفة، الكويت، 1978م.

64. رجاء عيد، فلسفة البلاغة بين التقنية والتطور، دار المعارف، الإسكندرية، ط2، دت.

65. روبيرت دي بوجراند، النص والإجراء والسياق، تر: تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، ط1، 1998م.

66. رولا سلطان كوافحة ، تطور المصطلحات النقدية والبلاغية في الأدب المملوكي"ابن الأثير الحلبي أنموذجا"، مكتبة الكندي للنشر والتوزيع، عمان، ط1، 1435هـ/2014م.

67. بدر الدين بن عبد الله الزركشي ، البرهان في علوم القرآن، تح: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابى الحلبي وشركائه دار المعرفة، بيروت، لبنان، ط1، 1376 هـ - 1957 م.

68. سالم سليمان الخمّاش، المعجم وعلم الدلالة(للطلاب المنتظمين والمنتسبين)، كلية الآداب والعلوم الإنسانية،جامعة الملك عبد العزيز بجدة، 1428هـ.

69. ستيفن أولمان ، دور الكلمة في اللغة، تر: كمال محمد بشر، مكتبة الشباب، النيرة ، 1975م.

70. سعد الدين التفتازاني، مختصر المعاني، دار الفكر، دب، ط1، 1411هـ.

71. سعيد شنوقة، المدخل إلى المدارس اللسانية، دار السلام الحديثة، القاهرة، ط1، 2008م.

72. سعيد علوش، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة- عرض وتقديم وترجمة-، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط1، 1405هـ/1985م.

73. سمير شريف استيتية، اللسانيات المجال والوظيفة والمنهج، عالم الكتب الحديث، إربد-الأردن، ط2، 1429هـ/2008م.

74. ابن سنان خفاجي الحلبي، سر الفصاحة، دار الكتب العلمية، بيروت، دط،1402هـ 1982م.

75. سيد قطب، النقد الأدبي أصوله ومناهجه، دار الشروق، القاهرة، ط6، 1410هـ/1990م.

76. شفيقة العلوي، محاضرات في المدارس المعاصرة، أبحاث للترجمة والنشر والتوزيع، بيروت-لبنان، ط1، 2004م.

77. صابر حباشة، لسانيات الخطاب(الأسلوبية والتلفظ والتداولية)، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا/اللاذقية، ط1، 2010م.

78. صاحب أبو جناح ، دراسات في نظرية النحو العربي وتطبيقاتها، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 1419هـ/1998م.

79. صالح بلعيد، التراكيب النحوية وسياقاتها المختلفة عند الإمام عند الإمام عبد القاهر الجرجاني، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون-الجزائر، دط، 1994م.

80. ـــــــــ،نظرية النَّظم، دار هومه للطباعة والنشر والتوزيع، بوزريعة-الجزائر، دط، 2004م.

81. ضياء الدين بن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، تح: أحمد الحوفي، بدوي طبانة، دار نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة ـ القاهرة، دط، دت.

82. طاهر سليمان حمودة، دراسة المعنى عند الأصوليين، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع الإسكندرية، دط، 1997م.

83. ـــــــ،ظاهرة الحذف في الدرس اللغوي، الدار الجامعية للطباعة والنشر والتوزيع، إسكندرية، دط، 1998م.

84. طه عبد الرحمان، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، المغرب، ط1، 1998م.

85. ـــــ، في أصول الحوار وتجديد علم الكلام، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب-الرباط، ط2، 2000م.

86. عادل أحمد صابر الرويني، تأملات في سورة إبراهيم-تفسير بلاغي تطبيقي-)، سلسلة الدراسات اللغوية، جائزة دبي الدولية للقرآن الكريم، الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1434هـ/2013م.

87. عاصم شحادة علي، مدخل إلى الألسنية الحديثة لطلبة المرحلة الجامعية الأولى، الجامعة الإسلامية العالمية بالماليزيا للنشر العلمي، ط2، 1441هـ/2020م.

88. عبد الحميد السَّيد، دراسات في اللسانيات العربية"المشاكلة، رؤى تحليلية"، دار ومكتبة الحامد، عمان-الأردن، ط6، ص2003م.

89.عبد الرزاق غميصه، معجم علوم التربية (مصطلحات البيداغوجيا والديداكتيك)"سلسة علوم التربية"، دار الخطابي للطباعة والنشر، مطبعة النجاح الجديدة،دب.

90.عبد السلام المسدي، الأسلوبية والأسلوب، الدار العربية للكتاب، التونسية للطباعة وفنون الرسم، ط3، 1982م.

91.عبد السلام هارون، الأساليب في النحو العربي، دار الجبل، بيرون، ط2، 1979م.

92.عبد الصبور شاهين، القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث، مكتبة الخانجي بالقاهرة، دط، 1966م.

93.عبد العاطي غريب علاَّم، دراسات في البلاغة العربية، منشورات جامعة قان يونس، بنغازي، ط1، 1997م.

94.عبد العزيز عتيق، علم المعاني، دار النهضة العربية، بيروت–لبنان، ط1، 1430هـ/2009م.

95.ـــــــ، في تاريخ البلاغة العربية، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت.

96.عبد العظيم بن ظافر ابن أبي الإصبع ، تحرير التحبير، تح: حفني محمد شرف، الجمهورية العربية المتحدة– المجلس الأعلى للشئون الإسلامية – لجنة إحياء التراث الإسلامي، دط، دت.

97.عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، دلالة السياق بين التراث وعلم اللغة الحديث–دراسة تحليلية للوظائف الصوتية والبنيوية والتركيبية في ضوء نظرية السياق"دار الكتب، دب، 1991م.

98.ـــــــ، مقدمة في علم أصوات العربية، اللغة العربية بالقاهرة، ط3، 1424هـ/2004م.

99.عبد القادر بن عمر البغدادي، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، تح: محمد نبيل طريفي/إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، 1998م.

100. عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، تعليق: محمود محمد شاكر، دار المدني بجدة، مصر الجديدة، 1412هـ/1991م.

101. ـــــــــ، دلائل الإعجاز في عم المعاني، تح: محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط1، 1409هـ/1988م.

102. ـــــــ، دلائل الإعجاز، تح: محمود محمد شاكر، مكتبة الخانجي، القاهرة، 1404هـ/1984م.

103. عبد الكريم محمد حسن جبل، في علم الدلالة–دراسة تطبيقية في شرح الأنباري للمفضليات–، دار المعرفة الجامعية، جامعة طنطا، 1997م.

104. عبد الله بن يحي الفيفي ، مدخل إلى اللسانيات الحاسوبية-إشراق على أحمد الرفاعي-، مركز الملك عبد الله بن عبد العزيز الدولي، المملكة العربية السعودية/الرياض، ط1، 1438هـ/2017م.

105. عبد المتعال الصّعيدي، البلاغة العالية –علم المعاني-، تح: عبد القادر حسين، مكتبة الآداب ومطبعتها، دب، ط2، 1411هـ/1991م.

106. ـــــــ، بغية الإيضاح لتلخيص المفتاح في علوم البلاغة،مكتبة الآداب،ط17، 1426هـ-2005م.

107. عبد الملك بومنجل، تأصيل البلاغة-بحوث نظرية وتطبيقية في أصول البلاغة العربية-، مخبر المثاقفة العربية في الأدب ونقده، جامعة محمد لمين دباغين/سطيف2، 1437هـ/2015م.

108. عبد الملك مرتاض، نظرية البلاغة، دار القدس العربي للنشر والتوزيع، الجزائر، ط2، 2010م.

109. عبد النعيم خليل، نظرية السياق بين القدماء والمحدثين-دراسة لغوية نحوية دلالية-، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط1، 2007م.

110. عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب-مقاربة لغوية تداولية-، دار الكتاب الجديد، بنغازي/ليبيا، ط1، 2003م.

111. أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تح: عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط7، 1418هـ/1998م.

112. ـــــــ، الحيوان، تح: عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت/لبنان، 1416هـ/1996م.

113. عصام نور الدين، علم وظائف الأصوات اللغوية –الفونولوجيا-، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1992م

114. يحي بن حمزة بن علي بن ابراهيم العلوي، الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، المكتبة العنصرية، بيروت، ط،1 1423 هـ.

115. أبو علي الحسن ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه، تح: محمد محيي الدين عبد الحميد ،دار الجيل، ط5، 1401 هـ - 1981م.

116. علي آيت أوشان، السياق والنص الشعري من البنية إلى القراءة، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب ، ط1، 2000م.

117. علي زوين، منهج البحث اللغوي بين التراث وعلم اللغة الحديث-دراسات-، دار الشؤون الثقافية العامة، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، ط1، 1986م.

118. عواطف كنوش المصطفى، الدلالة السياقية عند اللغويين، دار السياب للطباعة والنشر والتوزيع، لندن، ط1، 2007م.

119. العياشي أدراوي، الاستلزام الحواري في التداول اللساني، دار الأمان، الرباط، ط1، 1432هـ/ 2011م.

120. غانم قدوري الحمد، المدخل إلى علم أصوات العربية، دار عمار للنشر والتوزيع، عمان/الأردن، ط1، 1425هـ/2004م.

121. فاضل صالح السامرائي، الجملة العربية والمعنى، دار ابن حزم، ط1، 1421هـ/2000م.

122. فاطمة الشيدي، المعنى خارج النص(أثر السياق في تحديد دلالات الخطاب)، دار نينوي للطباعة والنشر، دمشق، دط، 2011م.

123. فايز الداية، علم الدلالة العربي النظرية والتطبيق-دراسة تاريخية ، تأصيلية، نقدية-، دار الفكر المعاصر، دمشق، ط2، 1417هـ/1996م.

124. أبو الفتح عثمان بن جني، الخصائص، تح: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية/المكتبة العلمية، مصر، دط، 1372هـ/1952م.

125.فرانسواز أرميكنو، المقاربة التداولية، تر: سعيد علوش، مكتبة الأمة، الرباط، 1986م.

126. عبد القادر عبد الجليل، الأصوات العربية، دار صفاء، عمان، الأردن، ط1، 2010م.

127. ـــــــــ، علم الصرف الصوتي، سلسلة الدراسات اللغوية، أزمنة ، 1998م.

128. أبو القاسم محمود بن عمرو ، الزمخشري جار الله، أساس البلاغة، تح: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط1، 1419 هـ/1998 م.

129. عبد الله ابن قتيبة، أدب الكاتب، تح:محمد الدالي، مؤسسة الرسالة، دب، دط، دت.

130. ـــــــ، عيون الأخبار، دار الكتب العلمية –بيروت، دط، 1418 مج2، ص187.

131.كارل بروكلمان، تاريخ الأدب العربي، تر: عبد الحليم النجار، دار المعارف، مصر، ط2، دت.

132. كريم زكي حسام الدين، أصول تراثية في اللسانيات الحديثة، مكتبة النهضة المصرية-، القاهرة، ط1421،3هـ/ 2001م.

133. كمال أبو ديب، في البنية الإيقاعية في الشعر، دار العلم للملايين، بيروت، ط1، 1974م.

134. كمال بشر، دراسات في علم اللغة، دار المعارف، مصر، ط9، 1986م.

135. ـــــــ، علم الأصوات، دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، 2000م.

136.ماري آن بافو، جورج إلياس رفاتي، النظريات اللسانية الكبرى من النحو المقارن على الذرائعية، تر:محمد الراضي، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1، 2012م.

137.ماريوباي، أسس علم اللغة، ترجمة وتعليق: أحمد مختار عمر، عالم الكتب، القاهرة، ط8، 1419ه/1998م.

138. مازن مبارك، معجم المصطلحات الألسنية-فرنسي-إنكليزي-عربي-، دار الفكر اللبناني، بيروت، ط1، 1995م.

139. مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، مكتبة الشروق الدولية، جمهورية مصر العربية، ط4، 1425ه/2004م.

140. محمد إبراهيم شادي، شرح دلائل الإعجاز، دار اليقين للنشر والتوزيع، مصر، ط2، 1434ه/2013.

141. محمد أحمد أبو الفرج، المعاجم اللغوية في ضوء دراسات علم اللغة الحديث، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1385ه/ 1966م.

142. محمد الصغير بنائي، المدارس اللسانية في التراث العربي وفي الدراسات الحديثة، دار الحكمة، الجزائر، السداسي الأول، 2001م.

143. ـــــــ، النظريات اللسانية و البلاغية والأدبية عند الجاحظ من خلال البيان والتبيين، ديوان المطبوعات الجامعية، بن عكنون/الجزائر، ط12، 1994م.

144. محمد حسين أبو موسى، البلاغة القرآنية في تفسير الزمخشري وأثرها في الدراسات البلاغية، دار الفكر العربي، دب، دط، دت.

145. محمد حماسة عبد اللطيف، النحو والدلالة-مدخل لدراسة المعنى النحوي والدلالي دار الشروق، بيروت، ط1، 1420ه/2000م.

146. محمد خطابي، لسانيات النص، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، دط، 1991م.

147. محمد زكي العشماوي، قضايا النقد الأدبي بين القديم والحديث، دار النهضة العربية، بيروت، دط، 1979م.

148. محمد سالم صالح ، أصول النظرية السياقية عند علماء العربية ودور النظرية في التوصل إلى المعنى، كلية المعلمين بمحافظة جدة، جامعة الملك عبد العزيز، دط، دت.

149. محمد عبد المطلب، البلاغة والأسلوبية، مكتبة لبنان ناشرون، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، ط1، 1994م.

150. ـــــــ، البلاغة العربية: قراءة أخرى، دار نوبار للطباعة،القاهرة، ط2، 2007م.

151. ـــــــ، قضايا الحداثة عند عبد القاهر الجرجاني، مكتبة لبنان ناشرون، القاهرة، ط1، 1995م.

152. محمد بن عرفة الدسوقي على شرح العلامة سعد الدين التفتازاني على متن التلخيص، مطبعة الحاج محمد أفندي البوسنوي، بولاق مصر، دط، 1290 هـ.

153. محمد محمد أبو موسى، دلالات التراكيب-دراسة بلاغية-، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1408هـ/1987م.

154. محمد محمد يونس علي، تحليل الخطاب وتجاوز المعنى"نحو بناء نظرية المسالك والغايات، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، الأردن، ط1، 1437هـ/2016م.

155. ـــــــ، المعنى وظلال المعنى"أنظمة الدلالة في العربية"، دار المدار الإسلامي، بيروت/لبنان، ط2، 2007م. ـــــــ، مقدمة في علمي الدلالة والتخاطب، دار الكتاب الجديد المتحدة، مكتبة نرجس، بنغازيا/ليبيا، ط1، 2004م.

156. محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، دط، 2002م.

157. ـــــــ، علم اللغة النظامي-مدخل إلى النظرية اللغوية عند هاليداي، ملتقى الفكر، دب، ط2، 1422هـ/ 2001م.

158. محمود السَّعران، علم اللغة مقدمة للقارئ العربي، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت، دط، دت.

159. محمود عكاشة، نظرية البرجماتية اللسانية،(دراسة المفاهيم والنشأة والمبادئ)، مكتبة الآداب، القاهرة، ط1، 2013م.

160. محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة ، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، طبعة جديدة مزيدة ومنقحة، 1997م.

161. مسعود بن عمر التفتازاني مع حاشية : الهند محمود حسن ، مختصر المعاني"علم المعاني –علم البيان" ، مكتبة البُشرى كراتشي ، باكستان، ط1، 1431هـ/2010م.

162. مسعود صحراوي، التداولية عند علماء العرب–دراسة تداولية لطاهرة"الأفعال الكلامية في التراث اللساني العربي"، دار الطليعة، بيروت–لبنان، ط1، 2005م.

163. مصطفى حركات، اللسانيات العامة وقضايا العربية، دار الثقافة للنشر، المكتبة العصرية، صيدا–بيوت، ط1، 1418هـ/1998م.

164. مصطفى سبيتي، شرح ديوان أبي الطيب المتنبي، دار الكتب العلمية، بيروت/لبنان، ط2، 1424هـ /2002م

165. مصطفى ناصف، اللغة و التفسير والتواصل، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1415هـ/1995م.

166. معاذ بن سليمان الدخيل، منزلة معاني الكلام في النظرية النحوية العربية(مقاربة تداولية)، دار محمد علي للنشر، دب، ط1، 2014م.

167. ممدوح عبد الرحمن الرَّمالي، العربية والوظائف النحوية–دراسة في اتساع النظام والأساليب–، دار المعرفة الجامعية، الأزرايطة، مصر،1996م.

168. جمال الدين بن منظور، لسان العرب، دار المعارف، القاهرة، 1119م.

169. منقور عبد الجليل، علم الدلالة–أصوله ومباحثه في التراث العربي"دراسة"–، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001م.

170. مهدي إبراهيم الغويل، السياق وأثره في المعنى–دراسة أسلوبية–، أكاديمية الفكر الجماهيري/دار الكتب الوطنية، بنغازيا/ليبيا، دط، 2011م.

171. ميشال زكريا، الألسنية والتوليدية والتحويلية وقواعد اللغة العربية"الجملة البسيطة"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، ط2، 1406هـ/1986م.

172. نايف خرما، أضواء على دراسات اللغوية المعاصرة، عالم المعرفة، الكويت، دط، 1978م.

173. نعمان بوقرة، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب–دراسة معجمية–، عالم الكتب الحديث، عمان/الأردن، ط1، 1429هـ/ 2009م.

174. نواري سعودي أبو زيد، ممارسات في النقد واللسانيات، بيت الحكمة، الجزائر،ط1، 2012م.

175. أبو هلال العسكري، الفروق اللغوية ، تح: محمد إبراهيم سليم، دار العلم والثقافة والتوزيع، القاهرة، دط، دت.

176. ـــــــــ، كتاب الصناعتين، تح: علي البحاوي ومحمد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصرية، بيروت/لبنان، 1998م.

177. هنري فليش، العربية الفصحى –دراسة في البناء اللغوي–، تح: عبد الصبور شاهين، مكتبة الشباب، القاهرة، دط، 1997م.

178. وليم رآي، المعنى الأدبي–من الظاهراتية إلى التفكيكية ، ترجمة: يونيل يوسف عزيز، دار المأمون للترجمة والنشر، بغداد، ط1، 1987م.

179. أبو يعقوب يوسف السكاكي، مفتاح العلوم، تح : نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت/ لبنان، ط2،1407 هـ/ 1987 م.

180. يوسف تغزاوي، نماذج التداولية، مكتبة ووراقة العمران، جامعة محمد الأمل، الكلية المتعددة التخصصات الناطور.

ب–الأجنبية:

181. Bloomfield, Leonarad, Language, Brinted in the united state of America,June,1963.

182. Chomsky Noam, ianguag and mind in perveen a dams: language in thinking

183. ـــــ syntactic structures Mouton and Co.thehague 1957

184.John Firth, Papers in linguistic, oxford University Press, London,1964.

185. Joseph Grady "Superschemas" and the grammar of metaphorical mappings, Cognitive Linguistics Research, Ronald W. Langacker: Language in the Context of Use , Berlin/New York, 2008.

186. Leech Geoffrey: semantics pelican books , London,1976

187. Lynne Cameron, A discourse approach to metaphor: Explaining systematic metaphors for literacy processes in a school discourse community, Cognitive Linguistics Research , Ronald W. Langacker: Language in the Context of Use , Berlin/New York, 2008.

188. M.A.K. Haliday, The Notion of"Context"in language Education, AMSTERDQM STUDIES IN THE THEORY QND HISTORY OF LINGUISTIC SCIENCE, KONRAD KOERNER: Text and context in functional linguistic,JOHN BENJAMINS PUBLISHING COMPANY AMSTERDAM/PHILADELPHIA, 1984.

189. Richard W.Janney: Cotext as context: vague answers in court,languge& communication, PERGAMON, 22 /2002.
190. GeoergesMounin: Dictionnaire de la linguistique, Presses Universitaires de France ,Paris, 1974.
191. Jean Dubois, Dictionnaireed: Linguistque sciences du langage, Messageries ADP,RichardsonMontreéal(québec ,Distributeur exclusif au Canada ,pour la premiére édition,1994.

ثانيا: الدوريات

192. أحميد محمود عبد الله احميدات، (دلالة السياق اللغوي في توجيه المعنى البلاغي حسب نظرية فيرث "شعر محمود درويش أنموذجا") ، مجلة جامعة المدينة العالمية، ع التاسع عشر، يناير 2017م.

193. أعمارة ربيحة، (تداولية المقام في الدرس البلاغي العربي القديم)، مجلة المقري للدراسات اللغوية النظرية والتطبيقية، جامعة محمد بوضياف، المسيلة-الجزائر، ع2 ، دت.

194. أمل عبد الجبار كريم الشرع، (السياق في البلاغة العربية القديمة تداوليا)، مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، مج23، ع 1، 2015م.

195. باديس لهويمل، "مقاصد التداولية للتقديم و التأخير في كتاب نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز للرازي"، المجلة العلمية لجامعة الملك فيصل، العلوم الإنسانية والإدراية، جامعة محمد خيضر، بسكرة/ الجزائر، 2020/5/5م.

196. جبريل محمد عثمان، (نظرية السياق عند فيرث)، مجلة العلوم الشرعية ، جامعة المرقب، كلية التربية، ع 2.

197. حلام الجيلالي، (من نظريات التحليل الدلالي في التراث العربي)، مجلة المعجمية"، تونس، ع16-17، 2001م.

198. حيدر غضبان محسن الجبوري، ودوهان محمد دوهان الجبوري، (سياق الحال" بين لسانيات الجملة والتراث النحوي العربي)،مجلة جامعة بابل، مج23، ع 4،2015.

199. رشيد بلحبيب، (أثر العناصر غير اللغوية في صياغة المعنى)، مجلة اللسان العربي، كلية الآداب والعلوم الإنسانية جامعة محمد الأول – وجدة – المغرب، دت.

200. روحاله نصيري، "الإيقاع الصوتي في نهج البلاغة-خطبتي "الشِّقشقية" و"خلقة الطاووس"أنموذجا-"، مجلة الجمعية العلمية الإيرانية للغة العربية وآدابها، ع35، 1394هـ/2015م.

201. رياض بوزنية، (نمطية الوظائف التنغيمية في اللغة العربية)، مجلة النص، ع13، 2013م.

202. سامية شودار، (البعد التداولي للضمير في سورة التوبة، جامعة محمد خيضر)، بسكرة، دت.

203. سعدية موسى عمر واقبال سر الختم أحمد عبد الباقي، (تغيرات الدلالة ودورها في المعنى –دراسة في الحديث النبوي الشريف–)، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، ع5، 2012م.

204. سليمان بن سمعون، (البلاعة وعلاقتها بالتداولية والأسلوبية وعلم النص)، مجلة الواحات للبحوث والدراسات"،قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة غرداية/الجزائر، ع 17، 2012م.

205. سهل ليلى،(التنغيم وأثره في اختلاف المعنى ودلالة السياق)، مجلة كلية الآداب والعلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة محمد خيضر، بسكرة، ع7، جوان 2010م.

206. سيروان عبد الزهرة الجنابي وحيدر جبار عيدان، (جدلية السياق والدلالة في اللغة العربية–النص القرآني أنموذجا)، دب، ع9، 2008م.

207. صبيحة حسن طعيس، (الدلالات التداولية للجملة الطلبية في قصيدة "لا تصالح" للشاعر أمل دنقل)،"مجلة سياقات contexts "، العراق، مج 3، ع1، 2018م.

208. صلاح حبيب سليمان، "وقفة مع الخطيب القزويني في بعض شواهد الإيضاح(شواهد الفصاحة وعلم المعاني)"، مجلة كلية الآداب، جامعة سوهاج، ع الخامس والثلاثون، أكتوبر 2013م.

209. عامر فائل محمد بلحاف وناصر عمر مبارك التميمي، (من مظاهر الالتقاء بين فكر عبد القاهر الجرجاني وبعض المبادئ اللغوية لمدرسة لندن–دراسة تحليلة–)، مجلة الدراسات اللغوية والأدبية، ع2، ديسمبر 2012م.

210. عقيد خالد حمودي العزاوي، (أثر السياق في تغيير دلالة الألفاظ–سورة الكهف أنموذجا–)،مجلة الأستاذ"، كلية التربية ابن رشد قسم علوم القرآن الكريم، ع209، 1435هـ/2014م.

211. بن عيسى أزرابيط، اللسانيات واللغة العربية "بين النظرية والتطبيق"، سلسلة الندوات، جامعة المولى إسماعيل ، كلية الآداب والعلوم، ع4، 1992م.

212. لطف حاتم عبد الصاحب الزامليّ،(الكلامُ عملا"مقاربة تداولية)، مجلة القادسية للعلوم الإنسانية، مج السادس عشر، ع 1، 2013م.

213. لمسن بلبشير، (الدراسات اللغوية بين الأصالة والمعاصرة)، مجلة الآداب واللغات، جامعة قاصدي مرباح ورقلة–الجزار، ع الثامن، ماي 2009م.

214. محمد إسماعيل بصل وفاطمة بلة، (ملامح نظرية السياق في الدرس اللغوي الحديث)، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، جامعة تشرين، اللاذقية، سوريا، ع18، 1393هـ/2014م.

215. محمد داود محمد داود و وإكرام زين العابدين الطيب، (سياق المقام وأثره في توجيه دلالة النص"دراسة تطبيقية في تفسير القرآن الكريم)، مجلة العلوم والبحوث الإسلامية، ع السادس، فبراير2013م.

216. محمد عبد اللطيف، (مصطلح الرصف في الدرس اللغوي"مدخل إلى تحديد المصطلح")، حوليات آداب عين شمس، مج 44، 2016م.

217. محمود راشد أنين، (الجملة الحالية في-دلائل الإعجاز-)، المجلة العربية للعلوم الإنسانية، جامعة حلب/سوري، 2016م.

218. مزاحم مطر حسين، أثر التنغيم في توجيه الأغراض البلاغية لعلم المعاني"الاستفهامأنموذجا"، مجلة القادسية في الآداب والعلوم التربوية، المج 6، ع4/3، 2007م.

219. مزايتي مريم، التداولية"(نشأة المفاهيم والتصورات)"، مجلة إشكالات: دورية نصف سنوية محكمة تصدر عن معهد الآداب واللغات بالمركز الجامعي لتامنغست ، الجزائر ، ع الثامن/ديسمبر، 2015م،

220. حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة عالم الكتب الحديث،إربد/الأردن، 2014م.

221. مودر الجوهر، (الجملة العربية قديما وحديثا-تحديد ودراسة-)، منشورات مخبر تحليل الخطاب، دار الأمل، تيزي وزو، ع1، 2006م.

222. الهواري بلقندوز، (تداولية الفصل والوصل في الخطاب القرآني-مقربة لسانية نصية-)، مجلة الأطراس"، منشورات كلية الآداب واللغات والفنون، جامعة سعيدة.

223. يحي أحمد، (الاتجاه الوظيفي ودوره في تحليل اللغة)، مجلة عالم الفكر، أين تصدر مج20، ع3، 1989م.

ثالثا: الرسائل والأطاريح الجامعية:

224. إبراهيم محمود خليل، السياق وأثره في الدرس اللغوي-دراسة في ضوء علم اللغة الحديث، قدمت هذه الرسالة استكمالا لمتطلبات نيل درجة الدكتوراه في تخصص اللغة العربية وآدابها ، من إشراف : محمود السمرة، الجامعة الأردنية، 1411هـ/1990م.

225. أحلام بن عمرة، تداولية الخطاب واستراتيجية التواصل اللغوي في الخطاب الديني، أطروحة لنيل شهادة دكتوراه ل.م.د، من إشراف: ذهبية حمو الحاج، جامعة مولود معمري، تيزي وزو، 2018.

226. أحمد سراج المنير، مفهوم السياق عند تمام حسان وفيرث –دراسة تحليليةًّة مقارنة-، بحث جامعي مقدم لاستيفاء بعض الشروط للحصول على درجة سرجانا في قسم اللغة العربية وآدابها كلية العلوم الإنسانية ، من

إشراف: أندوس كياهي الحاج مرزوقي مستمر ، جامعة مولانا مالك إبراهيم الإسلامية الحكومية مالانج، 2016م.

227. إسماعيل يوسفي، السياق وأثره في توجيه الخطاب القرآني في كتاب " أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن" للشنقيطي، مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي، تخصص: الفكر النَّحوي واللسانيات، من إشراف: أحمد بلخضر، جامعة قاصدي مرباح، ورقلة، 1434هـ/2013م.

228. انتصار عثمان إبراهيم عثمان، القضايا الصوتية والدلالية في كتاب المحتسب لابن جني-دراسة وصفية تحليلية في ضوء علم اللغة الحديث-درجة الدكتوراه في علم اللغة، من إشراف: بكري محمد الحاج، جامعة أم درمان الإسلامية، 1431هـ/2010م.

229. درقاوي مختار، من العلامة إلى المعنى-دراسة لسانية ودلالية لدى علماء الأصول-، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، من إشراف مطهري صفية، جامعة وهران 2011م.

230. سامية بن يمينة، الاتصال اللساني وآلياته التداولية في الصناعتين لأبي هلال العسكري، مذكرة مقدَّمة لنيل شهادة الماجستير في اللغة، مشروع العلوم اللغوية والاتصال، من إشراف: أحمد عزوز، جامعة وهران، 2007م..

231. سامية بن يامنة، سياق الحال في الفعل الكلامي-مقاربة تداولية-، أطروحة مقدَّمة لنيل شهادة الدكتوراه في اللسانيات التداولية، من إشراف: أحمد عزوز، جامعة وهران، دت.

232. صلاح الدين سعيد حسين، التغيرات الصوتية في التركيب اللغوي العربي"المقطع-الكلمة-الجملة"، بحث معد لنيل درجة الدكتوراه في اللغة العربية وآدابها، من إشراف: سامي عوض، جامعة تشرين، 2009م.

233. صورية جغبوب، قضايا اللسانيات العربية الحديثة بين الأصالة والمعاصرة من خلال كتابات أحمد مختار عمر، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في علوم اللسان، من إشراف: عز الدين صحراوي، جامعة فرحات عباس، سطيف، 2012م.

234. علي بعداش، خصائص البنى التركيبية للخطاب البنيوي الشريف في صحيح مسلم-مقاربة تداولية-، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم في المعجمية وقضايا الدلالة، من إشراف: محمد بوادي، جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2.

235. محمد جاسم محمد جبارة، المعنى والدلالة في البلاغة العربية"دراسة تحليلية لعلم البيان"، بحث لنيل درجة الدكتوراه، تخصص البلاغة والنقد، من إشراف: مصطفى محمد الفكي، جامعة أم درمان الإسلامية، 1427هـ/2006م.

236. مهدي أسعد عرار، جدل اللفظ والمعنى –دراسة في علم الدلالة العربي–، درجة الماجستير في اللغة العربية وآدابها، من إشراف د/نهاد الموسى، الجامعة الأردنية، 1995م.

237. نادية معاتقي، إسهام الدَّارسين العرب المحدثين في إرساء أسس علم الدَّلالة، مذكرة لنيل درجة الماجستير في اللغة واللغة والأدب العربي، من إشراف: السعيد حاوزة، جامعة مولودي معمري، تيزي وزو، 2015م.

238. نعيمة بن ترابو، ملامح النظرية السياقية عند اللغويين العرب–دراسة من منظور لساني–، مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في الأدب العرب، من إشراف: عمار شلواي، جامعة محمد خضير –بسكرة، 1431هـ/2010م.

239. نور الدين بوزناشة، الحجاج بين الدرس البلاغي العربي والدرس اللساني الغربي–دراسة تقابلية مقارنة–، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه العلوم، تخصص: تعليمية اللغة العربية، من إشراف: خليفة بوجادي، جامعة محمد لمين دباغين ، سطيف2، 2016م.

240. ردة الله بن ردة بن ضيف الله الطلحي، دلالة السياق، رسالة مقدمة لنيل درجة الدكتوراه في علم اللغة، من إشراف: عبد الفتاح عبد العليم البركاوي، جامعة أم القرى، 1418هـ.

241. وصل الله صامل الرحيلي، أثر السياق في توجيه المعنى–دراسة تطبيقية في صحيح مسلم–، رسالة مقدمة لاستكمال متطلبات الحصول على درجة الدكتوراه في تخصص فقه اللغة، من إشراف ناجح عبد الحافظ مبروك عبيد، جامعة طيبة، 1431هـ/2010م.

242. الصادق محمد آدم، توظيف السياق في الدرس اللغوي، دراسة لنيل درجة الدكتوراه، قسم اللغة العربية، من إشراف : الحبر يوسف نور الدائم، جامعة الخرطوم، كلية الدراسات العليا، نوفمبر 2007م.

رابعا: المواقع الإلكترونية:

243. أبو شهد مسلم، منتديات ستارتايمز، نبذة عن حياة العالم اللغوي"تمام حسان" ، https://www.startimes.com، 2021/07/22، 10:30

244. عزي إيماني، بحث حول جون روبيرت فيرث، https://kayba.ahlamontada.net، 2021/07/22، 12:00.

فهرس المحتويات

فهرس المحتويات

العنوان	الصفحة
شكر وتقدير	
مقدمة	أ
الفصل التمهيدي: السياق والبلاغة والتداولية–مفاهيم عامة–	
توطئة	8
أولاً– السياق	8
ثانيا– البلاغة	17
ثالثا– التداولية	22
خلاصة الفصل	39
الفصل الأول: السياق اللغوي في التراث البلاغي العربي	
توطئة	41
❖ السياق اللغوي	42
أولا– السياق الصوتي في الدراسات الحديثة والتراث	43
ثانيا– السياق النحوي	69
ثالثا– السياق الدلالي	96
خلاصة الفصل	119
الفصل الثاني: السياق غير اللغوي في التراث البلاغي العربي	
توطئة	121
أولا– السياق غير اللغوي في الدراسات الحديثة	122
ثانيا– السياق غير اللغوي عند البلاغيين	141
خلاصة الفصل	182
الفصل الثالث: السياق بين التراث البلاغي العربي ونظرية فيرث	

توطئة	184
أولا- المقام	184
ثانيا- العلاقات الموقفية والبلاغة العربية	199
ثالثا-القواعد النظامية ونظرية النظم	218
رابعا- الجملة الحالية ومعاني النحو	229
خلاصة الفصل	244
الخاتمة	246
قائمة المصادر والمراجع	250
فهرس الموضوعات	269
ملخص الدراسة	

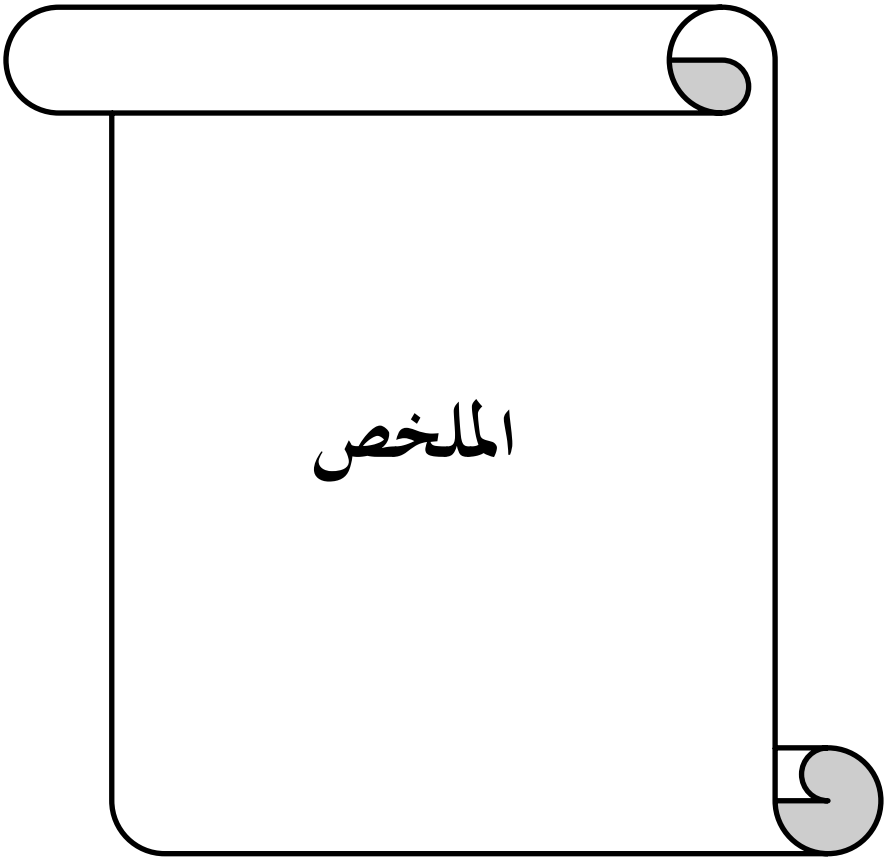
الملخص

الملخص

الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فهذه الرسالة عنوانها"السياق في التراث البلاغي العربي دراسة في ضوء نظرية فيرث السياقية – مقاربة تداولية–، وتحتوي على أربعة فصول تسبقها مقدمة ، وتقفوها خاتمة:

تناول **الفصل التمهيدي** مفاهيم عامة حول السياق والبلاغة والتداولية، وفي **الفصل الأول**: تناول السياق اللغوي في التراث البلاغي العربي، واشتمل على ثلاثة عناصر: أولهما السياق الصوتي، وثانيهما: السياق النحوي، وثالثهما: السياق الدلالي، وفي **الفصل الثاني**: تناول السياق غير اللغوي في التراث البلاغي العربي، واشتمل على عنصرين أولهما: السياق غير اللغوي في الدراسات الحديثة، وثانيهما: السياق غير اللغوي في التراث البلاغي العربي، حيث تناولنا في هذين العنصرين عناصر السياق غير اللغوي في النظرية، والتراث مع إبراز لأهمية النصوص التراثية التي أشارت إلى عناصر محددة للموقف كما في النظرية الغربية، كما تناولنا بالتحليل أهم العناصر التي تشتمل عليها المواقف كالمتكلم والمخاطب والزمان والمكان، ومعضدات الكلام وقيمتها في بناء النص وفهمه، وفي **الفصل الثالث**: تناول السياق بين التراث البلاغي العربي ونظرية فيرث ، واشتمل على أربعة عناصر أساسية، أولهما: المكون الاجتماعي "المقام"، وثانيهما: العلاقات الموقفية والبلاغة العربية، وثالثهما: العلاقة الداخلية، و"القواعد النظامية ونظرية النظم"، وربعهما الجملة الحالية، و"معاني النحو والصيغة النحوية"، وذيل البحث بخاتمة رصدت أهم النتائج، وقائمة المصادر والمراجع، ثم فهرس تفصيلي لما اشتملت عليه الرسالة.

الكلمات المفتاحية:السياق؛ السياق اللغوي؛ السياق غير لغوي؛ المقام.

Abstract:

Praise be to God, and prayers and peace be upon the one after whom there is no prophet, and after:

This thesis is entitled "The Reality in the Arab Rhetorical Heritage on Firth's Contextual Theory - A Pragmatic Approach"

The introductory dealt with general concepts about title, rhetoric and circulation, and in the first chapter: dealing with falsehood in the Arab rhetoric heritage, and it included three sections, the first usually in modern and heritage studies, the second: the grammatical context in modern and historical studies, and the third: semantics in modern studies, and the third: Perfumes and heritage, and in the second chapter: I dealt with justice in the Arab rhetorical heritage, and it included: The first of them: the non-linguistic in modern studies, and the second: the emergence of the non-linguistic in the Arab rhetorical heritage, where I dealt in counters: the non-linguistic elements in theory, and heritage With reference to the heritage origins contained in the instructions contained in the specific elements in Western theory, I dealt with the analysis of the most important elements in situations, situations such as the speaker, the addressee, time and place, biting speech and their value in building and understanding the text, and in the third chapter: a pragmatic approach between rhetorical heritage and Firth contextual theory And it included three basic topics, the first: the social component “Al Maqam”, the second: Situational Relationships and Arabic Rhetoric, and the third of them: the internal relationship, and “grammar”. Systematicism and Ecosystem Theory”, the current sentence, “the meanings of syntax and grammatical form”, the research appendix with a conclusion that notes the most important results, a list of sources and references, a list of foreign terms in the research, then an index of instructions for what the thesis contains.

Key-words: Context; linguistic context; non-linguistic context; current context.